

إحياء علوم الدين

للإمام الفخري

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي

وفلسفته في الإحياء

بمقدم

الدكتور بدوي طه

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم
بجامعة القاهرة

فيها كتب قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة

From the Library of
Muhammad T. Lozien

المجلد الثاني

مكتبة وطبعة "كرياطة فوترا" سماراغ

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب آداب الأكل)

(وهو الأول من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات ، غلق الأرض والسماوات ، وأنزل الماء الفرات من المصبرات ، فأخرج به الحب والنبات ، وقدر الأرزاق والأقوات ، وحفظ بالمأكولات قنوى الحيوانات ، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات به كل الطيبات ، والصلاة على محمد وآله الباهرات ، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على ممر الأوقات ، وتتضاعف بتعاقب الساعات ، وسلم تسلياً كثيراً .

أما بعد : فإن مقصد ذوى الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب ، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل ، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات ، والتناول منها بقدر الحاجة على تكرار الأوقات ، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين إن الأكل من الدين ، وعليه نهى العرب العالمين ، بقوله وهو أصدق القائلين - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى ، فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدى ، يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى ، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ، ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم الصبد بزمائها ويلجج التقي بلجامها ، حتى يترنم بآذان الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها ، فيصير بسببها مدفعة للوزر ، ومجلبة للأجر ، وإن كان فيها أوفى حظ للنفس . قال صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفضها إلى فيه وإلى في امرأته » (١) وإنما ذلك إذا رفضها بالدين وللدن مراعيها فيه آدابه ووظائفه ، وهاتين ترشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومرواياتها وهيئاتها في أربعة أبواب . وفصل في آخرها . الباب الأول : فيما لا بد للأكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل . الباب الثاني : فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل . الباب الثالث : فيما يخص تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين . الباب الرابع : فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها .

(كتاب آداب الأكل)

(١) حديث إن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفضها إلى فيه وإلى في امرأته خ من حديث سعد بن أبي وقاص وإليك مهما أتقت من ثقة فانها صدقة حتى اللقمة ترفضها إلى في امرأتك .

بقية

حوارف المعارف

لسهروردي

[الباب التاسع في
ذكر من اتقى إلى
الصوفية وليس منهم]
فمن أولئك قوم يسمون
نفسهم قلندرية تارة
وملازمة أخرى
وقد ذكرنا حال اللامق
وأنه حال شريف
ومقام عزيز وتمسك
بالسنن والآثار وتحقق
بالإخلاص والصدق
وليس مما يزعم
الفتنون بشيء فأما
القلندرية فهو إشارة
إلى أقوام ملكهم سكر
طيبة قلوبهم حتى خربوا
العادات وطرحوا
التقييد بآداب
المجالسات والمخالطات
ومساحوا في ميادين
طيبة قلوبهم قتل
أعمالهم من الصوم
والصلاة إلا الفرائض

الباب الأول : فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام قسم قبل الأكل وقسم مع الأكل وقسم بعد الفراغ منه
(القسم الأول في الآداب التي تقدم على الأكل وهي سبعة)

الأول : أن يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا يحكم هوى ومداينة في دين على ماسياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النبي عن الأكل على الباطل القتل تفخيا لأمر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - إلى قوله - ولا تقتلوا أنفسكم - الآية فالأصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض وأصول الدين الثاني : غسل اليد ، قال صلى الله عليه وسلم « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ^(١) » وفي رواية « ينفي الفقر قبل الطعام وبعده » ولأن اليد لا تغلوعن لوث في تعاطي الأعمال فضلها أقرب إلى النظافة والزراعة ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة . الثالث : أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض ^(٢) فهذا أقرب إلى التواضع فإن لم يكن فعل السفرة فإنها تذكر السفر وتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى وقال أنس بن مالك رحمه الله « ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ^(٣) » . قيل فعلى ماذا كنتم تأكلون قال على السفرة وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفوائد والناخل والأشنان والشبع . واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلنا قول الأكل على المائدة منهي عنه نهى كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهى وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهي بل النهى بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قبيح في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنهم كانوا لا يعتاد عندهم ألا يتيسر أو كانوا مشغولين بأمور أهم من الباعة في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضا وكانت مناديلهم أخمس أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا وأما النخل فالتقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التمتع المفرط وأما المائدة فتيسر للأكل وهو أيضا مباح ما لم ينته إلى السكبر والتعاطف وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهيج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات . الرابع : أن يحسن الجلسة على السفرة في أول جلوسه ويستديمها كذلك

(الباب الأول)

(١) حديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده مما ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده القضاء في مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الأول وللطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفي الفقر ولأبي داود وت من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده وكلها ضعيفة (٢) حديث كان إذا أتى بطعام وضعه على الأرض أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلًا ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه مجاهد وثقه أحمد وضعه الدارقطني (٣) حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة الحديث رواه مع .

ولم يألوا بتناول شيء
من قذات الدنيا من
كل ما كان مبسحا
برخصة الشرع وربما
اقتصروا على رطابة
الرخصة ولم يطلبوا
حقائق العزيمه ومع
ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك
الجمع والاستكثار ولا
يترمون بمراسم
التقشفين والتزهدين
والتعبدن وقنعوا
بطية قلوبهم مع الله
تعالى واقتصروا على
ذلك وليس عندهم
تطلع إلى طلب مزيد
سوى مأم عليه من
طية القلوب والفرق
بين اللامق والقنندري
أن اللامق يعمل
في كتم العبادات
والقنندري يعمل
في تخريب العادات
واللامق يتمسك بكل
أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى^(١) » وكان يقول « لا آكل متكاً^(٢) » إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد^(٣) » والشرب متكاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل قائماً ومتكاً إلا ما ينتقل به من الحبوب وروى عن عليّ كرم الله وجهه أنه أكل كمكاً على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله . الخامس : أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتعم بالأكل قال إبراهيم بن شيان منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ومزمت مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع قال رسول الله ﷺ « ماملأ آدمى وعاء شرباً من بطنه حسب ابن آدم لقيأت يقمن صلبه فإن لم يفعل ثلث طعام وثلاث شراب وثلاث لنفس^(٤) » ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحداً لا بد من تقديمه على الأكل ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسبأ في فائدة قلة الأكل وكيفية التدرج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربيع للمهلكات . السادس : أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم وقد ورد الأمر بإكرام الخبز^(٥) فكل ما يديم الرمق ويقوى على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع قال ﷺ « إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء^(٦) » وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما مع قراءة الإمام ولا يقوم من عشاءيه ومهما كانت النفس لا تنوي إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقدمه أحب عند اتساع الوقت تأقت النفس أولم تنق لموم الخبز ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام للموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً . السابع : أن يجتهد في تسخير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده قال صلى الله عليه وسلم « اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى د من حديث عبد الله بن بشر في أثناء حديث أنوا تلك القصة فالتقوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله ن من حديث أنس رأيت يا كل وهو وقع من الجوع وروى أبو الحسن بن المقرئ في التماثل من حديثه كان إذا قصد على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأفضل كما يفعل العبد وإسناده ضعيف (٢) حديث كان يقول لا آكل متكاً من حديث أبي جحيفة (٣) حديث إنما أنا عبد آكل كأيما كل العبد وأجلس كما يجلس العبد تقدم قبله من حديث أنس بلفظ وأفضل بدل وأجلس رواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله وأجلس (٤) حديث ماملأ ابن آدم وعاء شرباً من بطنه الحديث ت وقال حسن ن من حديث المقداد بن معديكرب (٥) حديث أكرموا الخبز البزار والطبراني وابن قانع من حديث عبد الله بن أم حرام بإسناد ضعيف جداً وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٦) حديث إذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء تقدم في الصلاة والمرووف وأقيمت الصلاة (٧) حديث اجتمعوا على طعامكم بيارك لكم فيه د من حديث وحشى بن حرب بإسناد حسن .

ولكن يغني الأعمال والأحوال ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته وأمر مسترا الحال لئلا يظن له وهو مع ذلك متطلع إلى طلب للزبد بلذل مجهوده في كل ما يتقرب به العبد والفندري لا يتقيد بهيئة ولا ينال بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينمطف إلا على طية القلوب وهو رأس ماله والصوفي يضع الأشياء مواضعها ويدير الأوقات والأحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامه ويقيم أمرا الحق مقامهم ويستر ما ينبغي أن يستر ويظهر ما ينبغي أن يظهر ويأتي بالأمور في موضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكال معرفة ورعاية صدق وإخلاص تقوم من للفنونين مواءماتهم ملائمة ولبسوا لبسة الصوفية لينسبوا بها إلى الصوفية وما هم من

لأكل وحده (١) وقال صلى الله عليه وسلم « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي [١] ».

(القسم الثاني في آداب حالة الأكل)

وهو أن يبدأ بيسم الله في أوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى ويقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهز به ليدكر غيره ويأكل باليمين ويبدأ بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم ينتهها لم يعد اليد إلى الأخرى فإن ذلك جهلة في الأكل وأن لا ينهم ما كولا ، كان صلى الله عليه وسلم لا يصيب ما كولا كان إذا أنهجه أكله وإلا تركه (٢) وأن يأكل مما يليه إلا الفاكية فإن له أن يجمل يده فيها قال صلى الله عليه وسلم « كل مما يليك (٣) » ثم كان صلى الله عليه وسلم يدور على الفاكية قليل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا (٤) وأن لا يأكل كل من دورة القصعة ولا من وسط الطعام بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قل الحبز فيكسر الحبز ولا يقطع بالسكين (٥) ولا يقطع اللحم أيضا فقد نهى عنه وقال انهشوه نهشا (٦) ولا يوضع على الحبز قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به قال ﷺ « أكرموا الحبز فإن الله تعالى أنزل من ركات السماء [٧] » ولا يمسح يده بالحبز وقال صلى الله عليه وسلم « إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها وليطع ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة (٨) » ولا ينفخ في الطعام الحار (٩) فهو منهي عنه بل يصبر إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وترا سبما أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين أو ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقبها وكذا كل ماله بهم وتعلم وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه

(١) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل وحده رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٢) حديث أنس كان لا يصيب ما كولا إن أنهجه أكله وإلا تركه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث كل مما يليك متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة (٤) حديث كان يدور على الفاكية وقال ليس هو نوعا واحدا ت . من حديث عكراش بن دؤيب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد قالت غريب ورواه حب في الضعفاء (٥) حديث النهى عن قطع الحبز بالسكين رواه حب في الضعفاء من حديث أبي هريرة وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين د من حديث عائشة وقال انهشوه نهشا قال ن منكر وت . من حديث صفوان بن أمية وانهشوا اللحم نهشا وسنده ضعيف (٧) حديث إذا وقت لقمة أحدكم فليأخذها فليطع ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالتدليل حتى يلمق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة م من حديث أنس وجابر (٨) حديث النهى عن النفخ في الطعام والشراب أحمد في مسنده من حديث ابن عباس وهو عند أبي داود وت وصحه ابن ماجه إلا أنهم قالوا في الإناء وت وصحه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب .

[١] (قوله وقال صلى الله عليه وسلم خير الطعام الخ) لم يتكلم عليه العراقي لسقوطه من نسخته كالم يذكره الطارح فلي تأمل .

[٢] (قوله أكرموا الحبز الخ) لم يخرج العراقي وقد خرجه الشارح عن الحكيم الترمذي وغيره فانظره .

الصوفية حتى بل هم في غرور وغلط يسترون بلبة الصوفية توقيتا تارة ودعوى أخرى ويتنهجون مناهج أهل الإباحة ويزعمون أن ضارهم خلصت إلى الله تعالى ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمبراسم الشريعة رتبة العوام والقاصرين الأضمار للنصيرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والابساد فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة وجهل هؤلاء القرورون أن الشريعة حق البودية والحقيقة البودية هي حقيقة البودية ومن صار من أهل الحقيقة قيد حقوق البودية وجار مطالبها بأسود وزيادات لا يطالب بها من لم يصله إلى ذلك لأنه يخلع عن عنقه ربة التكليف ويحار باطنه التزيغ

مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة . وأما الشرب : فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصاً لا عباً قال صلى الله عليه وسلم « مصوا الماء ولا تعبوه عباً فإن الكباد من المص » (١) ولا يشرب قائماً ولا مضطجماً فإنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائماً (٢) وروى أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً (٣) ولعله كان لعذر ، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب « الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا » (٤) والكوز وكل ما يدار على القوم يدار يمينه « وقد شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته فقال عمر رضي الله عنه أعط أبو بكر فنال الأعرابي وقال الأعرابي فالأعرابي « ويشرب في ثلاثة أنفاس محمد الله في أواخرها ويسمى الله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأول الحمد لله وفي الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار .

(القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام)

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلق أصابعه ثم يمسح باليد ثم يسلها ويلتقط فئات الطعام قال صلى الله عليه وسلم « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده » (٥) ويتخلل ولا يتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال فيرميه وليتضمن بعد الخلال فيه أثر عن أهل البيت عليهم السلام وأن يلحق القصعة ويشرب ماءها ويقال من لقم القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهوور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى - كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله - ومنها أكل خللا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم أطعنا طيبا واستعملنا صالحا وإن أكل شبة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام - قل هو الله أحد - و - لا يلاف قریش - ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل اللهم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته وبسر له أن يفعل فيه خيرا وقته بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبة ليطفى بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها لقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشرط الأول ولأبي داود في الراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح إذا شربتم فاشربوا مصاً (٢) حديث النهي عن الشرب قائماً من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وسلم شرب قائماً متفق عليه من حديث ابن عباس وذلك من زمزم (٤) حديث كان يقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعل الماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا الطبراني في الدعاء مرسل من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (٥) حديث من أكل ما سقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ آمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحق وله من حديث الحجاج بن علاط أعطى سعة من الرزق ووفى في ولده وكلاهما منكر جدا .

والتحريف . أخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ المقدسي قال أنا أبو محمد الخطيب ثنا أبو بكر بن محمد بن عمر قال ثنا أبو بكر بن أبي داود قال ثنا أحمد بن صالح قال ثنا عنبسة قال ثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس إلينا من سريره شيء ، الله تعالى يحاسبه في سريره ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه وإن قال سريري حسنة وعنه أيضا رضي الله

« كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » (١) وليس من يأكل ويصلي كمن يأكل ويلهو ويلقى إذا أكل لنا اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه (٢) فإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين لموم نعمة ويستحب عقب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء ولا يكتفى منه شيء. أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغثت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا واجهه عوننا لناطى طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على مصيبتك وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يحمل الأشنان في كفه اليسرى ويضلل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفته ثم ينم غسل القم بأصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يضل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك يقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا ويستغنى بذلك عن إعادة الأشنان إلى القم وإعادة غسله.

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل وهي سبعة)

الأول : أن لا يتدبى بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكر من أوزيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والتقدم به فيحدث ينهى أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا للأكل واجتمعوا له . الثاني : أن لا يكتروا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها . الثالث : أن يرفق برفيقه في القصة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم فإن قلل رفيقه نشطه ورضيه في الأكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وإفراط . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث (٣) وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلاثا (٤) فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف عليه بالأكل فمنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه . الرابع : أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء أحسن ألا كلين أ كلا من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقه في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشبهه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجرى على المعتاد ولا يتقص من عادته شيئا في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع نعم لو قاتل من أكله إيثارا لإخوانه وانظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم

(١) حديث كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به هو في شعب الإيمان من حديث كعب بن عجرة بلفظ سحت وهو عند ت وحسنه بلفظ لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به (٢) حديث القول عند أكل اللين اللهم بارك لنا فيما رزقنا وزدنا منه دت وحسنه و ه من حديث ابن عباس إذا أكل أحدكم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ومن سقاء الله لنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

(الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والشاركة في الأكل)

(٣) حديث كان إذا خوطب في شيء ثلاثا لم يرجع بعد ثلاث أحمد من حديث جابر في حديث طويل ومن حديث أبي حنيفة أيضا وإسنادهما حسن (٤) حديث كان يكرر الكلمة ثلاثا من حديث أنس كان يعيد الكلمة ثلاثا .

عنه قال من عرض نفسه لقتلهم فلا يلومن من أساء به الظن فإذا رأينا متهاونا بمحدود الشرع مهملا للصلوات والفروضات لا يستد بخلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل في الداخل للكرهية المحرمة ترده ولا قبله ولا قبل دعواه أن له سريرة صالحة . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي بإجازة عن عمر بن أحمد عن ابن خلف عن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنييد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله تعالى فقال الجنييد إن هذا قول قوم تكلموا بأسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويرزى أحسن

فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يمد النوى ويعطى كل من له فضل نوى بعمده دراهم وذلك لرفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط . وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما أحب إخواني إلى أكثرهم أكلا وأعظم لقمة وأقلهم طي من يحوجني إلى تعهده في الأكل وكل هذا إشارة إلى الجري على العناد وترك التصنع وقال جعفر رحمه الله أيضا تبين جودة عجة الرجل لأخيه بمجودة أكله في منزله . الخامس : أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يدخل ذلك فإذا قدم الطست إليه غيره كراماله فليقبله . اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام قدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فأقبل كرامته ولا تردّها فأما بكرم أقدع وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللت العلم فأجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله . ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوه فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم « اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم » (١) قيل إن الرادب بهذا . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا بملاوة ولا تشبهوا بالجهم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تسقوا يسنه الأعاجم والخدام الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروى أنه صب الماء على يد واحد خادم جالسا فقام الصوب عليه فقيل له لمقت فقال أحدا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أيسر للصب والنقل وأقرب إلى تواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك ففي الطست إذن سبعة آداب أن لا يترق فيه وأن يقدم به التبرع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يدار بمنه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجمع الماء فيه وأن يكون الخادم قائما وأن يعج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على القرائش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أول نزوله عليه وقال لا يروك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض . السادس : أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يفيض بصره عنهم ويشغل نفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا محتشمون الأكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنه فإن امتنع لسبب فليعذر إليهم دفعا للجلجلة عنهم . السابع : أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفذ يده في القصعة ولا يقدم إليهم رأسه عند وضع اللقمة فيه وإذا أخرج شيئا من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذ يمساره ولا يمس اللقمة الدسمة في الحل ولا الحل في الدسومة فقد يكرهه غيرهم واللقمة التي قطعها بسننه لا يمس يمينها في المرققة والحل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات .

(الباب الثالث في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

تقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير . قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما إذا قدمت مع الإخوان على المائدة فأطبلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم . وقال الحسن رحمه الله كل لقمة

(١) حديث اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم رواه القاضي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به وجل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم وقال إنه مضل وفيه نظر .

(الباب الثالث في تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين)

حالا من الذي يقول هذا وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر فذة إلا أن يحال بدونها وإنها لا كد في معرفتي وأقوى لحالي ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويرغمون أن الله تعالى يهل فيهم ويعمل في أجسام يسطعها ويسبق لأفهامهم معنى من قوله النصاري في اللاهوت والناسوت . ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحبات إشارة إلى هذا الوهم ويتخيل به أن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضرا لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكي عن أبي يزيد من قوله سبحانه قلنا أن نستغنى في أبي يزيد أنه يقول ذلك لإعلاء معنى الحكاية عن الله تعالى

ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة لإتقنة الرجل على إخوانه في الطعام فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك هذا مع ماورد من الأخبار في الطعام قال صلى الله عليه وسلم «لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع»^(١) وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كثيرا لا يقدر أن يأكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك»^(٢) فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لأكل فضل ذلك وفي الخبر «لا يحاسب العبد على ما يأكل مع إخوانه»^(٣) وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقل إذا أكل وحده وفي الخبر «ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : «لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعثر رقبته وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول من كرم للرب طيبزاده في سفره وبذله لأصحابه وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق وقيل اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا وفي الخبر «يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمتك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك للسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتي»^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا جاءكم الزائر فأكرموه»^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام»^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم «خيركم من أطعم الطعام»^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم «من أطعم أخاه حق يشبعه وسقاه حق يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»^(٩) وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنة أن يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهى عنه قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إياه - يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر

(١) حديث لا تزال لللائكة تصلي على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع ، الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضيف (٢) حديث إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لا يحاسب من أكل من فضل ذلك الطعام ، لم أقف له على أصل (٣) حديث لا يحاسب العبد بما يأكله مع إخوانه هو في الحديث الذي بعده بمناه (٤) حديث ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الإخوان ، الأزدي في الضعفاء من حديث جابر ثلاثة لا يمشون عن النعيم : الصائم والتاجر والرجل يأكل مع ضيفه أوردته في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة (٥) حديث يقول الله للعبد يوم القيامة يا ابن آدم جئت فلم تطعمني الحديث م من حديث أبي هريرة بلفظ استطعمتك فلم تطعمني (٦) حديث إذا جاءكم الزائر فأكرموه ، الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه (٧) حديث إن في الجنة غرضا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ت من حديث علي وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه (٨) حديث خيركم من أطعم الطعام أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال صحيح الإسناد (٩) حديث من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقال ابن جبان ليس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الذهبي غريب منكر .

وهكذا ينبغي أن يستند في قول الحلاج ذلك ولو علمنا أنه ذكر ذلك القول مضحرا لشيء من الحلول ردناه كما زدتم وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة يضاء نية يستقيم بها كل معوج وقد دللتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى بهوما لا يجوز والله تعالى منزله أن يحل به شيء أو يحل شيء حتى لعل بعض الفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تطلعت بياطه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالة الله تعالى إياه مثل أن يقول قاله لي وقلت له وهذا رجل إما جاهل بنفسه وحديثا جاهل بربه وبكيفية للكلمة والمحادثة ، وإما عالم بطلان ما يقول ، يحمله

«من شئ إلى طعام لم يدع إليه شئ فاسقا وأكل حراما» (١) ولكن حق الداخل إذا لم يترىس واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له كل نظر فإن علم أنهم يقولونه على حجة لمساعدته فليساعد وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل أما إذا كان جائعا فقصده بعض إخوانه ليطعمه ولم يترىس به وقت أكله فلا بأس به . قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا (٢) والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله السعدي له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة فكان إخوانهم معلومهم بدلا عن كسبهم وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادا لهم فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا بصداقته عالما بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه إذ المراد من الإذن الرضا لاسيا في الأطعمة وأمرها على السنة فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب وقد قال تعالى - أو صدقكم - ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريدة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها (٣) وذلك لعله يسرورها بذلك لذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بطله بالإذن فإن لم يعلم فلا بد من الاستئذان أولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسره ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائما يأكل من متاع يقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة فقال له هشام مابداك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه فقال بالكع اتل على آية ألا كل قتلا إلى قوله تعالى - أو صدقكم - قال فمن الصديق يا أبا سعيد قال من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وشئ قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري وجعل يقول ذكرتموني أخلاق السلف هكذا كانوا ، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادقه في المنزل فدخل فظفر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبز وغير ذلك فحمله كله قدمه إلى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئا فقبل له قد أخذه فلان فقال قد أحسن فلما قبله قال يا أخى إن عادوا فقد فهذه آداب الدخول . وأما آداب التقديم : فترك التكلف أولا وتقديم ما حضر فإن لم يحضره شئ لم يحضره شئ ولم

هواه على الدعوى بذلك ليوم أنه ظفر بشئ وكل هذا ضلال ويكون سبب تجرته على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين مخاطبات وردت عليهم بمد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتكسبهم بأمر القوم من صدق التقوى وكال الزهد في الدنيا فلما صفت أسرارهم تشككت في سرارهم مخاطبات مواقفه للكتاب والسنة فزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرار ولا يكون ذلك كلاما يسمعون بل كحديث في النفس يجدونه برؤية موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرارهم ومناجاة سرارهم أيام فينبئون لنفوسهم مقام العبودية ولولا هم الربوبية

(١) حديث من شئ إلى طعام لم يدع إليه شئ فاسقا وأكل حراما هو من حديث عائشة نحوه وضعفه ولأبي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغبرا إسناده ضعيف (٢) حديث قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه ، أما قصة أبي الهيثم فرواها ت من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح والقصة عندهم لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم وإنما قال رجل من الأنصار ، وأما حديث قصد منزل أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريدة وأكل طعامها وهي غائبة وكان من الصدقة فقال بلغت الصدقة مكانها متفق عليه من حديث عائشة أهدى لبريرة لحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو لها صدقة ولنا هدية ، وأما قوله بلغت محلها فقوله في الشاة التي أعطيتها نسية من الصدقة وهو متفق عليه أيضا من حديث أم عطية .

ملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمع نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو بأكل فقال لولا آتى أخذته بدين لأطعمتك منه ، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك مالا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له يقطع عن الرجوع إليه وقال بعضهم ما أبالي بمن أتاني من إخواني فاني لا أنكف له إنما أقرب ما عندي ولو تكلفت له فكرهت عيته وملته وقال بعضهم كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له إنك لا تأكل وحدك هذا ولا تأكلنا إذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع الجيء قطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله وتؤذى قلوبهم . وروى أن رجلا دعاه عليا رضي الله عنه فقال على أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعا إلا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله قدم إلينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم ^(١) وقال بعضهم إذا قصدت للزيارة قدم ما حضر وإن استزرت فلا تبقى . ولا تذر وقال سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن قدم إليه ما حضرنا ^(٢) وفي حديث يونس النبي صلى الله عليه وسلم أنه زاره إخوانه قدم إليهم كسرا وجزءا ثم قال لهم كلوا لولأن الله لعن الله المتكلفين لتكلفت لكم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لاندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه . الأدب الثاني : وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فرما يشق على الزور إحضاره فإن خيره أخوه بين طعامين فليختير أيهما عليه كذلك السنة في الخبر أنه ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيهما ^(٣) وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سم تركان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سمعرا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قضى بما رزقنا فقال سلمان لو قمعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا إذا توههم تغدر ذلك على أخيه أو كراهته له فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له اقتراح فصل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذا كان نازلا عنده ينفد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويبلها إلى الجارية فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألقى بها لونا آخر بخطه ، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون

(١) حديث دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم إلينا خبزاً وخلًا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفتم لكم رواه أحمد دون قوله لولا أنا نهينا وهي من حديث سلمان الفارسي وسيأتي بعده وكلامها ضعيف وللبخاري عن عمر بن الخطاب نهينا عن التكلف حديث (٢) حديث سلمان أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تكلف للضيف ما ليس عندنا وأن تقدم إليه ما حضرنا الخراطقي في مكارم الأخلاق ، ولأحمد لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا أو لولا أنا نهينا أن يكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك ، وللطبراني نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكلف للضيف ما ليس عندنا (٣) حديث ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما متفق عليه من حديث عائشة وزاد ما لم يكن إنما ولم يذكرهما في بعض طرقه .

فيصفون ما يجدونه
إلى نفوسهم وإلى
مولاهم وهم مع ذلك
عالمون بأن ذلك ليس
كلام الله وإنما هو
علم حادث أحدثه الله
في بواطنهم فطريق
الأصحاء في ذلك الفرار
إلى الله تعالى من كل
ما تحدث نفوسهم به
حتى إذا برئت ساحتهم
من الهوى ألهموا
في بواطنهم شيئاً
ينسبونه إلى الله تعالى
نسبة الحادث إلى
المحدث لأنسبة الكلام
إلى التكلم لينصانوا
عن الزيغ والتحريف
ومن أولئك قوم
يزعمون أنهم يفرقون
في بحار التوحيد ولا
يشبثون ويسقطون
لنفوسهم حركة وفلا
يزعمون أنهم مجبورون
على الأشياء وأن لافعل
لهم مع فصل الله
ويستسلون في العاصي
وكل ما تدعو النفس
إليه ويركنون إلى
البطالة ودوام الغفلة

أنكر وقال ما أمرت بهذا فمرضت عليه الرقة ملحقاً بها خط الشافعي فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه . وقال أبو بكر الكتاني دخلت على السري . فبجاء فبتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك وقال هذا أفضل لك من حبة ، وقال بعضهم الأكل على ثلاثة أنواع مع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالانسباط ومع أبناء الدنيا بالأدب . الأدب الثالث : أن يشتري للزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه أجر وفضل جليل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله تعالى (١) » وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر « من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله ألف ألف حسنة وهي عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة القردوس وجنة عدن وجنة الخلد (٢) » . الأدب الرابع : أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً بل ينبغي أن يقدم إن كان قال الثوري إذا زارك أخوك فلا تقل له أنا كل أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل وإلا فارفع وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم قال الثوري إذا أردت أن لا تطعم عيالاً مما تأكل كله فلا تمدهم به ولا يروونه معك وقال بعض الصوفية إذا دخل عليكم الفقراء قدموا إليهم طعاماً وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المهراب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

ومطاب الآداب فيها ستة الدعوة أولاً ثم الإجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الأكل ثم الانصراف ولتقدم على شرحها إن شاء الله تعالى . فضيلة الضيافة : قال صلى الله عليه وسلم « لا تشكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيمن لا يضيف (٤) » ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً لها شويهاً فذبحته فقال صلى الله عليه وسلم : انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق يد الله فمن شاء أن ينعجه خلقاً حسناً فعل (٥) » . وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال : قل لفلان اليهودي نزلني ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب فقال اليهودي والله ما أملكه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض

(١) حديث من صادف من أخيه شهوة غفر الله له ومن سر أخاه المؤمن قد سر الله عز وجل الزائر والطبراني من حديث أبي الدرداء من وافق من أخيه شهوة غفر له قال ابن الجوزي حديث موضوع وروى ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق من سر مؤمناً فأنما سر الله الحديث قال العقيلي باطل لأصله (٢) حديث جابر من لاذ أخاه بما يشتري كتب الله ألف ألف حسنة الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعيم عن ابن الزبير عن جابر وقال أحمد ابن حنبل هذا باطل كذب .

(الباب الرابع في آداب الضيافة)

(٣) حديث لا تشكفوا للضيف فتبضوه فإنه من أبض الضيف قد أبض الله ومن أبض الله أبضه الله ، أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث سلمان لا يشكفن أحد لضيفه مالا يقدر عليه وفيه محمد بن الفرج الأزرق منكلم فيه (٤) حديث لا خير فيمن لا يضيف أحمد من حديث عتبة بن عامر وفيه ابن لهيعة (٥) حديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرباً لها شويهاً فذبحته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية أبي التهايل مرسلًا

والاغترار بالله والخروج من السنة وترك اليهود والأحكام والحلال والحرام . وقد مثل سهل بن رجل يقول أنا كالباب لا أعحرك إلا إذا حركت قال هذا لا يقوله إلا أحد رجلين إما صديق أو زنديق لأن الصديق يقول هذا القول إشارة إلى أن قوام الأشياء بالله مع إحكام الأصول ورعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك إحالة للأشياء على الله وإسقاطاً للأئمة عن نفسه وانحلالاً عن الدين ورسمه فأما من كان معتقداً للحلال والحرام والحدود والأحكام معتقداً بالمصية إذا صدرت منه معتقداً وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وإن كان تحت القصور بما يركن إليه من البطالة ويتروح بهوى النفس إلى

ولو أسلفني لأدبته فاذهب بدرعي وارهنه عنده^(١) وكان إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميالين يلتصق من يتعدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقض ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة وقال قوام للوضع إنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف « وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الإيمان ؟ قال إطعام الطعام وبذل السلام^(٢) » وقال **عليه السلام** : « في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام^(٣) » وسئل عن الحج للبرور فقال « إطعام الطعام وطيب الكلام^(٤) » وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله لللائكة والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها . أما الدعوة : فينبغي للداعي أن يصد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم « أكل طعامك الأبرار^(٥) » في دعائه لبعض من دعاه وقال صلى الله عليه وسلم « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي^(٦) » ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال صلى الله عليه وسلم « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء^(٧) » وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إحاطهم بإعاش وقطع رحم وكذلك براعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن تخصيص البعض بإعاشا لقلوب الباقين ، وينبغي أن لا يقصد بدعوته للباهة والتفاخر بل استالة لقلوب الأخوان والتسكين بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب للدعوة فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق . قال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة ؟ قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الحيط والابرة أما أنت فمن الظلمة قسم . وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجودها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت^(٨) » وللإجابة خمسة آداب : الأول أن لا يميز التقي بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر للنهي عنه . ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أكل الإجابة وقال : انتظار المرفة ذل ، وقال آخر إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رفيق ومن

(١) حديث أبي رافع أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني عيشاً من الدقيق إلى رجب الحديث رواه اسحاق بن راهويه في مسنده والحرائطي في مكارم الاخلاق وابن مردويه في التفسير بإسناد ضعيف (٢) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإيمان قال إطعام الطعام وبذل السلام متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو يلفظ أي الاسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرى السلام على من عرفت ومن لم تعرف (٣) حديث قال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وصححه وك من حديث معاذ وقد تقدم منه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث اللهم إني أسألك فعل الخيرات (٤) حديث سئل عن الحج للبرور فقال إطعام الطعام وطيب الكلام تقدم في الحج (٥) حديث أكل طعامك الأبرار د من حديث أنس بإسناد صحيح (٦) حديث لا تأكل كل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي تقدم في الزكاة (٧) حديث شر الطعام طعام الوليمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة . (٨) حديث لودعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت مخ من حديث أبي هريرة .

الأسفار والترحال في البلاد متوصلاً إلى تناول اللذات والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدبه ويهذبه ويمصره بعيب ماهوفيه والله العارف .

[الباب العاشر في شرح رتبة للشيخة] ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده لئن شتمت لأقسمن لكم إن أحب عباد الله تعالى إلى الله الذين يحبون الله إلى عباده ويحبون عباد الله إلى الله ويعشون على الأرض بالنصيحة » وهذا الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة للشيخة والدعوة إلى الله تعالى لأن الشيخ يحب الله إلى عباده حقيقة ويحب عباد الله إلى الله ، ورتبة للشيخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونياحة النبوة في الدعاء إلى الله فأما وجه كون

التكبرين ممن يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة كان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين^(١) ومرو الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من الساكين الذين يسألون الناس على قارة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بقلته فسلم عليهم فقالوا له هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ فقال نعم إن الله لا يحب المستكبرين فنزل وتعد معهم على الأرض وأكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد أجبتكم فأجيئوني قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم إليهم فأخروا الطعام وجلس يأكل معهم ، وأما قول القائل إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقصد بهامنة وكان يرى ذلك بدا له على الدعوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعله أن الداعي له يتقصد منه ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والآخرة فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستغل الطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا فليس من السنة إجابته^(٢) بل الأولى التسلل ، ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك ودية كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال سري السقطي رحمه الله آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا مخلوق فيها منة فإذا علم الدعواته لامة في ذلك فلا ينبغي أن يرد وقال أبو تراب النخشي رحمه الله عليه عرض على طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما فطعت أنه عقوبته وقيل لمعرف الكرخي رضي الله عنه كل من دعاك تمر إليه فقال أنا ضيف أزل حيث أزلوني . الثاني : أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة بعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك يقال في التوراة أوبعض الكتب سريلا عد مريضا سريلاين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زراخا في الله وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحق فهو أولى من البيت وقال صلى الله عليه وسلم « لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت^(٤) » وهو موضع على أميال من المدينة أفطرقه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان^(٣) لما بلغه وقصر عنده في سفره^(٥) . الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فإن كان يسر أخاه إفطاره فليطهر وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم وأفضل وذلك في صوم التطوع وإن لم يتحقق سرور

(١) حديث كان يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين . من حديث أنس دون ذكر المسكين وضفته ومصححه (٢) حديث ليس من السنة إجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباوين قال د من رواه عن جرير لم يذكر فيه ابن عباس وللقيلي في الضعفاء نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طعام التباهيين والمتباوين المتعارضان بفعلهم بالمباهاة والرياء قاله أبو موسى المديني (٣) حديث لودعيت إلى كراع بالغميم لأجبت ذكر الغميم فيه ليعرف والمعروف لودعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث ويرد هذه الزيادة ما رواه ت من حديث أنس لو أهدى إلى كراع قبلت (٤) حديث إفطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغ كراع الغميم رواه من حديث جابر في عام الفتح (٥) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في سفره عند كراع الغميم لم أقفله على أصل ولا خبراني في الصغير من حديث ابن عمر كان يقصر الصلاة بالعقيق يريد إذا بلغه وهذا رد الأول لأن بين العقيق وبين المدينة ثلاثة أميال أو أكثر وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم .

الشيخ يجيب الله إلى عباده فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله تعالى قال الله تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله - ووجه كونه يحب عباد الله تعالى إليه أنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكست فيه أنوار العظمة الإلهية ولاح فيه جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة أنوار جلال القدم وروية السكال الأزلي فأحب العبد به لاهالة وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى - قد أفلح من زكاها - وفلاحها بالظفر بمعرفة الله تعالى وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بجوها وحققتها

قلبه فليصدق بالظاهر وليفطر وإن تحقق أنه متكلف فليتمل وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بمذرة الصوم « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم »^(١) وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما من أفضل الحسنات إكرام الجلوس بالإنشاء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق ثوابه فوق ثواب الصوم ومهما لم يضر فضيافته الطيب والمجمر والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن أحد القراءين. الرابع أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو اللوضع أو البساط المقروش من غير حلال أو كان يقام في اللوضع منكراً من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من الزامير والآلهي أو التشاغل بنوع من اللهو والعرف والمزل واللعب واستماع النية والخيمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستجابها ويوجب تحريرها أو كراهيتها وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للباهة والفخر. الخامس أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل بحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للآخرة وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ في قوله « لودعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من معصية الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم « من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله »^(٢) وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله »^(٣) وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم « من يزور مؤمناً قد سراً الله »^(٤) وينوي مع ذلك زيارته ليكون من التحابين في الله إذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الزاور والتبذل لله^(٥) وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجرى مجراه فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات أحداها فكيف مجموعها وكان بعض السلف يقول أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب وفي مثل هذا قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(٦) والنية إنما تؤثر في الباحات والطاعات أما النيات فلا فائدة لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يحز أن يقال الأعمال بالنيات بل لو قصد بالتزود الذي هو طاعة الباهة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك اللباس للرد بين وجوه الخبرات وغيرها يلتحق بوجود الخبرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لافي القسم الثالث. وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع

(١) حديث وقال لمن امتنع بمذرة الصوم تكلف لك أخوك وتقول إني صائم حق من حديث أبي سعيد الخدري صحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً وأنا نفي هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعكم أخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطني نحوه من حديث جابر. (٢) حديث من لم يحب الداعي قد عصى الله ورسوله متفق عليه من حديث أبي هريرة. (٣) حديث من أكرم أخاه المؤمن فأنما يكرم الله تعالى الأصفياني في الترغيب والترهيب من حديث جابر والعميلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسنادها ضعيف (٤) حديث من سراً مؤمناً قد سراً الله تقدم في الباب قبله (٥) حديث وجبت محبة للمزاورين في والتبذلين في م من حديث أبي هريرة ولم يذكر المصنف هذا الحديث وإنما أشار إليه (٦) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب.

وماهيتها ولاحت
الآخرة وقائسها
بكتها وغايتها
فتكشف للبصرة
حقيقة الدارين
وحاصل التزليل فيجب
العبد الباقي ويزهد في
الفاني فتظهر فائدة
التزكية وجدوى
الشيخة والترية
فالشيخ من جنود الله
تعالى يرشده للربدين
ويهدي به الطالبين .
أخبرنا أبو زرعة عن
أبيه الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الفضل
عبد الواحد بن علي
بهذان قال أنا أبو بكر
محمد بن علي بن أحمد
الطوسي قال ثنا
أبو العباس محمد بن
يعقوب قال ثنا أبو عتبة
قال ثنا بقية قال ثنا
صفوان بن عمرو قال
حدثني الأزهر بن
عبد الله قال قد سمعت
عبد الله بن بشر صاحب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كان
يقال إذا اجتمع

ولا يطول الانتظار عليهم ولا يجعل بحث يفاجمهم قبل تمام الاستعداد ولا يضيق السكان على الحاضرين بالترجمة بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخافه ألبته فانه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد لمخالفته تشوش عليه وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم « إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس (١) » ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره وبغض بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وببيت الماء وموضع الوضوء كذلك فعل مالك بالشافعي رضى الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال النسل قبل الطعام لرب البيت أولى لأنه يدعو الناس إلى كرمه وحكمه أن يتقدم بالفصل وفي آخر الطعام يأخر بالنسل لينتظر أن يدخل من يأكل فكل فكل معه وإذا دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف ، والتكر فرش الديباج واستعمال أواني القضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع اللامى ولزائم وحضور النسوة لتكشفات الوجوه وغير ذلك من المهرمات حتى قال أحمد رحمه الله إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال إذا رأى كفة فينبى أن يخرج فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذلك قال يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كانت السكبة وقال إذا أكرى بيتا فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبى أن يحكمها فان لم يقدر خرج وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في السكبة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينهى إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناهما (٢) » وما على الحائط ليس منسوبا إلى الذكور ولو حرم هذا لحرمت تزيين السكبة بل الأولى بإحسانه لموجب قوله تعالى - قل من حرم زينة الله - لاسما في وقت الزيت إذا لم يتخذ عادة للتفاخر وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجوارى والنساء والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة. وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة : الأول تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٣) » ومهما حضر الأكرهون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت للمعود فعلى الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون التأخر قفيرا أو ينكر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير وأحد العنين في قوله تعالى - هل أتاك حديث ضيف إبراهيم للكريمين - إنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى - فإلبث أن جاء بعجل حنيد - وقوله - فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين - والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقبل جاء بفخذ من لحم وإنما سمى عجلا لأنه عجله ولم يلبث قال الحاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فانه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الضيف وتجهيز البيت

(١) حديث إن من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس الخرائطي في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في رياضة المتولين من حديث طلحة بن عبيد بن عبد بن جيد (٢) حديث هذان حرامان على ذكور أمتي دن . من حديث على وفيه أبو أفلح الحمداني جهله ابن القطان ون ت وصححه من حديث أبي موسى بنحوه . قلت الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلا لم يسم (٣) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث أبي سريج .

عشرون رجلا أو أكثر فان لم يكن فيهم من بهاب الله عز وجل فقد خطر الأمر على المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المریدون ظاهرا وباطنا قال الله تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - فالمشايخ لما اهتموا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه : إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكرى فإذا جعلت همته ولذته في ذكرى عشقني وعشقتة ورفضت الحجاب فباينى وبينه لا يسهو إذاسها الناس أولئك كلامهم كلام الأنبياء أولئك الأبطال حقا أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا ذكرتهم فيها فصرقتهم عنهم والسرفى وصول السالك إلى رتبة الشيخة أن السالك

وتزويج البكر وقضاء الدين والتوب من الذنب^(١) ويستحب التمجيل في الوليمة ، قيل الوليمة في أول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء . الثاني : ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أولاً وإن كانت فذلك أوفق في الطب فأنها أسرع استحالة فينبى أن تقع في أسفل اللمة وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى - وفاكهة مما يتخيرون - ثم قال - ولحم طير مما يشتهون - ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والتريد قد قال عليه السلام «فضل عائشة على النساء كفضل التريد على سائر الطعام» [١] فان جمع إليه حلالة بعده قد جمع الطيبات ودل على حصول الإكرام بالنعيم قوله تعالى : في ضيف إبراهيم إذ أحضر العجل الخنيز أي الخنزير وهو الذي أجيد فضجه وهو أحد معنى الإكرام أعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات - وآتزلنا عليكم اللين والسوى - اللين العسل والسوى اللحم مسمى سلى لأنه يتلى به عن جميع الآدم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال عليه السلام «سيد الآدم اللحم» ثم قال بعد ذكر اللين والسوى - كلوا من طيبات ما رزقناكم - فاللحم والحلاوة من الطيبات قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه أصل الطيبات يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بحرب الماء البارد وصب الماء القار على اليد عند الفصل قال للأمون شرب الماء بثلج يخلص الشكر وقال بعض الأدباء إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرية وبورانية وسقيهم ماء بارداً قد أكلت الضيافة وأتقى بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم نكن نحتاج إلى هذا إذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخلقك حامضاً فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على للسائدة خير من زيادة لونين ويقال إن اللانكة تحضر للآئدة إذا كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من الزين بالحضرة وفي الخبر إن للسائدة التي آزلت على بنى إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث وكان عليها تمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان فهذا إذا اجتمع حسن للنواقة . الثالث : أن يقدم من الألوان ألقها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة للترفين تقديم القليل ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الأكل وكان من سنة للتقدمين أن يقدموا جملة الألوان دفعة واحدة وصفقون القصاع من الطعام على السائدة ليأكل كل واحد مما يشتهى وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه . وبمعنى عن بعض أصحاب الروايات أنه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم إلى بعض الشايج لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخرها فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فغجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة قدم إلينا ألوان من الرءوس للشوية طيبها وقد بدا فكنا لا نأكل فننظر جدها لونا أو حملاً فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها

(١) حديث حاتم الأصم العجلة من الشيطان إلا في خمسة فأنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إطعام الطعام وتجهيز البيت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنوب من حديث سهل بن سعد الأناة من الله والعجلة من الشيطان وسنده ضعيف وأما الاستثناء فروى د من حديث سعد بن أبي وقاص التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة قال الأعمش لأعلم إلا أنه رفته وروى الزبي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن قبيص عن مشيخة من قومه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صبح في خيل الله وإذا نودي بالصلاة وإذا كانت الجنائز... الحديث وهذا مرسل وت من حديث علي ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت والجنائز إذا حضرت والأيام إذا وجدت كفؤاً وسنده حسن.

[١] حديث فضل عائشة لم يخرجها العراقي وخرجه الشارح عن الترمذي في الشمائل وغيره .

مأمور بسياسة النفس
مبتلى بصفاتها لا يزال
يسلك بصدق للعامة
حتى تطمئن نفسه
وبطمانيتها ينزع
عنها البرودة واليوسة
التي استصحبها من
أصل خلقها وبها
تستحي على الطاعة
والإشهاد للعبودية فأفا
زالت اليوسة عنها
ولانت بحرارة الروح
الواصلة إليها وهذا
اللين هو الذي ذكره
الله تعالى في قوله - ثم
تلين جلودهم وقلوبهم
إلى ذكر الله - تعالى
تجيب إلى العبادة وتلين
لطاعة عند ذلك
وقلب العبد متوسط
بين الروح والنفس
ذو وجهين أحدهما وجهه
إلى النفس والوجه
الآخر إلى الروح يستمد
من الروح بوجهه الذي
يليه ويمد النفس
بوجهه الذي يليها حتى
تطمئن النفس فأفا
اطمأنت نفس السالك
وفرغ من سياستها

فتنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا إن الله تعالى يقدر أن يخلق رءوسا بلا أبدان قال وبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيانا إلى السحور فلماذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده . الرابع : أن لا يادر إلى رفع الألوان قبل تمسكهم من الاستيقاظ حتى يرفعوا الأيدي عنها فلفل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنصص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال إنها خير من لونين فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان . حكى عن السورى وكان صوفيا مزاحا فحضر عند واحد من أبناء الدنيا على مائدة قدم إليهم حمل وكان في صاحب المائدة بخل فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع إلى الصبيان فرفع الحمل إلى داخل الدار قام السورى بعدو خلف الحمل قبيل له إلى أين فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فانهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلًا كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومسده يده إلى الطعام وأكل وقال بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم وكان السلف يستحيون ذلك منه . الخامس : أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن الكفاية قص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراآة لاسيا إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع ونوى أن يترك بفضلة طعامهم إذ في الحديث لا يحاسب عليه . أحضر إبراهيم بن أدهم رحمه الله طعاما كثيرا على مائدته فقال سفيان بأنا اسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفا فقال إبراهيم ليس في الطعام سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود رضى الله عنه نهينا أن نجيب دعوة من يياى بطعامه وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع وينبى أن يزل أولا نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامعة إلى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع قضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطم الضيفان ما يبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقى من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرج به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه فينبى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء . فاما الانصراف : فله ثلاثة آداب . الأول : أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر باكرامه قال عليه الصلاة والسلام «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال عليه السلام «إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار» [١] قال أبو قتادة قدم وفد النجاشى عن رسول الله ﷺ قام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال كلا إنهم كانوا الأنحاض مكرمين وأنا أحب أن أكرمهم [١] أو تمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى السائدة قيل للأوزاعى رضى الله عنه ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال يزيد بن أبى زيادة ما دخلت على عبد الرحمن ابن أبى لى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا الثانى أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليدرك بحسن [١]

انتهى سلوكه وتمكن من سياسة النفس واتقادت نفسه وفاءت إلى أمر الله ثم القلب يهرب إلى السياسة لما فيه من التوجه إلى النفس فتقوم نفوس للردين والطالبين والصادقين عنده مقام نفسه لوجود الجنسية في عين النفسية من وجه ولوجود التألف بين الشيخ والريد من وجه التألف الإلهى قال الله تعالى - لو أنفق ما فى الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فيسوس نفوس الردين كما كان يسوس نفسه من قبل ويكون فى الشيخ حينئذ معنى الخلق بأخلاق الله تعالى من معنى قول الله تعالى : الأطال شوق الأبرار إلى لقائى وإنى إلى لقائهم لأشد شوقا وبما هيا الله تعالى من حسن التأليف بين

[١] حديث إن من سنة وكذا حديث إكرام وفد النجاشى وحديث إن الرجل ليدرك لم غرهم العراقى .

خلقه درجة الصائم القائم » ودعى بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل . وقال قد خرج القوم فقال هل بقي بقية قال لا قال فكسرة إن بقيت قال لم تبق قال فالتقدر أمسحها قال قد غسلتها فانصرف بحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق . وحكى أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دناه صبي إلى دعوة أيمه أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي بالحضور وقلب الأب بالانصراف فهذه نفوس قد ذلت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجرى من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجرى منهم من الإكرام بل يرون الكل من الواحد القهار ولذلك قال بعضهم أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤته وحسابه . الثالث : أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعى قلبه في قدر الإقامة وإذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يشرم به ويحتاج إلى إخراجه قال صلى الله عليه وسلم « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة ^(١) » نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلبه لله القام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ^(٢) » .

(فصل يجمع آدابا ومنه طبية وشرعية متفرقة)

الأول : حكى عن إبراهيم النخعي أنه قال الأكل في السوق دناءة ^(٣) وأسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسناده قريب وقد نقل عنه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام ^(٤) . ورؤى بعض المشايخ من التصوفة المروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت فقيل تدخل المسجد قال أستحي أن أدخل بيته للأكل فيه ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بمادات البلاد وأحوال الأشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الثروة ويقدم ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا . الثاني : قال على رضي الله عنه من ابتداء غذائه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبينة حمراء لم ير في جسده شيئا يسكره واللحم يثبت اللحم والثريد طعام العرب والبسقارجات تعظم البطن وترخي الألبتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء ومنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النساء بشيء أفضل من الرطب ، والسماك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك ينهان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالعداء

(١) حديث الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة متفق عليه من حديث أبي شريح الخزازي (٢) حديث فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان م من حديث جابر (٣) حديث الأكل في السوق دناءة الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضيف ورواه ابن عدي . كمال من حديثه وحديث أبي هريرة (٤) حديث ابن عمر كنانا كل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمتى ونشرب ونحن قيام ت وصحة و . ح

الصاحب والمحبوب
يصير المرید جزء
الشیخ كما أن الولد
جزء الوالد فی الولادة
الطبیعیة وتصور هذه
الولادة آفا ولادة
مضویة كما ورد عن
عیسی صلوات الله علیه
لن یلج ملکوت
السماء من لم یولد مرتین
فبالولادة الأولى یصره
ارتباط بعالم الملك وبهذه
الولادة یصره ارتباط
بالمملکوت قال الله
تعالی - وكذلك نرى
لإبراهیم ملکوت
السموات والأرض
ولیکون من اللوقین -
وصرف الیقین على
الکمال یحصل فی هذه
الولادة وبهذه الولادة
یستحق میراث الأنبیاء
ومن لم یصله میراث
الأنبیاء ما ولد وإن
کان على کمال من
الفطنة والذكاء لأن
الفطنة والذكاء نتیجة
العقل والعقل إذا کان
یابساً من نور الشرع
لا یدخل للملکوت

وليكرر العشاء وليلبس الخذاء ولين يتداوى الناس بشيء مثل السم من [١] ويلقى غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين . الثالث : قلل الحجاج لبعض الأطباء ضعه لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال لا تنكح من النساء إلا ثناة ولاناً كل من اللحم إلا ثنيا ولاناً كل للطبوح حتى ينم نضجه ولا تشرب دواء إلا من علة ولاناً كل من القاكهة إلا نضيجها ولاناً كلن طعاماً إلا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلاناً كلن عليه شيئاً ولا تحبس الفائط والبول وإذا أكلت بالتهار فم وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولومائة خطوة وفي معناه قول العرب تعد تعد تعش تعش يعنى تعدد كمال الله تعالى - ثم ذهب إلى أهله يتعطى - أى يتعطى ويقال إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد التهر ماحوله إذا سد مجراه . الرابع : فى الخبر « قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة » (١) والعرب تقول ترك الضاء يذهب بشحم الكاذبة يعنى الآية وقال بعض الحكماء لابنه يابن لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلك أى تتخذى إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يرى فى السوق وقال حكيم لسمين أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فم هي قال من أكل لياب البروصغار العز وأدهن بجام بنفسج وألبس الكتان . الخامس : الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرضى هكذا قيل وقال بعضهم من احتسب فهو على يقين من السكره وعلى شك من العوافى وهذا حسن فى حال الصحة « ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرأ وإحدى عينيه رمداء فقال أنا كل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله إنما آكل بالشق الآخر » (٢) يعنى جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ . السادس : أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل البيت ، ولما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام « إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن صنع طعامهم فأحملوا إليهم ماياً كلون » (٣) فذلك سنة وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يهياً للتناوخ والعينات عليه بالكاء والجزع فلا يهين أن يؤكل معهم . السابع : لا يهين أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب . رد بعض للزكينة شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الأطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه وأجبر السلطان هذا الزكى على الأكل فقال إما أن آكل وأخلى الزكية أو أركى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تركته فتركوه . وحكى أن دا النون المصرى حبس ولم يأكل أياماً فى السجن فكانت له أخت فى الله فبعثت إليه طعاماً من مغز لها على يد السجن فامتنع فلم يأكل فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالاً ولكن جاعنى على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجن وهذا غاية الورع . الثامن : حكى عن فتح الموصلى رحمه الله أنه دخل على بشر الحافى زائراً فأخرج بشر درهما فدفعه لأحمد الجلاء خادمه وقال اشتر به طعاماً جيداً وأدما طيباً ، قال فاشتريت خبزاً نظيفاً وقلت : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشوهد

ولا يزال متردداً فى الملك ولهذا وقف على برهان من المعلوم الرياضية لأنه تصرف فى الملك ولم يرتق إلى اللكوت والملك ظاهر الكون واللكوت باطن الكون والعقل لسان الروح والبصيرة القى منها تنبث أشعة الهداية قلب الروح واللسان ترجمان القلب وكل ما ينطق به الترجمان معلوم عند من يترجم عنه وليس كذلك ما عند من يترجم عنه يبرز إلى الترجمان فلهذا المعنى حرم الواقفون مع مجرد العقول العرية عن نور الهداية الذى هو موهبة الله تعالى وعند الأنبياء وأتباعهم الصواب وأسبل دونهم الحجاب لوقوفهم مع الترجمان وحرمانهم غاية التبيان وكما أن فى الولادة الطبيعية ذرات الأولاد فى صلب الأب مودعة تنقل إلى أصلاب الأولاد

(١) حديث قطع العروق مسقمة وترك المشاء مهمة ابن عدى فى الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشر الأول وت من حديث أنس بالشر الثانى وكلاهما ضعيف وروى ابن ماجه الشر الثانى من حديث جابر (٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبياً يأكل تمرأ وإحدى عينيه رمداء فقال له أنا كل التمر وأنت رمد فقال إنما أمضغ بالشق الآخر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم . من حديث صهيب بإسناد جيد (٣) حديث لما جاء نبي جعفر بن أبي طالب قال صلى الله عليه وسلم إن آل جعفر شغلوا ببيتهم عن طعامهم فأحملوا إليهم ماياً كلون د ت . من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن ولا بن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس .

[١] قوله وليكرر العشاء إلى قوله السم من ليس موجوداً بنسخة الشارح ولعلها الأظهر فليتأمل اهـ .

اللهم برك لنا فيه وزدنا منه (١) سوى اللبن فلتشرب اللبن واشتربت ثمرا جيما قدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال جبر أتدرون لم قلت افتر طعنا علينا لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر أتدرون لم يقل لي كل لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل أتدرون لم حمل حايقي لأنه إذ أصبح الشوك لم يضر الحمل . وحكى أبو حنيفة الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال لمرجل قد أسرفت فقال له ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فأطلقته فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فاقطع . واشترى أبو حنيفة الروذباري أحلاما من السكر وأمر الخلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف وعاريب على أعمدة متقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها واتيهوها . التاسع قال الشافعي رضي الله عنه : الأكل على أربعة أنحاء الأكل بأصبع من اللقت وبأصبعين من السكر بثلاث أصابع من السنة (٢) وبأربع وحسن من الشره . وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة التسلل من غير جماع ولبس الكتان ، وأربعة توهن البدن كثرة الجماع وكثرة المهمل وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الخوخة ، وأربعة تقوى البصر الجالس تجاه القبلة والسكر عند النوم والنظر إلى الحضرة وتنظيف اللبس وأربعة توهن البصر النظر إلى القدر والنظر إلى المصوب والنظر إلى فرج المرأة والقعود في استدبار القبلة ، وأربعة تزيد في الجماع أكل الصافير وأكل الأطرغل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجرجير . والنوم على أربعة أنحاء فنوم على القفا وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يشكرون في خلق السموات والأرض ونوم على اليمن وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين ، وأربعة تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والدواك . ومجالسة الصالحين والماء ، وأربعة هن من العبادة لا يخطو خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود وزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن . وقال أيضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يادر الأكل كيف لا يموت وقال لم أر شيئا أفجع في الوباء من البنسج يدهن به ويشرب والله أعلم بالصواب .

(كتاب آداب النكاح)

(وهو الكتاب الثاني من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى ولا ترجع العقول عن أوائل بدايتها إلا والله خيري ولا تزال لطائف نعمه على العالمين ترى فهي تتوالى عليهم اختيارا وقهرا ومن بدائع الطائفة أن خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرانة جبرا واستبقى بها نسلهم إقبارا وقسرا ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدرا حرم بسببها السفاح وبالغ في تقيده ردعا وزجرا وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمر إمرأته إلى النكاح وحث عليه استحبابا وأمر أفسحان من كتب اللوت على عبادته فأذلهم به هدماء وكسرا ثم بث بدور النطف في أراضى الأرحام وأنشأ منها خلقا وجعله لكسر اللوت جبرا تنبها على أن يحار القادير فياضة على العالمين نعا

- (١) حديث اللهم برك لنا فيه وزدنا منه قاله عند شرب اللبن تقدم في آخر الباب الأول من آداب الأكل
- (٢) حديث الأكل ثلاث أصابع من السنة مسلم من حديث كعب بن مالك كان النبي ﷺ يأكل ثلاث أصابع . وروى ابن الجوزي في الطل من حديث ابن عباس موقوفا كل ثلاث أصابع فانه من السنة .

(كتاب آداب النكاح)

بمدد كل ولد ذرة وهي القدرات التي خاطبها الله تعالى يوم الميثاق بالست بربكم قالوا بلى حيث مسح ظهر آدم وهو ملقى بيطن نعان بين مكة والطائف فسالت القدرات من مدام جسده كما يسيل المرق بعدد كل ولد من ولد آدم ذرة م لما خوطبت وأجابت ردت إلى ظهر آدم فمن الآباء من تنفذ القدرات في صلبه ومنهم من لم يودع في صلبه شيء فينقطع نسله وهكذا الشايع فمنهم من تكثر أولاده وبأخذون منه العلوم والأحوال ويودعونها غيرهم كما وصلت إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصعبة ومنهم من تقل أولاده ومنهم من ينقطع نسله وهذا النسل هو الذي رد الله على الكفار حيث قالوا عهد أبتر لأنسل له قال الله تعالى - إن

وضرا وخيرا وشرا وعسرا وسرا وطيا ونسرا والصلاة والسلام على محمد البعث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حسرا وسلم تسليما كثيرا . أما بعد : فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحسن دون عداوته حين وسبب للتكثير الذي به مباحها سيد المرسلين لسائر النبيين لها أحراء بأن تتحرى أسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصد مآرايه وتفصل فضوله وأبوابه والقدر اللهم من أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في الترغيب فيه وعنه . الباب الثاني : في الآداب للرعية في العقد والعاقدين . الباب الثالث : في آداب العاشرة بمناقضه إلى الفراق (الباب الأول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه)

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو إلى الوقاع وقال آخرون الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب محظورة وأخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن تقدم أولا ماورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها .

(الترغيب في النكاح)

أما من الآيات، فقد قال الله تعالى - وأنكحوا الأبياى منكم - وهذا أمر وقال تعالى - فلا تنكحوا من أن ينكحن أزواجهن - وهذا منع من النكاح ونهى عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية - فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل ومنح أوليائه بسؤال ذلك في الدعاء فقال - والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين - الآية ويقال إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلا للتأهلين فقالوا إن يحيى صلى الله عليه وسلم قد تزوج ولم يجمع قبل إنما فعل ذلك لئلا يفتقر إلى البصر وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له . وأما الأخبار فقوله **« سنق ^(١) من رغب عن سنق فقد رغب عني »** وقال صلى الله عليه وسلم **« النكاح سنق فمن أحب فطرق فليستن ^(٢) بسنق ^(١) »** وقال أيضا صلى الله عليه وسلم **« تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط ^(٣) »** وقال أيضا عليه السلام **« من رغب عن سنق فليس مني وإن من سنق النكاح فمن أحبنى فليستن ^(٤) بسنق ^(٣) »** وقال صلى الله عليه وسلم **« من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا ^(٥) »**

(الباب الأول في الترغيب في النكاح)

(١) حديث النكاح سنق فمن أحب فطرق فليستن بسنق أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن (٢) حديث تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة حتى بالسقط أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر دون قوله حتى بالسقط وإسناده ضعيف وذكره بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (٣) حديث من رغب عن سنق فليس مني وإن من سنق النكاح فمن أحبنى فليستن بسنق متفق على أوله من حديث أنس من رغب عن سنق فليس مني وبقية تقدم قبله بحديث (٤) حديث من ترك التزويج خوف العيلة فليس منا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف والدارمي في مسنده والبخاري في معجمه وأبي داود في الراسل من حديث أبي نجيح من قدر على أن ينكح فلم ينكح فليس منا وأبو نجيح اختلف في صحته

شأنك هو الأبر -
والأفضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم باقى
إلى أن تقوم الساعة
وبالنسبة للعنوة يصل
ميراث العلم إلى أهل
العلم . أخبرنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي إمامنا قال
أنا أبو عبد الرحمن
للإمام قال أنا أبو
الحسن الداودي قال
أنا أبو محمد الحموي
قال أنا أبو عمران
السمرقندي قال أنا
أبو محمد الدارمي قال أنا
فهر بن علي قال حدثنا
عبد الله بن داود عن
عاصم عن رجاء بن
حيوة عن داود بن
جميل عن كثير بن
قيس قال كنت جالسا
مع أبي الدرداء في
مسجد دمشق فأتاه
رجل فقال يا أبا الدرداء
إني أمتيتك من مدينة
مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم لحديث
بلغني عنك أنك تحدثه
عن رسول الله صلى الله

وهذا من لمة الامتناع للأصل الترك وقال صلى الله عليه وسلم « من كان ذا طول فليتزوج ^(١) » وقال « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ^(٢) » وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء هو عبارة عن رض الحسيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم وقال صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ^(٣) » وهذا أيضا تمثيل الترغيب لحوف الفساد . وقال ^(٤) « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني ^(٥) » وهذا أيضا إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد فكان القصد لدين المرء في الأغلب فرجه وبعثه وقد كفي بالتزويج أحدهما ، وقال صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث وله صالح يدعو له ^(٦) » الحديث ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح . وأما الآثار فقال عمر رضي الله عنه : لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور ، فين أن الدين غير مانع منه وحصر للمانع في أمرين مذمومين . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج يحتمل أنه جعله من النسك وتمتعه ، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لخلبة الشهوة إلا بالتزويج ولا يتم النسك إلا بخرق القلب ولذلك كان يجمع علمانه لما أدر كوا عكرمة وكريما وغيرها ويقول إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكيلا ألقى الله عزبا ومات امرأتان لمعاذين جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطمونا فقال زوجوني فاني أكره أن ألقى الله عزبا وهذا منهما يدل على أنهم رأوا في النكاح فضلا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول ما أتزوج إلا لأجل الولد « وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ^(ﷺ) يخدعه ويبيب عنده لحاجة إن طرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تزوج ؟ فقال يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وأقطع عن خدمتك فكنت ثم عاد ثانيا فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقريني إلى الله مني ولئن قال لي الثالثة لأقبلن فقال له الثالثة ألا تزوج قال قلت يا رسول الله زوجني قال اذهب إلى بني فلان قتل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تزوجوني فتاتكم قال قلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لأصحابه اجمعوا

(١) حديث من كان ذا طول فليتزوج . من حديث عائشة بسند ضعيف (٢) حديث من استطاع منكم الباءة فليتزوج الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ت من حديث أبي هريرة ونقل عن خ أنه لم يعمده محفوظا وقال د إنه خطأ ورواه ت أيضا من حديث أبي حاتم المزني وحسنه ورواه د في الراشدين وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواه (٤) حديث من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله عز وجل أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه (٥) حديث من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر ، ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ قد استكمل نصف الإيمان وفي المستدرک وصحح إسناده بلفظ من رزقه الله امرأة سالحة قد أعانه على شطر دينه الحديث (٦) حديث كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاثة فذكر فيه وولد صالح يدعو له م من حديث أبي هريرة بنحوه .

عليه وسلم قال فإ
جاء بك تجارة قال لا
قال ولا جاء بك غيره
قال لا قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « من سلك
طريقا يلتصق به علما
سلك الله به طريقا
من طرق الجنة وإن
الثلاثكة لنضع أجنتها
رضا لطالب العلم وإن
طالب العلم يستغفر له
من في السماء والأرض
حتى الحيتان في الماء
وإن فضل العالم على
العابد كفضل القمر
على سائر النجوم وإن
العلماء هم ورثة الأنبياء
إن الأنبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما إنما
أورثوا العلم فمن أخذه
أخذ بحظه أو بحظ
وافر » فأول ما أودعت
الحكمة والعلم عند آدم
أبي البشر عليه السلام
ثم انتقل منه كما انتقل
منه النسيان والعريان
وماتدعو إليه النفس
والشيطان كلور إن
الله تعالى أمر جبرائيل

لأخيك وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكبوه فقال له أولم يجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة (١) » وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح وحكى أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل هو لولا أنه تارك لنبي من السنة فاعتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال أنت تارك للتزويج فقال لمست أحرمه ولكني فقير وأنا عيال على الناس قال أنا أزوجهك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته ، وقال جرير بن الحارث : فضل على أحمد بن حنبل ثلاث يطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسى فقط ولا تساعه في النكاح وضيق عنه ولأنه نصب إماما للعامة ، ويقال إن أحمد رحمه الله تزوج في اليوم الثاني لوفاة أمولده عبدالله وقال أكره أن أبيت عزبا ، وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك تركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قولوا لهم هو مشغول بالقرض عن السنة وعوتب مرة أخرى فقال ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى - ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف - فذكر ذلك لأحمد فقال وأين مثل بشر إنه قد حل مثل حد السنان ومع ذلك قد روى أنه روى في المنام قيل له ما فعل الله بك فقال رفضت منازلتي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وفي رواية قال ما كنت أحب أن تلقاني عزبا قال قلنا له ما فعل أبو نصر النهار فقال رفع فوقى سبعين درجة قلنا بماذا فقد كنت تارك فوقه قال يصبره على بيناته والعيال ، وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية فالتكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء ، وقال رجل لإبراهيم بن آدم رحمه الله طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالمزوجة فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أضافه قال فما الذي يمنحك من النكاح فقال مالي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسى ، وقد قيل فضل للتأهل على العزب كنفضل المجاهد على القاعد وركمة من متأهل أفضل من سبعين ركمة من عزب . وأما ما جاء في الترهيب عن النكاح : فقد قال عليه السلام « خير الناس بعد اللاتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق ، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك (٣) » وفي الخبر « قللة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين (٤) » وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار ، وقال أيضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل ، وقال مرة ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى .

(١) حديث كان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت عنده حاجة إن طرقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تزوج الحديث أحمد من حديث ربيعة الأسلمى في حديث طويل وهو صاحب القصة بأسناد حسن (٢) حديث خير الناس بعد اللاتين الخفيف الحاذ الذي لأهل له ولا ولد أبو يعلى من حديث حذيفة ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف (٣) حديث يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعبرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه وللبيهقي في الزهد نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف (٤) حديث قللة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقيرين القضاة في مسند الشهاب من حديث علي وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عبدالله بن عمر وابن هلال الزنى كلاهما بالشر الأول بسندين ضعيفين .

حتى أخذ قبضة من أجزاء الأرض والله تعالى نظر إلى الأجزاء الأرضية التي كونها من الجوهرة التي خلقها أولا فصار من مواقع نظراته إليها خاصية السماع من الله تعالى والجواب حيث خاطب السموات والأرضين بقوله - اتقوا طوعا أو كرها قلنا أئينا طائعتين - فحملت أجزاء الأرض بهذا الخطاب خاصة ثم انزعجت هذه الخاصة منها بأخذ أجزائها لتتركيب صورة آدم فركب جسد آدم من أجزاء أرضية محتوية على هذه الخاصة فمن حيث نسبة أجزاء الأرض تركب فيه الهوى حتى مد يده إلى شجرة الفناء وهي شجرة الخنطة في أكثر الأقاويل فتطرق لقلبه الفناء وبإكرام الله إياه بنفع الروح الذي أخبر عنه بقوله - فإذا سويته ونفخت

وقد أيضا : ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا من طلب معاش أو تزوج امرأة أو كتب الحديث . وقال الحسن رحمه الله إذا أراد الله بعبده خيرا لم يشغل به أهل ولا مال . وقال ابن أبي الحواري تظاهر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكون له بل أن يكون له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغوم ، وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقا إلا مقرونا بشرط . وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف الغطاء عنه بمصر آفات النكاح وفوائده .

آفات النكاح وفوائده : وفيه فوائد خمسة الولد وكثر الشهوة وتدير المنزل وكثرة العشرة ومجاهدة النفس بالقيام بهن . الفائدة الأولى . الولد : وهو الأصل وله وضع النكاح والقصود إبقاء النسل وأن لا يغلو العالم عن جنس الأنس وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأثني في التحسين من الحرث تطلقا بهما في السياقة إلى اقتناس الولد بسبب الوقاع كالقطن بالطير في بث الحب الذي يشبهه ليساق إلى الشبكة وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حرائة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب الميقات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهارا للقدرة وإتماما لمعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به الشبهة وحقت به الكلمة وجري به القلم وفي التوصل إلى الولد قرينة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبا . الأول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الإنسان والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباحاته . والثالث طلب التبرك ببناء الولد الصالح بعده . والرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله . أما الوجه الأول فهو أدق الوجوه وأبعدا عن أفهام الجاهل وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في محجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه ، ويانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهما له أرضا مهياة للحرثة وكان العبد قادرا على الحرثة ووكله من يتقاضاه عليها فان تكامل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعقاب من سيده والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والأنثيين وخلق النطفة في الفقار وهما لها في الأنثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثيين فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الأبواب بتعريف ما أعدت له ، هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد حيث قال « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وبإباح السر فكل تمتع عن النكاح معرض عن الحرثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط الهي ليس برقم حروف وأصوات يقرؤه كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية ولذلك عظم الفرع الأمر في القتل للأولاد وفي الوأد لأنه منع لتمام الوجود وإليه أشار من قال العزل أحد الوأدين فالناكح صاع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه والعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه ببشارة القرض فقال - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - فان قلت : قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يوم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فناهم . فاعلم أن هذه الكلمة حق

فيه من روحى - قال
العلم والحكمة بالقسوة
صار ذا نفس منفوسة
وبنفع الروح صار ذا
روح روحاني وشرح
هذا يطول فصار قلبه
معدن الحكمة وقالبه
معدن الهوى فانتقل
منه العلم والهوى وصار
ميراثه في ولده فصار
من طريق الولادة أبا
بواسطة الطباع التي هي
محتد الهوى ومن
طريق الولادة العنوية
أبا بواسطة العلم فالولادة
الظاهرة تطرق إليها
الفناء والولادة العنوية
محبة من الفناء لأنها
وجدت من شجرة الخلد
وهي شجرة العلم لا شجرة
الخطيئة التي سماها إبليس
شجرة الخلد فأبليس
يرى الشيء بضد فبين
أن الشيخ هو الأب
معنى وحكمتها كان
شيخنا شيخ الاسلام
أبو النجيب السهروردي
رحمه الله يقول ولدي
من سلك طريق
واهتدى بهدي فالشيخ

أريد بها بطلان ما ذكرناه لا ينافي بإضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها وشعبها وضرها
واسكن المحبة والكراهة يتضادان وكلهما لا يضافان إلا لإرادة فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي
مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية أما الكفر
والشر فلا نقول إنه مرضى ومحبوب بل هو مراد وقد قال الله تعالى - ولا يرضى لعباده الكفر - فكيف
يكون القناء بالاضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء فانه تعالى يقول « ما ترددت في شيء كترددى في
قبض روح عبدى السلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدله من الموت (١) » قوله لا بدله
من الموت إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير للذكر في قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت - وفي
قوله تعالى - الذى خلق الموت والحياة - ولا مناقضة بين قوله تعالى - نحن قدرنا بينكم الموت -
وبين قوله « وأنا أكره مساءته » ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعى تحقيق معنى الإرادة والمحبة
والكراهة وبيان حقائقها فان السابق إلى الأنفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم
وهيات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم وكما أن ذوات الخلق
جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا
صفاته لا تناسب صفات الخلق وهذه الحقائق داخلية في علم المكاشفة ووراء سر القدر الذى منع
من إفشائه فلنقتصر عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على التكاح
والإحجام عنه فان أحدهما مضيع فلا أدام الله وجوده من آدم عليه السلام بعد عقب إلى أن انتهى
إليه فالممتنع عن التكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه
فما أتى لعقب له ولو كان الباعث على التكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون
زوجونى لألقى الله عزبا . فان قلت لما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه .
فأقول الولد يحصل بالوقوع ويحصل الوقوع بإعاث الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما العلق
باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد قد أدى ما عليه وفعل ما إليه
والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب التكاح للعين أيضا فان نهضت الشهوة خفية لا يطلع
عليها حتى إن الممسوح الذى لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضا في حقه على الوجه الذى يستحب
للأصلح إمرار موسى على رأسه اقتداء بغيره ونسبها بالسلف الصالحين وكما يستحب الرمل والانضباط
في الحج الآن وقد كان المراد منه أولا إظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالدين أظهر وأجلد
سنة في حق من بعدم وضعف هذا الاستحباب بالاضافة إلى الاستحباب في حق القادر على الحرث
وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فان ذلك
لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذى ينبه على شدة إنكارهم لترك التكاح مع فتور
الشهوة . الوجه الثانى السعى في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بشكثير ما به مباحاته إذ
قد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روى
عن عمر رضى الله عنه أنه كان ينكح كثيرا ويقول إنما أنكح للولد وما روى من الأخبار في
مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام « لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاتلد (٢) »

(١) حديث أنه تعالى يقول ما ترددت في شيء كترددى في قبض روح عبدى السلم يكره الموت
وأنا أكره مساءته ولا بدله منه خ من حديث أبى هريرة انفراد به خالد بن علف القطرانى وهو
متكلم فيه (٢) حديث لحصير في ناحية البيت خير من امرأة لاتلد أبو عمر التوفائى في كتاب معاشرة
الأهلين موقوفا على عمر بن الخطاب ولم أجده مرفوعا .

الذى يكتسب بطريقه
الأحوال قد يكون
مأخوذا في ابتدائه في
طريق المحبين وقد
يكون مأخوذا في طريق
المحبوبين وذلك أن أمر
الصالحين والسالكين
ينقسم أربعة أقسام
سالك مجرد ومجنوب
مجرد وسالك متدارك
بالجندية ومجنوب
متدارك بالسلوك
فالسالك المجرد لا يؤهل
للمشيخة ولا يلبثها بقاء
حفات نفسه عليه
فيقف عند حظه من
رحمة الله تعالى في مقام
للعامة والرياسة ولا
يرتقى إلى حال يروح بها
عن وهج المكابدة
والمجنوب المجرد من
غير سلوك يبادته الحق
بآيات اليقين ويرفع
عن قلبه شيئا من
الحجاب ولا يؤخذ في
طريق العامة والمعاملة
أمر تام سوف تشرحه
في موضعه إن شاء الله
تعالى وهذا أيضا
لا يؤهل للمشيخة ويوقف

وقال « حيرنساكم الولود الودود (١) » وقال « سوداء ولود خير من حسناء لاتلد (٢) » وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء أصلح لتحسين وعض البصر وقطع الشهوة . الوجه الثالث أن يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له كما ورد في الخبر أن جميع عمل ابن آدم مقطوع إلا ثلاثا فذكر الولد الصالح وفي الخبر « إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور (٣) » وقول القائل إن الولد ربما لم يكن صالحا لا يؤثر فيه فانه مؤمن والصالح هو الغالب على أولاد ذوى الدين لاسيا إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد برا كان أو فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه لا تزر وأزرة وزر أخرى ولذلك قال تعالى - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتئام من عملهم من شيء - أى ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيدا في إحسانهم . الوجه الرابع أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعا قد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة (٤) » وفي بعض الأخبار « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك (٥) » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا » أى ممتلئا غيظا وغضبا » ويقول لأدخل الجنة إلا وأبواى معى فيقال ادخلوا أبويهم الجنة (٦) » وفي خير آخر « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهم هؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة يقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لأحساب عليكم فيقولون فأين آبائنا وأمهاتنا فيقول الحزنة إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم ماهذه الضجة فيقولون ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع فخذوا

(١) حديث خير نساكم الولود الودود البيهقي من حديث ابن أبي أديه الصدفي قال البيهقي وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا (٢) حديث سوداء ولود خير من حسناء لاتلد ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح [١] (٣) حديث إن الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور رويناه في الأربعين للشهورة من رواية أبي هذبة عن أنس في الصدقة عن الميت وأبو هذبة كذاب (٤) حديث إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة . من حديث على وقال السقط يدل الطفل وله من حديث معاذ إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هى احتسبته وكلامها ضعيف (٥) حديث إنه يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك م من حديث أبي هريرة (٦) حديث إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا أى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لأدخل إلا وأبواى معى الحديث حب في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح ون من حديث أبي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آبائنا فيقال ادخلوا الجنة أتم وآبائكم وإسناده جيد .

[١] وجد بهامش العراق بأحد النسخ العول عليها مانعه قلت : ولأبى على بسند ضعيف ذروا الحسناء المقيم وعليكم بالسوداء الولود فإني مكاثركم بالأمم رواه عبد الله وله من حديث أبي موسى إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن امرأة قد أعجبتني لا تلد أفأ تزوجها ؟ قال لا فأعرض عنها ثم تبعها نفسه فقال يا رسول الله قد أعجبتني هذه المرأة ونحرها أعجبتني لها ونحرها أفأ تزوجها ؟ قال لا امرأة سوداء ولود أحب إلى منها أما شعرت أني مكاثركم بالأمم سنه ضعيف .

عند حظه من الله
مروءة جاحاله غير مأخوذة
في طريق أعماله ماعدا
الفرصة والسالك
الذى تدورك بالجذبة
هو الذى كانت بدايته
بالمجاهدة والساكنة
والعامله بالإخلاص
والوفاء بالشروط ثم
أخرج من وهج
الساكنة إلى روح
الحال فوجد العسل بعد
العقلم وتروى بنجات
الفضل ويرز من مضيق
الساكنة إلى متسع
الساكنة وأونس
بنجات القرب وقبح
له باب من للشاهدة
فوجد دواءه وقاض
وعاؤه وصدرت منه
كلمات الحكمة ومالت
إليه القلوب وتوالى
عليه فتوح القلوب وصار
ظاهره مسددا وباطنه
مشاهدا وصلح للجلوة
وصار له في جلوته
خلوة فيقلب ولا يقلب
ويغترس ولا يغترس
يؤهل مثل هذا الشيخة
لأنه أخذ في طريق

بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « من مات له اثنان من الولد فقد احتضر بحظار من النار (٢) » وقال ﷺ من مات له ثلاثة لم يلفوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان (٣) . وحكى أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره قال فأتته من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسل عن ذلك فقال لعل الله يرزقني ولما يقبض فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبني من العطش ما كاد أن يقطع عني وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فتحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يستقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ثم عدت يدي إلى أحدهم وقلت استقي قد أجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا فقلت ومن أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى - فأتوا حرائكم أني شتم وقدموا لأنفسكم - تقديم الأطفال إلى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سببا للولد . الفائدة الثانية : التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج وإليه الإشارة بقوله عليه السلام « من نكح فقد حصن نصف دينه فليثق الله في الشطر الآخر » وإليه الإشارة بقوله « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء » وأكثر ما قلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى وهذا المعنى دون الأول لأن الشهوة موكلة بتقاضى تحصيل الولد فالنكاح كاف لشغله دافع لجلعه وصارف لشر سطوته وليس من يجب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال للقصور اللذة والولد لازم منها كإلزام مثل قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصودا في ذاته بل الولد هو المقصود بالطهرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الارهاق إلى الإيلاء وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لودامت فهي منبهة على اللذات للعودة في الجنان إذ التزغيب في لذة لم يجد لها ذوقا لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع أو العبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع التزغيب وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعمية الإلهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة فالحياة الظاهرة حياة للرء يبقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فيستحث على العبادة

(١) حديث إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لاحتساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا الحديث بطوله لم أجده أصلا يعتمد عليه (٢) حديث من مات له اثنان من الولد احتضر بحظار من نار البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إنهم مات لي ابنان سوى هذا فقال لقد احتضرت من دون النار بحظار شديد ولمسلم من حديث أبي هريرة في المرأة التي قالت دفنت ثلاثة لقد احتضرت بحظار شديد من النار (٣) حديث من مات له ثلاثة لم يلفوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قيل يارسول الله واثنان قال واثنان خ من حديث أنس دون ذكر الاثنين وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ أيما امرأة بنحو منه .

المحبين ومنع حالا من أحوال المقربين بعدما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين ويكون له أتباع ينتقل منه إليهم علوم ويظهر بطريقه بركة ولكن قد يكون محبوسا في حاله محكما حاله فيه لا يطلق من وثاق الحال ولا يبلغ كمال النوال يقف عند حظه وهو حظ وافر سنى والذين أوتوا العلم درجات ولكن المقام الأكل في للشيخة القسم الرابع وهو المجذوب للتدارك بالسلوك يادته الحق بالكشوف وأنوار اليقين ويرفع عن قلبه الحجب ويستتير بأنوار الشاهدة وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الضرر وينيب إلى دار الخلود ويرتوى من بحر الحال ويتخلص من الأغلال والأعلال ويقول معلنا لا أعبد ربا لم أره ثم

الواصله إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر الواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان باطنا وظاهرا ذرات بل ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة ومحاسنها ما تحار العقول فيها ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وغوائلها فالتكاح بسبب دفع فائقة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعنة وهم غالب الخلق فان الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت إلى اقتحام الفواحش وإليه أشار بقوله عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى - إلا ضلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - وإن كان ملجما بلجام التقوى فنأينه أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الواقع ولا يفتقر عنه الشيطان للوسوس إليه في أكثر الأوقات وقد يمرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجرى على خاطره من أمور الواقع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق ورأس الأمور للرديد في سلوك طريق الآخرة قلبه والواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن يضاف إليه ضعف في البدن وفساد في الزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم نكاح الناحك إلا بالنكاح وهذهمنة عامة قل من يتخلص منها قال فتادة في معنى قوله تعالى - ولا تعملنا ما لا طاقة لنا به - هو التلمة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالوا في معنى قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - إنه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيب إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما - ومن شرفا سقى إذا وقب - قال قيام الذكر وهذه بلية غالبية إذا حاجت لا يقاومها عقل ولادين وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم وإليه أشار عليه السلام بقوله « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكهن (١) » وإنما ذلك لمهيجان الشهوة وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شرمي وبصري وقلبي وشرمني (٢) » وقال « أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي (٣) » فما يستعين منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فأكثر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفًا في معاملة غفيرة على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلي عن حالي إلا نفذته فاستريح وأرجع إلى شغلي ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما لدى تنسك منهم قال يا كلون كثيرا قال وأنت أيضا لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وأنت أيضا لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . وكان الجنيد يقول احتاج إلى الجماع كما احتاج إلى القوت فالزوجة على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك أمر رسول الله

(١) حديث ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى الأبواب منكهن م من حديث ابن عمر واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق م لفظه (٢) حديث اللهم إني أعوذ بك من شر صمى وبصري وشر مني تقدم في الدعوات (٣) حديث أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي هو في الدعوات من حديث أم سلمة بإسناد فيه لين .

بعضه من باطنه على ظاهره وتجرى عليه صورة المجاهدة والعامة من غير مكابدة وعناء بل بلاذة وهناء ويصير قلبه بسفة قلبه لا مثله قلبه يحب ربه ويلين جلده كما لان قلبه وعلامة لين جلده إجابة قلبه للعمل كاجابة قلبه فيزيده الله تعالى إرادة خاصة ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين المرادين ينقطع فيواصل ويمرض عنه فيواصل يذهب عنه جمود النفس ويصلى بحرارة الروح وتنكشف عن قلبه عروق النفس قال الله تعالى - الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين ولا يكون هذا إلا

صلى الله عليه وسلم كل من وقع نظره على امرأة فتأقت إليها نفسه أن يجامع أهله (١) ، لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى جابر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم : إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها (٢) وقال عليه السلام « لا تدخلوا على النفيات وهي التي غاب زوجها فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومنى ولكن الله أعانني عليه فأسلم (٣) قال سفيان بن عيينة فأسلم معناه فأسلم أنا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر رضى الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يخطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلى المغرب ثم يفتسل ويصلى وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه وروى أنه جامع ثلاثا من جواربه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة وقال ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء (٤) ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أيسح نكاح الأمة عند خوف العت مع أن فيه إرقاق الولد وهونوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنقيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحق الأعمار الطويلة بالإضافة إلى يوم من أيامها وروى أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يرح فقال له ابن عباس هل لك من حاجة قال نعم أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الولد لما كنت أفضيت به إلى أليك فأفض إلى به فقال إني شاب لازوجة لى وربما خفيت العنت على نفسى فربما استمنيت يدي فهل في ذلك معصية فأعرض عنه ابن عباس ثم قال أف أف وتفت نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب القلم مردد بين ثلاثة شرور أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد وأشد منه الاستمناح باليد وأغشاه الزنا ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منها لأنهما محذوران يفزع إليهما حذرا من الوقوع في محذور أشد منه كما يفزع إلى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة للطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد للتأكل من الحفريات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يميم الكل بل الأكثر فرب شخص قرت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ماسبق من أمر الولد فان ذلك عام إلا للمسح وهو نادر ومن الطباع ما تقلب عليها الشهوة بحيث لا تحسن المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلا فيستحب له الاستبدال فقد نكح على رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال ويقال

(١) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتأقت نفسه إليها أن يجامع أهله أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مررت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فأتى بعض أزواجه وقال فكذلك فافعلوا فانه من أمثال أنصالحكم إتيان الحلال وإسناده جيد (٢) حديث جابر رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته الحديث مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح (٣) حديث لا تدخلوا على النفيات فان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم الحديث ت من حديث جابر وقال غريب ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ولا يدخل بعد يومى هذا على منية إلا ومعه رجل أو اثنتان (٤) حديث ابن عباس خير هذه الأمة أكثرها نساء يعنى النبي صلى الله عليه وسلم رواه غ .

حال المهبوب للسراد وقد ورد في الخبر أن إبليس سأل السيل إلى القلب قيل له يهرم عليك ولكن السيل لك في مجارى المروق للشبكة بالنفس إلى حد القلب فاذا دخلت المروق عرفت فيها من شيق مجاريها وامتزج عروقك بماء الرحمة للترشح من جانب القلب في مجرى واحد ويصل بذلك سلطانك إلى القلب ومن جعلته نبيا أو وليا قلعت تلك المروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما فاذا دخلت المروق لم تصل إلى الشبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك فالمحبوب للراد الذي أهل للشيخة سلم قلبه وانشرح صدره ولان جلده نصار قلبه بطبع الروح وقسه بطبع القلب ولانت النفس بعد أن كانت أماراة بالسوء مستعصية

إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة عن مائتي امرأة وكان ربما عقد على أربع في وقت واحد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهنّ وقد قال عليه الصلاة والسلام « للحسن أشبهت خلقي وخلقى ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « حسن مني وحسين مني ^(٢) » قيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج الغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فليُنظر إليه في الكثرة والقلة . الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة فإن النفس ملول وهى عن الحق تغور لأنه على خلاف طبيعتها فلو كلفت الدائمة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت وإذا روت بالذات في بعض الأوقات قويت ونشطت وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغى أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ولذلك قال الله تعالى - ليسكن إليها - وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب ساعة فأنها إذا كرهت عميت وفي الخبر « على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات ^(٣) » ومثله بلفظ آخر « لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمّة لمعاش أولدة في غير محرم ^(٤) » وقال عليه الصلاة والسلام « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سنى فقد اهتدى ^(٥) » والشرّة الجدة والكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الإرادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان أبو الدرداء يقول إنى لأستجيم نفسى بشئ من اللهو لأتقوى بذلك فيما بعد على الحق وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفى عن الوقاع فدلى على الهريسة ^(٦) » وهذا إن صح لا عمل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة فإنه استئارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكر من هذا الأنس وقال عليه الصلاة والسلام « حجب إلى من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء وقرّة عينى في الصلاة ^(٧) » فهذه أيضاً قائمة لا ينكرها من جرب إغجاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف الأعمال

(١) حديث أنه قال للحسن بن علي أشبهت خلقى وخلقى قلت المعروف أنه قال هذا اللفظ لجمهور بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء ولكن الحسن أيضاً كان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما هو متفق عليه من حديث أبي جحيفة وللترمذى ومحمّد وابن حبان من حديث أنس لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن (٢) حديث حسن مني وحسين من علي أحمد من حديث القناد بن معديكرب بسند جيد (٣) حديث على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة فيها يناجى ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه حجب من حديث أبي ذر في حديث طويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٤) حديث أبي ذر الطويل أن ذلك في صحف إبراهيم (٥) حديث لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت قترته إلى سنى فقد اهتدى أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو وللترمذى نحوه من هذا من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٦) حديث شكوت إلى جبريل ضعفى عن الوقاع فدلى على الهريسة عد من حديث حذيفة وابن عباس والقبيل من حديث معاذ وجابر بن عميرة وابن حبان في الضعفاء من حديث حذيفة والأزدى في الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة قال ابن عدى موضوع وقال القبيل باطل (٧) حديث حجب إلى من دنيا كم الطيب والنساء وقرّة عينى في الصلاة كن من حديث أنس باستاد جيد وضعفه القبيل .

ولأن الجدل بين النفس ورد إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحسالى ولا يزال روحه يجذب إلى الحضرة الإلهية فيستتبع الروح القلب وتستتبع القلب النفس ويستتبع النفس القلب فامتزجت الأعمال القلبية والقاليية وانخرق الظاهر إلى الباطن والباطن إلى الظاهر والقدرة إلى الحكمة والحكمة إلى القدرة والدنيا إلى الآخرة والآخرة إلى الدنيا ويصح له أن يقول لو كشف الغطاء ما زددت يقيناً فعند ذلك يطلق من وثاق الحال ويكون مسيطراً على الحال لا الحسالى مسيطراً عليه وصير حراً من كل وجه والشيخ الأول الذى أخذ في طريق المحيين حرم من رقى النفس ولكن ربما كان باقياً في رقى القلب وهنأ

وهي خارجة عن القاعدتين السابقتين حتى إنها تطرد في حق المسحور وعن الشهوة إلا أن هذه القاعدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك : وأمّا قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمّا لها فهو مما يكثر ثم ربّ شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والحضرة وأمّا لها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبة بن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له . القاعدة الرابعة : تفرغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكسب والقرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المبيتة فإن الإنسان لو لم يكن له شهوة الواقع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لصاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمرأة الصالحة الصالحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوشات للقلب ومنهفات للعيش ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فاتها تفرغك للآخرة وإنما تفرغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى - ربنا آتانا في الدنيا حسنة - قال المرأة الصالحة وقال عليه الصلاة والسلام « ليتخذ أحدكم قلبا شا كرا ولسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته (١) » فانظر كيف جمع بينهما وبين الذكر والشكر وفي بعض التفاسير في قوله تعالى - فلنحيينه حياة طيبة - قال الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما أعطى العبد بعد الإيمان بالله خيرا من امرأة صالحة وإنّ منهن غنا لا يحصى ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله لا يحصى أي لا ينضب عنه بمطاء وقال عليه الصلاة والسلام « فضلت على آدم بخصتين كانت زوجته عوناً له على العصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير (٢) » فمدعاوتها على الطاعة فضيلة فهذه أيضا من الفوائد التي تصدها الصالحون إلا أنّها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو إلى أمرئين بل الجمع ربما ينقص المبيتة ويضطرب به أمور المنزل ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر فإنّ ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإنّ الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل . القاعدة الخامسة : مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعي في إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن والقيام بتربيتهن لأولاده فكلّ هذه أعمال عظيمة الفضل فاتها رعاية وولاية والأهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقوقها والافتقار إلى الله عليه الصلاة والسلام « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٣) » وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كن اشتغل

(١) حديث ليتخذ أحدكم قلبا شا كرا ولسانا ذا كرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ت وحسنه وه واللفظ له من حديث وفيه انقطاع (٢) حديث فضلت على آدم صلى الله عليه وسلم بخصتين كانت زوجته عوناً له على العصية وأزواجى أعوان على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر وفيه محمد بن وليد بن أبيان بن القلانسي قال ابن عدى كان يضع الحديث ولمسلم من حديث ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وقد وكل بقرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قل وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ولا يأمرني إلا بخير (٣) حديث يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ثم قال ألكم راع وكلكم مسئول عن رعيته طب وهق من حديث ابن عباس وقد تقدم بلفظ ستين سنة دون مابعد فانه متفق عليه من حديث ابن عمر .

الشيخ في طريق
المحبوبين حرّ من رق
القلب كما هو حرّ من رق
النفس وذلك أن النفس
حجاب ظلماتي أرى
أعنت منه الأول
والقلب حجاب نوراني
مماوى أعنت منه
الآخر فصار له لا قلبه
ولموقعه لا لوقعه فبعد
الله حقاً وآمن به صدقاً
ويسجد لله سواده
وخيله ويؤمن به فؤاده
ويقرّ به لسانه كما قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعض
سجوده ولا يتخلف
عن العبودية منه شعرة
وتصير عبادته مشاكلة
لعبادة الملائكة - وقد
يسجد من في السموات
والأرض طوعاً وكرها
وظلالهم بالتدو
والأصالة فاقوا البهي

الظلال الساجدة ظلال
الأرواح القرية في عالم
الشهادة الأصل كفيف
والظل لطيف وفي عالم
الغيب الأصل لطيف
والظل كفيف فيسجد

بإصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الأذى كمن ربه نفسه وأراحها فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر فضل علي أحمد بن حنبل ثلاث إحداها أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام «ما أتقاه الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته (١)» وقال بعضهم لبعض العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له أين أنت من عمل الأبدال قال وما هو قال كسب الحلال والتفقه على العيال وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو تملكون عملا أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال أنا أعلم قالوا فما هو قال رجل متمتع ذو عائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياما متكسفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه وقال صلى الله عليه وسلم «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين (٢)» وفي حديث آخر «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال (٣)» وفي الحديث «إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه (٤)» وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيال وفيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيال (٥)» وقال عليه السلام «من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى ينفين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملا لا يقدر له (٦)» كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال والله هو من غرائب الحديث وغرره وروى أن بعض التعبد كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة أروح قلبي وأجمع لحمي ثم قال رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالا ينزلون ويسرون في الهواء يقبع بعضهم بعضا فكما نزل واحد فنظر إلى وقال لمن وراءه هذا هو للشوم فيقول الآخرون نعم ويقول الثالث كذلك ويقول الرابع نعم ففخت أن أسألهم هبة من ذلك إلى أن مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من هذا الشوم الذي تؤمنون إليه فقال أنت قتلت ولم ذاك قال كنت أرفع عملي في أعمال المجاهدين في سبيل الله فند جمعة أمرت أن أنزع عملي مع الخائفين فما تدري ما أحدثت فقال لإخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوما دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأصافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذبه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فإني سألت الله تعالى وقلت ما أنت معاقب لي به في الآخرة فصجل لي في الدنيا قل إن عقوبتك بنت فلان تزوج بها

(١) حديث ما أتق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى في امرأته من حديث ابن مسعود إذا أتق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة ولهما من حديث سعد ابن أبي وقاص ومهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك (٢) حديث من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغترب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف (٤) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال بالحزن وفيه لث بن أبي سليم مختلف فيه (٥) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا التمسك بالعيال الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والطيب في التلخيص للتشابه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث من كان له ثلاث بنات فأنتق عليهن وأحسن إليهن حتى ينفين الله عنه أوجب الله له الجنة ألبنة ألبنة إلا أن يعمل عملا لا يقدر له الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف وهو عنده بلفظ آخر ولأبي داود واللفظ له والترمذي من حديث أبي سعيد من قال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة ورجاله ثقات وفي سننه اختلاف .

لطيف العبد وكشفه وليس هذا لمن أخذ في طريق الهين لأنه يستتبع صور الأعمال ويمتلى بما أنيل من وجدان الحال وذلك قصور في العلم وقلة في الحظ ولو كثر العلم رأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد رأى أن لاغنى عن الأعمال كما لاغنى في عالم الشهادة عن القوالب فإدامت القوالب باقية فالعلم باق ومن صح في القام الذي وصفناه هو الشيخ المطلق والعارف الحق المحبوب المتق نظره دواء وكلامه شفاء بالله ينطق وبالله يسكت كما ورد ولا يزال العبد يتقرب إلى بالناوئل حتى أحبه فإذا أحبته كنت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا ينطق وبني يصير الحديث فالشيخ يعطى بالله ويمنع بالله فلا رغبة له في عطاء ومنع لعينه بل

هو مع مراد الحق
والحق يعرفه مراده
فيكون في الأشياء
بمراد الله تعالى لا بمراد
نفسه فان علم أن الله
تعالى يريد منه الدخول
في صورة محمودة دخل
فيها لمراد الله تعالى
لأنه يكون الصورة
محمودة بخلاف الخادم
القائم بواجب خدمة
عباد الله تعالى .

[الباب الحادي عشر
في شرح حال الخادم
ومن يشبه به]

أوحى الله تعالى إلى
داود عليه السلام وقال
يا داود إذا رأيت لي
طالبا فكن له خادما
الخادم يدخل في الخدمة
راغبا في الثواب وفيما
أعد الله تعالى للعباد
ويتصدى لإيصال
الراحة ويخرج خاطر
القلبين على الله تعالى
عن مهام معاشهم
ويغفل ما يفعله الله تعالى
بنية سالمة فالشيخ
واقف مع مراد الله
تعالى والخادم واقف

قزوت بها وأنا صابر على ماترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق
فان للنفرد بنفسه أو للشارك لمن حسن خلقه لا ترشح منه خباثت النفس الباطنة ولا تكشف بواطن
عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه للتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر
عليها لتعتدل أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات القبيحة باطنه والصبر على العيال مع أنه رياضة
ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها فهذه أيضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد
رجلين إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يجد أن يرى هذا
طريقا في المجاهدة وترتاض به نفسه وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب
وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بترتيبهم
أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها إلى غيره فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية
في أصل الحلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والكشفات
فلا ينبغي أن يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها وأما العبادات في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل
من ذلك لأنه أيضا عمل وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال
فهذه فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة . أما آفات النكاح ثلاث . الأولى : وهي أتواها
المعجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل أحد لاسيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعاش فيكون
النكاح سببا في التوسع للطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاك أهله والتعزب في أمن من
ذلك وأما التزوج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدينه وفي
الحبر « إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عائلته والقيام
بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا يبقى له حسنة
فتنادى للملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ويقال إن أول ما يتعلق
بالرجل في القيامة أهله ولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربناخذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا
ما نجعل وكان يطعمنا الحرام ونحن لانعلم فيقتصص لهم منه (١) » وقال بعض السلف إذا أراد الله بعبده
شرا سلط عليه في الدنيا أنيابا تنهشه يعني العيال وقال عليه الصلاة والسلام « لا يلقى الله أحد بذنب
أعظم من جهالة أهله (٢) » فهذه آفة عامة قل من يتخاص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من
حلال ينفي به وبأهله وكان له من القناعة ما ينفعه من الزيادة فان ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو
محترف ومقتدر على كسب حلال من الباحات باحتطاب أو اوططاد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلطين
ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم رحمه الله وقد
سئل عن التزويج فقال هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحارري الأمان فلا يتنهي عنها
بالضرب ولا يملك نفسه فان ملك نفسه فتركه أولى . الآفة الثانية : التقصير عن القيام بحقوقهم والصبر على
أخلاقهم واحتمال الأذى منهم وهذه دون الأولى في الصوم فان القدرة على هذا أسير من القدرة على
الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحقوقهن أهون من طلب الحلال وفي هذا أيضا خطر لأنه
راع ومستول عن رعيته وقال عليه الصلاة والسلام « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول (٣) »

(١) حديث إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال ويسأل عن رعاية عياله
والقيام بهم الحديث لم أقف له على أصل (٢) حديث لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله
ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يحده ولده أبو منصور في مسنده (٣) حديث كفى
بالمرء إثما أن يضيع من يعول دن يلفظ من يقول وهو عند م بلفظ آخر .

وروى أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم ومن يقصر عن القيام بحقوقهم وإن كان حاضرا فهو بمنزلة هارب فقد قال تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - أمرنا أن نقيم النار كأنني أنفستنا والانس قد يجزع عن القيام بحقوق نفسه وإذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمانة بالسوء إن كثرت كثرت الأضرار بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم من التزويج وقال أنا مبتلى بنفسى وكيف أضيف إليها نفسا أخرى كما قيل .
لن يسع الفأرة جعرها علفت الكنس في دبرها

وكذلك اعتذر إبراهيم بن آدم رحمه الله وقال لأغر امرأة بنفسى ولا حاجة لى فبين أى من القيام بحقوقهم وتخصيمهم وإمتاعهم وأنا عاجز عنه وكذلك اعتذر بشر وقال بمعنى من النكاح قوله تعالى - ولهن مثل الذى عليهن - وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لحفت أن أصير جلادا على الجسر ورؤى سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رأيت ذاعيل أفلح وكان سفيان يقول :

يا حبذا العزبة والفتاح ومسكن تحرقه الرياح لا يصيب فيه ولا صباح

فهذه آفة عامة أيضا وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن الأخلاق بصير بمادات النساء صبور على لسانهن وقاف عن اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقوقهن يتعافى عن زللتهن ويدارى بقله أخلاقهن والأغلب على الناس السفه والفظاظة والجدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له . الآفة الثالثة : وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلا له عن الله تعالى وجاذبا له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير للعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخالهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو مشغوم على صاحبه ولست أعنى بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية بل أن يدعو إلى التمتع بالمباح بل إلى الإغراق فى ملاعبة النساء وموانستن والامعان فى التمتع بهن ويشور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق القلب فينقض الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيها للتفكير فى الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال إبراهيم بن آدم رحمه الله من تعود أخذ النساء لم يجز منه شيء وقال أبو سليمان رحمه الله من تزوج فقد ركن إلى الدنيا أى يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوائد فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبرا ومحكما ويعرض المرء عليه نفسه فإن انتفت فى حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجدة فى الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالصبر فلا يمارى فى أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعى فى تحصيل الولد فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغى أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة فى الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات فى النقصان منه فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول من لم يكن فى أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه فى السعى لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله فالعزوبة له أولى فلا خير فيها يشغل عن الله ولا خير فى كسب الحرام ولا ينبغى بنقصان هذين الأمرين

مع نيته فالخادم يفعل
الشيء لله تعالى والشيخ
يفعل الشيء لله فالشيخ
فى مقام القرين والخادم
فى مقام الأبرار فيختار
الخادم البذل والإيثار
والارتفاق من الأغيار
للاغيار ووظيفة وقته
تصديقه لخدمة عباد الله
وفيه يعرف الفضل
ويرجحه على نواوله
وأعماله وقد يقيم من
لا يعرف الخادم من
الشيخ الخادم مقام
الشيخ وربما جهل
الخادم أيضا حال نفسه
فيحسب نفسه شيئا قلقة
العلم واندراس علوم
القوم فى هذا الزمان
وقناعة كثير من
الفقراء من الشايع
باللعمنة دون العلم والحال
فكل من كان أكثر
إطعاما هو عندم أحق
بالمشيخة ولا يعلمون
أنه خادم وليس بشيخ
والخادم فى مقام حسن
وحظ صالح من الله
تعالى . وقد ورد ما يدل
على فضل الخادم فيها

أمر الولد فإن النكاح للولد سعى في طلب حياة الولد موهومة وهذا قصار في الدين ناجز لحفظه
 لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعى في الولد وذلك ربح والدين رأس مال وفي فساد الدين
 بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآتين وأما إذا
 انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر فإن لم يقو لجأه التقوى
 رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب
 الحرام أهون الشرين وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر
 عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجه حرام والكسب يقع دائماً
 وفي عصيانه وعصيان أهله والنظر يقع أحياناً وهو يغصه وينصرم على قرب والنظر زنا العين ولكن
 إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى الضو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إضفاء النظر إلى مصيبة الفرج
 فيرجع ذلك إلى خوف العنت وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن
 لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى الضو أقرب وإنما
 يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه فهكذا ينبغي أن توزن
 هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها ومن أحاط بهذا لم يشك عليه شيء مما قلنا عن السلف من
 ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح . فإن قلت فمن أمن
 الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح ؟ فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من
 التخلي لعبادة الله من حيث إنه عقد ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب
 الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والواظبة على
 العبادة من غير استراحة غير ممكن فإن فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت
 سوى أوقات الكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة
 إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال
 والقيام بالأهل والسعى في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات لا يقصر فضلها
 عن نوافل العبادات وإن كان عبادته بالعلم والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك
 النكاح أفضل . فإن قلت فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله وإن كان الأفضل التخلي
 لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم من الأزواج . فأقول أن الأفضل الجمع بينهما في حق
 من قدر ومن قوت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة
 وجمع بين فضل العبادة والنكاح ولقد كان مع تسع من النسوة (١) متخلياً لعبادة الله وكان قضاء
 الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم
 عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم مشغوفة بهمهمهم غير غافلة عن مهماتهم
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ودرجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى
 فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته (٢) ومتى سلم مثل هذا للتعب لغيره فلا يبعد أن
 يغير السواقي ما لا يغير البحر الحضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره . وأما عيسى صلى الله عليه وسلم
 فإنه أخذ بالحزم لانه القوة واحتاط لنفسه ولعل حاله كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر

(١) حديث جمعه صلى الله عليه وسلم بين تسع نسوة من حديث أنس وله من حديثه أيضاً
 وهن إحدى عشرة (٢) حديث كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته من حديث أنس
 بأم سلمة لا تؤذي في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

أخبرنا الشيخ أبو زرعة
 ابن الحافظ أبي الفضل
 محمد بن طاهر القيسي
 عن أبيه قال أنا
 أبو الفضل محمد بن
 عبد الله القري قال
 حدثنا أبو الحسن محمد
 ابن الحسين بن داود
 العلوي قال حدثنا
 أبو حامد الحافظ قال
 حدثنا العباس بن محمد
 الدوري وأبو الأزهر
 قالا حدثنا أبو داود قال
 ثنا سفيان عن
 الأوزعي عن يحيى بن
 أبي كثير عن أبي سلمة
 عن أبي هريرة أن النبي
 صلى الله عليه وسلم أتى
 بطعام وهو بمصر
 الظهران فقال لأبي بكر
 وعمر كلا فقالا إنا
 صائمان فقال ارحلا
 لصاحبيكما اعملا
 لصاحبيكما ادنوا فكل
 يعني أنكما ضعفتما
 بالصوم عن الخدمة
 فاحتجتما إلى من
 يخدمكما فكلوا واخدما
 أنفسكما فالخادم يحرم
 على حيازة الفضل

معهما طلب الحلال أولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة فأثر التخلي للعبادة وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب للكاسب وأخلاق النساء وما على النكاح من غوائل النكاح وماله فيه ، ومهما كانت الأحوال متقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل فحقنا أن نزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال والله أعلم .

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد)

أما العقد فأركاناه وشروطه لينقذ ويغى الحل أربعة : الأول إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان . الثاني رضا المرأة إن كانت ثيبا بالغا أو كانت بكرا بالغا ولكن بزوجه غير الأب والجد . الثالث حضور شاهدين ظاهري المدالة فإن كانا مستورين حكمنا بالانقضاء للحاجة . الرابع إيجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما . وأما آدابه فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهى عن الخطبة على الخطبة (١) ومن آدابه الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة ويقول الزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما خفيا والتحميد قبل الخطبة أيضا مستحب . ومن آدابه : أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكرا فذلك أخرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فانه أخرى أن يؤدم بينهما . ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنة وغض البصر وطاب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن العزيز رحمه الله إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالترسيان ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثا معا ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال (٢) . وأما للنكوة فيعتبر فيها نوعان : أحدهما للحل . والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد . النوع الأول ما يعتبر فيه للحل : وهو أن تكون خالية عن موانع النكاح والوانع تسعة عشر : الأول أن تكون منكوبة للغير . الثاني أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك عين . الثالث أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر . الرابع أن تكون مجوسية . الخامس أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الإباضية فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقة مذهب فاسدا يحكم بكفر معتقده . السادس أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل فإذا عدت كلنا الحاصلتين لم يحل نكاحها وإن عدت النسب فقط ففيه خلاف . السابع أن تكون رقيقة والنكاح حرا قادرا على طول الحرة أو غير خائف من الموت . الثامن أن تكون كلها أو بعضها مملوكا للنكاح ملك عين التاسع أن تكون قريبة للزوج

(الباب الثاني فيما يرامى حالة العقد)

(١) حديث النبي عن الخطبة على الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الحاطب قبله وأبذله (٢) حديث عائشة تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني في شوال م .

فيقوصل بالكسب تارة وبلاسترقاق والدروزة تارة أخرى وباستجلاب الوقف إلى نفسه تارة لعله أنه قيم بذلك صالح لإيصاله إلى الوقوف عليهم ولا يبالى أن يدخل في كل مدخل لا يذمه الشرع لحيازة الفضل بالحكمة ويرى الشيخ نفوذ البصيرة وقوة العلم أن الاتفاق يحتاج إلى علم تام ومعاناة تغليص النية عن شوائب النفس والشهوة الخفية ولوحصلت ننته ما رغبت في ذلك لوجود مراده فيه وحاله ترك المراد وإقامة مراد الحق . أخبرنا أبو زرعة بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف بإجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين بن الحشاش يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجيد يقول سمعت

بأن تكون من أصوله أو فصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل بعده أصل وأعلى بالأصول الأمهات والجندات وبفصوله الأولاد والأحفاد وبفصول أول أصوله الإخوة وأولادهم وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والحالات دون أولادهن . العاشر : أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كسابق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم . الحادي عشر : المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون النكاح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد [١] من قبل أو وطئها أو وطئ بالشبهة في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد فجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعهن إلا بالوطء أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل . الثاني عشر : أن تكون النكوة خامسة أي يكون تحت النكاح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة فإن كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة . الثالث عشر : أن يكون تحت النكاح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى لم يحرم بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما . الرابع عشر : أن يكون هذا النكاح قد طلقها ثلاثا فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح . الخامس عشر : أن يكون النكاح قد لاعنها فاتها تحرم عليه أبدا بعد اللعان . السادس عشر : أن تكون محرمة بمحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينقذ النكاح إلا بعد تمام التحلل . السابع عشر : أن تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ . الثامن عشر : أن تكون بتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ : التاسع عشر : أن تكون من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن توفي عنها أو دخل بها فاتهم أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي اللوائح المحرمة . أما الحاصل للطبقة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية : الدين والحلق والحسن وخفة الهرم والولادة والبكارة والنسب وأن لا تكون قرابة قريبة . الأولى أن تكون صالحة ذات دين فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فاتها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفوجها أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه وتنقص بذلك عيشه فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه وعرضه ومنسوبا إلى قلة الحمية والأثقة وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالتي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها فقال إني أحبها قال أمسكها (١) وإنما أمره بامساكها خوفا عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضا معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فإن سكت ولم ينكره كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - وإن أنكره وخاصم تنقص العمر ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحريض على ذات الدين فقال « تنكح المرأة لما لها وجمالها وحسبها

(١) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال طلقها الحديث د ن من حديث ابن عباس قال ن ليس بثابت والرسول أولى بالصواب وقال أحمد حديث منكرو ذكره ابن الجوزي في الموضوعات .

[١] قوله أو ملك بعقد أو شبهة عقد ليس بنسخة الشارح وهو الصواب لأن الملك ليس من المحرمات اه .

السرى يقول أعرف طريقا مختصرا قصدا إلى الجنة فقلت له ما هو قال لا تسأل من أحد شيئا ولا تأخذ من أحد شيئا ولا يكن معك شيء تعطى منه أحدا شيئا والخادم يرى أن من طريق الجنة الخدمة والبذل والإيثار فيقدم الخدمة على التوافل ويرى فضلها وللخدمة فضل على النافلة التي يأتي بها المبد طالبا بها الثواب غير النافلة التي يتوخى بها صحة حاله مع الله تعالى لوجود نقد قبل وعد . ومما يدل على فضل الخدمة على النافلة ما أخبرنا أبو زرعة قال أخبرني والدي الحافظ المقدسي قال أنا أبو بكر محمد بن أحمد السمسار بأصفهان قال أنا إبراهيم بن عبد الله ابن خرشيد قال حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي قال

ودينها فضلك بذات الدين تربت يداك^(١)» وفي حديث آخر «من نسكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها ومن نسكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها^(٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ولا لمالها فلعل مالها يطمسها وانكح المرأة لدينها^(٣)» وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة عن الدين ومشوشة له. الثانية حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب القراغة والاستماعة على الدين فانها إذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق وكافرة للنم كان الضرر منها أكثر من النفع والصبر على لسان النساء مما يعتجن به الأولياء قال بعض العرب: لا تنكحوا من النساء سنة لأن سنة لا أمانة ولا خيانة ولا تنكحوا أحداً قولاً براقاً ولا شداقة. أما الأمانة فهي التي تكرر الأنين والتشكي وتصب رأسها كل ساعة فنكاح المراجعة أو نكاح الممارسة لا خيريته، وللتانة التي تمنى على زوجها فتقول فلت لأجلك كذا وكذا، والخيانة التي تمنى إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه، والحدافة التي ترمى إلى كل شيء بمحدثها فتشبهه وتكلف الزوج شراءه؛ والبراقة تحمل معنيين أحدهما أن تكون طول التها في تصقل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالصنع والثاني أن تنصب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتقتل نصيبها من كل شيء وهذه لفة عناية يقولون برقت للمرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده، والشداقة للشفقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام «إن الله تعالى يفيض الثرائين للمتشدقين^(٤)» وحكى أن السائح الأزدي لقي إلياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح أربما المختلة والبارية والعاهرة والناشر، فأما المختلة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب، والبارية الباهية بغيرها للفاخرة بأسباب الدنيا، والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخذن وهي التي قال الله تعالى - ولا متخذات أخدان - والناشر التي تعاو على زوجها بالفعال والقتال والنشر العالي من الأرض، وكان على رضى الله عنه يقول: شر خصال الرجال خبر خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام ابن حبيب وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح. الثالثة حسن الوجه فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفى بالدئمة غالباً كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفرقان وما تفلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زاجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهون أمر الدين ويدل على الالتفات إلى

(١) حديث تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فضلك بذات الدين متفق عليه من حديث أنس هريرة (٢) حديث من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس من تزوج امرأة لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يفض بصره ويحسن فرجه أو يصل رحمه بركة الله له فيها وبارك لها فيه ورواه حب في الضعفاء (٣) حديث لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٤) حديث إن الله يفيض الثرائين للمتشدقين وحسنه من حديث جابر وإن أفضكم إلى وأبعدكم من يوم القيامة الثرثرون والمتشدقون والتضيقون، ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو إن الله يفيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقية بلسانها.

ثنا أبو السائب قال
ثنا أبو معاوية قال
ثنا عاصم عن مورك
عن أنس قال كنا مع
رسول الله صلى الله
عليه وسلم لنا الصائم
ومنا للفطر فزلنا منزلاً
في يوم حار شديد
الحر لنا من يتقى
الشمس يده
وأكثرنا ظلاً صاحب
الكساء يستظل به
فنام الصائمون وقام
الفطرون فضربوا
الأبنية وسقوا الركاب
فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ذهب
الفطرون اليوم بالأجر»
وهذا حديث يدل على
فضل الخدمة على النافلة
والخادم له مقام عزيز
يرغب فيه فأما من
لم يعرف تخلص النية
من شوائب النفس
ويتشبه بالخادم
ويتصدى لخدمة
الفقراء ويدخل في
مداخل الخدام بحسن
الارادة بطلب التأسي
بالخدام فتصكون

معنى الجمال أن الألف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ^(١) » أي يؤلف بينهما من وقوع الألفة على الألفة وهي الجملة الباطنة والبشرة الجملة الظاهرة وإنما ذكر ذلك للبالغة في الائتلاف وقال عليه الصلاة والسلام « إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن ^(٢) » قيل كان في أعينهم عيش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا يتكفون كراهم إلا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الأعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ومعلوم أن النظر لا يبرف الخلق والدين والمال وإنما يبرف الجمال من القبح وروى أن رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فحصل خضابه فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا حسيتاه شابا فأوجهه عمر ضربا وقال غررت القوم وروى أن بلالا وصهبا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم قبل لهما من أتيا فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا عموكين فأعقنا الله وكنا عائلين فأغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وإن تردونا فسيحان الله فقالوا بل تزوجا والحمد لله قال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسواقتنا مع رسول الله ﷺ قال اسكت قد صدقت فأنكحك الصدق ، والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف والاستقصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح ولا يوصف في أخلاقها وجمالها إلا لمن هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء ولا يحسد لها فيقصم الطباع مائلة في مبادئ النكاح ووصف النكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق فيه يقتصد بل الحداد والاغراء أغلب والاحتياط فيه مهم لمن يغشى على نفسه التشوف إلى غير زوجته . فأما من أراد من الزوجة مجرد السنة أو الولد أو تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا وإن كان قديمين على الدين في حق بعض الأشخاص قال أبو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إشارة للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشبهى عليه الشهوات وتقول كذا وكذا واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة فسأل من أعقلمها فقيل العوراء فقال زوجوني إياها فهذا دأب من لم يقصد التمتع ، فأما من لا يأمن على دينه مالم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين . وقد قيل إذا كانت للمرأة حسنة خيرة الأخلاق سوداء الحدة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون حبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله - خيرات حسان - أراد بالخيرات حسنات الأخلاق وفي قوله - قاصرات الطرف - وفي قوله - عربا آرابا - العروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقوع به تتم اللذة والحور البياض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر والعباء الواسعة العين . وقال عليه الصلاة والسلام « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب

خدمته مشوبة منها ما يصيب فيها لموضع إيمانه وحسن إرادته في خدمة القوم ومنها ما لا يصيب فيها لما فيه من مزج الهوى فيضع الشيء في غير موضعه وقد يخدم بهواه في بعض تصاريغه ويخدم من لا يستحق الخدمة في بعض أوقاته ويجب الهدنة والثناء من الخلق مع ما يجب من التواضع لرضا الله تعالى وزجرا خدم للثناء وربما امتنع من الخدمة لوجود هوى يخامر في حق من يلقاه بمكره ولا يراعى واجب الخدمة في طرفي الرضا والتعصب لانحراف مزاج قلبه بوجود الهوى والخادم لا يتبع الهوى في الخدمة في الرضا والتعصب ولا يأخذه في الله لومة لائم ويضع الشيء موضعه فإذاذن الشخص الذي وصفناه أنفا متخادما وليس بخادما ولا يميز بين

(١) حديث إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فليُنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما ابن ماجه بسند ضعيف من حديث أحمد بن مسلمة دون قوله فإنه أحرى ولترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما (٢) حديث إن في أعين الأنصار شيئا فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فليُنظر إليهن مسلم من حديث أبي هريرة نحوه .

عنها حفظته في نفسها وماله^(١) » وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت عجة للزوج . الرابعة أن تكون خفيفة اللهر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا^(٢) » وقد نهى عن المغالة في اللهر^(٣) تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف^(٤) ، وأولم على بعض نسائه عديدين من شعير^(٥) وعلى أخرى عديدين من تمر ومدين من سويق^(٦) ، وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالة في الصداق ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم^(٧) ولو كانت المغالة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم^(٨) وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضى الله عنه على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا فأدخلها هو من الباب ثم انصرف ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما » أى الولادة « ويسر مهرها^(٩) » وقال أيضا « أبركهن أقلهن مهرا^(١٠) » وكان كرم المغالة في اللهر من جهة المرأة

(١) حديث خير نساءكم التى إذا نظر إليها زوجها سرته وإن أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله النساء من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال ولا تغالقه في نفسها ولا مالها وعند أحمد في نفسها وماله ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس بسند صحيح (٢) حديث خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس خيرهن أسرهن صداقا وله من حديث عائشة من عن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقتها وروى أبو عمر التوفاني في كتاب معاشرته الأهلين إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وصححه (٣) حديث النهى عن المغالة في اللهر أصحاب السنن الأربعة موقوفا على عمر وصححه الترمذى (٤) حديث تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحي يد وجرة ووسادة من آدم حشوها ليف أبو داود الطيالسي والبخاري من حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم قال البخاري ورأيت في موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورعى قيمته أربعون درهما ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف ولأحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بحملة ووسادة آدم حشوها ليف ورحين وسقاء وجرتين ورواه الحاكم وصححه إسناده وابن حبان مختصرا (٥) حديث أولم على بعض نسائه عديدين من شعير البخاري من حديث عائشة (٦) حديث وأولم على أخرى عديدين وتمدى سويق الأربعة من حديث أنس أولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يحىء بفضل التمر وفصل السويق وفي الصحيحين التمر والأفط والسمن وليس في شيء من الأصول تقيد التمر والسويق بعديدين (٧) حديث كان عمر ينهى عن المغالة ويقول ماتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم الأربعة من حديث عمر قال الترمذى حسن صحيح (٨) حديث تزوج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على وزن نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم متفق عليه . من حديث أنس أن عبد الرحمن بن عوف تزوج على ذلك وتقويعها بخمسة دراهم رواه البيهقي (٩) حديث من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحما أى الولادة وتيسر مهرها أحمد والبيهقي من حديث عائشة من عن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقتها وأن تيسر رحما قال عروة يعنى الولادة وإسناده جيد (١٠) حديث أبركهن أقلهن مهرا أبو عمر التوفاني في معاشرته الأهلين من حديث عائشة إن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وأقلهن مهرا وقد تقدم ولأحمد والبيهقي أن أعظم النساء بركة أسرهن

الحادم والتخادم إلا لمن له علم بصحة النيات وتخليصها من شوائب الهوى والتخادم النجيب يبلغ ثواب الحادم في كثير من تصاريفه ولا يبلغ رتبته لتخلفه عن حاله بوجود مزج هواه وأما من أقيم لخدمة الفقراء بتسليم وقف إليه أو توفير رفق عليه وهو يخدم لمنال يصيبه أو حظ عاجل يدركه فهو في الخدمة لنفسه لا لغيره فلا تقطع رفته ما خدم وربما استخدم من يخدم فهو مع حظ نفسه يخدم من يخدمه ويحتاج إليه في المحافل يتكثربه ويقم به جاء نفسه بكرة الأتباع والأشياء فهو خادم هواه وطالب دنياه يحرم من نهاره وليله في تحصيل ما يقيم به جاهه ويرضى نفسه وأهله وولده فينتسج في الدنيا ويتزنا بغير زى الخدام والفقراء وتنتشر نفسه

فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل ولا ينبغي أن ينسحب طمعا في المال قال الثوري إذا تزوج وقال أي شيء للمرأة فاعلم أنه ليس وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدى ليضطرم إلى المقابلة أكثر منه وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة فأما التهادي فمستحب وهو سبب للودة قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» (١) «وأما طلب الزيادة فداخل في قوله تعالى - ولا تمنن تستكثر - أي تمنى لتطلب أكثر وتحت قوله تعالى - وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس - فإن الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح . الخامسة أن تكون المرأة ولودا فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها قال عليه السلام «عليكم بالودود والودود» (٢) «فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فإراعى معها وشايبها فإنها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين . السادسة أن تكون بكرًا قال عليه السلام لجابر «قد نكح ثيبا» هلا بكراتلاعها وتلاعبك (٣) «وفي البكارة ثلاث فوائد إحداها أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود وقد قال عليه السلام «عليكم بالودود» والطباع مجبولة على الأنس بأول ما لوف . وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألقت فقتل الزوج . الثانية أن ذلك أكل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج فقرة ما وذلك يتقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نقورا . الثالثة أنها لا تنح إلى الزوج الأول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا : السابعة أن تكون نسبية أعنى أن تكون من أهل بيت الدين والصالح فإنها تستر بناتها وبنيها فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية ولذلك قال عليه السلام «إياكم وخضراء الدمن قليل ما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في المنبت السوء» (٤) «وقال عليه السلام» تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع» (٥) . الثامنة أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة قال صلى الله عليه وسلم «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يحلق ضاوبا» (٦) «أي نحيفا وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة فإن الشهوة إنما تنبت بقوة الاحساس بالنظر واللحم وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد فأما اليهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبت به الشهوة فهذه هي الخصال المرغوبة في النساء ويجب على الولي أيضا أن يراعى خصال الزوج ولينظر لكرمه فلا يزوجه ممن ساء خلقه أو خلقه أضعف دينه أو قصر عن القيام بعبادتها أو كان لا يكافئها صداقا وإسناده جيد (١) حديث تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الأدب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد (٢) حديث عليكم بالودود والودود أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود والودود وإسناده صحيح (٣) حديث قال جابر «قد نكح ثيبا هلا بكراتلاعها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر (٤) حديث إياكم وخضراء الدمن قليل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسنة في المنبت السوء الدارقطني في الأفراد والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري قال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (٥) حديث تخيروا لنطفكم فإن العرق دحاس ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا دون قوله فإن العرق دحاس وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دحاس وروى أبو موسى التميمي في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمر وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دحاس وكلاهما ضعيف . (٦) حديث لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يحلق ضاوبا قال ابن الصلاح لم أجده أصلا معتمدا . قلت إنما يعرف من قول عمر إنه قال لآل السائب قد أضويتم فانكحوا في التوابغ رواه إبراهيم الحارثي في غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب قال ويقال اغربوا ولا تضوا .

بطلب الحظوظ ويستولى عليه حب الرياسة وكلما كثرت كثر مواد هواه واستطال على الفقراء ويحوج الفقراء إلى التخلق المفرط له لطلبها لرصاء وتوقيا لضيمه وميسله عليهم بقطع ما ينوبهم من الوقف فهذا أحسن حاله أن يسمى مستخدما فليس بخادم ولا متخدوم مع ذلك كله ربما نال برحمتهم باختياره خدمتهم على خدمة غيرهم وباتائه إليهم وقد أوردنا الخبر السند الذي في سياقه «هم القوم الذي لا يشقى بهم جليسهم» والله الموفق والمعين .

[الباب الثاني عشر في شرح خرقه الشايع الصوفية]

لبس الخرقه ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم مائع في الشرع لصالح دينوية

في نسبها قال عليه السلام « النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة (١) » والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا تخاف لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما أو فاسقا أو مبتدعا أو شاربا خمر فقد جنى على دينه وتعرض لخطأ الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال بمن يتقى الله فان أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها وقال عليه السلام « من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها (٢) » .

الباب الثالث : في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة .

أما : الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتأديب في الذنوز والوقوع والولادة والمفارقة بالطلاق . الأدب الأول الوليمة وهي مستحبة قال أنس رضي الله عنه « رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال ما هذا فقال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة (٣) » وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به (٥) » ولم يرفعه إلا زياد ابن عبد الله وهو غريب وتستحب تهنيته فيقول من دخل على الزوج : بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير (٦) وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك ويستحب إظهار النكاح قال عليه السلام « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت (٧) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف (٨) » وعن الربيع بنت معوذ قالت « جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة بني بى جلس على فراشي وجويزات لنا يضربن بدفون ويندن من قتل من أبائي إلى أن قالت إحداهن * فإنا نبي يعلم ما في غد * فقال لها اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها (٩) » . الأدب الثاني : حسن الخلق معهن

(١) حديث النكاح رق فليُنظر أحدكم أين يضع كريمة رواه أبو عمر التوفاني في معاشرة الأهلين موقوفا على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر . قال البيهقي وروى ذلك مرفوعا والموقوف أصح (٢) حديث من زوج كريمة من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح .

(الباب الثالث في آداب المعاشرة)

(٣) حديث أنس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف أثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك أولم ولو بشاة متفق عليه (٤) حديث أولم على صفية بسويق وتمر الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم (٥) حديث طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن مع مع الله به قال المصنف لم يرفعه إلا زياد بن عبد الله قلت هكذا قال الترمذي بعد أن أخرجه من حديث ابن مسعود وضعفه (٦) حديث أبي هريرة في تهنيته الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وتقدم في الدعوات (٧) حديث فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب (٨) حديث أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي (٩) حديث الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني بى جلس على فراشي وجويزات لنا يضربن بدفونهن الحديث رواه البخاري وقال يوم بدر وقع في بعض نسخ الإحياء يوم يمات وهو وم .

فإذا يشكر النكر
لبس الحرقة على طاب
صادق في طلبه بتقص
شيخا بحسن ظن
وعقيد يحكمه في نفسه
لمصالح دينه يرشده
ويهديه ويعرفه طريق
للايجاد ويصره
بآفات النفوس وفساد
الأعمال ومداخل
العدو فيسلم نفسه
إليه ويستسلم لرأيه
واستصوابه في جميع
تصاريفه فيلبسه الحرقة
إظهارا للتصرف فيه
فيكون لبس الحرقة
علامة التفويض
والتسليم ودخوله في
حكم الشيخ دخوله
في حكم الله وحكم رسوله
وإحياء سنة البايعة
مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم . أخبرنا
أبو زرعة قال أخبرني
والذي الحافظ المقدسي
قال أنا أبو الحسين
أحمد بن محمد البزار
قال أنا أحمد بن محمد
أخي ميمى قال ثنا يحيى
ابن محمد بن صاعد

واحتال الأذى منهن ترهما عليهن لقصور عقولهن قال الله تعالى - وعاشروهن بالمعروف - وقال في تعظيم حقهن - وأخذن منكم ميثاقا غليظا - وقال - والصاحب بالجنب - قيل هي المرأة « وآخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه وخفي كلامه جعل يقول : الصلاة الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ^(١) » وقال عليه السلام « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون ^(٢) » . واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل ^(٣) وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكهانة قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك ^(٤) فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال لحفصة لا تقترى بأبنة ابن أبي قحافة فاتها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه السلام دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك ^(٥) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتتكلم قالت بل تكلم أنت ولا تغل إلا حقا فطمعها أبو بكر حتى دمی فوها وقال بإعديتها نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا ^(٦) وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي زعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حذرا وكرما ^(٧)

(١) حديث آخر ما وصي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم الحديث النسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الموت جعل يقول الصلاة وماملكت أيمانكم فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواء مسلم من حديث جابر الطويل وفيه فالتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله الحديث (٢) حديث من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يراجعنه الحديث وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل متفق عليه من حديث عمر في الحديث الطويل في قوله تعالى - فان نظاهرا عليه - (٤) حديث وراجعت امرأة عمر في الكلام فقال أتراجعيني بالكهانة قالت إن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك الحديث هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكهانة ولا قولها هو خير منك (٥) حديث دفعت إحداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه وسلم دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك لم أقف له على أصل (٦) حديث جرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر حكما الحديث الطبراني في الأوسط والحطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف (٧) حديث قالت له عائشة مرة غضبت عنده وأنت الذي زعم أنك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة وفيه ابن اسحاق وقد عنعنه .

قال ثنا عمرو بن علي
ابن حفظة قال سمعت
عبد الوهاب الثقفي
يقول سمعت يحيى
ابن سعيد يقول حدثني
عبادة بن الوليد بن
عبادة بن الصامت قال
أخبرني أبي عن أبيه
قال « يا عمار رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
السمع والطاعة في
الصبر والبسر والنشاط
والمكره وأن لا تنازع
الأمر أهله وأن تقول
بالحق حيث كنا ولا
تخاف في الله لومة لائم »
في الحرقة معنى البياضة
والحرقة عتبة الدخول
في الصعبة والقصود
الكلى هو الصعبة
وبالصعبة يرجى للمريد
كل خير . وروى عن
أبي يزيد أنه قال من لم
يكن له أستاذ فإمامه
الشیطان . وحكى
الأستاذ أبو القاسم
القشيري عن شيخه
أبي علي الدقاق أنه قال
الشجرة إذا نبتت
بنفسها من غير غارس

وكان يقول لها إني لأعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه ؟ قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أهبك اسمك (١) ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها (٢) وكان يقول لها كنت لك كأني زرع لأم زرع غير أنه لا أطلقك (٣) وكان يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها (٤) » وقال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان (٥) . الثالث أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والزرع والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في المدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك (٦) وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه وسلم من أفكك الناس مع نسائه (٧) وقالت عائشة رضي الله عنها « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ آتبعين أن ترى لعبهم ؟ قالت قلت نعم فأرسل إليهم فجهأوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظروا جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم قل يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا (٨) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا والطفهم بأهلهم (٩) » وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي (١٠) »

(١) حديث كان يقول لعائشة إني لأعرف غضبك من رضاك الحديث متفق عليه في حديثها .
(٢) حديث أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة الشيخان من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة الحديث وأما كونه أول فرواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أول مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة وإلا فحجة النبي صلى الله عليه وسلم للحديجة أمر معروف يشهد له الأحاديث الصحيحة (٣) حديث كان يقول لعائشة كنت لك كأني زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب (٤) حديث لا تؤذوني في عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا في لحاف امرأة منكمن غيرها البخاري من حديث عائشة (٥) حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان منم بلفظ ما رأيت أحدا كان أرحم بالعبال من رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد على ابن عبد العزيز والبغوي والصبيان (٦) حديث مسابقتها صلى الله عليه وسلم لعائشة فسبقتها ثم سبقها وقال هذه بتلك أبو داود والنسائي من الكبرى وابن ماجه في حديث عائشة بسند صحيح (٧) حديث كان من أفكك الناس مع نسائه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله مع نسائه ورواه البراز والطبراني في الصغير والأوسط فقالا مع صبي وفي إسناده ابن أبي عمير (٨) حديث عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آتبعين أن ترى لعبهم الحديث متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء وإنما قال يوم عيد ودون قولها اسبكت وفي رواية للنسائي في الكبرى . قلت لا تعجل مرتين وفيه فقال يا حيراء وسنده صحيح (٩) حديث أكل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا والطفهم بأهلهم الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال رواه ثقات على شرط الشيخين (١٠) حديث خياركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله وأنا خيركم لنسائي وله من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لأهلهم وأنا خيركم.

لها توري ولا شمر
وهو كما قال ويجوز أنها
شمر كالشجار التي
في الأودية والجبال
ولكن لا يكون
لها كهنتها طعم فأكهة
البساتين والقرى إذا
نقل من موضع إلى
موضع آخر يكون
أحسن حالا وأكثر
ثمرة له دخول التصرف
فيه وقد اعتبر الشرع
وجود التلميح في
الكذب العلم وأحل
ما يقتله بخلاف غير
العلم . ونسخت كثيرا
من الشايع يقولون من
لم يرمقها لا يفلح ولنا
في رسول الله صلى الله
عليه وسلم أسوة حسنة
وأصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم تلقوا
العلوم والآداب من
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كما روى
عن بعض الصحابة
« علنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل شيء
حق الخراء » فالمريد
الصادق إذا دخل تحت

وقال عمر رضى الله عنه مع خشوته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً . وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعامل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلاً وفي تفسير الخبر الروى « إن الله يفيض الجمظري الجواظ (١) » قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى عتق قيل العتد هو اللفظ اللسان الغليظ القلب على أهله . وقال عليه السلام لجابر « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (٢) » ووصفت أعرابية زوجها وقدمات فقالت والله لقد كان ضحوكاً إذا ولح سكينتا إذا خرجت كلا ما وجد غير مسائل عما فقد . الرابع : أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق والواقعة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عندها بل يراعى الاعتدال فيه فلا يدع الهية والاتقياض مهما رأى منكراً ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات أثبتة بل مهما رأى ما يخالف الشرع والروعة تمر وامتنع قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيأتى بهوى إلا كبه الله في النار . وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل غاوروهن وخالفوهن وقد قال عليه السلام « نفس عبد الزوجة (٣) » وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد نفس فإن الله ملكة المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال - ولأمرهم فليغيرن خلق الله - إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيدياً فقال تعالى - وألفيا سيدها لدى الباب - فإذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً ونفس المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً وإن أرخيت عذارها قرأ جذبتك ذراعاً وإن كبحتها وشدت يدك عليها في عمل الشدة ملكتها . قال الشافعي رضى الله عنه : ثلاثة إن أكرمهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والحامد والنبطى أراد به إن محضت الإكرام ولم تنزع غلظتك بدينك وفظاظتك برهقك وكانت نساء العرب يملن بناتهن اختبار الأزواج وكانت المرأة تقول لا بنتها اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه انزعى زوج رحمه فإن سكت قطعتي اللحم على ترسه فإن سكت فكسرى العظام بسينه فإن سكت فاجعلى الا كاف على ظهره وامتنطيه فأنما هو حمارك وعلى الجلة فبالعدل قامت السموات والأرض فكل ما حاوز حده انعكس على ضده فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد في المخالفة والواقعة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة . وقال عليه السلام « مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب (٤) » والأعصم بفتح الألف والضم والبطن وفي وصية لقمان لابنه يابن اتق المرأة السوء فإنها تشبيك

(١) حديث إن الله يفيض الجمظري الجواظ أبو بصير بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنى هرة بسند ضعيف وهو في الصحيحين من حديث جارية بن وهب الخزاعي بلفظ ألا أجزمكم بأهل النار كل عتق جواظ مستكبر ولأبي داود لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجمظري (٢) حديث قال لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٣) حديث نفس عبد الزوجة لم أقفله على أصل والمعروف نفس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث رواه البخارى من حديث أبي هريرة (٤) حديث مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم من مائة غراب الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف ولأحمد من حديث عمرو بن العاص كناعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحر الظهران فإذا بغريان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هاهم الغرآن وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي .

حكم الشيخ وصحبه وتأديب بأدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المرید كسراج يقتبس من سراج وكلام الشيخ يلقح باطن المرید ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال وينتقل الحال من الشيخ إلى المرید بواسطة الصحبة وسماع المقال ولا يكون هذا إلا لمرید حضر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفي في الشيخ بترك اختيار نفسه فبالأناف الإلهى يصير بين صاحب والصحاب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية ثم لا يزال المرید مع الشيخ كذلك متأديباً بترك الاختيار حتى يرتقى من ترك الاختيار مع الشيخ إلى ترك الاختيار مع الله تعالى وبفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ ومبدأ

قبل الشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر . وقال عليه السلام « استعينوا من الفواقر الثلاث ^(١) » وعد منهن المرأة السوء فانها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر « إن دخلت عليها سبتك وإن غبت عنها خاتك » وقد قال عليه السلام في خيرات النساء « إنكن صواحبات يوسف ^(٢) » يعني أن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى وقال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما أي مالت وقال ذلك في خير أزواجه ^(٣) وقال عليه السلام « لا يفلح قوم تملكهم امرأة ^(٤) » وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال ماأنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والحشونة علاج الشر واللطاية والرحمة علاج الضعف فالطبيب الحاذق هو الذي يدر العلاج بقدر الداء فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها . الخامس : الاعتدال في الغيرة وهو أن لا يتعاضل عن مبادئ الأمور التي تغطي غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنّت وتحسس البواطن قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء ^(٥) وفي لفظ آخر أن تبغ النساء ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء ليلا تخافن رجلا فسبقا فرأى كل واحد في منزله ما يكره ^(٦) وفي الخبر للشهور « المرأة كالضلع إن قومته كسرته فدعه تستمع به على عوج ^(٧) » وهذا في تهذيب أخلاقها وقال عليه السلام « إن من الغيرة غيرة يفيضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية ^(٨) » لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه فإن بغض الظن لثم وقال على رضي الله عنه لا تسكر الغيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك وأما الغيرة في محلها فلا بد منها وهي محمودة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يبارر المؤمن يبارر وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم عليه ^(٩) » وقال عليه السلام « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغبر منه والله أغبر مني ^(١٠) »

(١) حديث استعينوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المرأة السوء فانها الشيبة قبل الشيب وفي لفظ آخر أن دخلت عليها لسبتك وإن غبت عنها خاتك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر وذكر منها وامرأة إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خاتك وسنده حسن (٢) حديث إنكن صواحبات يوسف متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث نزول قوله تعالى إن تتوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما في خير أزواجه متفق عليه من حديث عمر والرافان عائشة وحفصة (٤) حديث لا يفلح قوم تملكهم امرأة البخاري من حديث أبي بكره نحوه (٥) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتبع عورات النساء الطبراني في الأوسط من حديث جابر نهى أن تطلب عورات النساء والحديث عند مسلم بلفظ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلا يخونهم أو يطلب عوراتهم واقتصر البخاري منه على ذكر النهي عن الطروق ليلا (٦) حديث أنه قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا أهلكم ليلا تخافن رجلا فسبقا فرأى كل واحد في بيته ما يكره أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد (٧) حديث المرأة كالضلع إن أردت تقيمه كسرته الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث غيرة يفيضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير رية أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر ابن عتيك (٩) حديث الله يبارر المؤمن يبارر وغيره الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن من محرم الله عليه متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري والمؤمن يبارر (١٠) حديث أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغبر منه والله أغبر مني الحديث متفق عليه من حديث الغيرة بن شعبة .

هذا الخبر كله الصحة
واللازمة للشيخ
والحرقة مقدمة ذلك
ووجه لبس الحرقة من
السة ما أخبرنا الشيخ
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ أني الفضل
للقدس قال أنا أبو بكر
أحمد بن علي بن خلف
الأديب النيسابوري
قال أنا الحاكم أبو
عبد الله محمد بن
عبد الله الحافظ قال
أنا محمد بن اسحاق قال
أنا أبو مسلم إبراهيم بن
عبد الله الصري قال
أنا أبو الوليد قال أنا
اسحاق بن سعيد قال
أنا أي قال حدثني
أم خالد بنت خالد قالت
« أتى النبي عليه السلام
بثياب فيها خمصة
سوداء صغيرة فقال
من ترون أكوهذه ؟
فكف القوم فقال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتوني بأمر
خالد قالت فأتني
فألبسنيها يده فقال
أبلى وأخلق يحوها

ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش مظهر ومباطن ولا أحد أسب إليه العذر من الله ولذلك بحث للتدبرين والبشرى ولا أحد أحب إليه الدخ من الله ولأجل ذلك وعد الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية قفلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله (١) » وكان الحسن يقول أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن من الفيرة ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يفضه الله فأما الفيرة التي يحبها الله فالفيرة في الرية والفيرة التي يفضها الله فالفيرة في غيرية والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة والاختيال الذي يفضه الله الاختيال في الباطن (٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب (٣) » والطريق القبيح عن الفيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة عليها السلام « أي شيء خير للمرأة ؟ قالت أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها إليه وقال ذرية بعضها من بعض (٤) » فاستحسن قولها وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب في الحيطان كذا تطلع النسوان إلى الرجال ورأى معاذ امرأة تطلع في الكوة فضرها ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه فتفاحه قد أكلت منها فضرها وقال عمر رضي الله عنه أعرأ النساء يلزمن الرجال وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة وقال عودوا نساءكم لا وكان قد أدن رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء في حضور السجد (٥) والصواب الآن النع إلا الصائز بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها : لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لممنهن من الخروج (٦) . ولما قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لتمنهن فضره وغضب عليه وقال تمنعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فقول بلى (٧) » وإنما استجراً على مخالفة لعله بشير الزمان وإنما غضب عليه

(١) حديث رأيت ليلة أسرى بي في الجنة قصرا وبضائه جارية قفلت لمن هذا القصر فقيل لعمر الحديث متفق عليه من حديث جابر دون ذكر ليلة أسرى بي ولم يذكر الجارية وذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيتني في الجنة الحديث (٢) حديث إن من الفيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يفضه الله تعالى الحديث أبو داود والنسائي وابن جابر من حديث جابر بن عتيك وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث (٣) حديث إني لغيور وما من امرئ لا يغار إلا منكوس القلب تقدم أوله وأما آخره فرواه أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين من رواية عبد الله بن محمد مرسلا والظاهر أنه عبد الله بن الحنفية (٤) حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بنته فاطمة أي شيء خير للمرأة فقالت أن لا ترى رجلا الحديث [١] البزار والدارقطني في الأفراد من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث الإذن للنساء في حضور المساجد متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد (٦) حديث قالت عائشة لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لممنهن من الخروج متفق عليه قال البخاري لممنهن من المساجد (٧) حديث ابن عمر لا تمنعوا إماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله الحديث متفق عليه .

[١] بهامش النسخة الصحيحة : قلت وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما خير للنساء فلم ندر ما تقول فصار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت فمأقلت له خير لمن أن لا يرى الرجال ولا يراها رجل فرجع فأخبره بذلك فقال له من علمك هذا قال فاطمة قال إنها بضعة مني .

مرتين وجعل ينظر إلى علم في الخيمة أصفر وأحمر ويقول يا أم خالد هذا سناء . والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولا يخفى أن لبس الحرقة على الهيئة التي تشتملها الشيوخ في هذا الزمان لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وأصله من الحديث فلرويته والشاهد لذلك أيضا التحكيم الذي ذكرناه وأي اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم أم وأكده من الاقتداء به في دعاء الخلق إلى الحق وقد ذكر الله تعالى في كلامه القديم تحكيم الأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحكيم للرشد شيخه إحياء سنة ذلك التحكيم قال الله تعالى - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

لإطلاقة اللفظ بالخالفه ظاهرا من غير إظهار المدرو كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن لمن في الأعياد خاصة أن يخرج من البيت (١) ولكن لا يخرج إلا برضا أزواجهن والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم وينبغي أن لا يخرج إلا لمهم فان الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة قدح في الروعة وربما نفى إلى القصد فإذا خرجت فينبى أن تقض بصرها عن الرجال ، ولنا قول إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حق بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا إثم بل يزل الرجل على ممر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن منتقيات ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالانتقب أو منعن من الخروج إلا لضرورة . السادس : الاعتدال في النفقة فلا ينبغي أن يكثر عليهن في الاتفاق ولا ينبغي أن يسرف بل يقتصد قال تعالى - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وقال تعالى - ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط - وقد قال رسول الله ﷺ « خيركم خيركم لأهله » وقال صلى الله عليه وسلم « دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك » وقيل كان لعلى رضى الله عنه أربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم ، وقال الحسن رضى الله عنه كانوا في الرجال غصائب وفي الأثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالزوجة وكأن الخلاوة وإن لم تكن من اللهمات ولكن تزكها بالكلية فتتبر في العادة وينبى أن يأمرها بالتصدق بقايا الطعام وما يفسد لترك فهذا أقل درجات الخير وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج ولا ينبغي أن يستأثر عن أهله بما كوله طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن العاشرة بالمعروف فان كان مزما على ذلك فلما كلفه بحجة لا يعرف أهله ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد إطعامهم إياه وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته فقد قال سفيان رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإتفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل سوء لأجلها فان ذلك جناية عليها لأمراة لها وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح . السابع : أن يعلم الزوج من علم الحيف وأحكامها يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيف وما لا يقضى فانه أمر بأن يقبها النار بقوله تعالى - قوا أنفسكم وأهليكم نارا - فعليه أن يلقيها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها وخوفها في الله إن تساهت في أمر الدين ويعلمها من أحكام الحيف والاستحاضة ما يحتاج إليه وعلم الاستحاضة بطول فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه في أمر الحيف بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما انقطع دمها قبل المغرب بقدر ركة فعليه قضاء الظهر والعصر وإذا انقطع قبل الصبح بقدر ركة فعليه قضاء المغرب والعشاء وهذا أقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء وإن قصر علم الرجل ولكن ناب عنها في السؤال فأخبرها بجواب الفتى فليس لها الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويصلى الرجل بينهما ومهما علمت ما هو من الفرائض عاينها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تمام فضل إلا برضا

(١) حديث الإذن لمن في الأعياد متفق عليه من حديث أم عطية (٢) حديث خيركم خيركم لأهله الترمذي من حديث عائشة وصححه وقد تقدم (٣) حديث دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك مسلم من حديث أبي هريرة .

فيما شجر بينهم ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلوا تسليها وسبب نزول هذه الآية « أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم هو وآخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرمة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان به النخل فقال النبي عليه الصلاة والسلام للزبير : اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الرجل وقال قضي رسول الله لابن عمته » فأزول الله تعالى هذه الآية يعلم فيها الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط عليهم في الآية التسليم وهو الانقياد ظاهره ونفي الجرح وهو الانقياد باطنا وهذا شرط للمريد مع الشيخ بهد التحكيم قلبه الحرقه يزيل اهتمام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه ويحذر

ومهما أهملت المرأة حكما من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلما الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الأثم . الثامن : إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهما ولا يميل إلى بعضهن فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أفرغ بينهما ^(١) كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ظلم امرأة بليتها قضى لها فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحدثه مائل ^(٢) » وإنما عليه العدل في العطاء والبيت وأما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تعالى - ولئن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصن - أي لاتعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهما في العطاء والبيت وفي البالي ويقول : اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما علك ولا أملك ^(٣) » يعني الحب وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نساءه إليه ^(٤) وسائر نساءه يعرفن ذلك « وكان يطاق به محمولا في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول ابن أناسا ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت إنما يسأل عن يوم عائشة فقلنا يا رسول الله قد أذا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال وقدرتني بذلك قلتي نعم قال فعولوني إلى بيت عائشة ^(٥) » ومهما وهبت واحدة ليتها لصاحبها ورضى الزوج بذلك ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نساءه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحضر في زمرة نساءه فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة لبتين ولسائر أزواجه ليلة ^(٦) ولكنه صلى الله عليه وسلم لحسن عدله وقوته كان إذا تافقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجاءها طاف في يومه أو ليلته على سائر نساءه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نساءه في ليلة واحدة ^(٧) وعن أنس أنه عليه السلام

(١) حديث الشريعة بين أزواجه إذا أراد سفره مذهب عليه من حديث عائشة (٢) حديث من كان له امرأتان قال إلى إحداها دون الأخرى وفي لفظ آخر لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحدثه مائل أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة قال أبو داود وابن حبان قال مع إحداها وقال الترمذي فلم يعدل بينهما (٣) حديث كان يعدل بينهما ويقول اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقتي فيما علك ولا أملك أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه (٤) حديث كانت عائشة أحب نساءه إليه متفق عليه من حديث عمرو بن العاص أنه قال أي الناس أحب إليك يا رسول الله قال عائشة وقد تقدم (٥) حديث كان يطاق به محمولا في مرضه كل يوم وليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول ابن أناسا ففطنت لذلك الحديث ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ كان يحمل في ثوب يطاق به على نساءه وهو مريض يقسم بينهما وفي مرسل آخر له لما نقل قال أين أنا غدا قالوا عند فلانة قال فأين أنا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة الحديث وللبخاري من حديث عائشة كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما نقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيت فأذن له (٦) حديث كان يقسم بين نساءه فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليتها لعائشة الحديث أبو داود من حديث عائشة قالت سودة حين أسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله يوصي لعائشة الحديث وللطبراني فأراد أن يفارقها وهو عند البخاري بلفظ لما كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقي مرسل طلق سودة فقالت أريد أن أحضر في أزواجك الحديث (٧) حديث عائشة طاف على نساءه في ليلة واحدة متفق عليه بلفظ كنت أطيب رسول الله

الاعتراض على الشيوخ
فانه السام القاتل للمريدين
وقد أن يكون للمريد
يعترض على الشيخ يباطنه
فيفلح ويذكر المريد
في كل ما أشكل عليه
من تصارييف الشيخ
قصة موسى مع الخضر
عليه السلام كيف كان
يصدر من الخضر
تصارييف ينكرها
موسى ثم لما كشف
له عن معناها بان
لموسى وجه الصواب
فذلك فهكذا ينبغي
للمريدين يعلم أن كل
تصرف أشكل عليه
صحته من الشيخ
عند الشيخ فيه بيان
وبرهان للصحة ويد
الشيخ في لبس الحرقة
تنوب عن يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وتسليم للمريدين تسليم
له ورسوله قال الله
تعالى - إن الدين
يباعونك إنما يبيعون
الله بآله فوق أيديهم
فمن نكث فإنما ينكث
على نفسه - ويأخذ

طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار^(١)، التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما فإن كان من جانبها جميعا أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها فلا بد من تكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما - إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما - وقد ثبت عمر رضي الله عنه حكما إلى زوجين ضاد ولم يصلح أمرهما فملا به المرأة وقال إن الله تعالى يقول - إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما - ضاد الرجل وأحسن النية وتلطف بهما فأصلح بينهما وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوامون على النساء . فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهرا ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أولا الوعظ والتحذير والتخويف فإن لم ينفع ولاها ظهره في الضجع أو انفردها بالفرش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال فإن لم ينفع ذلك فيها ضربا غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جفا ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «ما حق للمرأة على الرجل؟ قال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت^(٢)» وله أن يضرب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أقأتك إذ ردت عليك هديتك^(٣) أي أذلتك واستصغرتك فقال صلى الله عليه وسلم: أنتن أهون على أقأتن ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن . المأثر: في آداب الجماع ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد أولا ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من سلبى وقال عليه السلام «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتا فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان^(٤)» وإذا قربت من الأزال قل في نفسك ولا تحرك شفتيك - الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا - الآية وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته ثم يحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالواقع إكراما للقبلة ولينفط نفسه وأهله بثوب «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأسه ويضع صوته ويقول للمرأة: عليك بالسكينة^(٥)» وفي الخبر «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين^(٦)» أي الحمارين ولتقدم التلطف بالكلام والتقبل

صلى الله عليه وسلم فيطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا (١) حديث أنس أنه طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار ابن عدى في الكامل والبخارى كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة (٢) حديث قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقيح الوجه ولا يضرب إلا ضربا غير مبرح ولا يهجرها إلا في البيت أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقيح وفي رواية لأبي داود ولا يقيح الوجه ولا تضرب (٣) حديث هجره صلى الله عليه وسلم نسائه شهرا لما أرسل بهدية إلى زينب فردتها فقالت له التي في بيتها لقد أقأتك الحديث ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد وفي الصحيحين من حديث عمر كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من مدة موجدته عليهن وفي رواية من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (٤) حديث لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث كان يغطى رأسه ويضع صوته ويقول للمرأة عليك بالسكينة الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف (٦) حديث إذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردان تجرد العيرين ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف .

الشيخ على المرید
عهد الوفاء بشرائط
الحرقه ويعرفه حقوق
الحرقه فالشيخ المرید
صورة يستشف المرید
من وراء هذه الصورة
الطالبات الإلهية
والراضى النبوية
ويستفد المرید أن
الشيخ باب فتحه الله
تعالى إلى جناب كرمه
منه يدخل وإليه يرجع
وينزل بالشيخ وسواحه
ومهامه الدينية
والدنيوية ويعتقد أن
الشيخ ينزل بالله
الكریم ما ينزل
المرید به ويرجع في
ذلك إلى الله المرید كما
يرجع المرید إليه
وللشيخ باب مفتوح
من الكلمة والمحادثة
في النوم واليقظة فلا
يتصرف الشيخ في
المرید بهواه فهو أمانة
الله عنده ويستغث
إلى الله بمخايج المرید
كما يستغث بمخايج
نفسه ومهام دينه ودنياه
قال الله تعالى - وما كان

قال صلى الله عليه وسلم «لا يمتحن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قبل وما الرسول يارسول الله قال القبله والكلام^(١)» وقال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه^(٢)» ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الأول والآخر والنصف يقال إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال إن الشياطين يجامعون فيها وروى كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليكنه تحقيقاً لأحد التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم «رحم الله من غسل واغتسل^(٣)» الحديث ثم إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هي أيضاً نهيتها فإن إنزالها ربما يتأخر فبيع شهورتها ثم القعود عنها إن شاء لها والاختلاف في طبع الأنزال يوجب التاخر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في وقت الإنزال الله عندها ليستغل الرجل نفسه عنها فأنهار بما تستحي وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل إذ عدد النساء أربعة لحاز التأخير إلى هذا الحد، نعم ينبغي أن يزداد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه وإن كان لا يثبت الطالبة بالوطء فذلك لعسر الطالبة والوفاء بها ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقضائه وقبل الفسل فهو محرم بنص الكتاب وقيل إن ذلك يورث الجذام في الولد وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير اللأني إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى والأذى في غير اللأني دائم فهو أشد محرماً من إتيان الحائض وقوله تعالى - فأتوا حرثكم أني شتمتم - أي أي وقت شتمتم وله أن يستمتع يديها وأن يستمتع بما تحت الأزار بما يشتهي سوى الوقاع وينبغي أن تنزّر المرأة بأزار من حقوها إلى فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في الضاجة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليفسل فرجه أولاً وإن احتلم فلا يجامع حتى يفسل فرجه أو يبول ويكره الجماع في أول الليل حتى لا ينال على غير طهارة فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أولاً وضوء الصلاة فذلك سنة قال ابن عمر «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ^(٤)» ولكن قد وردت في رخصة قالت عائشة رضي الله عنها «كان النبي ﷺ ينال جنباً لم يمسه ماء^(٥)» ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجهه فرائشه أو لينفضه فإنه لا يدرى ما حدث عليه بعده ولا ينبغي أن يحلق أو يقلم أو يستحذ أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً ويقال إن كل شعرة تطال به جنباً بها ومن الآداب أن لا يعزل بل لا يسهل إلا إلى محل الحث وهو الرحم فامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة^(٦) هكذا قال رسول الله ﷺ فان عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مبيح

لبشر أن يكاحه الله إلا
وحياً أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا -
فأرسل الرسول يخلص
بالأنبياء والوحى كذلك
والكلام من وراء
حجاب بالإلهام والمهواتف
والنالم وغير ذلك
للشيوخ والراسخين
في العلم . واعلم أن
للريدن مع الشيوخ
أوان ارتضاع وأوان
فطام وقد سبق شرح
الولادة المنوية فأوان
الارتضاع أوان لزوم
الصحة والشيخ يعلم
وقت ذلك فلا ينبغي
للريد أن يفارق
الشيخ إلا بإذنه قال
الله تعالى تأدياً للامة -
إنما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله وإذا
كانوا معه على أمر
جامع لم يذهبوا حتى
يستأذنوه إن الذين
يستأذنونك أولئك
الذين يؤمنون بالله
ورسوله فإذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن
لمن شئت منهم - وأى

(١) حديث لا يمتحن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر (٢) حديث ثلاث من العجز في الرجل أن يلقي من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه الحديث أبو منصور الديلمي من حديث أخضر منه وهو بعض الحديث الذي قبله (٣) حديث رحم الله من غسل واغتسل تقدم في الباب الخامس من الصلاة (٤) حديث ابن عمر قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أينام أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ متفق عليه من حديث أن عمر سأله لأن عبد الله هو السائل (٥) حديث عائشة كان ينال جنباً لم يمسه ماء أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال يزيد بن هارون إنه وم نقل البيهقي عن الحفاظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية (٦) حديث مامن نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة متفق عليه من حديث أبي سعيد .

مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل ومن قائل يباح في الملوكة دون الحرية والصحيح عندنا أن ذلك مباح وأما الكراهية فاتها تطلق لتبى التحريم ولتبى التنزيه وترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث أى فيه ترك فضيلة كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغا لا يشتغل بذكر أو صلاة ويكره للحاضر في مكة مقبائها أن لا يخرج كل سنة والراد بهذه الكراهية ترك الأولى والفضيلة تقطع وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله قتل (١) » وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خالقه وحبيه ومقويه على الجهاد والتقى إليه من التسبب فقد فعله وهو الواقع وذلك عند الإيماء في الرحم وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات التبى إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلا أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الإيلاج فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب منى ولا فرق إذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها أربعة أسباب النكاح ثم الوقوع ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأول وليس هذا كالإجهاض والوآد لأن ذلك جناية على موجود حاصل وله أيضا مراتب وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعصم لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية فإن صارت مضغة وعلقه كانت الجناية أوحش وإن نفخ فيه الروح واستوت الحلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الاتصال حيا وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث الخروج من الإحليل لأن الولد لا يتخلق من منى الرجل وحده بل من الزوجين جميعا إمامن مائه ومائتها أو من مائه ودم الحيض قال بعض أهل التشريع إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وإن الدم منها كاللبن من الرائب وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانقاده كالإشعة للبن إذ بها ينقد الرائب وكيفما كان فماء المرأة ركن في الانقاده فيجرى لما آن مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الزوج بعد رفا وفسخا وقطعا وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يترج بماء المرأة أو دمها فهذا هو القياس الجلي . فان قلت فإن لم يكن العزل مكروها من حيث إنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفى . فأقول النيات الباعثة عن العزل خمس : الأولى في السرارى وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العناق وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق ودفع أسبابه ليس بمنى عنه . الثانية استبقاء جمال المرأة ومنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق وهذا أيضا ليس منها عنه . الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء . وهذا أيضا غير منى عنه . فان قلت الحرج معين على الدين ، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضا للتوكل لا يقول إنه منى عنه . الرابعة الخوف من الأولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن من العرة كما كانت من عادة

(١) حديث إن الرجل ليجمع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله لم أجده أصلا .

أمر جامع أعظم من
أمر الدين فلا يأذن
الشيخ للمريد في
المفارقة إلا بعد علمه بأن
أن له أو أن القطام وأنه
يقدر أن يستقل بنفسه
واستقلاله بنفسه أن
يفتح له باب الفهم من
الله تعالى فإذا بلغ المريد
رتبة إنزال الحوائج
والهام بالله والفهم من
الله تعالى بتعريفاته
وتبنياته سبحانه
وتعالى لبعده السائل
الححتاج فقد بلغ أو أن
قطامه ومتى فارق قبل
أو أن القطام يناله من
الإعلال في الطريق
بالرجوع إلى الدنيا
ومتابعة الهوى ما ينال
القطوم لغير أو أنه في
الولادة الطبيعية وهذا
التلازم بصحة المشايخ
للمريد الحقيقي والمريد
الحقيقي يلبس خرقه
الإرادة . واعلم أن
الخرقة خرقتان خرقه
الإرادة وخرقة التبرك
والأصل الذي قصده
الشيخ للمريد خرقه

العرب في قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أمهم بها لا يترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المرأة في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يملوها رجل فكانت تنسبه بالرجال ولا ترجع السكره إلى عين ترك النكاح . الخامسة أن تمتنع المرأة لعزها ومباليتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الجوارح لمباكتنهن في استعمال اللبائس حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الحلاء إلا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها فيكون القصد هو الفساد دون منع الولادة . فان قلت قد قال النبي ﷺ « من ترك النكاح عذابة العيال فليس منا ثلاثاً (١) » . قلت فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل . فان قلت قد قال صلى الله عليه وسلم في العزل « ذاك الوأد الحفي وقرأ وإذا الموءودة سئلت (٢) » وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة (٣) في الإباحة وقوله الوأد الحفي كقوله الشراك الحفي وذلك يوجب كراهة لا تحريماً . فان قلت قد قال ابن عباس العزل هو الوأد الأصغر فان المنوع وجوده به هو الموءودة الصغرى . قلنا هذا قياس منه دفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف ولذلك أنكره عليه رضي الله عنه لما سمعه قال ولا تكون موءودة إلا بعد سبع أي بعد الأخرى سبعة أطوار وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين - إلى قوله - ثم أنشأناه خلقاً آخر - أي نفخنا فيه الروح ، ثم تلا قوله تعالى في الآية - وإذا الموءودة سئلت وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في القوس على المائى ودرك العلوم كيف وفي الاتفاق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال « كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل » وفي لفظ آخر « كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا (٤) » وفيه أيضاً عن جابر أنه قال « إن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسائقتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال عليه الصلاة والسلام اعزل عنها إن شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبثت الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال إن الجارية قد حملت فقال قد قلت سيأتيها ما قدر لها (٥) » كل ذلك في الصحيحين . الحادى عشر : في آداب الولادة وهي خمسة : الأول أن لا يكثر فرجه بالذكر وحزنه بالأشئ فانه لا يدرى الحيرة له في أيهما فك من صاحب ابن يثمن أن لا يكون له أو يثمن أن يكون بنتاً بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل

(١) حديث من ترك النكاح عذابة العيال فليس منا تقدم في أوائل النكاح (٢) حديث قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الوأد الحفي مسلم من حديث جذامة بنت وهب (٣) حديث أحاديث إباحة العزل مسلم من حديث أبي سعيد أنهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم أن لا تفعلوه ورواه النسائي من حديث أبي هريرة وأبي صرمة وللشيخين من حديث جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وللنسائي من حديث أبي هريرة سئل عن العزل فقيل اليهود تزعم أنها الموءودة الصغرى فقال كذبت يهود . قال البيهقي رواية الإباحة أكثر وأحفظ (٤) حديث جابر المتفق عليه في الصحيحين كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا هو كما ذكر متفق عليه إلا أن قوله فلم ينهنا انفرد بها مسلم (٥) حديث جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن لي جارية هي خادمتنا وسائقتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال اعزل عنها إن شئت الحديث ذكر المصنف أنه في الصحيحين وليس كذلك وإنما انفرد به مسلم .

الإرادة وخرقة التبرك تشبه بخرقة الإرادة فخرقة الإرادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرك للمتشبه ومن تشبه يقوم فهو منهم وسر الخرقه أن الطالب الصادق إذا دخل في صحبة الشيخ وسلم نفسه وصار كالولده الصغير مع والد يريه الشيخ بمله الستمد من الله تعالى بصدق الاقتدار وحسن الاستقامة ويكون للشيخ نفوذ بصيرته الإشراف على البواطن قد يكون للمريد يلبس الحشن كتياب للتشفيين للترهدين وله في تلك الهيئة من اللبوس هوى كامن في نفسه ليرى بين الزهادة فأشد ما عليه لبس الناعم وللنفس هوى واختيار في هيئة مخصوصة من اللبوس في قصر الكم والقيل وطوله وخشونته ونعومتها على

قال صلى الله عليه وسلم «من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاها وأسبغ عليها من
النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة» (١) وقال ابن عباس رضي الله عنهما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهن إلا أدخلته الجنة» (٢)
وقال أنس قال رسول الله ﷺ «من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهن كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين» (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خرج إلى سوق من أسواق
المسلمين فاشترى شيئا فحمله إلى بيته غصص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه
لم يصدبه» (٤) وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل طرفة من السوق إلى عياله
فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليداً بالاناث قبل الذكور فانه من فرح أنى فكأنما بكى
من خشية الله ومن بكى من خشية حرم الله بدنه على النار» (٥) وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
«من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن
قال رجل وثنتان يا رسول الله؟ قال وثنتان قال رجل أو واحدة؟ فقال واحدة» (٦) . الأدب الثاني :
أن يؤذن في أذن الولد روى رافع عن أبيه قال «رأيت النبي ﷺ قد أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة
رضي الله عنها» (٧) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من ولده مولوداً فاذن في أذنه اليمنى
وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان» (٨) ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله
ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به الخبر (٩) . الأدب الثالث : أن تسميه اسم الحسن
فذلك من حق الولد وقال صلى الله عليه وسلم «إذا سميت فبدا» (١٠) وقال عليه الصلاة والسلام

(١) حديث من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وغذاها فأحسن غذاها الحديث الطبراني في
الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث ابن عباس
ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما يحبتهن إلا أدخلته الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح
الإسناد (٣) حديث أنس من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما يحبتهن كنت أنا وهو
في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين
وقال حسن غريب (٤) حديث أنس من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئا
فحمله إلى بيته غصص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه ومن نظر الله إليه لم يصدبه الخرائطي
بسند ضعيف (٥) حديث أنس من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة
الخرائطي بسند ضعيف جداً وابن عدى في الكامل وقال ابن الجوزي حديث موضوع (٦) حديث
أبي هريرة من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصر على لأوائهن الحديث الخرائطي واللفظ له والحاكم
ولم يقل أو أخوات وقال صحيح الإسناد (٧) حديث أبي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
أذن في أذن الحسين حين ولدته فاطمة أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنها قالوا
الحسن مكبراً وضعه ابن القطان (٨) حديث من ولده مولوداً فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى
رفعت عنه أم الصبيان أبو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة واليه في شعب الإيمان من
حديث الحسين بن علي بسند ضعيف (٩) حديث الختان في اليوم السابع الطبراني في الصغير من
حديث جابر بسند ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما
لسبعة أيام وإسناده ضعيف واختلف في إسناده فقيل عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن
جده (١٠) حديث إذا سميت فبدا الطبراني من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه معاذ
وصحح إسناده واليه في حديث عائشة .

قدر حبائها وهواها
فليبس الشيخ مثل
هذا الراكن لتلك
الهيئة ثوباً يكسر
بذلك على قسه هواها
وغرضها وقد يكون
على الريد ملبوس ناعم
أو هيئة في اللبوس
تشرّب النفس إلى تلك
الهيئة بالعادة فليبس
الشيخ ما يخرج النفس
من عاداتها وهواها
فتصرف الشيخ في
الملبوس كتصرفه في
المطعم وتكثرفه في
صوم الريد وإفطاره
وتكثرفه في أمر دينه
إلى ما يرى له من الصلحة
من دوام الذكر ودوام
التفكير في الصلاة ودوام
التلاوة ودوام الخدمة
وتكثرفه فيه برده
إلى السكسب أو الفتوح
أو غير ذلك فليشيخ
إشراف على البواطن
وتنوع الاستعدادات
قيام كل مريد من أمر
معاشه ومعاده بما
يصلح له وتنوع
الاستعدادات تنوعت

« أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ^(١) » وقال « سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي ^(٢) » قال العلماء كان ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم إذ كان ينادى بأب القاسم والآب فلا بأس نعم لا يجمع بين اسمه وكنته وقد قال صلى الله عليه وسلم ولا تجمعوا بين اسمي وكنتي ^(٣) » وقيل إن هذا أيضا كان في حياته وتسمى رجل أباعيسى فقال عليه السلام « إن عيسى لأب له ^(٤) » فيكره ذلك والسقط ينبغي أن يسمى قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراه أيه فيقول أنت ضيقتي وتركنتي لاسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن من الأسماء ما جمعها كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم « إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم ^(٥) » ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله أبدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعباد الله ^(٦) وكان اسم زينب بركة قال عليه السلام : تركي نفسها فجاهل زينب ^(٧) . وكذلك ورد التهي في تسمية أفصح ويسار ونافع وبركة ^(٨) لأنه يقال أتم بركة فيقال : لا . الرابع العقيقة عن الله كبر بشاتين وعن الأئمة بشاة ولا بأس بالشاة ذكرها كان أو أئمة وروى عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر في الفلام أن يبق بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة ^(٩) » وروى « أنه عرق عن الحسن بشاة ^(١٠) » وهذا رخصة في الانتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم « مع الفلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى ^(١١) » ومن السنة أن يتصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة قدر ورد فيه خبر « أنه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تخلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة ^(١٢) »

(١) حديث أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن مسلم من حديث ابن عمر (٢) حديث سموا باسمي ولا تكونوا بكنتي متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ تسموا (٣) حديث لا تجمعوا بين اسمي وكنتي أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر من سمى باسمي فلا يتكفى بكنتي ومن تكفى بكنتي فلا يتسمى باسمي . (٤) حديث إن عيسى لأب له أبو عمر التوفاني في كتاب معاشر الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف ولأبي داود أن عمر ضرب ابنه له تكفى أباعيسى وأنكر على النيرة بن شعبة تكفيه بأبي عيسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنان وإسناده صحيح (٥) حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسماءكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم أبو داود من حديث أبي الدرداء قال النووي بإسناد جيد وقال البيهقي إنه مرسل (٦) حديث بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعباد الله رواه البيهقي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء الزبدي بسند صحيح (٧) حديث قال صلى الله عليه وسلم لزينب وكان اسمها بركة تركي نفسها فجاهل زينب متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث التهي في تسمية أفصح ويسار ونافع وبركة مسلم من حديث حمزة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحا وله من حديث جابر أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهي أن يسمى يعلى وبركة الحديث (٩) حديث عائشة أمر في الفلام بشاتين مكافتين وفي الجارية بشاة الترمذي وصححه (١٠) حديث عرق عن الحسن بشاة الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده متصل ووصله الحاكم إلا أنه قال حسين ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشا (١١) حديث مع الفلام عقيقته فأهريقوا عنه دما وأمطبوا عنه الأذى البخاري من حديث سلمان ابن عامر الضبي (١٢) حديث أمر فاطمة يوم سابع حسين أن تخلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن وقال ليس إسناده متصل ورواه أحمد من حديث أبي رافع .

مراتب الدعوة قال الله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - بالحكمة رتبة في الدعوة والموعظة كذلك فمن يدعى بالحكمة لا يدعى بالموعظة ومن يدعى بالموعظة لا يصلح لدعوته بالحكمة فكذا الشيخ يعلم من هو على وضع الأبرار ومن هو على وضع القريين ومن يصلح لدوام الذكر ومن يصلح لدوام الصلاة ومن له هوى في التفتن أو في التتم فيخلق للريدين عادة ويخرجه من مضيق هوى نفسه ويطمعه باختياره ويلبسه باختياره ثوبا يصلح له وهيئة تصلح له ويدأوى بالحسرة والهيئة المخصوصة داء هواه ويتوخى بذلك تقريره

قالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم . الخامس أن يحنكه بتمر أو حلوة وروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت « ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه ^(١) » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمر ثم دعا له وبركة عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام فخر حوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتم فلا يولد لكم . الثاني عشر : في الطلاق وليعلم أنه مباح ولكنه أفضح للباحت إلى الله تعالى وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل ومهما طلقها قد آذاها ولا يباح إيذاء الغير إلا بخيانة من جانبها أو بضرورة من جانبها قال الله تعالى - فإن أظعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً - أي لا تطلبوا أحبة لافراق وإن كرهها أبوه فليطلقها قال ابن عمر رضي الله عنهما « كان بحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك ^(٢) » فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا تعرض فاسد مثل عمر ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين قال ابن مسعود في قوله تعالى - ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة - مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا أزيد به في العدة ولكنه تنبيه على القصود وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال ويكرم للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى فان ذلك إحجاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع قال تعالى - فلا جناح عليهما فيما اتفقت به - فرد ما أخذته فما دونه لائق بالعداء فان سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آتمة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة ^(٣) » وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وفي لفظ آخر أنه عليه السلام قال « المحتلمات هن النافقات ^(٤) » ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور . الأول أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقفاً لما فيه من تطويل المدة عليها فان فعل ذلك فليراجعها « طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال صلى الله عليه وسلم لمرء : مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها فذلك المدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ^(٥) » وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لتلايكون مقصود الرجعة الطلاق فقط . الثاني : أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لأن الطلقة الواحدة بعد المدة تفيد القصد ويستفيد بها الرجعة إن ندم في المدة وتجديد النكاح إن أراد بعد المدة وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوجها مهلاً وإلى الصبر مدة وعند المهل منى عنه ويكون هو السامح فيه ثم يكون قلبه مطلقاً بزوجة الغير وتطليقه أعنى زوجة المهل بعد أن تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيراً من الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في القصد من غير محذور ولست

(١) حديث أسماء ولدت عبد الله بن الزبير بقاء ثم أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمر فضعها ثم نفل في فيه الحديث متفق عليه (٢) حديث ابن عمر كانت تحق امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فأمرني بطلاقها الحديث أصحاب السنن قال ت حسن صحيح (٣) حديث أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة وفي لفظ فالجنة عليها حرام أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان (٤) حديث المحتلمات هن النافقات النسائي من حديث أبي هريرة وقال لم يسمع الحسن من أبي هريرة قال ومع هذا لم أسمعه إلا من حديث أبي هريرة قلت رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر بسند ضعيف (٥) حديث طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرء مره فليراجعها الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى رضا مولاه فالمرید
الصادق المتهب باطنه
بنار الإرادة في يده أمره
وحدة إرادته كالملسوع
الحريص على من يرقه
ويداويه فإذا صادف
شيخاً انبث من باطن
الشيخ صدق الصاية
به لاطلاعه عليه
وينبث من باطن
المرید صدق الهبة
بتألف القلوب وتسام
الأرواح وظهور سر
السابقة فيهما باجتماعهما
لله وفي الله وبالله
فيكون القميص الذي
يلبس المرید خرقه
تبشر المرید بحسن
عناية الشيخ به فيعمل
عند المرید عمل قميص
يوسف عند يعقوب
عليهما السلام . وقد
نقل أن إبراهيم
الحليل عليه السلام
حين ألقى في النار جرد
من ثيابه وقذف في
النار عرياناً فأنجاه جبريل
عليه السلام بقميص
من حرير الجنة
وألبسه إياه وكان ذلك

أقول الجع حرام لكنه مكروه بهذه المعاني وأعني بالكرهية تركه النظر لنفسه . الثالث أن يتألف في العمل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف وتطبيب قلبها بهدية على سبيل الإمتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق قال تعالى - ومتعوهن - وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح . كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا ومنكاحا ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم فعمل قضا رجع إليه قال ماذا فعلتا قال أما إحداها فنكست رأسها وتكست وأما الأخرى فبكت واتسجت وصمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها . ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت للث عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فدخل عليه الحسن في بيته فظلمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال ألا أرسلت إلي فكننت أجيئك فقال الحاجة لنا قال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال والله ما لي وجه الأرض أحد يمشي عليها أحر علي منك ولكنتك تعلم أن ابني بضعة مني يسوؤني ما يسوؤها ويسرني ما يسرها وأنت مطلق فأخاف أن تطلقها وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك فأنت بضعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت أن لا تطلقها زوجتك فنكست الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول : ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا في عنقي . وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه فكان يستدر منه على اللبن ويقول في خطبته : إن حسنا مطلقا فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا أمير المؤمنين لننكحه ما شاء فان أحب أمسك وإن شاء ترك فسر ذلك عليا وقال :

لو كنت بوابا على باب الجنة قلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه فهذه الواقعة قبيحة بل الأدب المخالفة ما أمكن فان ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دأبه والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح وقد وعد الله تعالى في الفراق والنكاح جميعا فقال - وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغفر الله من فضله - وقال سبحانه وتعالى - وإن يفرقا بض الله كلا من سعته - . الرابع : أن لا يفتي سرها لافي الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم ^(١) . وروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريك فيها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم تطلقها قال مالي ولا امرأة أخرى فهذا بيان ما على الزوج .

(القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها)

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعلها طاعة الزوج مطلقا في كل ما يطلب منها في نفسها بمالامسية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم : « يا أيها المرأة ماتت وزوجها عنها راض دخل الجنة » ^(٢) . « وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل

(١) حديث الوعيد في إفشاء سر المرأة مسلم من حديث أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفتي سرها (٢) حديث أبي أمامة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة الترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم سلمة .

عند إبراهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات ورثه يعقوب فجعل يعقوب عليه السلام ذلك القميص في تمويذ وجهه في عنق يوسف فكان لا يفارقه لما ألقى في البئر عريانا جاءه جبريل وكان عليه التمويذ فأخرج القميص منه وألبسه إليه . أخبرنا الشيخ العالم رضي الله عن أحمد ابن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس قال أنا القاضي محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد قال أخبرني ابن فنجويه الحسين بن محمد قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا الحسن بن علي قال ثنا اسمعيل بن عيسى قال ثنا اسحق بن بشر عن ابن السدي عن أبيه عن مجاهد قال كان يوسف عليه السلام أعلم بالله تعالى

من الملو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل ففرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في التزول إلى أبيها فقال **عليه السلام** : أطيعي زوجك ففأتها فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ^(١) . وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » ^(٢) وأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال « حاملات والداك مرضعات رحيات بأولادهن لولا ما بين أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، قلن لم يارسول الله ؟ قال يكفرن القرآن ويكفرن العشير » ^(٤) . يعني الزوج للعشير وفي خبر آخر « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قلت أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران » ^(٥) . يعني الحلى ومصبغات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها « أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال : لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فإنه خير » ^(٦) قال ابن عباس « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال : إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بئر لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنته الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » ^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » ^(٨) .

(١) حديث كان رجل خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من الملو إلى السفلى وكان أبوها في السفلى ففرض الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال غفر لأبيها (٢) حديث إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها الحديث ابن حبان من حديث أبي هريرة (٣) حديث ذكر النساء فقال حاملات والداك مرضعات الحديث ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي أمامة دون قوله مرضعات وهي عند الطبراني في الصغير (٤) حديث اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٥) حديث اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء قلت أين النساء قال شغلن الأحرار الذهب والزعفران أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف وقال الحرير بدل الزعفران ولمسلم من حديث عزة الأشجعية ويد للنساء من الأحرار بن الذهب والزعفران وسنده ضعيف (٦) حديث عائشة أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله إني فتاة أخطب وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة الحديث الحاكم وصححه إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله بلى تزوجي فإنه خير ولم أره من حديث عائشة (٧) حديث ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج الحديث البيهقي مقتصر على شطر الحديث ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٨) حديث لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله والولد لأبيه فلم أره وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى .

من أن لا يعلم أن قبضه لا يرد على مقرب بصره ولصكن ذلك كان قيس إبراهيم وذكر ما ذكرناه قال فأمره جبرائيل أن أرسل بقميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى أو ستير إلا أصبح وعوفي فتكون الحرة عند الريد الصادق متحمة إليه عرف الجنة لما عنده من الاعتداد بالصحة لله ويرى لبس الحرة من عناية الله به وفضل من الله فأما خرقه التبرك فيطلبها من مقطوعة التبرك يرى القوم ومثل هذا لا يطالب بشرائط الصحة بل يوصى بلزوم حدود الشرع ومخالطة هذه الطائفة لتعود عليه بركتهم ويتأدب بأدابهم فسوف يرقى ذلك إلى الأهلية لخرقة الإرادة فعلى هذا خرقه التبرك مبذولة لكل طالب

وقال صلى الله عليه وسلم « أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في محض دارها وصلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في بيتها (١) » والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال عليه السلام « المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان (٢) » وقال أيضا « للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات (٣) » حقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والآخر ترك الطالبة عما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته كالأول وما عرفته رزاقولي رب رزاق يذهب الأكال ويقي الرزاق . وخطبت رابعة بنت اسماعيل أحمد بن أبي الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همه في النساء لشغلي بحالي فقالت إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت ما لا جزى من زوجي فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا إلى الله عز وجل فقال حتى أستاذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهى عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان في منزلنا كن من جسي فقي من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلا عن غسل بالأشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك إلى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة . ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادَه فإن أطعمت عن رضا كان لها مثل أجره وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر (٤) » ومن حقها على الوالدین تعليمها حسن العاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

(١) حديث أقرب ما تكون المرأة من ربها إذا كانت في قصر بيتها فان صلاتها في محض دارها أفضل من صلاتها في المسجد الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود بأول الحديث دون آخره وآخره رواه أبو داود مختصرا من حديثه دون ذكر محض الدار ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد وإسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه (٢) حديث المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود (٣) حديث للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجمالي في تاريخ الطالبين من حديث علي بن سعيد ضعيف والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس للمرأة ستران قيل وماها قال الزوج والقبر (٤) حديث لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الحديث أبو داود الطيالسي والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه ولا تطعم من بيته شيئا إلا بإذنه فان فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله إنا كل طي آبائنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال الرطب تأكله وتهديته وقد صحح الدارقطني في العمل أن سعدا هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب .

وخرقة الإبرادة ممنوعة
بإلزام الصادق الراغب
وليس الأزرق من
استحسان الشيوخ
في الحرقة فان رأى
شيخ أن يلبس مريدا
غير الأزرق فليس
لأحد أن يترضى
عليه لأن الشايخ
آراؤهم فيما يفعلون
بحكم الوقت وكان
شيخنا يقول كان
الفقيه يلبس قصير
الأكام ليكون أعون
على الخدمة ويجوز
للشيخ أن يلبس اللريد
خرقا في دفعات على
قدر ما يتلصح من
الصلحة للمريد في ذلك
على ما سلفناه من
تداوى هواء في
اللبوس واللون
فيختار الأزرق لأنه
أرفق للفقير لكونه
يعمل الوسخ ولا
يجوز إلى زيادة
الفصل لهذا المعنى
غيب وما عدا هذا
من الوجوه التي
يذكرها بعض

بنت خاتمة الفزارى قالت لا بنتها عند الزوج : إنك خرجت من العنى الذى فيه درجت فصرت إلى فراش
لم تعرفه وقرين لم تألفه فكونى له أرضاً يكن لك سماء وكونى له مهاداً يكن لك عماداً وكونى له أمة يكن
لك عبداً لا تلحق به فيفلاك ولا تبعدى عنه فيفساك إن دنا منك فأقرى منه وإن نأى فابعدى عنه واحفظى
أنفه وصممه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً ولا يسمع إلا حسناً ولا ينظر إلا جميلاً . وقال رجل لزوجته :

خذى الصفو منى تستديمى مودتى ولا تتطقي فى سورتى حين أغضب
ولا تقريقى ترك الدف مرة فانك لاتدرين كيف للغب
ولا تكترى الشكوى تنذهب بالهوى وبأباك قلبى والقلوب تغلب
فانى رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتماعاً لم يلبث الحب يذهب

فأقول الجامع فى آداب المرأة من غير تطويل أن تكون قاعدة فى قصر بيتها لازمة لمزملها لا يكثر
صعودها وإطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم إلا فى حال يوجب الدخول تحفظ بملها فى
غيبتها وتطلب مسرته فى جميع أمورها ولا تخونه فى نفسها وماله ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه فإن
خرجت بإذنه فمختفية فى هيئة رثة تطلب الواضع الحالية دون الشوارع والأسواق محترزة من أن
يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تعرف إلى صديق بملها فى حاجتها بل تتنكر على من تظن
أنه يعرفها أو تعرفه مهما صلاح شأنها وتدير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها وإذا استأذن صديق
لبعائها على الباب وليس العمل حاضرًا لم تستفهم ولم تعاوده فى الكلام غيره على نفسها وجلها وتكون
قائمة من زوجها بما رزق الله وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها منتظفة فى نفسها مستعدة
فى الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء مشفقة على أولادها حافظة للستر عليهم قصيرة اللسان عن سب
الأولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم « أنا وامرأة سفهاء الخدين كهاتين فى الجنة
امرأة آمنت من زوجها وحبت نفسها على بناتها حتى تابوا أو ماتوا (١) » وقال صلى الله عليه وسلم
« حرم الله على كل آدمى الجنة يدخلها قبل غير آنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة تبادرنى إلى باب الجنة
فأقول ما لهذا تبادرنى فقال لى يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت
عليهن حتى بلغ أمرهن الذى بلغ فشكر الله لها ذلك (٢) » . ومن آدابها أن لا تتفاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبه فقد روى أن الأصمى قال دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن
الناس وجها تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه أترضين لنفسك أن تكونى تحت
مثله قالت يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك لله أحسن فيما بينه وبين خالقه فبطلنى ثوابه أولم
أسأت فيما بينى وبين خالقي فجعله عقوبى أفلا أرضى بما رضى الله لى فأسكتنى . وقال الأصمى رأيت
فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى غنضة ويدها سبعة فقلت ما أبعد هذا من هذا قالت :

وقه منى جانب لا أضيعه وللهم منى والبطالة جانب

فلمت أنها امرأة سالحة لها زوج تزين له . ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والاحتياط فى غيبة
زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة فى حضور زوجها ولا يبنى أن تؤذى زوجها
بحال روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا إلا
قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قالتك الله فانما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا (٣) »

(١) حدث أنا وامرأة سفهاء الخدين كهاتين الحديث أبو داود من حديث أنى مالك الأشجى بسند
ضعيف (٢) حديث حرم الله على كل آدمى الجنة أن يدخل قبل غير آنى أنظر عن يمينى فإذا امرأة
تبادرنى إلى باب الجنة الحرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٣) حديث معاذ

التصوفة فى ذلك كلام
إقناعى من كلام
التصميين ليس من
الدين والحقيقة بشيء
سمعت الشيخ سديد
الدين أبى الفجر الحمدانى
رحمه الله قال : كنت
يفتدأ عند أبى بكر
البروطى فخرج إلينا
فقير من زاويته عليه
ثوب وسخ فقال له بعض
الفقراء لم لا تغسل
ثوبك فقال يا أخى
ما أفترغ فقال الشيخ
أبو الفخر لا زال أتذكر
حلاوة قول القشير
ما أفترغ لأنه كان
صادقا فى ذلك فأجد
ثمة قوله وبركة
بتذكرى ذلك
فاختاروا اللون لهذا
للعنى لأنهم من رعاية
وقتهم فى شغل شاغل
والأفأى ثوب البس
الشيخ للريد من
أيض وغير ذلك
فالشيوخ ولاية ذلك
بحسن مقصده ووفور
عله وقد رأينا من
الشيوخ من لا يلبس

وما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لاتعد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشرا
وتجنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت أبي سلمة دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدعت به جارية
ثم مست بعارضها ثم قالت والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا (١) »
ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدة وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا للضرورة .
ومن آدابها أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها تقدر روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله
عنها أنها قالت تزوجني الزير ودلته في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف
فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن وكنت
أقل النوى على رأسى من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبي بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعنتني (٢)
ولقيت رسول الله ﷺ يوما ومعه أصحابه والنوى على رأسى فقال صلى الله عليه وسلم أخ أخ لينسج ناقه
ويعملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزير وغيرته وكان أغير الناس فحرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فبحث الزير فحكيت له ماجرى فقال والله لحملك النوى على رأسك
أشد على من ركوبك معه . ثم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنه وصلى الله على كل عبد مصطفى .

(كتاب آداب الكسب والعاش)

وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله حمد واحد أتحق في توحيد ماسوى الواحد الحق وتلاشى . ونمجده تمجيد من يصرح بأن
كل شئ ماسوى الله باطل ولا يتحاشى . وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له ولا فراشا . ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفا مبينا ومهد الأرض بساطا لهم وفراشا . وكور الليل
على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا . لينتثروا في ابتغاء فضله ويتعشوا به عن ضراعة
الحاجات اتعاشا . ونصلى على رسوله الذي يصدر المؤمنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا .
وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكاشا . وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب . جعل الآخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار
التمهل والاضطراب . والتشمير والاكتساب . وليس التشمير في الدنيا مقصورا على العباد دون العاش
بل العاش ذرية إلى العاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها . والناس ثلاثة رجل
شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والأقرب
إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقصدين . ولن ينال رتبة الاقتصاد
من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن يتنزه من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة مالم

لاتؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه الحديث الترمذى وقال حسن
غريب وابن ماجه (١) حديث أم حبيبة لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تعد على ميت
أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا متفق عليه (٢) حديث أسماء تزوجني الزير وماله
في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرس وناضح فكنت أعلف فرسه الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الكسب)

الحرقة ويسلك بأقوام
من غير لبس الحرقة
ويؤخذ منه العلوم
والآداب وقد كان
طبقة من السلف
الصالحين لا يعرفون
الحرقة ولا يلبسونها
للريدين فمن يلبسها
فله مقصد صحيح وأصل
من السنة وشاهد من
الشرع ومن لا يلبسها
فله رأي له في ذلك
مقصد صحيح وكل
تصارييف الشايخ محمولة
على السداد والصواب
ولا تخلو عن نية صالحة
فيه والله تعالى ينفعهم
وبآثارهم إن شاء الله
تعالى .

[الباب الثالث عشر

في فضيلة سكان الرطط]

قال الله تعالى في بيوت
أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالعدو والآصال
رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله
 وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة يخافون يوما
تقلب فيه القلوب

يتأذب في طلبها بأداب الشريعة . وهانحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب . الباب الأول : في فضل السكس والحث عليه . الباب الثاني : في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات . الباب الثالث : في بيان العدل في المعاملة . الباب الرابع : في بيان الإحسان فيها . الباب الخامس : في شفقة التاجر على نفسه ودينه .

(الباب الأول في فضل السكس والحث عليه)

أما من الكتاب قوله تعالى - وجعلنا النهار معاشا - فذكره في معرض الامتنان ، وقال تعالى - وجعلنا لكم فيها معاشا قليلا ما تشكرون - فجعلها ريك نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى - ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم - وقال تعالى - وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - وقال تعالى - فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله - وأما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة ^(١) » وقال عليه الصلاة والسلام « التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ^(٣) » وكان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان شابا وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة وينفها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليصبرهم ويكفهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تغافرا وتكافرا فهو في سبيل الشيطان ^(٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد يتخذ للهنة ليستغنى بها عن الناس ويفض العبد يتعلم العلم يتخذ مهنة ^(٥) » وفي الخبر « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ^(٦) » وقال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ^(٧) » وفي خبر آخر

(الباب الأول في فضل السكس والحث عليه)

(١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة تقدم في النكاح (٢) حديث التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد قال الترمذي حسن وقال الحاكم إنه من مراسيل الحسن وابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسئلة وسعيا على عياله الحديث أبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسمى فقالوا ويح هذا لو كان جلد في سبيل الله الحديث الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف (٥) حديث إن الله يحب العبد يتخذ للهنة يستغنى بها عن الناس الحديث لم أجده هكذا ، وروى أبو منصور الدبلي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي حمزة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في طلب الحلال وفيه محمد بن سهل العطار قال الله الرقطنى يضع الحديث (٦) حديث إن الله يحب المؤمن المحترف الطبراني وابن عدى وضعفه من حديث ابن عمر (٧) حديث أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور أحمد من حديث رافع بن خديج قيل يا رسول الله أى السكس أطيب قال عمل الرجل يده وكل عمل مبرور ورواه البزار والحاكم من رواية سعيد بن عمير عن عمه قال الحاكم صحيح الاسناد قال وذكر يحيى بن معين أن عم سعيد البراء بن عازب ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلا وقال هذا هو المحفوظ وخطأ قول من قال عن عمه وحكاة عن البخارى ورواه أحمد والحاكم من رواية

والأبصار - قيل إن هذه البيوت هي الساجد وقيل بيوت المدينة وقيل بيوت النبي عليه السلام والسلام : وقيل لما نزلت هذه الآية قام أبو بكر رضى الله عنه وقال يا رسول الله هنم البيوت منها بيت على وفاطمة قال نعم أفضلها . وقال الحسن : بقاع الأرض كلها جعلت مسجدا لرسول الله عليه الصلاة والسلام فعلى هذا الاعتبار بالرجال الكاكرين لا بصور البقاع وأى بقعة حوت رجلا بهذا الوصف هي البيوت التي أذن الله أن ترفع : روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادى بعضها بعضها هل مرت بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك فمن قائلته نعم ومن قائلته لا فإذا قالت نعم علمت أن لها عليها بذلك فضلا وما

« أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح ^(١) » وقال عليه السلام « عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق ^(٢) » وروى أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال ما تنصح ؟ قال أتنبئكم من يعولك ؟ قال أخى قال أخوك أعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم شيئاً يقرّ بكم من الجنة ويعذبكم من النار إلا أمرتكم به وإني لأعلم شيئاً يعدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين نثت في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » أمر بالإجمال في الطلب ولم يقل أتركوا الطلب ثم قال في آخره « ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى فإن لا ينال ما عنده بمعصيته ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها ^(٤) » وقال عليه السلام « لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ^(٥) » وقال « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ^(٦) ». وأما الآثار : فقد قال لقمان الحكيم لابنه : يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به . وقال عمر رضي الله عنه : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تعطر ذهباً ولا فضة وكان زيد بن مسلفة يفرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه أصبت استغن عن الناس يكن أمون لدينك وأكرم لك عليهم كالألصاق أصحابكم أحيحة : فلن أزال على الزوراء أغمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

وقال ابن مسعود رضي الله عنه إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لافي أمر ديناه ولا في أمر آخرته . وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم التفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق السكّال واليزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر رضي الله عنه : ما من موضع يأتي اللوت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلي أبيع وأشتري وقال المهيم ربما يلفني عن الرجل يقع في فأذكر استغنائى عنه فيهن ذلك على وقال أيوب كسب فيه شيء أحب إلى من سؤال الناس وجاءت ربح

جميع بن عمير عن خاله أبي بردة وجميع ضعيف والله أعلم ^(١) حديث أهل ما أكل العبد كسب الصانع إذا نصح أحمد من حديث أبي هريرة خير الكسب كسب العامل إذا نصح وإسناده حسن ^(٢) حديث عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن تسعة أعشار الرزق في التجارة ورجاله ثقات ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان إنه تابعي فالحديث مرسل ^(٣) حديث إني لأعلم شيئاً يعدكم من الجنة ويقرّ بكم من النار إلا نهيتكم عنه فإن الروح الأمين نثت في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستوفى رزقها الحديث ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود وذكره شاهدها الحديث أبي حميد وجابر وصحهما على شرط الشيخين وهما مختصران ورواه البيهقي في شعب الإيمان وقال إنه منقطع ^(٤) حديث الأسواق موائد الله فمن أتاها أصاب منها رويها في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً ^(٥) حديث لأن يأخذ أحدكم حبله فيختطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ^(٦) حديث من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري ولا تفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وقال حسن صحيح .

من عبد ذكر الله تعالى على بقعة من الأرض أو صلى لله عليها إلا شهدت له بذلك عند ربه وبكت عليه يوم يموت . ، وقيل في قوله تعالى - فما بكت عليهم السماء والأرض - تنبيه على فضيلة أهل الله تعالى من أهل طاعته لأن الأرض تبكي عليهم ولا تبكي على من ركن إلى الدنيا واتبع الهوى فسكان الرابطة هم الرجال لأنهم ربطوا نفوسهم على طاعة الله تعالى وانقطعوا إلى الله فأقام الله لهم الدنيا خادمة . وروى عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من انقطع إلى الله كفاه الله مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » وأصل الرابطة ما يربط فيه الحيول ثم قيل لكل ثمر يدفع أهله ممن

عاصفة في البحر فقال أهل السفينة لإبراهيم بن آدم رحمه الله وكان معهم فيها أما ترى هذه الشدة فقال ماهذه الشدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس . وقال أيوب قال لي أبو قلابة أزم السوق فإن القنى من العافية يعني القنى عن الناس . وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئا حتى يأتي رزقي فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله جعل رزقي تحت ظل رمعي ^(١) » وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال « تندو خلاصا وتروح بطانا ^(٢) » فذكر أنها تندو في طلب الرزق ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم والتدو بهم وقال أبو قلابة لرجل لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك في زاوية المسجد . وروى أن الأوزاعي لقي إبراهيم بن آدم رحمه الله وطى عنقه خزمة حطب فقال له يا أبا اسحق إلى متى هذا إخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا أبا عمرو فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قديمك وعيرك بقوتك ولكن ابدا برغيفيك فأحرزها ثم تعبد . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله في أرضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة الشرع لسؤال والاتكال على كفاية الأغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينبغي من ذلك إلا الكسب والتجارة . فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبغ محمد ربك وكن من الساجدين واعد ربك حتى يأتيك اليقين ^(٣) » وقيل لسلمان الفارسي أوصنا فقال من استطاع منكم أن يموت حاجا أو غاريا أو عامرا المسجد به فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا . فالجواب أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال فنقول لسنا نقول التجارة أفضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا يصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة لأنه إقبال على الدنيا التي حبا رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك ظالما خائنا فهو ظلم وفق وهذا ما أراد سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا وأراد التاجر طالب الزيادة فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده وكان يقدر على كفايتهم السؤال فالتجارة تغف عن السؤال أفضل وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب أفضل لأنه إنما يعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بقره فالتعفف والتسواوى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة عابد بالعبادات البدنية أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والكشافات أو عالم مشغل بترية علم الظاهر مما ينفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم أو رجل مشغل بمصالح المسلمين وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال الرصدة للمصالح والأوقاف المسبلة على الفقراء والعلماء فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب ولهذا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سبغ محمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعا لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضى الله عنهم بترك التجار قلاوى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى

(١) حديث إن الله جعل رزقي تحت ظل رمعي أحمد من حديث ابن عمر جعل رزقي تحت ظل رمعي وإسناده صحيح (٢) حديث ذكر الطير فقال تندو خلاصا وتروح بطانا الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث ما أوحى إلى أن أجمع المال وكن من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبغ محمد ربك وكن من الساجدين ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين.

وراءهم رباط فالجهاد للرباط يدفع عن ورائه والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع به وبدعائه البلاد عن العباد والبلاد . أخبرنا الشيخ العالم رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزويني بإجازة قال أنا أبو سعيد محمد ابن أبي العباس الخليلي قال أخبرنا القاضي محمد ابن سعيد القرخاذي قال أنا أبو اسحق أحمد ابن محمد قال أنا الحسين ابن محمد قال أنا أبو بكر ابن خزيمة قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبو حميد الحمصي قال حدثنا يحيى بن سعيد القطار [١] قال حدثنا حفص بن سليمان عن محمد بن سقفة عن وبرة بن عبد الرحمن قوله بالهامش [١] القطار هكذا بنسخة وفي أخرى المطار والله القطان بالنون وليحرر .

ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى ، ول هؤلاء الأربعة حالتان أخريان إحداهما أن تكون كفايتهم عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال فترك الكسب والاشتغال بعام فيه أولى إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو جق عليهم وأفضل لهم . الحالة الثانية الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات التي رويها في السؤال وذمة تدل ظاهرا على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير بل هو موكول إلى اجتهد العبد ونظيره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك الروعة والحاجة إلى التثقل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يقابل المطلوب والمحدور فينبغي أن يستفي الرب فيه قلبه وإن أفتاه المفتون فإن الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ولقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد منهم ليلة ومنهم من له ثلاثون وكانوا يشتغلون بالعبادة لهم بأن التكليف بهم يتقلدون منه من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم خيرا مضافا لهم إلى عباداتهم فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ كأجر المعطى مهما كان الآخذ يستعين به على الدين والمعطى يعطيه عن طيب قلب ومن اطلع على هذه للماني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لأربعة أمور الصحة والعدل والإحسان والشفقة على الدين ونحن نقف في كل واحد بابا ونبتدىء بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني .

(الباب الثاني في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة)

وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار الكسب في الشرع)

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مسلم مكنتب لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه والكتيب يحتاج إلى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيا وما شذ عنه من الفروع المشككة فيقع على سبب إشكالكها فيتوقف فيها إلى أن يسأل فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا أقدم العلم ولكنني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أعلم وأستفق فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم حمل مفسدات العقود فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة لتمييزه للبائع عن المحذور وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، وعلم العقود كثير ولكن هذه العقود الستة لا تنفك الكسب عنها وهي البيع والربا والسلم والإجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها .

(العقد الأول البيع)

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان المقاد والعقود عليه واللفظ . الركن الأول : العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة الصبي والمجنون والعبد والأعمى لأن الصبي غير مكلف وكذا المجنون ويعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وإن أذن له فيه الولي عند الشافعي وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وماسله في المعاملة إليهما فضايع في أيديهما فهو الضعيف له . وأما العبد المأقول فلا يصح بيعه وشراؤه إلا بإذن سيده

(الباب الثاني في علم الكسب)

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لي دفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ومن جيرانه البلاء » . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لولا عباد الله ركن وصية رضع وبهائم رزع لصب عليكم العذاب صبا ثم يرض رضا » . وروى جابر بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لي صلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دورته ودورات حوله ولا يزالون في حفظ الله مادام فيهم » . وروى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية - اصبروا وصابروا ورباطوا قلت لا قال يا ابن أخي لم يكن في

فلى البقال والحجاز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا الميديم تأذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بأن يسمعه صريحا أو يتشرف في البه أنه مأذون له في الشراء لسيده وفي البيع له في قوله على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك فإن عامله بغير إذن السيد فقد باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده وما تسلمه إن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا ضمنه سيده بل ليس له إلا اللطابة إذا عتق . وأما الأعمى فإنه يبيع ويشترى ما لا يرى فلا يصح ذلك فليأمره بأن يوكل وكلا بصيرا ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله وصرح يبيع وكيله فإن عامله التاجر بنفسه فالعامله فاسدة وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته وما تسلمه إليه أيضا مضمون له بقيمته . وأما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه الصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح إن كان من أهل الحرب فإن فعل فيه معاملات مردودة وهو باعص بها ربه . وأما الجندية من الأتراك والتركانية والمرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ما لله حرام فلا ينبغي أن يتملك محبا في أيديهم شيئا لأجل أنها حرام إلا إذا عرف شيئا بعينه أنه حلال وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام . الركن الثاني في العقود عليه : وهو المال التصود ثقله من أحد العاقدين إلى الآخر عما كان أو شئنا فيعتبر قيمته شروط . الأول أن لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير ولا يبيع زبل وعذرة ولا يبيع العاج والأواني المتخذة منه فإن العظم ينجس بالموت ولا يطهر القيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الحجر ولا يبيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن يصلح للاستصباح أو طلاء السفن ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت ذرة فيه فإنه يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا يرى بأسا ببيع بز القز فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة . الثاني أن يكون متنعما به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية ولا الثفات إلى انتفاع للشعبد بالحية وكذا لا الثفات إلى انتفاع أصحاب الحق باخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الحررة والتحل وبيع القهد والأسد وما يصلح لصيد أو ينتفع بجملة ويجوز بيع القيل لأجل الحل ويجوز بيع الطوطى وهى البهاء والطاوس والطيور اللبحة الصور وإن كانت لا تؤكل فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجابا بصورته انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ^(١) ولا يجوز بيع العود والصنج والزامير وللأحمى فإنه لا منفعة لها شرعا وكذا يبيع الصور للصنوعة من الطين كالحیوانات التي تباع في الأعياد لعب الصبيان فإن كسرها واجب شرعا وصور الأشجار متسامح بها وأما الثياب والأطباق وعليها صور الحيوانات فيصح بيعها وكذا المتور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « اتخذى منها ثمارك » ^(٢) ولا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه . الثالث أن يكون للتصرف فيه مملوكا للعاقدة أو مأذونا من جهة المالك ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظارا للأذن من المالك بل لو رضى بعد ذلك وجب استئناف العقد ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على أنه لو عرف لرضى به فإنه إذا لم يكن الرضا مقدما لم يصح البيع وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق فواجب على العبد للدين أن يحترز منه . الرابع أن يكون للعقود عليه مقدور على تسليمه

(١) حديث النهى عن اقتناء الكلب متفق عليه من حديث ابن عمر من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضاريا
نقص من عمله كل يوم قيراطان (٢) حديث اتخذى منها ثمارك قوله لعائشة متفق عليه من حديثها .

زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزور ربط فيه ساجيل ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة فالرباط للجهاد النفس والتقسيم في الرباط مزابط مجاهد نفسه قال الله تعالى سواجدهوا في الله حق جهاده - قال عبد الله ابن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رجع من بعض غزواته « رجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » . وقيل : إن بعض الصالحين كتب إلى أخ له يستدعيه إلى التزوف فكذب إليه يأخى كل التفرغ بمجتمعة لى في بيت واحد والباب على مردود فكذب إليه أخوه لو كان الناس كلهم ترموا مآثرته اختلت أمور

المسلمين وغلب الكفار
فلا بد من الفوز
والجهاد فكتب إليه
يا أخى لو لم الناس
ما أنا عليه وقالوا في
زواياهم على سجاداتهم
الله أكبر انهم سور
قسطنطينية . وقال
بعض الحكماء ارتفاع
الأصوات في بيوت
العبادات بحسن النيات
وصفاء الطويات يحل
ما عهده الأفلاك
الدوائر في اجتماع أهل
الروابط صح على الوجه
للوضوح له الربط
وتحقق أهل الربط
بحسن المعاملة ورعاية
الأوقات وتوقي ما يفسد
الأعمال واعتماد
ما يصحح الأحوال
عادت البركة على البلاد
والعباد . وقال سرى
السقطى في قوله تعالى
- اصبروا وصابروا
ورابطوا - اصبروا عن
الدنيا رجاء السلامة
وصابروا عند القتال
بالثبات والاستقامة
ورابطوا أهواء النفس

شرطاً وحماً فلما لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالأبق والسكك في الماء والجنين في البطن
وعصب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه
لاختلاط غير البيع بالبيع والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والوقوف والمستولدة فلا يصح بيعها
أيضاً وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم لأن تسليمه تفريق
بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع . الخامس : أن يكون البيع معلوم العين والقدر
والوصف أما العلم بالعين فبأن يشير إليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع أى شاة أردت أو ثوبا
من هذه الثياب التى بين يديك أو زراعاً من هذا الكرباس وخذه من أى جانب شئت أو عشرة أذرع
من هذه الأرض وخذه من أى طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين
إلا أن يبيع شاة مثلاً أن يبيع نصف الثوب أو عشرة فان ذلك جائز . وأما العلم بالقدر فأنما يحصل
بالكيل أو الوزن أو النظر إليه فلو قال بعتك هذا الثوب بمابع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو
باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنعة فهو باطل إذا لم تكن الصنعة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة
من الخنطة فهو باطل أو قال بعتك بهذه الصبرة من الدرهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يراه صريح
البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة المقدار ، وأما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الأعيان
ولا يصح بيع الغائب إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا
أحد للذهبين ولا يجوز بيع الثوب في المفسج اعتماداً على الرقوم ولا يبيع الخنطة في سبلها ويجوز
بيع الأرز في قشرته التى يدخر فيها وكذا بيع الجوز والاوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين
ويجوز بيع الباذلاء الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع الفقع لجريان عادة الأولين به ولكن
تجمله إباحة بعبث فان اشتراه لبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً ستر خلقه ولا يبعد أن يتسامح
به إذ في إخراجهم إفساده كالرمان وما يستر بستر خلقه معه . السادس : أن يكون البيع مقبوضاً إن كان
قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع مالم
يقبض (١) ويستوى فيه العقار والنقول فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فيعه باطل وقبض النقول
بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما يتبعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتب له . وأما بيع الميراث
والوصية والوديعة ومالم يكن الملك حاصلاً فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض . الركن الثالث : لفظ العقد
فلا بد من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم إما صريح أو كناية فلو قال
أعطيتك هذا بذلك بدل قوله بعتك فقال قبلته جاز مهما قصد به البيع لأنه قد يحتمل الإعارة إذا
كان في ثوبين أو دأبتين والنية تدفع الاحتمال والصريح أقطع للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك
والحل أيضاً فيما يختاره ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد فلو شرط أن يزيد شيئاً
آخر أو أن يحمل المبيع إلى داره أو اشتري الحطب بشرط النقل إلى داره كل ذلك فاسد إلا إذا أفرد
استجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للنقول ومهما لم يجز بينهما إلا المعاطاة بالفعل
دون التلطف باللسان لم ينعقد البيع عند الشافعي أصلاً وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات
ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الأمر إلى العادات قد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة إذ يتقدم الدلال
إلى البراز يأخذ منه ثوباً ديباجاً قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاء
فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه عشرة ويحمله ويسلمها إلى البراز فيأخذها ويتصرف
فيها ومشتري الثوب يقطعه ولم يجز بينهما إيجاب وقبول أصلاً وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت

(١) حديث النهى عن بيع مالم يقبض متفق عليه من حديث ابن عباس .

البيع فيعرض متاعا قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول أحدهم هذا على بتسعين ويقول الآخر هذا على بخمسة وتسعين ويقول الآخر هذا بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول وقد استمرت به العادات وهذه من الضلالت التي ليست قبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة . إما فتح باب المعاوضة مطلقا في الحقيق والتفيس وهو محال إذ فيه نقل للملك من غير لفظ دال عليه وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول ولم يمر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل تسليم وتسليم فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين لاسيما في الجوارى والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه إذ التسليم أن يرجع ويقول قد ندمت وما بقته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع . الاحتمال الثاني أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه إشكال من وجهين أحدهما أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معاملة في زمن الصحابة ولو كانوا يشكفون الإيجاب والقبول مع البقال والحجاز والقصاب لنقل عليهم فله ولنقل ذلك فلا منتشرا ولكان يشهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة فإن الأعصار في مثل هذا تفاوت . والثاني أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئا من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاوضة فأى فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك . الاحتمال الثالث أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قال أبو حنيفة رحمه الله وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات وبشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج إلى تخرج قول الشافعي رحمه الله على وقته وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لومنا إليه لمسيئ الحاجب ولعموم ذلك بين الخلق ولما يظن على الظن بأن ذلك كان معتادا في الأعصار الأول . فأما الجواب عن الإشكالين فهو أن نقول أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من العدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاوضة وطالب الإيجاب والقبول فيه بعد مستغنيا ويستبد تكليفه لذلك ويستعمل ويغيب إلى أنه بقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له فهذا طرف الحقارة والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والسيارات النفيسة فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فتحق ذى الدين أن يميل إليها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشككة وأما الثاني وهو طلب سبب لنقل الملك فهو أن يجعل الفعل باليد أخذًا وتسليمًا سببا إذ اللفظ لم يكن سببا لئنه بل لدلالته وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم إليه ميسر الحاجة وطاعة الأولين وأطراف جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأى فرق بين أن يكون فيه عوض أولا يكون إذ الملك لا بد من نقله في الهبة أيضا إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقيق والتفيس بل كان طلب الإيجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات هذا ما تراه أعدل الاحتمالات وحق الورع للتدين أن لا يذبح الإيجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير إيجاب وقبول فإن ذلك لا يعرف تحقيقا فربما اشتراه بقبول وإيجاب فإن كان حاضرا عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء محقرا وهو إليه محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن . فإن قلت فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف فعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاوضة في البيع والشراء

الوامة واتقوا ما يجب
لكم الندامة لعلكم
تفلحون غدا على بساط
الكرامة وقيل اصبروا
على بلائي وصابروا
على نعمائي وربطوا في
دار أعدائي واتقوا
عجة من سواني لعلكم
تفلحون غدا بلقائي .
وهذه شرائط ما كن
الرباط قطع المعاملة مع
الخلق وفتح المعاملة مع
الحق وترك الاكتساب
اكتفاء بكفالة مسبب
الأسباب . وحسب
النفس عن الخاططات
واجتناب التبعات
وعائق ليله ونهاره
العبادة متعوضا بها
عن كل عادة يشغله
حفظ الأوقات وملازمة
الأوراد وانتظار
الصلوات واجتناب
الغفلات ليكون بذلك
مرابطا مجاهدا . حدثنا
شيخنا أبو النجيب
السهروردي قال أنا ابن
نهران محمد الكاتب
قال أنا الحسن بن
شاذان قال أنا دعلج

أوسع منهم ذلك أوزاره أوجب عليه الامتناع من الأكل . فأقول : يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقدارا قريبا ولم يكن من المحقرات . وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقول إن ترددنا في جعل الفعل دلالة على قتل الملك فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الإباحة فإن أمر الإباحة أوسع وأمر قتل الملك أضيق فشكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال كإذن الحمامي في دخول الحمام والإذن في الإطعام لمن يريده للشترى فينزل منزلة ما لو قال أبحث لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت فانه يحل له ولو صرح وقال كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بدلا كل هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة أكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والتمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر التحق . بمثل حقه فله أن يملككمهما معجز عن مطالبة من عليه وإن كان قادرا على مطالبة فانه لا يملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه للراجعة وأما ههنا فقد عرف رضا بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد بالملك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا ألتف عين طعامه في يد المشتري ثم ربما يفترق إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفادته من الفعل دون القول . وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما ألتفه وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالتقاضي دينه والتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على عمومها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون ، وأما الورع فانه ينبغي أن يستغنى قلبه ويتقى مواضع الشبه .

(العقد الثاني عقد الربا)

- وقد حرّم الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصياغة للتعاملين على التقدين وعلى التعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام وعلى الصبر في أن يحترز من النسيئة والفضل . أما النسيئة فإن لا يبيع شيئا من جواهر التقدين بشيء من جواهر التقدين إلا يدايد وهو أن يجري التقاض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصياغة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير الضروية حرام من حيث النساء ومن حيث إن الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا يريد المضروب بمثل وزنه . وأما الفضل فيحترز منه في ثلاثة أمور في بيع الكسبر بالصحيح فلا يجوز للعاملة فيهما إلا مع المائلة وفي بيع الجيد بالردى فلا ينبغي أن يشتري ردثا بجيد دونه في الوزن أو يبيع ردثا بجيد فوقة في الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب بمجھولا لم تصح العاملة عليها أصلا إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فإنا نرخص في العاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم الغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح العاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجھولة وإن كان نقدا رائجا في البلد رخصنا في العاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة أصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي أن يشتري بتناع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما إلا إذا كان مموها بالذهب ممويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها

قال أنا البغوي عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال حدثنا صفوان عن الحرث عن سعيد ابن السيب عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إسباغ الوضوء في للكاره وإعمال الأقدام إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا » . وفي رواية « ألا أخبركم بما يحو الله به الخطايا وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في للكاره وكثرة الخطا إلى الساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط » [الباب الرابع عشر في مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة] قال الله تعالى - لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون

من النقرة بما أريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصير في أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب
ولأن يبيعه بل بالفضة يد يد إن لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه
ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها . وأما للتاملون على الأطعمة فعليهم
التقايض في المجلس اختلف جنس الطعام البيع والشترى أو لم يختلف فإن أحمده المجلس فعليهم التقايض
ومراعاة المائلة والمتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه النعم ويشترى بها اللحم نقدا أو نسيئة
فهو حرام ومعاملة الحجاز بأن يسلم إليه الخنطة ويشترى بها الحبز نسيئة أو نقدا فهو حرام ومعاملة
المصار بأن يسلم إليه البزر والسمن والزيتون يأخذ منه الأدهان فهو حرام وكذا اللبن يعطى
اللبن يأخذ منه اللبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو أيضا حرام ولا يباع الطعام بغير جنسه
من الطعام إلا نقدا ويجنسه إلا نقدا ومتائلا وكل ما يتخذ من الشيء للطعم فلا يجوز أن يباع به متائلا
ولا متفاضلا فلا يباع بالخنطة دقيق وخبر وسويق ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير ولا باللبن من
وزبد ومخيض ومصل وجبن والمائلة لا تفيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب
بالرطب والعنب بالعنب متفاضلا ومتائلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتبني على ما يشعر التاجر
بمشارت الفساد حتى يستفيق فيها إذا تشكك والتبس عليه شيء منها وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن
لمواضع السؤال واتحم الربا والحرام وهو لا يدري .

(العقد الثالث السلم)

وليراع التاجر فيه عشرة شروط . الأول : أن يكون رأس المال معلوما على مثله حتى لو تمخر تسليم
المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال فإن أسلم كفا من الدراهم جزا في كره حنطة لم يصح
في أحد القولين . الثاني : أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض
انفسخ السلم . الثالث : أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن
والقطن والصوف والإبريسم والألبان واللحوم ومتاع المطارين وأشباهاها ولا يجوز في المعجونات
والمركبات وما يختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمول والخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها
وصفتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الحبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة
الطبخ وقلته يعني عنه ويتسامح فيه . الرابع : أن يستقصى وصف هذه الأمور القابلة للوصف
حتى لا يبقى وصف متفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتباين بمثلته الناس إلا ذكره فإن ذلك الوصف هو القائم
مقام الرؤية في البيع . الخامس : أن يحمل الأجل معلوما إن كان مؤجلا فلا يؤجل إلى الحصاد
ولا إلى إدراك الثمار بل إلى الأشهر والأيام فإن الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر . السادس : أن يكون
المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالبا فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى
أجل لا يدرك فيه وكذا سائر القواكه فإن كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب
آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء . السابع : أن يذكر مكان التسليم
فيها يختلف الفرض به كي لا يثير ذلك نزاعا . الثامن : أن لا يعلقه بمعين فيقول من حنطة هذا الزرع
أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يطل كونه دينا نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك
التاسع : أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها أو جارية حسنة
معه ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا . العاشر : أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاما
سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربا .

أن يتطهروا والله يحب
الطهرين - هذا وصف
أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قيل لهم ماذا حكمتم
تصنعون حتى أتى الله
عليكم بهذا التاء قالوا
كنا تتبع للماء الحجر
وهذا أشباه هذا من
الآداب وظيفه صوفية
الربط يلزمونه
ويتعاهدونه والرباط
بينهم ومضربهم ولكل
قوم دار والرباط دارهم
وقد شابهوا أهل الصفة
في ذلك على ما أخبرنا
أبو زرعة عن أبيه
الحافظ القدسي قال
أنا أحمد بن محمد
البرازي قال أنا عيسى
ابن علي الوزير قال
حدثنا عبد الله بن عيسى
قال حدثنا وهبان بن
بقية قال حدثنا خالد
ابن عبد الله عن داود
ابن أبي هند عن أبي
الحريث حرب بن أبي
الأسود عن طلحة
رضي الله عنه قال
كان الرجل إذا قدم

(العقد الرابع الإجارة)

وله ركنان الأجرة والمنفعة فأما العائدو اللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والأجرة كالتنفيذ فينبغي أن يكون معلوما وموصوفا بكل ما شرطناه في البيع إن كان جينا فإن كان دينيا فينبغي أن يكون معلوم المنفعة والقدر وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها وذلك مثل كراء الدار بمارتها فذلك باطل إذا قدر العادة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على الكسرى أن يصرفها إلى العارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العارة مجهول . ومنها استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلع واستئجار حمال الجيف بجهد الجيفة واستئجار الطحان بالنخالة أو يعمى الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله واتصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يحمل أجرة . ومنها أن يقدر في إجارة النور والحوانيت مبلغ الأجرة فلوقاله لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت الدالة مجهولة ولم تنمق الإجارة . الركن الثاني : للنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كان عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه وحمله فروع الباب تدرج تحت هذه الرابطة ولكننا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في التفهيمات وإنما نشير إلى ما تم به البلوى فليراجع في العمل للتأجير عليه خمسة أمور : الأول أن يكون متقوما بأن يكون فيه كلفة وتعب فلو استأجر طعاما ليزين به الدكان أو أشجارا ليخفف عليها الثياب أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز فإن هذه النافع تجري مجرى حبة مسسم وحبة بر من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئر والاستغلال بمعداره والاقباض من ناره ولهذا لو استأجر يابا على أن يشكك بكلمة يروجها سلعته لم يجز وما يأخذه البياعون عوضا عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تصب فيها ولا قيمة لها وإنما يحمل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر للعاملة ثم لا يستحقون إلا أجرة الثلث فأما ما تناوطا عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذا بالحق . الثاني : أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه ولا إجارة للواشي للبيتها ولا إجارة البساتين لثمارها ويجوز استئجار المزرعة ويكون اللبن تابعا لأن أفرادها غير ممكن وكذا يتسامح بحجر الوراق وخيط الحياط لأنهما لا يقصدان على حياهما . الثالث : أن يكون العمل مقدورا على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالأستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضوا لا يرضى الشرع في قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد أو العلم على تعليم السحر أو الفحش أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع دون إذن زوجها أو استئجار المصور على تصوير الحيوانات أو استئجار الصانع على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل . الرابع : أن لا يكون العمل واجبا على الأجير أو لا يكون بحيث لا يتجرى النيابة فيه عن المستأجر فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنازة وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي للتدريس وإقراء القرآن خلاف أما الاستئجار على تعليم مسئلة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح . الخامس : أن يكون العمل والمنفعة معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بتعليم السورة ومقدارها وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إجماله وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام وينفطن به لمواضع الاشكال فيسأل فان الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام .

للدنية، وكان له بها عريف ينزل على عريفه فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة وكنت فيمن نزل الصفة فالقوم في الرباط مرابطون متفقون على قصد واحد وعزم واحد وأحوال متناسبة ووضع الربط لهذا المعنى أن يصكون سكانها بوصف ما قال الله تعالى - وزرعنا ما في صدورهم من غل - إخوانا على سرر متقابلين - وللقابلية باستواء السر والعلانية ومن أضمر لأخيه غلا فليس بمقابل له وإن كان وجهه إليه فأهل الصفة هكذا كانوا لأن مثار الغل والحقد وجود الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة فأهل الصفة رفضوا الدنيا وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع فزال الاحتاد والغل عن مواطنهم وهكذا أهل الربط متقابلون

(العقد الخامس القراض)

وليراع فيه ثلاثة أركان . الركن الأول : رأس المال وشرطه أن يكون قدما معلوما مسلما إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه ولا يجوز على صرة من الدراهم لأن قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط مالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضيق طريق التجارة : الركن الثاني : الربح وليكن معلوما بالجزئية بأن يشرط له الثلث أو النصف أو ما شاء فلو قال على أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع . الثالث : العمل الذي على العامل . وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأنيث فلو شرط أن يشتري بالمال مائة ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخبرها ويتقاسمان الربح لم يصح لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتهما فقط وهذه حرف أعني الخبر ورعاية اللواشى ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أولا يتجر إلا في الحز الأحمر أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثمهما إن عقد العامل وكيل فيتصرف بالبطقة تصرف الوكلاء ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها فقد لم ينف وجه القسمة وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تسكينه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وإن قال العامل أئيمه وأبي للمالك فالتبوع رأى المالك إلا إذا وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على رأس المال ومهما كان ربح فلي العامل يبيع مقدار رأس المال بخمس رأس المال لا بقدر آخر حتى يتميز الفاضل ربما فيشتركان فيه وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعا لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن النقود وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على ما مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المتاد فليس له أن يبذل عليه أجره وعلى العامل نفقته وسكناء في البلد وليس عليه أجره الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض نفقته في السفر على مال القراض فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرها .

(العقد السادس الشركة)

وهي أربعة أنواع : ثلاثة منها باطلة . الأول : شركة القايضة وهو أن يقولوا نتعاوننا لشترك في كل مالنا وعلينا بمالهما ممتازان فهي باطلة . الثاني : شركة الأبدان وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجره العمل فهي باطلة . الثالث : شركة الوجوه وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التفتيل ومن جهة غيره العمل فهذا أيضا باطل ، وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان . وهو أن يختلط مالاها بحيث يعذر التميز بينهما إلا بقسمة وبأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم بالعدل يتمتع التصرف عن العزول والقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح أنه يجوز عقد الشركة العروض المشتركة ولا يشترط النقد بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري . وأما معاملة القصاب والحجاز والبقال فلا يستغنى عنها المكتسب وغير المكتسب والحلل فيها من ثلاثة وجوه من إهمال شروط البيع أو إهمال

بظواهرهم وبواطنهم
يجتمعون على الألفة
والمودة يجتمعون
للإسلام ويجتمعون
للطعام ويتعرفون بركة
الاجتماع . روى وحشى
ابن حرب عن أبيه عن
جده أنهم قالوا يا رسول
الله إنا نأكل ولا نشبع
قال لعالمكم تفرقون
على طعامكم اجتمعوا
واذكروا الله تعالى
يسارك لكم فيه .
وروى أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
« ما أكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا في
سكرجة ولا خبز له
مرقق قليل فلي أكل
شيء كانوا يأكلون
قال على السفر » فالعباد
والزهاد طلبوا الاضداد
لدخول الآفات عليهم
بالاجتماع وكون
نفوسهم تفتلق للأهوية
والخوض فيما لا ينفع
فأروا السلامة في
الوحدة والصوفية لقوة
عملهم وصحة حالهم
نزع عنهم ذلك

شروط السلم أو الانتصار على المعاداة إذا العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم الحاسبة في كل مدة ثم التقوم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى القضاء بإباحته للحاجة وبمحمل تسليمهم على إباحة تناول مع انتظار العوض فيحل آكله ولكن يجب الضمان بأكله ونقوم قيمته يوم الإنفاق فتجتمع في الدمة تلك القيم فإذا وقع التراضي على مقدار ما فينبغي أن يلتزم منهم الإبراء المطلق حتى لا يبقى عليه عهدة إن تطرق إليه تفاوت في التقوم فهذا ما يجب التسامح به لأن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا تكليف الإعجاب والقبول وتقدير عن كل قدر يسير منه فيعسر وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله للوفيق .

(الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة)

اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم الملقى بصحتها وانقيادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به العامل لسخط الله تعالى إذ ليس كل شيء يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يعني به ما استقر به الخير وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص العامل .

(القسم الأول فيما يعم ضرره . وهو أنواع)

النوع الأول : الاحتكار فإتاع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » (١) وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه » (٢) وقيل فكأنما قتل الناس جميعاً . وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوماً فساقبله وعنه أيضاً أنه أحرق طعام احتكره بالنار وروى في فضل ترك الاحتكار عنه عليه السلام « من جلب طعاماً فباعه بسم يومه فكأنه تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة » (٣) وقيل في قوله تعالى - ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذره من عذاب أليم - إن الاحتكار من الظلم ودخل تحت الوعيد وعن بعض السلف أنه كان بواسطة فجزى سبعة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله ببيع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد فوافق سبعة في السر فقال له التجار لو أخرت جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب إلى صاحبه بذلك فكتب إليه صاحب الطعام يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين فقد جنب علينا جناية فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على قراء البصرة وليتقى أئمتنا من إثم الاحتكار كفافاً لا على ولاي . واعلم أن التهي مطاق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس أما الجنس فيطرأ النهي في أجناس الأقوات أما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير

(الباب الثالث في بيان العدل)

(١) حديث من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسنتين ضعيفين (٢) حديث ابن عمر من احتكر الطعام أربعين يوماً قد برى من الله وبرى الله منه أحمد والحاكم بسند جيد وقال ابن عدي ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر (٣) حديث من جلب طعاماً فباعه بسم يومه فكأنما تصدق به وفي لفظ آخر فكأنما أعتق رقبة ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بنصر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة إن الجالب إلى سوقنا كالجاهد في سبيل الله وهو مرسل

هروا والاجتماع في بيوت الجماعة على السجادة فسجادة كل واحد زاوية يوم كل واحد مهمه ولعل الواحد منهم لا يتخطى همه سجادته ولهم في اتخاذ السجادة وجه من السنة وروى أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت « كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً من اللبى صلى عليه من الليل » وروى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسط له الحجرة في المسجد حتى صلى عليها » والرباط يحتوي على شيان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة فالشايخ بالزوايا أليق نظراً إلى ما تدعو إليه النفس من النوم والراحة والاستعداد بالحركات والسكنات فللنفس

والزعران وأمثاله فلا يمتدى التهي إليه وإن كان مطموما وأما ما يمين على القوت كاللحم والفواكه وما يمدد مسداً يفتى عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن الدائمة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والسمل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد التهي في جميع الأوقات وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر ويحتمل أن يخص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرراً فأمّا إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً فليس في هذا إضرار وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار السمن والسمن والشيرج وأمثالها إضراراً فينبغي أن يقضى بتحريمه ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام وإذا لم يكن ضرراً فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار وانتظار مبادئ الضرر عند زور كانتظار عين الضرر ولكنه دونه وانتظار عين الضرر أيضاً هو دون الإضرار بقدر درجات الأضرار متفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الأقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح والأقوات أصول خلقت قواماً للربح من الزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة الزايا التي لا ضرورة للخلق إليها ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنتين يبيع الطعام ويبيع الأكل فإن فإنه يفتنى القلاء وموت الناس والصنعتان أن يكون جزاءاً فاتها صنعة تقى القاب أو صواغاً فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة . النوع الثاني ترويح الزيف من الدرهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستغربه للعامل إن لم يعرف وإن عرف فسروجه على غيره فكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الأيدي ويم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر السك وبالله راجعاً إليه فإنه هو الذي فتح هذا الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيئاً»^(١) وقال بعضهم إنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وإنفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفتى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويسئل عنها إلى آخر اقترافها قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - أي نكتب أيضاً ما أخرجه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى - نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر - وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره . وليعلم أن في الزيف خمسة أمور : الأول أنه إذا ردّ عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بر بحيث لا يعتمد إليه اليد وإياه أن يروجه في بيع آخر وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز . الثاني أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا يستغنى بنفسه ولكن كلاً يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم فاسكن عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولعل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم للدنياهم . الثالث أنه إن سلم وعرف للعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا لوجهه على غيره ولا يخبره ولو لم يزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً فاعلم بتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله

(١) حديث من سن سنة سيئة فعلم بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزانهم شيء مسلم من حديث جرير بن عبد الله .

شوق إلى التفرّد والاسترسال في وجوه الفرق والشاب يضيق عليه مجال النفس بالقعود في بيت الجماعة والانكشاف لنظر الأغيار لشكر العيون عليه فيتقيد ويتأدب ولا يكون هذا إلا إذا كان جمع الزباط في بيت الجماعة مهتمين بحفظ الأوقات وضبط الأنفاس وحراسة الحواس كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - كان عندهم من هم الآخرة ما يشغلهم عن اشتغال البعض ببعض وهكذا ينبغي لأهل الصدق والصوفية أن يكون اجتماعهم غير مضرب بوقتهم فإذا تخلل أوقات الشبان الغفوة واللغة الأولى أن يلزم الشاب الطالب الوحدة والعزلة ويؤثر الشيخ الشاب بزواوجه وموضع خلوته ليحبس

قسط . الرابع : أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء »^(١) فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بر وإن كان عازماً على أن يروجه في معاملة فهذا شرّ روجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء . الخامس أن الزيف نعني به مالا تقرر فيه أصلاً بل هو محمول أو مالا ذهب فيه أعني في الدنانير أما ما فيه تقرر فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو قد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وجل رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك قد البلد سواء علم مقدار التقرة أو لم يعلم وإن لم يكن هو قد البلد لم يحز إلا إذا علم قدر التقرة فإن كان في ماله قطعة تقررنا ناقصة عن قد البلد فعليه أن يخبر به معاملة وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة التقد بطريق التلبس فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد فهو كبيع الضب ممن يعلم أنه يتخذه خيراً وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بمثل هذا في التجارة أشد من اللواطبة على نوافل العبادات والتخلي لها ولذلك قال بعضهم التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعب وقد كان السلف يحاطون في مثل ذلك حتى روى عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال حملت على فرسي لأقتل علياً قصير بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العليج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لأعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكسر الرأس منكسر القلب لما ظفني من العليج وما ظهر لي من خلق الفرس فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت أن تأخذ على العليج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفا ودقبت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبداً قال فانتبهت فزعا فذهبت إلى الهلاف وأبدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقن عليه أمثاله .

(القسم الثاني ما يعم ضرره العامل)

فكل ما يستضره العامل فهو ظلم وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم والضابط الكلي فيه أن لا يجب لأخيه إلا ما يجب لنفسه فكل مالو عومل به شق عليه وتقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينفى أن يستوى عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم : من باع أخاه شيئا ب درهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دنانير فإنه قد ترك النصح للمأمور به في المعاملة ولم يجب لأخيه ما يجب لنفسه هذه جملة فأمّا تفصيله ففي أربعة أمور أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتف من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا أصلاً وأن لا يكتف في وزنها ومقدارها شيئا وأن لا يكتف من سعرها مالو عرفه العامل لا تمتنع عنه : أما الأول فهو ترك الثناء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبس وظلم مع كونه كذا وإن لم يقبل فهو كذب وإسقاط مروءة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وإن أثني على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعميه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها قال الله تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - لأن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب وليكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتتقضى بسببه حاجته ولا ينفى أن يخلف عليه ألبته فإنه إن كان كاذباً قد جاء باليمين النعوس وهي من الكبار التي تذر الديار بلاقع وإن كان صادقاً قد جعل الله تعالى عرصة لأيمانه وقد أساء فيه إذ الدنيا أخس من أن يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة ،

(١) حديث رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء البخاري من حديث جابر .

القلب نفسه عن
دواعي الهوى والحرص
فيما لا يبي ويكن
الشيخ في بيت الجماعة
قوة حاله وصبره على
مداراة الناس وتخلصه
من تبعات المخالطة
وحضور وقاره بين الجمع
فينضبط به الغير ولا
يتكدر هو وأما الخدمة
فشان من دخل الرباط
مبتدئاً ولم يندق طم
العلم ولم يتنبه لنفاس
الأحوال أن يؤمر
بالخدمة لتكون عبادته
خدمة ويجذب بحسن
الخدمة قلوب أهل الله
إليه فتشمله بركة ذلك
ويصين الإخوان
للمتخلين بالعبادة . قال
رسوله الله صلى الله
عليه وسلم « المؤمنون
إخوة يطلب بعضهم إلى
بعض الحوائج فيقضى
بعضهم إلى بعض
الحوائج يقضى الله لهم
حاجاتهم يوم القيامة »
فيتحفظ بالخدمة
عن البطالة التي تمت
القلب والخدمة عند

وفي الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد »^(١) وفي الخبر « الجين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة »^(٢) وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عتل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلعته يمينه »^(٣) فإذا كان التناء على السلعة مع الصدق مكروها من حيث إنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التخليط في أمر الجين وقد روى عن يونس بن عبيد وكان خزازا أنه طلب منه خزل لشراء فأخرج غلامه سقط الخبز ونشره ونظر إليه وقال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يعبه وخاف أن يكون ذلك تعرضا بالتناء على السلعة فمثل هؤلاء هم الذين آجروا في الدنيا ولم يضعوا دينهم في تجارتهم بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا . الثاني : أن يظهر جميع عيوب البيع حميها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فإن أخفاء كان ظالما غاشا والفش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشا وكذلك إذا عرض الثياب في الواضح للظلمة وكذلك إذا عرض أحسن فردى الخف أو النعل وأمثاله ويدل على تحريم الفش ما روى « أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فيه فرأى بلا فقال ما هذا قال أصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا »^(٤) ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم^(٥) فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها ثم خيره وقال إن شئت فخذ وإن شئت فترك فقبل له إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع فقال إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الأسقع واقفا فباع رجلا ناقة له بثلاثة دراهم ففعل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسمى وراءه وجعل يصيح به يا هذا اشتريتها للحمل والظهور فقال بل للظهور فقال إن بخفها نقبا قدرأيته وإنها لاتابع السير فعاد فردها فقضها البائع مائة درهم وقال لو ائالة رحمك الله أقصدت على بيعي فقال إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يعمل لأحد يبيع بما إلا أن يبين آفته ولا يعمل لمن يعلم ذلك إلا تبيته »^(٦) قد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة القامات بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا أمر يشق على أكثر الخلق فلذلك يفتارون التخلي للمعادة والاعتزال عن الناس لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين . أحدهما أن تلبسه العيوب وتروى به

(١) حديث ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد لم أقف له على أصله وذكر صاحب مسند الفروس من حديث أنس بن مالك بإسناد نحوه (٢) حديث الجين الكاذبة منفقة للسلعة بمحقة البركة متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ الحلف وهو عند البيهقي بلفظ المصنف (٣) حديث أبي هريرة ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة عاتل مستكبر ومنان بغيته ومنفق سلعته يمينه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عاتل مستكبر ولهما ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب ولمسلم من حديث أبي ذر اللان والسبل إزاره والنفق سلعته بالحلف الكاذب (٤) حديث مر برجل يبيع طعاما فأعجبه فأدخل يده فرأى بلا فقال ما هذا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث جرير بن عبد الله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم متفق عليه (٦) حديث واثلة لا يعمل لأحد يبيع بما إلا أن يبين ما فيه ولا يعمل لمن يعلم ذلك إلا يئنه الحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي.

التقوم من جملة العمل الصالح وهي طريق من طرق المواجد تكسب الأوصاف الجميلة والأحوال الحسنة ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم ولا متطلعا إلى الاهتداء بهديهم. أخبرنا الشيخ التقه أبو القتح قال أنا أبو الفضل حميد ابن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم قال ثنا سليمان ابن أحمد قال ثنا علي ابن عبد العزيز قال ثنا أبو عبيد قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شريك عن أبي هلال الطائي عن وثيق بن الرومي قال كنت بموكا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يقول لي أسلم فانك إن أسلمت استمنت بك على أمانة للمسلمين فانه لا ينبغي أن أستعين على أماناتهم عن ليس منهم قال فأبيت فقال عمر لا إكراه في الدين سخطا

حضرت الوفاة أعتقني
قال اذهب حيث شئت
فالقوم يكرهون
خدمة الأغيار ويأبون
مخالطهم أيضا فان
من لا يحب طريقهم
ربما استضر بالنظر
إليهم أكثر مما ينتفع
فاتهم شر وتبدؤ منهم
أمور بمقتضى طبع
البشر وينكرها الغير
لقلة علمه بمقاصدهم
فيكون إياؤهم لموضع
الشفقة على الخلق
لامن طريق التميز
والترفع على أحد
من السليين والشاب
الطالب إذا خدم أهل
الله المشغولين بطاعته
يشاركهم في الثواب
وحيث لم يؤهل
لأحوالهم السنية بخدم
من أهل لها فخدمته
لأهل القرب علامة
حب الله تعالى . أخبرنا
الثقة أبو الفتح محمد
ابن سليمان قال أنا
أبو الفضل حميد بن
أحمد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال ثنا

السلع لا يزيد في رزقه بل يحقه ويذهب يركته وما يجمعه من ممرقات التلبسات يهلكه الله دفعة واحدة .
قد حكى أن واحدا كان له بقرة يخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض
أولاده إن تلك للياه النفرقة التي صيدها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة كيف وقد
قال صلى الله عليه وسلم « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما وإذا كتما وكذبا نزع بركة
بيعهما (١) » وفي الحديث « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فإذا تخاونا رفع يده عنهما (٢) » فإذا لا يزيد
مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث
ومن عرف أن الدرهم الواحد قديرك فيه حتى يكون سببا لسعادة الإنسان في الدنيا والدنيا والآلاف
المؤلفة قد يرفع الله البركة منها حتى تكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراد أصلح
له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا إن الحيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي
لا بد من اعتقاده ليم له النصح ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وأن فوائد
أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها فكيف يستجير العاقل أن يستبدل الذي هو
أدنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قال رسول الله ﷺ « لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الخلق
سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم (٣) » وفي لفظ آخر « ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة
دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى كذبتم لستم بها صادقين » وفي حديث آخر « من
قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصه قال أن يحجزه عما حرم الله (٤) » وقال أيضا ما آمن
بالقرآن من استحله محارمه ومن علم أن هذه الأمور قاذحة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في
تجارته في الآخرة لم يضيع رأس ماله لعد لعمري لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياما معدودة . وعن
بعض التابعين أنه قال لودعات الجامع وهو غاص بأهله وقبيل من خبر هؤلاء قتل من أنصحبهم
لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خير من لو قيل لي من شرم قلت من أغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو
شرهم والشر حرام في البيوع والصنائع جميعا ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لوعامله به
غيره لما ارتضاء لنفسه بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب
فبذلك يتخلص . وسأل رجل حذاء بن سالم فقال كيف لي أن أسام في بيع النعال فقال اجعل الوجهين
سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق
إحدى التعلين على الأخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث
لا يتبين قال لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه وإنما يحل للرفا إذا علم أنه يظلمه أو أنه لا يريد له البيع . فان قلت
فلاتم للعامة مهمما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب البيع . فأقول ليس كذلك إذ شرط التاجر أن
لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يفتح في يده بربح يسير فيبارك الله له فيه ولا

(١) حديث البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما الحديث متفق عليه من حديث حكيم
ابن حزام (٢) حديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما أبو داود والحاكم
من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٣) حديث لا تزال لإله إلا الله تدفع عن الخلق
سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم الحديث أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس
بسنن ضعيف وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر حق إذا تزلوا بالمثل الذي لا يبالون ما نقص
من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف
أيضا (٤) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبراني
من حديث زيد بن أرقم في معجمه الكبير والأوسط بإسناد حسن .

يحتاج إلى تلبس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالريح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبس فمن تعود هذا لم يشتر الصيب فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري أيا إليك من عيب فيها إنما تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها تنحمت مرة عندنا فما فهكذا كانت سريرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك العاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة . الثالث أن لا يكتم في القدر شيئا وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل فينبغي أن يكيل كما يكتال قال الله تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجع إذا أعطى وينقص إذا أخذ إذ العدل الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فإن من استقصى حقه بكتاله يوشك أن يتعداه وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويل من الله بحبة فكان إذا أخذ نصف حبة وإذا أعطى زاد حبة وكان يقول : ويل لمن باع بحبة حبة عرضها السموات والأرض وما أخصر من باع طوبى بويل وإنما بالتوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحجاب حتى يجمعهم ويؤدى حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قال للوزان لما كان زين نعمة «زن وأرجح»^(١) ونظر فضيل إلى ابنه وهو يسئل دينارا يريد أن يصرفه ويزيل تكيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال يا بني فلك هذا أفضل من حبتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبت للتاجر والبائع كيف ينجو وزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني كاتدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين . وصلى بعض الصالحين على منحت قيل له إنه كان فاسقا فسكت فأعيد عليه فقال كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطى بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظنة بينه وبين الله تعالى وهذا من مظالم العباد والمساخة والعفوفه أبعد والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - لا تظنوا في الميزان وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان - أي لسان الميزان فإن النقصان والرجحان يظهر بعله وبالجلة كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون - الآيات فإن تحريم ذلك في الكيل ليس لسكونه مكيل بل لسكونه أمرا مقصود أترك العدل والنصفه فيه فهو جار في جميع الأعمال فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أقواله وأفعاله وخطراته فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة ولو لا تعذر هذا واستحالت لما ورد قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا - فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الذل عن الاستقامة إلا أن درجات البيل متفاوت تفاوتها عظيما فلذلك تفاوت مدة مقامهم في النار إلى أنوار الخلاص حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر نخلة القسم ويبقى بعضهم ألفا وألوف سنين فنسأل الله تعالى أن يقرنا من الاستقامة والعدل فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه فإنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ولولا له لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط وكل من خلط بالطعام ربا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظيما لم يجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الدرع الذي يتعاطاه البراز

(١) حديث قال للوزان زن وأرجح أصحاب السنن والحاكم من حديث سويد بن قيس قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم .

أبو بكر بن خلاد قال
ثنا الحرث بن أبي
أسامة قال ثنا معاوية
ابن عمرو قال ثنا
أبو اسحاق عن حميد
عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال
لما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم من
تبوك قال حين دنا
من المدينة إن
بالمدينة أقواما
ما سرتهم من سير ولا
قطعتهم واديا إلا كانوا
معكم قالوا وهم في المدينة
قال «نعم حبسهم العذر»
فالتقاهم بخدمة القوم
تفوق عن بلوغ درجاتهم
ببذر التصور وعدم
الأهلية لحام حول
الحمل بأذلا مجهوده في
الخدمة يتطل بالآخر
حيث منع النظر لجزاه
الله على ذلك أحسن
الجزاء وأثاله من
جزيل العطاء وهكذا
سكان أهل الصفة
يتعاونون على البر
والتقوى ويجمعون
على الصالح الدينية

فانه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمد مدا وإذا باع مده في القدرع يظهر تفاوتاً في القدر فكل ذلك من التطفيف للعرض صاحبه للويل . الرابع أن يصدق في سعر الوقت ولا يغني منه شيئاً فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقى الركبان (١) ونهى عن التجش (٢) أما تلقى الركبان فهو أن يستقبل الرقة ويتلقى التاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله عليه وسلم « لا تلقوا الركبان » ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق وهذا الشراء منعقد ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف لعارض عموم الخبر مع زوال التلبس ونهى أيضاً أن يبيع حاضر لباد (٣) وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى يمه فيقول له الحضري أركه عندي حتى أغالى في ثمنه وأنتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف والأظهر تحريمه لعموم النهي ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي الضيق ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التجش وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريد بها وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجرم مواطاة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وإن جرى مواطاة ففي ثبوت الخيار خلاف والأولى إثبات الخيار لأنه تقرير بفعل يضاهي التقرير في المصراة وتلقى الركبان فهذه المناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويحكم منه أمراً لوعلمه لما أقدم على العقد فعمل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب . فقد حكى عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فيكتب إليه غلامه إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرًا كثيرًا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فأفكر ليلته وقال ربحت ثلاثين ألفاً وخسرت نصف رجل من المسلمين فلما أصبح غداً إلى بائع السكر فدفعت إليه ثلاثين ألفاً وقال بارك الله لك فيها فقال ومن أين صارت لي فقال لي كنتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال رحمك الله قد أعلمني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها إلى منزله وتفكروبات ساهرا وقال ما نصحتك فلمله استحيما من فتركتها لي فبكر إليه من القدر وقال عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب قلبي فأخدمته ثلاثين ألفاً فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه ليس له أن يستنم فرصة ويتهم غفلة صاحب المتاع ويغني من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار فان فعل ذلك كان ظالماً تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مراعاة بأن يقول بست بما قام على أو بما اشترته فطيه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره ولو اشترى مساعمة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يقول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب إخباره إذ الاعتماد فيه على أماته .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للتدين أن يقتصر على العدل

(١) حديث النهي عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٢) حديث النهي عن التجش متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة (٣) حديث النهي عن بيع الحاضر للبادي متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس .

(الباب الرابع في الإحسان في المعاملة)

ومواساة الاخوان

بالمال والبدن .

[الباب الخامس عشر

في خصائص أهل

الربط والصوفية

فيها يتعاهدونه

ويختصون به]

أعلم أن تأسيس هذه

الربط من زينة هذه

اللة الهادية الهدية

ولسكان الربط أحوال

تميزوا بها عن غيرهم

من الطوائف وهم على

هدى من ربهم قال

الله تعالى - أولئك

الذين هدى الله فبهداهم

اتقوا - وما يرى من

التقصير في حق البعض

من أهل زماننا

والتخلف عن طريق

سلفهم لا يقدح في أصل

أمرهم ومحة طريقهم

وهذا القدر الباقي من

الأثر واجتماع التصوفة

في الربط وما هيا الله

تعالى لهم من الرفق

بركة جمعية بواطن

للشايخ الماضين وأثر

من آثار منع الحق في

حقهم وصورة الاجتماع

واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان وقد قال الله - وأحسن كما أحسن الله إليك - وقال عز وجل - إن الله بأمر العدل والإحسان - وقال سبحانه - إن رحمت الله قريب من المحسنين - ونفى بالإحسان فعل ما ينتفع به العامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنازل رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور : الأول في الغائبة فينبغي أن لا يبين صاحبه بما لا يتغابن به في العادة فأما أصل الغائبة لما أذن فيه لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغير ما ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة على الربح المتعاد إما لشدة رغبته أو لشدة حاجته في الحال إليه فينبغي أن يتمتع من قبوله فذلك من الإحسان ومهما لم يكن تلبس لم يكن أخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولنا نرى ذلك ولكن من الإحسان أن يحيط ذلك الغبن . يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة ففرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها ففرض بها وهي على يديه فاستقبله يونس فصرف حلتها فقال للأعرابي بكم اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوى أكثر من مائتين فأرجع حتى تردها فقال هذه تساوى في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فان الصبح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله ترجع مثل الخمر وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما أخذها إلا وهو راض بها قال فهلا رضيت لها بما ترضاه لنفسك وهذا إن كان فيه إخفاء سر وتلبس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي الحديث « غبن المسترسل حرام ^(١) » وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشترى لحما بدرهم فبين مثل هؤلاء المسترسلين ظلم إن كان من غير تلبس فهو من ترك الإحسان وقلمنا يتم هذا إلا بنوع تلبس وإخفاء سر الوقت وإنما الإحسان المحض ما قل عن السرى السقطي أنه اشترى كرلوز بستين دينارا وكتب في روزنامه ثلاثمائة نايير بجمه وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأناه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم فقال بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين فهدى اللوز بتسعين فقال السرى قد عقدت عقدا لأحله لست أعيه إلا بثلاثة وستين فقال الدلال وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلما لست آخذ منك إلا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا السرى باعه فهذا محض الإحسان من الجانبين فانه مع العلم بحقيقة الحال . وروى عن محمد بن النكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع في غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابي لاشترى طول النهار حتى وجده فقال له إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وإن رضيت فانا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال إما أن تأخذ شقة من العشرية بدرهمك وإما أن نرد عليك خمسة وإما أن ترد شقتنا وتأخذ درهمك فقال أعطني خمسة فرد عليه خمسة وانصرف الأعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ قبيل له هذا محمد بن النكدر فقال لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قطعنا فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصف أو واحدا على ما جرت به العادة في مثل ذلك الناع في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستغاد من تكررها ربما كثيرا وبه تظهر البركة . كان على رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار

(١) حديث غبن المسترسل حرام الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف والبيهقي من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام .

في الربط الآن على طاعة الله والتسليم بظاهر الآداب عكس نور الجمعية من بواطن المؤمنين وسلوك الخلف في مناهج السلف فهم في الربط كجسد واحد بقلوب متفقة وعزائم متحدة ولا يوجد هذا في غيرهم من الطوائف قال الله تعالى في وصف المؤمنين - كأنهم بنيان مرصوص - وبكس ذلك وصف الأعداء فقال - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - وروى النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما المؤمنون كجسد رجل واحد إذا اشتكى عضو من أعضائه اشتكى جسده أجمع وإذا اشتكى مؤمن من المؤمنين اشتكى المؤمنين » فالصوفية وظيفتهم اللازمة من حفظ اجتماع البواطن وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن لأنهم بنسبة الأرواح

خذوا الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيرا قيل لبيد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما سبب يسارك قال ثلاث ما رددت ربما قط ولا طلب من حيوان فأخرت بيعه ولا بت بنسبته ويقال إنه باع ألف ناقة فاباع لإعقلها باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفا وربح من ثقته عليها ليومه ألفا . الثاني : في احتمال الغبن والشترى إن اشترى طعاما من ضعيف أو شيئا من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون بمحسنا وداخلا في قوله عليه السلام « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء » فأما إذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا بل هو تضييع مال من غير أجر ولأحمد قد ورد في حديث من طريق أهل البيت « الغبون في الشراء لا محمود ولا مأجور (١) » وكان إياس بن معاوية بن قره قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بحب والحب لا يغني ولا يغني ابن سيرين ولكن يغني الحسن ويغني أبي يعني معاوية بن قره والكمال في أن لا يغني ولا يغني كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان أكرم من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال قليل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال إن الواهب يسطي فضله وإن الغبون يغني عقله وقال بعضهم إنما أغني بعقلي وبصري فلا أسكن الغابن منه وإذا وهبت أعطى الله ولا أستكثر منه شيئا . الثالث : في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيهمرة بالمساعة وحط البعض ومرة بالإمهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك مندوب إليه ومحث عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء (٢) » فليقتنم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم « اصمح بسمعك (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا » وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (٤) » « وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعهوا اللوسر وأنظروا المعسر (٥) » وفي لفظ آخر « ونجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له » وقال صلى الله عليه وسلم « من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة (٦) » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضى غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالتصدق بجميعه في كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم « رأيت على باب

(١) حديث من طريق أهل البيت الغبون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في التواتر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنه قال الذهبي هو منكر (٢) حديث رحم الله سهل البيع سهل الشراء تقدم في الباب قبله (٣) حديث اصمح بسمعك لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (٤) حديث من أنظر مصرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر « أظله الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (٥) حديث ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا إلا أني كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى ساعهوا اللوسر الحديث مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (٦) حديث من أقرض دينارا إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله فإذا حل الأجل فأنظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة ابن ماجه من حديث بريدة من أنظر معسرا كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظره بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة وسنده ضعيف ورواه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين .

اجتمعوا وبرابطة

التأليف الإلهي اتفقوا

وعشاهدة القلوب

تواطئوا ولتهذيب

النفوس وتصفية القلوب

في الرابطة رابطوا

فلا بد لهم من التألف

والتودد والتصح .

روى أبو هريرة عن

رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال « المؤمن

يألف ويؤلف ولا خير

فيمن لا يألف ولا

يؤلف » . وأخبرنا

أبو زرعة طاهر بن

الحافظ أبي الفضل

للقدس عن أبيه قال

ثنا أبو القاسم الفضل

ابن أبي حرب قال أنا

أحمد بن الحسين

أخبرني قال أنا أبو سهل

ابن زياد القطان قال

ثنا الحسين بن مكرم

قال ثنا يزيد بن هرون

الواسطي قال ثنا محمد

ابن عمرو عن أبي سلمة

عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « الأرواح

جنود مجتدة فما تعارف

الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ^(١) قيل في معناه إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يحتمل ذلك الاستقراض إلا محتاج ^(٢) ونظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يلازم رجلاً يدين فأومأ إلى صاحب الدين يده أن يضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فأعطه ^(٣) وكل من باع شيئاً وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى القرض . وروى أن الحسن البصري باع بفضة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اصبح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له فأحسن يا أبا سعيد فقال قد وهبت لك مائة أخرى قبض من حقه مائتي درهم قيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الإحسان وإلا فلا وفي الخبر ^(٤) خذ حقه في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حساباً يسيراً ^(٥) . الرابع : في توفية الدين ومن الإحسان فيه حسن القضاء وذلك بأن يمتنى إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمتنى إليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم ^(٦) خيركم أحسنكم قضاء ^(٧) ومهما قدر على قضاء الدين فليأدر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن وإن عجز فليؤن قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم ^(٨) من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ^(٩) وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلف صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقبله بالطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١٠) إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ فهم به أصحابه فقال : دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ^(١١) ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الليل الأكثر للتوسطين إلى من عليه الدين فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري أكثر فإن البائع راغب عن السلطة ينهي ترويحها والمشتري محتاج إليها هذا هو الأحسن الآن يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تمديه وإعانة صاحبه إذ قال ﷺ ^(١٢) انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قيل كيف تنصره ظالماً فقال منعهك إياه من الظلم نصرة له ^(١٣) . الخامس : أن يقلل من يستقيه فانه لا يستقل إلا متمتعاً مستضر بالبيع ولا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه قال صلى الله عليه وسلم ^(١٤) من قال نادماً صفته أقاله الله عثرته يوم القيامة ^(١٥) أو كما قال . السادس : أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم على أن لا يطلبهم إن لم تظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحه السلف من له دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه

(١) حديث رأيت على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف . (٢) حديث أوماً إلى صاحب الدين يده وضع الشطر الحديث متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٣) حديث خذ حقه في عفاف الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله يحاسبك الله حساباً يسيراً وله ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن عمر وعائشة (٤) حديث خيركم أحسنكم قضاء متفق عليه من حديث أبي هريرة (٥) حديث من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه أحمد من حديث عائشة ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الأوسط إلا كان معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه (٦) حديث دعوه فإن لصاحب الحق مقالا متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً الحديث متفق عليه من حديث أنس (٨) حديث من أقال نادماً صفته أقاله الله عثرته يوم القيامة أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم

منها التلف وماتناكر منها اختلف فهم باجتماعهم تجتمع بواطنهم وتقييد نفوسهم لأن بعضهم عين على البعض على ماورد « المؤمن مرآة المؤمن » فأى وقت ظهر من أحدهم أثر التفرقة نافروه لأن التفرقة تظهر بظهور النفس وظهور النفس من تضيق حق الوقت فأى وقت ظهرت نفس الفقير علموا منه خروجه عن دائرة الجمعية وحكموا عليه بتضييع حكم الوقت وإهمال السياسة وحسن الرعاية فيقاد بالنافرة إلى دائرة الجمعية . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر السهروردي بإجازة قال أنا الشيخ العالم عصام الدين أبو حفص عمر بن أحمد ابن منصور الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف الشيرازي قال أنا

من الضمءاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتبهه فيقول أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي ثمّة فكان يقول خذوه واقض ثمّة عند الليرة ولم يكن يعد هذا من الخبار بل عدّه من الخبار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلاً ولا يحمله ديناً لكن يقول خذ ما تريد فإن يسرك فاقض وإلا فأنت في حل منه وسعة فهذه طرق تجارات السلف وقد انبرست والقائم به على هذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها تختبر دين الرجل وورعه ولذلك قيل : لا يفرنك من الله قيس رقهه أو إزار فوق كعب الساق منه رقهه أو جبين لاح فيه أثر قد قلمه ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه ولذلك قيل إذا أتى على الرجل خيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد فقال اتقني بمن يرفق فأنا رجل فأتني عليه خيراً فقال له عمر أنت جاوره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه قال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق فقال لا قال فاملته بالدينار والدرهم أتني يستين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائماً في المسجد يهجم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفقه أخرى قال نعم فقال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل اذهب فاتقني بمن يعرفك .

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه وبعم آخرته)

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وشفقته خاسرة وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه يحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف أولى الأشياء بالماثل أحوجه إليه في العاجل وأحوج شيء إليه في العاجل أحمد عاقبة في الأجل وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه في وصيته إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابداً بنصيبك من الآخرة غفله فانك ستتمرّ على نصيبك من الدنيا فتنتظمه قال الله تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور . الأول : حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينبهها الاستغفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينبو الصبح للمسلمين وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينبو اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه ولينبو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فإذا أضمر هذه العقائد والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة فان استفاد مالا فهو مزيد وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة . الثاني : أن يقصد القيام في صناعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاشة وهلك أكثر الخلق فانتظام أمر الكل بتمعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله ولو أقبل كلهم على صناعة واحدة لمعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه السلام «اختلاف أمقى رحمة» (١) أي اختلاف مهمهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها ما يستثنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والبر في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصباغة وتشديد البنيان بالجرس وجميع ما تزخر به الدنيا فكل ذلك كرهه

(الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه)

(١) حديث اختلاف أمقى رحمة تقدم في العلم .

الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت رويماً يقول لا يزال الصوفية يخرجون متافروا فإذا اصطالحوا هلكوا وهذه إشارة من رويهم إلى حسن تفقد بعضهم أحوال بعض إشفاقاً من ظهور النفوس يقول إذا اصطالحوا أو رفضوا المنافرة من بينهم يخاف أن تغامر البواطن للسهلة والراءاة ومساعة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم وبذلك تظهر النفوس وتستولى وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : رحم الله امرأاً أهدي إلى عيوبه . وأخبرنا أبو زرعة عن أبيه الحافظ القديس قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الهروي قال أنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنا أبو القاسم البغوي قال

ذو الدين فأما حمل للالهى والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الحياط القباء من الإبريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصى والأجرة للأخوة عليه حرام ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لانوجب الزكاة في الحل لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهية للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا أن يبيع الطعام ويبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بفناء السر ويكره أن يكون جزاء لما فيه من تساوة القلب وأن يكون حجاباً أو كناساً لما فيه من غامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلفة لترويجها ولأن العمل فيه لا يتقدر قد يغل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر إلى قدر الثوب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي يصدده لا بحالة وحلوه وقيل بيع الحيوان واشترى اللواتن وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير ولأنه طلب لم دقائق الصفات فما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتناء جهالة معاملته بدقائق النقد قلما يسلم الصيرفي وإن احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة قال أحمد بن حنبل رحمه الله ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدرهم ذهباً ويصوغه واستحبوا تجارة البر قال سعيد بن المسيب مامن تجارة أحب إلى من البر ما لم يكن فيها أيمان وقد روى «خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز» ^(٢) وفي حديث آخر «لو اتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو اتجر أهل النار لا تجروا في الصرف» ^(٣) وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع الحرز والتجارة والحمل والحياطة والحذو والقضارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الوهاب الوراق قال لي أحمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب ولو كنت صانعاً يسدى لصنعت صنعتك ثم قال لي لا تكتب إلا بواسطة واستبقى الحوائش وظهور الأجزاء وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي الحاكمة والقطانون وللغازليون وللملمون ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لميسى عليه السلام بحاكمة فطلبت الطريق فأرشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قيل المبادات وفروض الكفايات كفضل الموتى ودقنهم وكذا الأذان وصلاة التراويح وإن حكم

(١) حديث النهى عن كسر الدينار والدرهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة ابن عبد الله عن أبيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس زاد الحاكم أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً وضعفه ابن حبان (٢) حديث خير تجارتكم البر وخير صناعتكم الحرز لم أقف له على إسناد وكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب (٣) حديث لو اتجر أهل الجنة لا تجروا في البر ولو اتجر أهل النار لا تجروا في الصرف أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف . وروى أبو يعلى والقبلي في الضعفاء الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق .

حدثنا مصعب بن عبد الله الزيري قال حدثني إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن محمد بن نعيم أخبر بأن عمر قال في مجلس فيه المهاجرون والأنصار أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال فسكتنا قال قال ذلك مرتين أو ثلاثاً أرايتم لو ترخست في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين قال بشر بن سعد لو فطنت ذلك قومنا لك تخوم القدر قال عمر أتم إذن أتم وإذا ظهرت نفس الصوفي بضرب وخصومة مع بعض الإخوان فشرط أخيه أن يقابل نفسه بالقلب فان النفس إذا قوبلت بالقلب انحسرت مادة الشر وإذا قوبلت النفس بالنفس تارت الفتنة وذهبت العصمة قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن فإذا

بصحة الاستئجار عليه وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للأخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك . الثالث أن لا يعمسوق الدنيا عن سوق الآخرة وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - وقال الله تعالى - في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - فينبغي أن يجعل أول النهار إلى وقت دخول السوق لأخرفته فيلازم السجود ويأطع على الأوراد كان عمر رضى الله عنه يقول للتجار اجعلوا أول نهاركم لأخرتكم وما بعدكم لدنياكم وكان صالحو السلف يحصلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ولم يكن يبيع الهريسة والرءوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعدد في الخبر « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير كفر الله عنه ما بينهما من سيئ الأعمال (١) » وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم أني قد غفرت لهم (٢) » ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر فينبغي أن لا يخرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه لما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصي عند بعض العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - إنهم كانوا حدادين وخرازين فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الإشتي فسمع الأذان لم يخرج الإشتي من الغرز ولم يوقع المطرقة ورسمها وقام إلى الصلاة . الرابعة أن لا يقتصر على هذا بل يلزم ذكر الله سبحانه في السوق ويشغل بالتبجيل والتسبيح فذكر الله في السوق بين العاقلين أفضل قال صلى الله عليه وسلم « ذاكر الله في العاقلين كالمقاتل خلف الفارين وكالحى بين الأموات » وفي لفظ آخر « كالشجرة الخضراء بين المشيم » وقال صلى الله عليه وسلم « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة (٣) » وكان ابن عمر وسالم بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن ذاكر الله في السوق يحيى يوم القيامة له ضوء كمنه القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها وكان عمر رضى الله عنه إذا دخل السوق قال اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم إني أعوذ بك من عین فاجرة وصفقة خاسرة وقال أبو جعفر الفرغانى كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويمسكون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل السجدة يأخذ باذن بعض من فيه

(١) حديث إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفي أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه (٢) حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم كيف تركتم عبادي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة القعدة وصلاة العصر الحديث (٣) حديث من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده شريك له الحديث تقدم في الأذكار .

الذى بينك وبينه عداوة كأنهولى حميم . وما يلتقاها إلا الدين صبروا - ثم الشيخ أو الخادم إذا شكك إليه فقير من أخيه فله أن ياتى بأيهما شاء فيقول للمتمدى لم تعدى وللمتمدى عليه ما الذى أذنبت حق تعدى عليك وسلط عليك وهلا قابلت نفسه بالقلب رققا بأخيك وإعطاء للفتنة والصحة حقها فكل منهما جان وخارج عن دائرة الجمعية فيرد إلى الدائرة بالتقار فيعود إلى الاستغفار ولا يسلك طريق الأصرار روت عائشة رضى الله عنها قالت « كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعلني من الدين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » فيكون الاستغفار ظاهرا مع الإخوان وباطنا مع الله تعالى ويرون الله في

فيخرجه ويجلس مكانه وإني لأعرف رجلا يدخل السوق ورذه كل يوم ثلثمائة ركة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه فكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنم في الدنيا فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم « اتق الله حينما كنت ^(١) » فوظيفة التقوى لا تنقطع عن التجاردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال وبه تكون حياتهم وعيشهم إذ فيه يرون تجارهم وربهم وقد قيل من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش والأحق يندو وبروح في لاش والمائل عن عيوب نفسه فتاش . الخامس : أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج وبأن يركب البحر في التجارة فهما مكروهان يقال إن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر « لا يركب البحر إلا للجب أو عمرة أو غزو ^(٢) » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول لا تكن أول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فإن بها باض الشيطان وفرح روى عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر أن إبليس يقول لولبه زلت ورسر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم السكذب والحلف والحديمة والسكر والحياة وكن مع أول داخل وآخر خارج منها وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ^(٣) » وتعام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كانوا صالحو السلف لقد كان منهم من إذا ربح دافعا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخبز في سبط بين يديه فكان إذا ربح جبتين رفع سبطه وانصرف وقال إبراهيم بن بشار قلت لإبراهيم بن آدم رحمه الله أمر اليوم أعمل في الطين فقال يا ابن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لاتفوته وتطلب ما قد كفتيه أما رأيت حرصنا محروما وضعيفا مرزوقا قلت إن لي دافعا عند البقال فقال عز على بك تملك دافعا وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوما أو يومين وكانوا يكتفون به . السادس : أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتق مواضع الشبهات ومظان الرب ولا ينظر إلى الفتاوى بل يستفي قلبه فإذا وجد فيه حزاة اجتنبه وإذا حمل إليه سائمة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة « وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من أين لكم هذا ؟ فقالوا من الشاة فقال ومن أين لكم هذه الشاة ؟ قيل من موضع كذا فصرب منه ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا ^(٤) » وقال « إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم - ^(٥) » فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال فإنه كان عليه السلام لا يسأل

(١) حديث اتق الله حينما كنت حديث أبي ذر وصححه (٢) حديث لا تترك البحر إلا لحجة أو عمرة أو غزو أبو داود من حديث عبد الله بن عمر وقيل إنه منقطع (٣) حديث شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم وروى أبو نعيم في كتاب حرمة الساجد من حديث ابن عباس أبيض البقاع إلى الله الأسواق وأبيض أهلها إلى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا (٤) حديث سؤاله عن اللبن والشاة وقوله إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شدد بن أوس بسند ضعيف (٥) حديث إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

استغفارهم فلهذا النبي يقفون في صف النعال على أقدامهم تواضعا وانكسارا ومجتم شيئا يقول للفقير إذا جرى بينه وبين بعض إخوانه وحشة قم واستغفر فيقول الفقير ما أرى باطن صافيا ولا أثر للقيام للاستغفار ظاهرا من غير صفاء الباطن فيقول أنت قم فبركة سبعك وقيامك تزيق الصفاء فكان يجد ذلك ويرى أثره عند الفقير وترقى القلوب وترفع الوحشة وهذا من خاصية هذه الطائفة لا يبتسون والبواطن منظوية على وحشة ولا يجتمعون للطعام والبواطن تضرر وحشة ولا يرون الاجتماع ظاهرا في شيء من أمورهم إلا بعد الاجتماع بالبواطن وذهاب التفرقة والشعث فإذا قام الفقير للاستغفار لا يجوز رد استغفاره بحال . روى عبد الله

عن كل ما يحمل إليه (١) وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا الأجناد والظلة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم . ووجهي عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور . قال فوقع في نفس من ذلك شيء وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام ولكن كان الأمير الذي تولى في محله من الظلة قال فسألت سفيان رضي الله عنه فقال لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل الله للسلمين قال نعم ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفرك أجره فتكون قد أحبت بقاء من يعصى الله وقد جاء في الخبر « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه » (٢) وفي الحديث « إن الله لا ي غضب إذا مدح الفاسق » (٣) وفي حديث آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام » (٤) ودخل سفيان على للهدى ويده درج أبيض فقال يا سفيان أعطني النواة حتى أكتب فقال أخبرني أي شيء تكتب فان كان حقاً أعطيتك وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال ناوئى الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه فمكننا كانوا يعترضون عن معاونة الظلة ومعاملتهم أشد أنواع الاعانة فينبغي أن يحتجبها ذور الدين ما وجدوا إليه سبيلاً وبالجملة فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان قال بعضهم أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون لي أن أعامل من الناس فيقاله عامل من شئت ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلانا وفلانا ثم أتى زمان آخر فكان يقال لا تعامل أحداً إلا فلانا وفلانا وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون إنما لله وإنما إليه راجعون . السابع : ينبغي أن يراقب جميع مجارى معاملته مع واحد من معامليه فانه يراقب ومحاسب . فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فلة وقولة فانه لم أقدم عليها ولأجل ماذا فانه يقال إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ومحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رأيت بعض التجار في النوم فقلت ماذا فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس بعدد كل انسان عاملته في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أول معاملته إلى آخرها فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين

(١) حديث كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها الحديث وله من حديث أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه الحديث وإسنادهما جيد وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتى به من عند أهله والله أعلم (٢) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه لم أجده مرفوعاً وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان (٣) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ابن أبي الدنيا في الصمت وابن عدي في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الاسلام غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة الحديث رواه ابن عدي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة

ابن عمر رضي الله عنهما
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « ارحموا
ترحموا واغفروا يغفر
لكم » . وللمصوفية في
تهليل يد الشيخ بعد
الاستغفار أصل من
السنة . روى عبد الله
ابن عمر قال « كنت في
سرية من سرايا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
خاص الناس حصة
فكنت فيمن خاص
قلنا كيف نصنع وقد
فررنا من الرخص وبؤنا
بالغضب ثم قلنا لودخلنا
للدنية قتيلاً فيها ثم قلنا
لو عرضنا أنفسنا على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإن كان لنا توبة
وإلا ذهبنا فأتينا
قبل صلاة الغداة فخرج
فقال من القوم قلنا نحن
الفرارون قال لا بل
أنتم المكارون أنا فتسكم
أنا فئة المسلمين » يقال
عكر الرجل إذا تولى ثم
كر راجعاً والعكار
العطاف والرجاع قال
فأتينا حتى قبلنا يده »

وإن أضاف إليه الإحسان كان من للتقريب وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين والله أعلم بالصواب ثم كتاب آداب الكسب واللبشة بحمد الله ومنه .

(كتاب الحلال والحرام)

وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال ، ثم ركب صورته في أحسن تقويم وأتم اعتدال ، ثم غذاه في أول نشوه بلبين استصفاة من بين فرت ودم سائما كالماء الزلال ، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواهي الضعف والانحلال ، ثم قيد شهوته العادية له عن السطوة والصيل ، وقهرها بما اقترضه عليه من طلب القوت الحلال ، وهزم بكسرهما جند الشيطان للتشمر للاضلال ، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيل ، فضيق عليه عزة الحلال الجري والجهال ، إذا كان لا يذوقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال ، فبقى لمازمت بزمام الحلال خالبا خاسرا ماله من ناصر ولا وال . والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم تسليما كثيرا . أما بعد . فقد قال صلى الله عليه وسلم « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ^(١) » رواه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لانداس عمله إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود وأنه لم يبق من الطيبات إلا اللاء القرات والحشيش النابت في الموات وماعداه فقد أخبثته الأيدي العادية وأفسدته للعلامات الفاسدة وإذا تعددت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين أصلا ولم يدركوا بين الأموال فرقا وفضلا وهيئات هيات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها واستنطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن قسائها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان ولا يخرجها التضيق عن حيز الإمكان . ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب . الباب الأول : في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام . الباب الثاني : في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام . الباب الثالث : في البحث والسؤال والمحبوم والاهمال ومظاهرها في الحلال والحرام . الباب الرابع : في كيفية خروج النائب عن المظالم للسالية . الباب الخامس : في إدارات السلاطين وصلاحهم وما يحل منها وما يحرم . الباب السادس : في الدخول على السلاطين ومخالطتهم . الباب السابع : في مسائل متفرقة .

(الباب الأول في فضيلة الحلال ومذمة الحرام ، وبيان أضاف الحلال

ودرجاته وأضاف الحرام ودرجات الورع فيه)

(فضيلة الحلال ومذمة الحرام)

(كتاب الحلال والحرام)

(الباب الأول في فضيلة طلب الحلال)

(١) حديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة على كل مسلم تقدم في الزكاة دون قوله على كل مسلم وللطبراني في الأوسط من حديث أنس واجب على كل مسلم وإسناده ضعيف .

وروى أن أبا عبيدة
ابن الجراح قبل يد عمر
عند قدمه وروى
عن أبي مرثد الضوي
أنه قال « أتينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فزلت إليه وقبلت يده »
فهذا رخصة في جواز
تقبيل اليد ولكن
أدب الصوفي أنه متى
رأى نفسه تعزز
بذلك أو تظهر بوصفها
أن يتنعم من ذلك فإن
سلم من ذلك فلا بأس
بتقبيل اليد ومعاينتهم
للاخوان عقيب
الاستغفار لرجوعهم
إلى الألفة بعد الوحشة
وقدومهم من سفر
الهجرة بالفرقة إلى
أوطان الجمعية بظهور
النفس تغربوا وبعدوا
وبضية النفس
والاستغفار قدسوا
ورجعوا ومن استغفر
إلى أخيه ولم يقبله قد
أخطأ قد ورد عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك
وعيد روى عنه عليه

قال الله تعالى - كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل وقيل إن المراد به الحلال وقال تعالى - ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - وقال تعالى - إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما - الآية . وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بينكم من الربا إن كنتم مؤمنين - ثم قال - فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله - ثم قال - وإن تبتم فلكم رهوس أموالكم - ثم قال - ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - جعل آكل الربا أول الأمر مؤذنا بحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(١) قال بعض العلماء أراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في غفاف كان في درجة الشهداء »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »^(٣) وفي رواية « زهد الله في الدنيا » وروى « أن سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطلب طعمتك تستجب دعوتك »^(٤) ولما ذكر صلى الله عليه وسلم الحرام رفع يديه فيقول يا رب يا رب فأني يستجاب لي ذلك »^(٥) وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل »^(٦) فقيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بفسرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته لآدام عليه منه شيء »^(٧) وقال صلى الله عليه وسلم « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به »^(٨) وقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم تقدم في العلم (٢) حديث من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا في غفاف كان في درجة الشهداء الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة من سعى على عياله في سبيل الله ولا يني منصور في مسند القردوس من طلب مكسبة من باب حلال يكف بها وجهه عن مسئلة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين وإسنادها ضعيف (٣) حديث من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولأبي عندي نحوه من حديث أبي موسى . وقال حديث منكر (٤) حديث أن سعدا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الله أن يجعله مجاب الدعوة فقال له أطلب طعمتك تستجب دعوتك الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه (٥) حديث رب أشعث مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر الحديث (٦) حديث ابن عباس إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل لم أقف له على أصل ولأبي منصور الديلمي في مسند القردوس من حديث ابن مسعود من أكل لقمة من حرام لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة الحديث وهو منكر (٧) حديث من اشترى ثوبا بفسرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف . (٨) حديث كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم

للصلاة والسلام أنه قال « من اعتذر إليه أخوه معذرة فلم يقبلها كان عليه مثل خطيئة صاحب الكوس » وروى جابر أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتصل إليه فلم يقبل لم يرد الخوض » ومن السنة أن يقدم للاخوان شيئا بعد الاستغفار روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إن من توبى أن أخلع من مالي كله وأهجر دارقوى للتي فيها أتيت الذنب . فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « يعزبك من ذلك الثلث » فصارت سنة الصوفية للطالبة بالترامة بعد الاستغفار وللناقرة وكل قسدم رعاية التألف حتى تكون بواطنهم على الاجتماع كأن ظواهرهم على الاجتماع وهذا أمر تفردوا به من بين طوائف الإسلام . ثم

« من لا يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال »^(٢) روى هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أمسى وانياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنده راضٍ »^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم « من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أتقنه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار »^(٤) وقال عليه السلام « خير دينكم الورع »^(٥) وقال صلى الله عليه وسلم « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الاسلام كله »^(٦) ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم وقال صلى الله عليه وسلم « درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام »^(٧) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه « المدة حوض البدن والعروق إليها واردة فإذا صحت المدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت بالسقم »^(٨) ومثل الطعنة من الدين مثل الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوى استقام البنيان وارتفع وإذا ضعف الأساس واعوجج انهار البنيان ووقع . وقال الله عز وجل - أقم أسس بنيانه على تقوى من الله - الآية وفي الحديث « من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار »^(٩) وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال . وأما الآثار : فقد ورد أن الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم قال اللهم إني أعترض إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء »^(١٠) وفي بعض الأخبار أنه

(١) حديث من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال ابن العربي في طائفة الأحاديث شرح الترمذي إنه باطل لم يصح ولا يصح (٢) حديث العبادة عشرة أجزاء فتسعة منها في طلب الحلال أبو منصور الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال تسعة في الصمت والمأثرة كسب اليد من الحلال وهو منكر (٣) حديث من أمسى وانياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راضٍ الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفوراً له وفيه ضعف (٤) حديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أتقنه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار أبو داود في المراسيل من رواية القاسم بن عجيمة مراسلاً (٥) حديث خير دينكم الورع تقدم في العلم (٦) حديث من لقي الله ورعاً أعطاه ثواب الاسلام كله لم أقف له على أصل (٧) حديث درهم من ربا أشد عند الله من ثلاثين زينة في الاسلام أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن حنظلة وقال ستة وثلاثين ورجاله ثقات وقبل عن حنظلة الزاهد عن كسب مرفوعاً والطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ثلاثة وثلاثين وسنده ضعيف (٨) حديث أبي هريرة المدة حوض البدن والعروق إليها واردة الحديث الطبراني في الأوسط والعلقبلي في الضعفاء وقال باطل لأصل له (٩) حديث من اكتسب مالا من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وابن حبان من حديث أبي هريرة من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه (١٠) حديث إن أبا بكر شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل فقال تكهنت لقوم فأعطوني فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقي وفي بعض الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك قال أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيبا البخاري من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الحراج وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشئ فأكل منه أبو بكر .

شرط الفقير الصادق
إذا سكن الرباط وأراد
أن يأكل من وقفه أو بما
يطلب لسكانه بالدروزة
أن يكون عنده من
الشغل بالله مالا يسه
الكسب وإلا إذا
كان للبطالة والحوض
فبا لا يبنى عنده مجال
ولا يقوم بشروط أهل
الارادة من الجهد
والاجتهاد فلا يبنى له
أن يأكل من مال
الرباط بل يكتب
وبأكل من كسبه
لأن طعام الرباط لأقوام
ككل شغلهم بالله
تخدمتهم الدنيا لشغلهم
بخدمة مولاهم إلا أن
يكون تحت سياسة
شيخ عالم بالطريق
ينفع بصحبته ويهتدى
بهديه فيرى الشيخ أن
يطعمه من مال الرباط
فلا يكون تصرف
الشيخ إلا بصحة
بصيرة ومن جملة
ما يكون للشيخ في
ذلك من النية أن
يشغله بخدمة الفقراء

صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال أو ما علم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً وكذلك شرب
 عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً فأدخل أصبعه وتقيأ وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم
 لتفعلون عن أفضل العبادة هو الورع وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما صليتم حتى تكونوا كالحنابا
 وصمت حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله
 ما أدرك من أدرك إلا من كان يقبل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه كتب الله
 صديقاً فانظر عند من تظفر يمسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تقرب من ماء زمزم فقال
 لو كان لي دلو شربت منه وقال سفيان الثوري رضي الله عنه من أنفق من الحرام في طاعة الله كان
 كمن طهر التوب النجس بالبول والتوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال ابن
 يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسانته لقم الحلال وقال ابن
 عباس رضي الله عنهما لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة
 الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال : أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من
 الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى الموت وقال من أحب أن يكشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا
 حلالاً ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة ويقال من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله
 تعالى - كلا بل دان على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وقال ابن المبارك رد درهم من شبهة أحب إلى
 من أن تصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ألف ومائة ألف حتى يبلغ إلى ستائة ألف وقال بعض السلف
 إن البعد يا أكل آكلة فيقلب قلبه فينقل كما ينقل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً وقال سهل رضي الله
 عنه من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أولم يعلم ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه
 ووقفت للخيرات وقال بعض السلف إن أول لقمة يأكلها العبد من حلال يفر له ماسلف من ذنوبه
 ومن أقام نفسه مقام ذلك طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر . وروى في آثار
 السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثاً فإن كان معتقداً لبدعة فلا
 تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فمن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين
 العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الأخبار الشهيرة عن علي عليه السلام وغيره
 إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب وزاد آخرون وشبهتها عتاب . وروى أن بعض الصالحين دفع
 طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل فسأله عن ذلك فقال نحن لأننا كل الإحلالاً فلذلك تستقيم قلوبنا
 ويدوم حالنا ونكاشف للسكرات ونشاهد الآخرة ولو أكلنا بما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء
 من علم اليقين ولذهب الخوف والشهادة من قلوبنا فقال له الرجل فأي أصوم الدهر وأختم القرآن في
 كل شهر ثلاثين مرة فقال له البدال هذه الشربة التي رأيته شربتها من الليل أحب إلى من ثلاثين
 ختمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربته من لبن طيبة وحشية وقد كان بين أحمد بن حنبل
 ويحيى بن معين محبة طويلة فبهجه أحمد إذ سمعه يقول إني لأسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني الشيطان
 شيئاً لأكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت أمزح فقال تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين
 قدمه الله تعالى على العمل الصالح فقال - كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً - وفي الخبر أنه مكتوب في التوراة
 « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله » وعن علي رضي الله عنه
 أنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا عثوماً حذراً من الشبهة واجتمع الفضيل بن عياض

وقال له الغلام أتدري ما هذا فقال وملهو قال كنت تكهنت لأنسان في الجاهلية فذكره دون
 الرفوع منه فلم أجده .

فيكون ما يأكله في
 مقابلة خدمته . روى
 عن أبي عمرو الزجاني
 قال ألفت عند الجليل
 مدة لما رأيته قط إلا
 وأنا مشتغل بنوع من
 العبادة فما كلفني حتى
 كان يوم من الأيام
 خلا للوضع من الجماعة
 فقممت ووزعت ثيابي
 وسكنت للوضع
 ونظفته ورششته
 وغسلت موضع الطهارة
 فرجع الشيخ ورأى
 على أثر الغبار فدعا لي
 وزحبي وقال أحسنت
 عليك بها ثلاث مرات
 ولا يزال مشايخ الصوفية
 يندبون الشباب إلى
 الخدمة حفظاً لهم عن
 البطالة وكل واحد
 يكون له حظ من
 للعامة وحظ من
 الخدمة . روى أبو
 محذورة قال : جعل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لنا الأذان
 والسقاية لبني هاشم
 والحجاجة لبني عبد المدار
 وبهذا يقتدى مشايخ

وابن عينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من أحب الطعام إلى إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زيدة وغيرها فقال له ابن المبارك إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الحيز قال وما سببه قال إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافى ففتنى على وهيب فقال سفيان قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما أردت إلا أن أهون عليه فلما أفاق قال لله على أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن فأتته أمه بلبن فسالها فقالت هو من شاة بنى فلان فسال عن ثمنها وأنه من أين كان لهم فذكرت فلما أدناه من فيه قال بقی أنها من أين كانت ترعى فسكت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين فقالت أمه اشرب فإن الله يغفر لك فقال ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنا لمفقرته بمعصيته وكان يشرب الحاقى رحمه الله من الورد عين قليله من أين تأكل ؟ قال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبيى كمن يأكل وهو بضحك وقال يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات .

(أصناف الحلال ومداخله)

اعلم أن تفصيل الحلال إنما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغنى الريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لاياً كل من غيرها فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم وهو أن المال إنما يحرم إما لئله في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه .

(القسم الأول)

الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرها وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام فأنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرها أو من النبات أو من الحيوانات . أما المعادن فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث إنه يضر بالآكل وفي بعضها ما يجري مجرى السم والخنزير لو كان مضراً لحرم أكله والطين القى يتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر وفائدة قولنا إنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقعة أو طعام مائع لم يصربه محرماً . وأما النبات فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصلحة فزيل العقل النج والجر وسائر السكرات ومزيل الحياة السموم ومزيل الصلحة الأدوية في غير وقتها وكأن مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والسكرات فإن التي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة الطرية وأما السم فاذا خرج عن كونه مضراً قلته أو لعينه بغيره فلا يحرم وأما الحيوانات فنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الأطعمة والنظر بطول في تفصيله لأسباب في الطيور الفرية وحيوانات البر والبحر وما يحل أكله منها فأنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً روعى فيه شروط الذابح والآلة والمذبح وذلك مذكور في كتاب الصيد والذابح وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا الميتان السمك والجراد وفي مناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والحل والجبن فإن الاحتراز منهما غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فتحكمها حكم الذباب والحفشاء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة لأسباب في تحريمها إلا الاستقذار ولولم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقدره لم يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالحجائب لعموم الاستقذار فيكره أكله كالجويع الخاط وشربه كرم ذلك وليست السكراة لتجاسنها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه (١) وربما يكون حاراً ويكون ذلك سبب موته

(١) حديث الأمر بأن يعقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه البخارى من حديث أبي هريرة .

الصوفية في تفريق
الحكم على الفقراء ولا
يعذر في ترك نوع من
الخدمة إلا كامل
الشغل بوقته ولا يعزى
بكامل الشغل شغل
الجوارح ولكن نعني به
دوام الرعاية والمحاسبة
والشغل بالقلب والقالب
وقتا وبالقلب دون
القالب وقتاً وتفقد
الزيادة من التمسك
فإن قيام الفقير بحقوق
الوقت شغل تام وبذلك
يؤدي شكر نعمة
الفراغ ونعمة الكفاية
وفي البطالة كفران
نعمة الفراغ والكفاية
أخبرنا شيخنا ضياء
الدين أبو النجيب
عبد القاهر إجازة قال
أنا عمر بن أحمد بن
منصور قال أنا أحمد بن
خلف قال أنا الشيخ
أبو عبد الرحمن محمد
ابن الحسين قال سمعت
أبا الفضل بن حمدون
يقول سمعت علي بن
عبد الحميد القضايري
يقول سمعت السري

ولو نهت نملة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقها إذ الاستقذر هو جرمة إدا بقى له جرم ولم ينحس حتى يحرم
بالنجاسة وهذا يدل على أن تحريره للاستقذار ولقد كان يقول لو وقع جزء من آدمى ميت في قدر ولو وزن
دانق حرم السكل بالنجاسة فإن الصحيح أن آدمى لا ينحس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً
لاستقذاراً وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تلحق جميع أجزائها بل يحرم منها الدم
والفرث وكل ما يقضى بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقاً محرم ولكن ليس في الأعيان شيء
محرم نجس إلا من الحيوانات وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج فإن
نجاسة السكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقت قطرة من النجاسة أو جزء
من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه ولا يحرم الاتفاغ به لغير الأكل فيجوز
الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجاميع ما يحرم لصفة في ذاته .
(القسم الثاني ما يحرم لحلل في جهة إثبات اليد عليه)

وفيه يتسع النظر فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره فالذي يكون بغير اختياره
كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنبيل المأدن أو يكون من مالك والذي أخذ من
مالك فاما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً ولأخذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم
أو لاستحقاق الأخذ كزكاة المتعنين والنفقات الواجبة عليهم ولأخذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض
كالبيع والصدقات والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالمبىة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة
أقسام . الأول : ما يؤخذ من غير مالك كنبيل المأدن وإحياء اللوات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء
من الأنهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط أن لا يكون للأخذ مخصص بذى حرمة من الآدميين فإذا
انفك من الاختصاصات ملكها آخذها وتفصيل ذلك في كتاب إحياء اللوات . الثاني : للأخذ قهراً
من لاهرمته وهو النقي . والغنيمة وسائر أموال الكفار والمخاريق وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا
منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد وتفصيل هذه
الشروط في كتاب السير من كتاب النقي والغنيمة وكتاب الجزية . الثالث : ما يؤخذ قهراً باستحقاق
عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق
الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق واستوفاه ممن يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان
أو مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات إذ فيها النظر في
صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق فإذا استوفيت شرائطها كان للأخذ
حلالاً . الرابع : ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين
وشرط اللفظين أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان
ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والفضان والقراض والشركة والساقاة والشفعة والصلح
والخلع والكتابة والصدقات وسائر المعارضات . الخامس : ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو
حلال إذا روعي فيه شرط الموقوف عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث
أو غيره وذلك مذكور في كتاب المليات والوصايا والصدقات . السادس : ما يحصل بغير اختيار
كالإرث وهو حلال إذا كان الوروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال
ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتمديد القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحبس
والكفارة إن كان واجباً وذلك مذكور في كتاب الوصايا والقراض فهذه مجاميع مداخل الحلال
والحرام أو ماناً إلى جملتها يعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لأمس جهة معينة فلا يستغنى عن

يقول من لا يعرف
قدر التمسك بها من
حيث لا يعلم . وقد
يذكر الشيخ العاجز
عن الكسب في تناول
طعام الرباط ولا يذمر
الشاب هذا في شرط
طريق القوم على
الإطلاق فأما من حيث
فتوى الشرع فإن
كان شرط الوقف على
التصوفة وعلى من تزيوا
بزي التصوفة ولبس
خرقتهم فيجوز أكل
ذلك لهم على الإطلاق
فتوى وفي ذلك
القناعة بالرخة دون
العزعة التي هي مثل
أهل الإرادة وإن
كان شرط الوقف على
من يسلك طريق
الصوفية عملاً وحالاً
فلا يجوز أكله لأهل
البطالات والراكنين
إلى تنصيع الأوقات
وطرق أهل الإرادة
عند مشايخ الصوفية
مشهورة . أخبرنا
الشيخ الثقة أبو الفتح
قال أنا أبو الفضل

علم هذه الأمور فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستحق فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم لم خالفت علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم .

(درجات الحلال والحرام)

اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصنى من بعض وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر وبعضها حار في الثانية كالقانيذ وبعضها حار في الثالثة كالدهس وبعضها حار في الرابعة كالعسل كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة وكذا الحلال تفاوت درجات صفاته وطيبه فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريباً وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره فلذلك نقول الورع عن الحرام على أربع درجات : ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم الصالحين والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما محرمة فتاوى الفقهاء . الثانية : ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم ولكن للفق يرخس في تناول بناء على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية . الثالثة : ما لا تحرمة الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين قال صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس »^(١) الرابعة : ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه السهلة له كراهية أو محبة والامتناع منه ورع الصديقين فهذه درجات الحلال جملة إلى أن تفصلها بالأشدة والشواهد . وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة وإطراح حمة الفسق فهو أيضاً على درجات في الحبث فالأخوذ بمقد فاسد كالمعاطة مثلاً فيألا يجوز فيه للمعاطة حرام ولكن ليس في درجة للنصوب على سبيل القهر بل للنصوب أغلظ إذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير وليس في المعاطة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التمسك فقط ثم ترك طريق التمسك بالمعاطة أهون من تركه بالربا وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض للناس على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل للأخوذ ظناً من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من للأخوذ من قوي أو غنى أو فاسق لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي فهذه دقائق في تفاصيل الحباث لا ينبغي أن يذهل عنها فلو لا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار وإذا عرفت منارات التخليط فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربعة فإن ذلك جار مجرى التحكم والتشبه وهو طلب حصره لاحتضاره ويدل على اختلاف درجات الحرام في الحبث ما سيأتي في تعارض المندورات وترجيح بعضها على بعض حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فانا تقدم بمن هذا على بعض .

(١) حديث لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس ابن ماجه وفرد تقدم .

حميد قال أنا الحافظ
أبو نعيم قال حدثنا
أبو العباس أحمد بن
محمد بن يوسف قال
حدثنا جعفر الفرياني
قال حدثنا محمد بن
الحسين البلخي
بسمرقند قال حدثنا
عبد الله بن المبارك
قال حدثنا سعيد بن
أبي أيوب الخزازي قال
حدثنا عبد الله بن
الوليد عن أبي سليمان
الليثي عن أبي سعيد
الحدرى عن النبي
صلى الله عليه وسلم
أنه قال « مثل المؤمن
كمثل القرس في
آخيته يجول ويرجع
إلى آخيته وإن المؤمن
يسهو ثم يرجع إلى
الإيمان فأطمعوا
طعامكم الأنبياء وأولوا
معروفكم المؤمنين » .
[الباب السادس عشر
في ذكر اختلافه
أحوال مشايخهم في
السفر والقام] اختلف
أحوال مشايخ الصوفية
فمنهم من سافر في

(أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا)

أما الدرجة الأولى : وهي ورع المدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريره عما يدخل في الداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لنقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتضاه إلى الفسق والعصية وهو الذي يزيد بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد . وأما الدرجة الثانية : فأمثلها كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الوسوسين كمن يتمتع من الاصطياد خوفا من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه . وملكه وهذا وسواس ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (١) ونحمله على نهى التنزيه وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كل ما أصميت ودع ما آتيت » (٢) والإبقاء أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر والذي نختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين وقوله دع ما يريك أمر تنزيه إذ ورد في بعض الروايات كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثرا غير سهمك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب العلم : وإن أكل فلا تأكل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة الحبشي « كل منه فقال وإن أكل منه فقال وإن أكل » (٣) وذلك لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله . يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به فأمثله هذه الدرجة نذكرها في التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة . أما الدرجة الثالثة : وهي ورع التقين فبشهادتها قوله ﷺ « لا يبلغ العبد درجة التقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس » وقال عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن تقع في الحرام وقيل إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال أبو الدرداء إن من تمام التقوى أن يتقى العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما حتى يكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان بعضهم مائة درهم على إنسان فحفلها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء السكك خيفة الزيادة وكان بعضهم يتحرز فشكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يبطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وترك الورع فمن ذلك ما روى عن علي بن معبد أنه قال كنت ما كنا في بيت بكراء فكتبت كتابا وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأثر به وأجفئه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما تمت فاذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد يعلم غدا الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته فان للتقوى درجة نفوت بغوات ورع التقين وليس المراد به أن يستحق

(١) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك النسائي والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث الحسن ابن علي (٢) حديث كل ما أصميت ودع ما آتيت الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف (٣) حديث قال لأبي ثعلبة كل منه فقال وإن أكل قال وإن أكل أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ومن حديث أبي ثعلبة أيضا مختصرا وإسنادها جيد والبيهقي موقوفا عليه وقال إن الرفوع ضعيف

بدايته وأقام في نهايته
ومنهم من أقام في بدايته
وسافر في نهايته ومنهم
من أقام ولم يسافر ومنهم
من استدام السفر ولم
يؤثر الإقامة ونشرح
حلال كل واحد منهم
ومقصده فيما رام فأما
الذي سافر في بدايته
وأقام في نهايته قصده
بالسفر لمعان منها تعلم
شيء من العلم قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « اطلبوا العلم ولو
بالصين » وقال بعضهم
لو سافر رجل من الشام
إلى أقصى اليمن في كلمة
تدل على هدى ما كان
سفره ضائعا . وتقل أن
جابر بن عبد الله رحل
من المدينة إلى مصر
في شهر الحديث بلغه أن
أنسا يحدث به عن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قال عليه
السلام « من خرج من
بيته في طلب العلم فهو
في سبيل الله حتى يرجع »
وقيل في تفسير قوله
تعالى - الساعون -

عقوبة على قتلها ، ومن ذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته فاتكة أنا أجيد الوزن فسكت عنها ثم أعاد القول فأعادت الجواب فقال لأحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر القبار فتمسحين به عنقك فأصيب بذلك فضلا على المسلمين . وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأثفه حتى لاتصيه الرائحة وقال وهل ينفع منه إلا بريجه لما استبعد ذلك منه « وأخذ الحسن رضي الله عنه تمر من تمر الصدقة وكان صغيرا فقال ﷺ كع كع (١) » أي ألقها ، ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند مختصر فأت ليلا فقال أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن ، وروى سليمان التيمي عن نسيمة العطاراة قالت كان عمر رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طيبا من طيب للمسلمين لتيمة فباعته طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتقص وتكسر بأسنانها فتعلق بأصبعها شيء منه فقالت به هكذا بأصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما عنده الرائحة فأخبرته فقال طيب للمسلمين تأخذينه فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسحت به التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى خوفا أداء ذلك إلى غيره وإلا فصل الخمار ما كان بعيد الطيب إلى المسلمين ولكن أثفه عليها زجرا وردعا واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره ، ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل حجره لبعض السلاطين ويخبر المسجد بالعود فقال ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينفع من العود إلا براحتته وهذا قديقارب الحرام فإن القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قديقصد وقد يدخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا ، وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردّها فقال لا بل يستأذن ثم يكتب ، وهذا أيضا قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا فها هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها وإن كانت الزينة مباحة في نفسها ، وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السنية فقال أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كاستله زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعته في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس أي مخافة من أن يفضى إليه وأكثر اللباعات داعية إلى المحظورات حتى استبكتار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكن يهيج الحرس ويدعو إلى طلب مثله ويلتزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا للباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تغلوا قبتها عن خطر وكذا كل ما أخذ بالشهوة قلما يغلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال أما تجصيص الأرض فيمنع التراب وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها واستدل بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى (٢) »

(١) حديث أخذ الحسن بن علي تمر من الصدقة وكان صغيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم كع كع ألقها البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أنه سئل أن يكحل المسجد فقال لا ، عريش كعريش موسى الدارقطني في الأفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب .

أنهم طلاب العلم حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي إملاء قال أنا أبو الفتح عبد الملك الهروي قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا الجراحي قال أنا أبو العباس المحبوبي قال أنا أبو عيسى الترمذي قال حدثنا وكيع قال حدثنا أبو داود عن سفيان عن أبي هريرة قال كنا نأتي أبا سعيد فيقول مرحبا بوعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن النبي عليه السلام قال « إن الناس لكم تبع وإن الرجال يأتونكم من أقطار الأرض يتفقون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا » وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وروت عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى أوحى إلى إنهم

وإنما هو شيء مثل الكحل يعلل به فلم يخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السالم الثوب الرقيق وقالوا من رقى ثوبه رقى دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في اللباجات إلى غيرها فان المخطور والباح تشبههما النفس بشهوة واحدة وإذا تعودت الشهوة للساحة استرسلت فاقضى خوف التقوى الورع عن هذا كله فكل حلال انك عن مثل هذه الخافقة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى مصيبة ألبنة . أما الدرجة الرابعة : وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا يتقدم في أسبابه مصيبة ولا يستعان به على مصيبة ولا يقصد منه في الحال والبال قضاء وطريق يتناول في تعالى قط والتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهذه رتبة الموحدين للتجربدين عن حظوظ أنفسهم المنفردين في تعالى بالقصد ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمصيبة ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه مصيبة أو كراهية فمن ذلك ما روى عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء قتلت له امرأته لو غشيت في الدار قليلا حتى يصل الدواء فقال هذه مصيبة لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة فكأنه لم يخضه نية في هذه للشبهة تتعلق بالدين فلم يجر الاقتداء عليها . وعن سري رحمه الله أنه قال انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي إن كنت قدأ كنت يوما حلالا طيبا فهو هذا اليوم فتهتفي هانف إن القوة التي أوصلتك إلى هذا الوضع من أين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روى عن ذي النون المصري أنه كان جائعا محبوسا فبحث إليه امرأة صالحة طعاما على يد السجان فلم يأكل ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إلى لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع . ومن ذلك أن بشرا رحمه الله كان لا يشرب للماء من الأنهار التي حفرها الأمراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحب أفنديته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء . وكان بعضهم إذا مر في طريق الحج لم يشرب من الصانع التي عملتها الظلمة مع أن الماء مباح ولكنه بقي عفوفا بالمصنع الذي عمل به بما لا حرام فكأنه انتفاع به وامتناع ذي النون من تناول الطعام من يد السجان أعظم من هذا كله لأن يد السجان لا توصف بأنه حرام بخلاف الطبق المنسوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالعداء الحرام ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه فوهم أنه شربه عن جهل وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية البطن عن الحثيث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط يخطط في المسجد فان أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد . وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في التمايز في وقت يخاف من الطر فقال إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها وأطفا بعضهم سراجا أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جر من حطب مكروه وامتنع بعضهم من أن يحكم شمع نعله في مشعل السلطان فهذه دقائق الورع عند السالك طريق الآخرة والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمة التقوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديدا على نفسه كان أخف ظهرا يوم القيامة وأسرع جوازا على الصراط وأبعد عن أن

سلك مسلكا في طلب العلم سهلته طريقا إلى الجنة ومن جهة مفاسدهم في البداية لقاء الشايع والإخوان للصادقين فلهذا كل صادق مزيد وقد ينفع لحظ الرجال كما ينفع لحظ الرجال . وقد قيل من لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه وهذا القول في وجهان أحدهما أن الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فله أكثر ما يكلمهم بلسان قوله فإذا نظر الصادق إلى نصائحه في موده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر إليه فهو فتح الحفظ ومن لا يكون حاله وأفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لأنه يتكلم بهوا ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة والقيام بواجب حق

ترجع كفة ميثانه على كفة حسناته وتتفاوت للنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الحبث ، وإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فرخص. فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

(الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يطمعها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالراعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه » (١) فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول : الحلال للطلق هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه واغفل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد ويكون هو واقفاً عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة للطرية في الخمر والتجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرقتان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظلية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فتل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء للطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء الطر والاحتراز منه وسواس ، ولتسم هذا الفن ورع الموسمين حتى تلتحق به أمثاله وذلك لأن هذا وهم مجرد لادلالة عليه نعم لودل عليه دليل فإن كان قطعاً كالوجود حلقه في أذن السمكة أو كان محتملاً كالوجود على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كذا لا يقدر عليه إلا بعد الضبط ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال للعدوم دلالة كاحتمال العدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيغيب عنه المير فيخرج ويقول لعله مات وصار الحق للوارث فهذا وسواس إذ لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المهدورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشأ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوى العقد المقابل له فيصير شكاً ولهذا نقول : من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة ولو شك إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بشر سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة وإذا لم يقطع جواز أن تكون ثلاثاً وهذا التجويز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أو جب اعتقاد كونها ثلاثاً فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشبه الوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواء فتاب عنه فقال يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إلى فأكله فأقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات وإنما الشبهة نفي بها ما شقبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين . ومثارات الشبهة خمسة :

(الباب الثاني في مراتب الشبهات)

(١) حديث الحلال بين والحرام بين متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .

الصودية وحقيقتها
والوجه الثاني أن نظر
العلماء الراسخين في العلم
والرجال البالغين رفاق
نافع ينظر أحدهم إلى
الرجل الصادق
فيستكشف بنور
بصيرته حسن استعداد
الصادق واستنباطه
لمواهب الله تعالى
الخاصة فيقع في قلبه
عجبة الصادق من
الريدين وينظر إليه
نظر عجة عن بصيرة
وهم من جنود الله تعالى
فيصحبون بنظمهم
أحوالاً سنية ويهيون
آثاراً مرضية وماذا
ينكر للسكر من قدرة
الله أن الله سبحانه وتعالى
كأجعل في بعض الأفاعي
من الخاصة أنه إذا
نظر إلى إنسان يهلكه
بنظره أن يجعل في نظره
بعض خواص عباده
أنه إذا نظر إلى طالب
صادق يكسبه حالاً
وحياة وقد كان شيخنا
رحمه الله يطوف في
مسجد الحيف بمنى

(لثار الأول الشك في السبب الحلل والمهرم)

وذلك لا يغلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين فإن تعادل الاحتمالين كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد فلنقسمه على أقسام أربعة . القسم الأول : أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في الحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ومحرم الإقدام عليها . مثاله : أن يرعى إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها على هذا ينزل قوله عليه السلام لعدي بن حاتم « لا تأكله فلعنه قتل غيرك » (١) « فذلك كان صلى الله عليه وسلم إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو » (٢) وروى « أنه صلى الله عليه وسلم أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يا رسول الله قال أجل وجدت ثمرة غشيت أن تكون من الصدقة » (٣) وفي رواية « فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة » ومن ذلك ما روى عن بعضهم أنه قال « كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثيراً فبينما القدور تملأ بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور » (٤) ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسح الله خلقاً فجعل له نسلاً (٥) وكان امتناعه أولاً لأن الأصل عدم الحلل وشك في كون الذبح محللاً . القسم الثاني : أن يعرف الحلل ويشك في المهرم فالأصل الحلل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطأ طأراً فقال أحدهما إن كان هذا غراباً فامرأتى طالق وقال الآخر إن لم يكن غراباً فامرأتى طالق والتبس أمر الطأر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحل لساير الأزواج وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه للسئلة وأفق الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر أنت حسود فقال الآخر أحسنا زوجته طالق ثلاثاً فقال الآخرون وأشكل الأمر وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في اللبائس والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه . فإن قلت وأى مناسبة بين هذا وبين ذلك فأعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ به فكيف لا يجوز أن يشربه وإذا جوز الشرب قد سلم أن اليقين لا يزال بالشك إلا أن ههنا دققة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا فيقال الأصل أنه مطلق

- (١) حديث لا تأكله فلعنه قتل غيرك قاله لعدي بن حاتم متفق عليه من حديثه (٢) حديث كان إذا أتى بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هبة يسأل عنه البخاري من حديث أبي هريرة (٣) حديث أنه أرق ليلة فقال له بعض نسائه أرقت يا رسول الله فقال أجل وجدت ثمرة فأكلتها غشيت أن تكون من الصدقة أحمد من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن (٤) حديث كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابنا الجوع فزلنا منزلاً كثيراً فبينما القدور تملأ بها إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه فأكفأنا القدور ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن وحسنه وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه حديث ثابت بن زيد نحوه مع اختلاف قال البخاري وحديث ثابت أصح (٥) حديث أنه لم يمسح الله خلقاً فجعل له نسلاً مسلم من حديث ابن مسعود .

ويتصفح وجوه الناس قيل له في ذلك قال لله هباد إذا نظروا إلى شخص أكسبوه سعادة فانا أنطلب ذلك ومن جملة للقاصد في السفر ابتداء قطع للمألوفات والانسلاخ من ركوب النفس إلى معهود ومعلوم والتعامل على النفس بتجرع مرارة فرقة الإلاف والخلاف والأهل والأوطان فمن صبر على تلك المألوفات عتسباً عند الله أجراً قد حاز فضلاً عظيماً . أخبرنا أبو زرعة بن أبي الفضل الحافظ القدسي عن أبيه قال أنا القاضي أبو منصور محمد بن أحمد الفقيه الأصمغاني . قال أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن خريشيد قوله قال أحمدنا أبو بكر عبد الله ابن محمد بن زياد النيسابوري قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى

ووزان مسئلة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشبهه عنه فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهد لأنه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك هنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهد وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يفي الاجتهاد وقال المقصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول إن كان غرابا فزنب طالق وإن لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز له غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرهما عليه لأنه لو وظئهما كان مقتضاها للحرمان قطعا وإن وطئ أحدهما وقال أقتصر على هذه كان متحكما بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد أو شخصين لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه . فان قيل فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغنى عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه يقين طهارته وقد شك الآن فيه فنقول هذا محتمل في الفقه والأرجح في ظني النع وأن تعدد الشخصين هنا كاعتاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكا بل وضوء الإنسان بما غيره في رفع الحدث كوضوئه بما نفسه فلا يثبت لاختلاف الملك وانحاده أثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلا في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة يدفع بها قوة يقين النجاسة للقابلة ليقين الطهارة وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه وقد استقصيناه في كتب الفقه ولنا قصد الآن الإلتئيم على قواعدها . القسم الثالث : أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعا فالذي يختار فيه أنه يحل واجتنابه من الورع . مثاله : أن يرمى إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتا وليس عليه أثر سوى سهمة ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فان ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأول وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق والأصل أنه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا بدفع اليقين بالشك . فان قيل فقد قال ابن عباس : كل ما أصميت ودع ما أتميت . وروى عائشة رضي الله عنها « أن رجلا أتى النبي ﷺ بأرنب فقال رميقي عرفت فيها سهمي فقال بل أتميت قال إن الليل خاف من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء (١) » وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في كلبه للعلم « وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه (٢) » والغالب أن الكلب العلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق وهو أن المحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضى إلى الموت سلبا من طريان غيره عليه (١) حديث عائشة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأرنب فقال رميقي عرفت فيها سهمي فقال أصميت أو أتميت قال بل أتميت قال إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه فله أعان على قتله شيء (١) وعرف سهمي فقال الليل خلق من خلق الله عظيم له أعانك عليها شيء روى أبو داود في المراسيل والبيهقي وقال أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قال البخاري (٣) حديث قال لعدي في كلبه للعلم وإن أكل فلاناً كل فاني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه متفق عليه من حديثه .

قال حدثنا بن وهب قال حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فبلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يا رسول الله قال إن الرجل إذا مات بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثر من الجنة » ومن جهة للقاصد في السفر استكشاف دقائق النفوس واستخراج رغواتها ودعائها لأنها لا تمكث تبين حقائق ذلك بغير السفر ومضى السفسفرا لأنه يسفر عن الأخلاق وإذا وقف على داله يتشعر لدوائه وقد يكون أثر السفر في نفس للبشدي كآثر النوافل من الصلاة والصوم والتجود وغير ذلك وذلك أن التنفل

وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك فيها بطراً عليه . فالجواب أن نهى ابن عباس ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على الورع والتزهد بدليل ما روى في بعض الروايات أنه قال « كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك » (١) وهذا تنبيه على الشيء الذي ذكرناه وهو أنه إن وجد أثراً آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس للظنون والعمومات للظنونة وغيرها وأما قول القائل إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون هكذا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه ويدل على صحة هذا الإجماع على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص على جرحه بل إن لم ينبحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في بطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بهز الزقة والجرح للذوق لأن العلل القائمة في الباطن لا تؤمن ولأجلها يموت فجأة ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبتناه على الشبهة وكذلك جنيب للذكاة لجلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفع فيه الروح وغرة الجنين يجب ولعل الروح لم ينفع فيه أو كان قد مات قبل الجنابة بسبب آخر ولكن يبيّن على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كاذب كرهناه فكذلك هذا وأما قوله صلى الله عليه وسلم « أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » فلشافى رحمه الله في هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذا الكلب للعلم كالألة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل للعلم بنفسه فأخذ لم يعمل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه ومهما انبثت بإشارته ثم كل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آله وأنه يسمى في وكراته ونيابته ودل أكله آخر على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب اللهال فيتعارض الاحتمال والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كالأول وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يعمل للموكل وطوفاً لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ولا دليل مرجح والأصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الأول لا بالقسم الثالث . القسم الرابع : أن يكون الحل معلوماً ولكن يظن على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضى بالتحريم إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبق له حكم مع غالب الظن . ومثاله أن يؤدي اجتنبه إلى نجاسة أحد الإناث بالاعتقاد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به وكذا إذا قال إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأى طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافى رحمه الله أن من وجد في القدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره بطول للكس أو بالنجاسة فيستعمله ولو رأى ظبية يالت فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول الكس لم يجز استعماله إذ صار البول الشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لامن جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافى رضي الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني الشركيين ومدمن الخمر والصلاة في المقابر النبوشة والصلاة مع طين الشوارع

(١) حديث كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثر سهم غيرك متفق عليه من حديث عدى بن حاتم

سأله سائر إلى الله تعالى من أوطان الغلات إلى محل القرية وللأسافر قطع المسافات ويتقلب في اللغز والفلاوات بحسن النية لله تعالى سائراً إلى الله تعالى بمراعاة الهوى ومهاجرة ملاذ الدنيا . أخبرنا شيخنا بإجازة قال أنا عمر بن أحمد قال أنا أحمد بن محمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت عبد الواحد ابن بكر يقول سمعت على بن عبد الرحيم يقول سمعت النوى يقول التصوف ترك كل حظ النفس فإذا سافر للبندى تاركا حظ النفس تطمئن النفس وتلين كاتلين بدوام النافذة ويكون لها بالفرد باغ ينهب عنها الخشونق واليوسه الجبلية والبغونة الطيمية كالجلد يمد من هيئة الجلود إلى هيئة الثياب فتعود

أعنى المقدار الزائد على ما يتعدى الاحتراز عنه وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الخمر والسكرين لأن المنجس لا يخل شره فإذن مأخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر والذي أخاره أن الأصل هو المعتبر وأن العلامة إذا لم تملق بعين التناول لم توجب رفع الأصل وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أو ظن وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين مالا يستند إليه وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في المراجعة الأولى والاحتياط تركه فالقدم عليه لا يكون من زمرة التقيين والصالحين بل من زمرة المعدول القدين لا يقوى في فتوى الشرع بنسبهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة إلا ما ألحقناه بربطة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً .

(المثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط)

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشبه الأمر ولا يتميز والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بصدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات أو يكون اختلاط استنباط مع التميز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراق والذي يختلط بالاستنباط فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام . القسم الأول : أن تستنبط العين بصدد محصور كما لو اختلطت اليتة بمذكاة أو بشر مذكيات أو اختلطت رضية بشرة نسوة أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلبس بهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا وإذا اختلطت بصدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فيطراً اختلاط بمحرم كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسألة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضية بأجنبية فأراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نهينا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بمحرم محصور فان اختلط حلال محصور بمحرم غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى . القسم الثاني : حرام محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضية أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد بل له أن ينكح من شاء ممنه وهذا لا يجوز أن يملك بكثرة الحلال إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعاً إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل فان ذلك حرج ومافى الدين من حرج ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن (١) وغل واحد في الغنيمة عبادة (٢) لم يتمتع أحد من شراء المجان والبهاء في الدنيا وكذلك كل ماسرق وكذلك كان

(١) حديث سرقة المجن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم (٢) حديث غل واحد من الغنائم عبادة البخاري من حديث عبد الله بن عمر ، واسم الغال كركرة

النفس من طيبة
الطينان إلى طيبة
الإيمان . ومن جهة
القاصد في السفر رؤية
الآثار والعبر وتسريح
النظر في مسارج الفكر
ومطالعة أجزاء الأرض
والجبال ومواطن
أقدام الرجال واستماع
التسبيح من ذرات
الجمادات والقهم من
لسان حال القطع
التجاورات قد تجد
اليقظة بتجدد مستودع
العبر والآيات وتوفر
بمطالعة للشاهد
والسواقف الشواهد
والدلالات قال الله تعالى
- سنريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق -
وقد كان السري يقول
لصوفية : إذا خرج
الشتاء ودخل أمدار
وأورقت الأشجار طاب
الاقتشار . ومن جهة
القاصد بالسفر لإثارة
الحول وإطراح حظ
القبول فصدق الصافي
بم على أحسن الحلق

يعرف أن في الناس من يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم والدنانير بالسكينة (١) وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضا في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع للوسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في مدة من الملل ولا في عصر من الأعصار . فان قلت فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضا إن تمكن منه . فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب . فتقول كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لمسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالآلف والألفين فهو غير محصور وما سهل كالشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استغنى فيه القلب فان الإثم حراز القلوب وفي مثل هذا اللقاع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ابصرت « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك (٢) » وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في المثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة فالمتقى يفتى بالظن وعلى المستغنى أن يستغنى قلبه فان حاله في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى للمفتي فانه يفتى بالظاهر والله يتولى السرائر . القسم الثالث : أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور وقد حكمنا ثم بالتحريم فلنحكم هنا به والذي يختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بينه احتمال أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقتصر بتلك المين علامة تدل على أنه من الحرام فان لم يكن في المين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذ حلال لا يفسق به أكله ومن العلامات أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها ويدل عليه الأثر والقياس فأما الأثر فما علم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمر ودراهم الربا من أيدي أهل القمة مختلطة بالأموال وكذا غلول الأموال وكذا غلول الضيعة ومن الوقت الذي نهى صلى الله عليه وسلم عن الربا إذ قال « أول ربا أضعه ربا العباس (٣) » ماترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه لعن الله فلانا هو أول من سب الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمها وقال صلى الله عليه وسلم « إن فلانا يجر في النار عباد قد غلبا (٤) » وقتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبا (٥) وكذا أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة وقد نهى أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشارا إليه في الورع والأكثر من لم يمتنعوا

(١) حديث إن في الناس من كان يرى في الدراهم والدنانير وماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالدراهم بالسكينة هذا معروف وسيأتي حديث جابر بعده بحديث وهو يدل على ذلك

(٢) حديث استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك قاله لوابصة تقدم (٣) حديث أول ربا أضعه ربا العباس مسلم من حديث جابر (٤) حديث إن فلانا يجر في النار يجر عباد قد غلبا البخاري من حديث عبد الله بن عمر وتقدم قبله بثلاثة أحاديث (٥) حديث قتل رجل فقتلوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلبا أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن خالد الجهمي .

ويرزق من الخلق حسن الإقبال وقلا يكون صادق متمسك بمرودة الاخلاص ذو قلب عامر لا ويرزق إقبال الخلق حتى سمعت بعض الشايع يحكى عن بعضهم أنه قال : أريد إقبال الخلق على لآتي أبلغ نفسي حظها من الهوى فاني لا أبالي أقبلوا أو أدبروا . ولعنكن لكون إقبال الخلق علامة تدل على صحة الحال فاذا ابتلى للريد بذلك لا يأمّن نفسه أن تدخل عليه بطريق الركون إلى الخلق وربما يفتح عليه باب من الرفق وتدخل النفس عليه من طريق السير والدخول في الأسباب الممودة وتريه فيوجه للصحة والفضيلة في خدمة عباد الله وبذل للوجود ولا تزال النفس به والشيطان حتى يجراه إلى السكون إلى الأسباب واستجلاء

مع الاختلاط وكثرة الأموال للثوبة في أيام الظلمة ومن أوجب مالم يوجب السلف الصالح وزعم أنه
تفطن من الشرع مالم يتفطنوا له فهو موسوس يحتل العقل ولوجاز أن يزداد عليهم في أمثال هذا لجاز
مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم إن الجدة كالأم في التحريم وابن الإبن كالابن
وشمر الخنزير وشحمه كاللحم للذكور تحريمه في القرآن والربا جار فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال
فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم . وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك
لإحالة إلى الاختلاط . فإن قيل قد تعلقم أنه صلى الله عليه وسلم امتنع من الضب وقال « أخشى
أن يكون مما مسخه الله » وهو في اختلاط غير المحصور ؟ قلنا يعمل ذلك على التنزه والورع أو تقول
الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول . فإن قيل هذا معلوم
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقه والتهب وغول الضيعة
وغيرها ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فإذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر مافي
أيدى الناس لفساد المعاملات وإحمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة ، فمن أخذ مالا
لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم فهل هو حرام أم لا ؟ فأقول ليس ذلك حراما وإنما الورع
تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلا . ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر
الأموال حرام في زماننا غلط محض ومنشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر فأكثر الناس
بل أكثر الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما
ثالث وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير وأكثر . ومثاله أن الخنثى فيما بين الخلق
نادر وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الأعذار العامة
والاستحاضة من الأعذار النادرة ، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضا بل هو كثير
والفقيه إذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر فإن لم يرد هذا
فهو غلط والصحيح والقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة والخنثى نادر فإذا فهم هذا
فتقول قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجنديّة
أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الاسلام إلى زماننا هذا على
أصول الأموال الموجودة اليوم . أما المستند الأول فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر فإنهم
الجنديّة إذ لا يظلم إلا ذوغلبة وشوكة وهم إذا أضيقوا إلى كل العالم لم يلغوا عشر عشرين فكل سلطان
يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلا فيملك إقليبا يجمع ألف ألف وزيادة ولعل بلدة واحدة من
بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك
الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلا مع تعميمهم في المعيشة ولا يتصور
ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة وكذا القول في السراق فإن البلدة
الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل . وأما المستند الثاني وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي
أيضا كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي
يعامل بالربا أو غيره فهو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب
الانسان يومه في البلد خصوصا بالمجانة والحب وقلة الدين حتى يتصور أن يخال معاملاته الفاسدة أكثر
ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيرا فليس بالأكثر لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخفى
هو أيضا عن معاملات صحيحة تساوى الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب

قبول الخلق وربما
قويا عليه لجراه إلى
التصنع والتعمل
ويتسع الخرق على
الرافع . وصحت أن
بعض الصالحين قال
لمريد له أنت الآن
وصلت إلى مقام لا يدخل
عليك الشيطان من
طريق الشر ولكن
يدخل عليك من
طريق الخير وهذا مزلة
عظيمة للأقدام فآله
تعالى يدرك الصادق
إذا ابتلى بشئ من
ذلك وبزجه بالعناية
السابقة والمعونة
اللاحقة إلى السفر
فيفارق للعارف
والوضع الذي فتح
عليه هذا الباب فيه
ويشجده لله تعالى
بالخروج إلى السفر
وهذا من أحسن
للقاصد في الأسفار
لصادقين فهذه جهل
للقاصد للطلوبة للشايع
في بداياتهم ماعدا
الحج والنزوة وزيارة
بيت المقدس ، وقد نقل

هذا على النفوس الفاسدة لاستكثار النفوس الفاسدة واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادر حتى ربما يظن أن الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثر وهو خطأ فانهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة . وأما السقطة الثالث وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد فإذا نظرنا إلى شاة مثلا وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسمائة ولا يغلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غضب أو معاملة فاسدة فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والقواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلا إلى أول التسرع ولا يكون هذا حلالا ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك إلى أول زمان النبوة حلالا وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والديناري ولا تخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة ثم يأخذونها منهم غضبا فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والحيث في الصحارى والموات والمفاوز والحطب الباح ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستقنيات والتوالد فيكون قد بذل حلالا في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلا . والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تمارض الأصل والتألب إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد طرأ سبب غالب يخرجها عن صلاحه فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر وأن الوضوء من أواني الشرابين جائز وأن الصلاة في المقابر المبنوثة جائزة فنثبت هذا أولا ثم نقيس ما نحن فيه عليه ويدل على ذلك توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشركة ، وتوضع حجر رضى الله عنه من جرة نصرانية ، مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا ، فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم ، بل نقول نعم قطعا أنهم كانوا يلبسون القراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن القالب عليهم النجاسة والطهارة في تلك الثياب محال أو نادر ، بل نقول نعم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يفسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقفا يخلص منها ، وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يفسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة قد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها ، وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة ، وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليهما ويستنزهن منه ، ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ، ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تنسل في عصرهم أو كانت تحرس من الدواب هيئات فذلك معلوم استحالة بالعادة قطعا فدل على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على المين ، فأما الظن الغالب الذي يستتار من ردة إبراهيم إلى مجارى الأحوال فلم يمتدوه وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغيير واقع .

أن ابن عمر خرج من المدينة قاصدا إلى بيت المقدس وصلى فيه الصلوات الخمس ثم أسرع راجعا إلى المدينة من الغد . ثم إذا من الله على الصادق بإحكام أمور بدايته قلبه في الأسفار ومنحه الحظ من الاعتبار وأخذ نصيبه من العلم قدر حاجته واستفاد من مجاورة الصالحين وانتقى في قلبه فوائد النظر إلى حال للتقين وتمطرباطنه باستنشاق عرف معارف للقرين وتمحّن بحماية نظير أهل الله وخاصته وسير أحوال النفس وأسفر السفر عن دلائل أخلاقها وشهواتها الخفية وسقط عن باطنه نظر الخلق وصار يظلم ولا يظلم كما قال الله تعالى إخبارا عن موسى - فدرت منكم لما خضتم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين - فبعد ذلك

إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من الحياض وفيها المياه القليلة والأبدى المختلفة تقسم فيها على الدوام وهذا قاطع في هذا الفرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحقيق حكم الحل بحكم النجاسة . فان قيل لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارة ويعتزلون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليها . قلنا إن أردبه أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها محصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب أن نتقدم فيهم أنهم احتزلوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم يجب وكان في محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بين ما فيه النظر مطرح وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به بحافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها إن لم تضبط عنها وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه . وقد حكى عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض فالإقتران في ذلك لا يقدح في الفرض الذي أجمنا فيه على أن تجري في هذا الاستنداد على الجواب الذي قدمناه في المستدين السابقين ولا نسلم ما ذكره من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض وكما أن الذي يتبدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا ينصب ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل ولنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين فلا نسلم أن الغالب تحريمه فانه كما يزيد بالمغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر بل الغالب أن الحبوب المنصوبة تنصب للأكل لا للبذر وكذا الحيوانات المنصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى لتوالده فكيف يقال إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام ولتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فانه مزلة قدم وأكثر العلماء يفلطون فيه فكيف العوام هذا في التولدات من الحيوانات والحبوب فأما المعادن فاتها محالة مسيلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر ومن حاز من السلاطين معدن فظلمه بمنع الناس منه فأما ما يأخذه الأخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على الباحات والاستتجار عليها فالاستأجر على الاستقاء إذا حاز لواء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة فكذلك النبل فاذا فرغنا على هذا لم تحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالما يبقاء الأجرة في ذمته وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئا قليلا يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز وإن فرض دنائير مضروبة من دنائير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة ، نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة لأنه خصصهم بها من بين سائر الناس حتى توفر عليهم مال بمشقة السلطان فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد وهو عشر العشر فكيف يكون هو الأكثر فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رقى دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابها واستفبحوا تمييز من عيز بين مال ومال وذلك عين البدع والضلال . فان قيل فلو قدر

يرده الحق إلى مقامه
وبعد بهزيل إنعامه
ويحمله إماما للمتمنين به
يقتدى وعلم المؤمنين
به يهتدى . وأما الذي
أقام في بدايته وسافر
في نهايته يكون ذلك
شخصا يسر الله له في
بداية أمره محبة صحيحة
وقيض له شيئا عالما
يسلك به الطريق
ويدرجه إلى منازل
التحقيق فيلازم موضع
إرادته ويلتزم بصحة
من يرد عنه عاداته
وقد كان الشبل يقول
للحضرى في ابتداء
أمره إن خطر يالك
من الجملة إلى الجمعة
الله فحرام عليك أن
تحضرن فى رزق
مثل هذه الصفة
يحرم عليه السفر
فالصحة خير له من
كل سفر وقضية
يقصدها . أخبرنا رضى
الدين أبو الخير أحمد
ابن اسمعيل القزوينى
إجازة قال أنا أبو
الظفر عبد النعم بن

غلبة الحرام. وقد اختلط غير محصور بغير محصور فإذا تقولون فيه إذا لم يكن في المعين للتناول علامة خاصة . فنقول الذي نراه أن تركه وريح وأن أخذه ليس بحرام لأن الأصل الحل ولا يرفع الإجماع معينة كافي طين الشوارع ونظائرها بل أزيد . وأقول : لو طبق الحرام الدنيا حتى علم بقينا أنه لم يسبق في الدنيا لسكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فهما حرم الكل حل الكل ، وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فلا احتمالات خمسة : أحدها أن يقال يدع الناس إلا كل حتى يموتوا من عند آخرهم . الثاني أن يقتصر منها على قدر الضرورة وسد الرمي يزجون عليها أياما إلى اللوث . الثالث أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاءوا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهه وجهة . الرابع أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعد من غير اقتصار على قدر الحاجة . الخامس أن يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة أما الأول فلا يخفى بطلانه وأما الثاني فباطل قطعا لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمي وزجوا أوقاتهم على الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكسبية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليم بها مصالح الدين وأما الثالث وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالنصب والسرقة والتراضى وكيفما اتفق فهو رافع لسد الشرع بين الفاسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالنصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عناقته حرام عليه وعلينا وذو اليد قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجا فإننا أيضا محتاجون وإن كان الذي أخذته في حق زائدا على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجته يومه وإذا لم يراع حاجته اليوم والسنة فما الذي يراعى وكيف يضبط وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال كل ذي يد على ما في يده وهو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة وغصبا بل يؤخذ برضاه والتراضى هو طريق الشرع وإذا لم يحز إلا بالتراضى فللتراضى أيضا مناج في الشرع تتعلق به المصالح فإن لم يعتبر فلم يتمين أصل التراضى وتعطل تفصيله . وأما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو الذي نراه لا تقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لا يجابه على الكفاية ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس وكذا أيدي السراق وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لاحق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة ويدير على الكل الأموال يوما فيوما أوسنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع أموال . أما تكليف الشطط فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخفاق بل لا يتصور ذلك أصلا وأما التضييع فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتلفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفعهم فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحجج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة تبط بالثني عن الناس إذا أصبح الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح بل أقول لو ورد نبى في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمور ويعد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضى وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالا من غير فرق وأعنى بقولى يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكفاية إلى قدر الضرورة والحاجة إليه فإن لم يبعث للصالح لم يجب هذا ونحن نجوز أن يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيموت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدى من

عبد الكريم بن
هو اذن القشيري عن
والده الأستاذ أبي
القاسم قال سمعت محمد
ابن عبد الله الصوفي
يقول سمعت عياشي بن
أبي الصخر يقول سمعت
أبا بكر الزقاق يقول
لا يكون للريد مریدا
حتى لا يكتب عليه
صاحب الشمال شيئا
عشرين سنة فمن رزق
صحة من يتدبه إلى
مثل هذه الأحوال
السنية والعزائم القوية
يحرم عليه المفارقة
واختيار السفر ثم إذا
أحكم أمره في الابتداء
بازوم الصحة وحسن
الاقتداء وارتوى من
الأحوال وبلغ مبلغ
الرجال وانجس من
قلبه عيون ماء الحياة
وصارت نفسه مكسبة
للسعادات يستشقى
نفس الرحمن من صدور
الصادقين من الإخوان
في أقطار الأرض
وشاسع البلدان يشرب
إلى التلاق وينبث

يشاء ويعت من يشاء ويعمي من يشاء ولكننا نقدر الأمر جاريا على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصالح الدين والدنيا ومالي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبداء الأوثان وإلى مصدقين له قدشاع القسق فيهم كاشاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون بغرور الثريمة والأموال كانت في أيدي المكذبين له وللصدقين أما للكاذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام وأما الصدقون فكانوا يتعاملون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراما وعفا عليه السلام عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد الشرع ومائنت تحريره في شرع لا يتقلب حللا ليعتبر رسول ولا يتقلب حللا بأن يسلم الذي في يده الحرام فانا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما عرفه بعينه أنه نحن نحن أومال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن وأمر العرب كان أشد لمعوم التهب والغارة فيهم فبان أن الاحتمال الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصاد في الباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكسبة وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نسلك في الفقه للنوط بمصالح الخلق ونقوى الظاهر له حكم ومنهج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين الذي لا يقدر على سلوكه إلا الأحماد ولواشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولواشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدينية والصناعات الخسيمات لبطل النظام ثم يطل يطلانه الملك أيضا فالمعترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لدوى الدين وهو ملك الآخرة ولولا لما سلم لدوى الدين أيضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشغلوا بأموال الدنيا وذلك قسمة سبقت بها الشيعة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى - نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا - فان قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك يروا وقع وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى السكل جلى ولكن لا بد من دليل محصل على تجوزة ليس من المصالح الرسالة وما ذكرتموه من التقسيمات كلها صالح مرسله فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح الرسالة . فأقول إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفي بنا برهاننا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود البرايا والسرقة والغلول والنهب وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل تناول أيضا فبرهانه ثلاثة أمور . الأول : التقسيم الذي حصرناه وأبطلناه من أربعة وأثبتنا القسم الخامس فان ذلك إذا أجرى فيما إذا كان السكل حراما كان أخرى فيما إذا كان الحرام هو الأقل أكثر والأقل وقول القائل هو مصلحة مرسله هوس فان ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس عظمون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد محرم للدنيا أو لأولاد الدين بواسطة الدنيا ثانيا في لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له وإنما يستشهد على الحيات للظنونة المتعلقة بأحد الأشخاص . البرهان الثاني : أن يعال بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالآقيسة الجزئية عليه وإلا كانت الجزئيات مستحقة عند المصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر السكى الذي هو ضرورة النبي لوبعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لحرب العالم والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض

إلى الطواف في الآفاق
يسيره الله تعالى في
البلاد لقائبة العباد
ويستخرج بمخاطيس
حاله خبأ أهل الصدق
وللتطمين إلى من
يخبر عن الحق ويندر
في أراضى القلوب ينذر
الفلاح ويكثر بركة
نفسه وصحبته أهل .
المصالح وهذا مثل
هذه الأمة الهادية في
الإنجيل كزورج أخرج
شطأه فأزوره فاستفظ
فاستوى على سوقه
تعود بركة البعض
على البعض وتسرى
الأحوال من البعض
إلى البعض ويكون
طريق الوراثة معمورا
وعلم الإفادة منشورا .
أخبرنا شيخنا قال أنا
الإمام عبد الجبار البيهقي
في كتابه قال أنا
أبو بكر البيهقي قال
أنا أبو علي الروذباري
قال ثنا أبو بكر بن
داستة قال ثنا أبو داود
قال أنا يحيى بن أيوب
قال ثنا اسماعيل بن

أصل وغالب فيما انقضى فيه العينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة التصارية وأواني الشرابين وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات العينة احتراز عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة احتراز عن التباس اللينة والرضية بالذكية والأجنبية . فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الأصل ومن يسلّم أن الأصل في الأموال الحل بل الأصل فيها التحريم . فنقول الأمور التي لا تحرم لصحة في عينها حرمة الحر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول للعلامات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منهما فلا فرق بين الأمرين فانها تخرج عن قبول العامة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول نجاسة عليه ولا فرق بين الأمرين . والجواب الثاني أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالتقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب ومن ادعى عليه ملك في يده فالتقول أيضا قوله إقامة ليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة . البرهان الثالث : هو أن كل مادل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعا فأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى وبأنه أن ما علم أنه ملك زيد فحقه من التصرف فيه بغير إذنه ولو علم أن له مالا في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصود لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على أن له مالا محصورا في عشرة مثلا أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة فالذي يشك في أن له مالا سوى صاحب اليد أم لا يزيد على الذي يتيقن قطعا أن له مالا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة فيكون هذا الأصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكة بصرفه السلطان إلى الصالح ومن الصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده فكيف قد تصرفه في ملك الغير ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له قضينا بموجب المصلحة . فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان . فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لاسبابه إلا المصلحة وهو أنه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجع عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذا تزاها بالشك وتكليفهم الاقتصاد على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبي بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء ويدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذ في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كالم يؤخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بملهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدرهم والعروض في يد مالك واحد وسأيت بيان في باب تفصيل طريق الخروج من الظالم .

(الثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية)

إما في قرائنه وإما في لواحقه وإما في سوابقه أو في عومته وكانت من للعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل . مثال المعصية في القرائن : البيع في وقت النداء يوم الجمعة والبيع بالسكين

جفر قال أخبرني العلماء
ابن عبد الرحمن عن
أبيه عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال « من دعا إلى هدى
كان له من الأجر مثل
أجور من اتبعه
لا ينقص ذلك من
أجورهم شيئا ومن دعا
إلى ضلالة كان عليه
من الإنم مثل آثام
من اتبعه لا ينقص
ذلك من آثامهم شيئا »
فأما من أقام ولم يسافر
يكون ذلك شخصارياه
الحق سبحانه وتعالى
وتولاه وفتح عليه
أبواب الخير وجذبه
بنياته . وقد ورد
جذبته من جذبات الحق
توازي عمل الثقلين
ثم لما علم منه الصدق
ورأى حاجته إلى من
ينتفع به ساق إليه
بعض الصديقين حتى
أيده ببطنه ولطفه
وتداركه بلطفه ولطفه
بقوة خاله وكفاه
يسير الصعبة لكمال

للنصوبة والاحتطاب بالتقدم للنصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه فكل نهى ورد في القود ولم يدل على فساد العقدان الامتناع من جميع ذلك وربع وإن لم يكن استفاد بهذه الأساليب محكوماً بتحريمه ونسبة هذا النمط شبهة فيه تسمع لأن الشبهة في قالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه هنا بل الصيان بالدعج بسكين الغير معلوم وحل الديعة أيضاً معلوم ولكن قد تشتق الشبهة من الشبهة وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه وإلا فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التماس في الاطلاقات. ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات : الأولى منها تحريم من الحرام والورع عنه مهم والأخيرة تنهى إلى نوع من البالغة تكاد تلتحق بورع للوسوسين وبينهما أوساط نازعة إلى الطرفين فالكراهة في صيد كلب منصوب أشد منها في الديعة بسكين منصوب أول التقتص بسهم منصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لما لك الكلب أو للصياد ويلييه شبهة البذر وللزروع في الأرض للنصوبة فإن الزرع لما لك البذر ولكن فيه شبهة ولو أثبتنا حق الحبس لما لك الأرض في الزرع لكان كالتفنن الحرام ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طعن بطاحونة منصوبة واقتص بشبكة منصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منعها بالصيد ويلييه الاحتطاب بالتقدم للنصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين التصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الديعة ويلييه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو أفسد البيع بثلثه لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فاتت وجوبها على الفور أو في ذمته مظلة دائقة فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه إلا من حيث ورد في يوم الجمعة نهى على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصاصة فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالخذر منه ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتخرج عن نكاح بنات أرباب الظالم وسائر مماناتهم . وقد حكى عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية البالغة أنه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير الناهي أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم فقد قال **الشيخ** « هلك المتنعون ^(١) » فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أؤم عند الغير أن مثل ذلك مهم ثم يسجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذ ضيق عليهم الطريق فأبسوا عن القيام به فاطرحوه فكأن الوسوس في الطهارة قد يسجز عن الطهارة فيتركها فكذلك بعض الوسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسموا فتركوا التمييز وهو عين الضلال . وأما مثال الواحق : فهو كل تصرف يفضى في سياقه إلى مصيبة وأغلاء بيع العنب من الحمار وبيع الغلام من المروف بالتجور بالغلان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل ماض بمقدمه كما يصح بالدعج بالسكين للنصوب والديعة بحلال ولكنه يصح عريان الإعانة على للمصيبة إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من نورع المهم وليس بحرام ويلييه في الرتبة بيع العنب من حارب الحجر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يفرز ويظلم أيضاً

(١) حديث هلك المتنعون مسلم من حديث ابن مسعود وتقدم في قواعد العقائد .

الأهلية في صاحب
والصحب وإجراء
سنة الله تعالى في إعطاء
الأسباب حتم الإقامة
رسم الحكمة بحوج
إلى سير الصحة فينبه
بالقليل للكثير وفيه
اليسير من الصحة عن
الاحتطاب الكثير ويكتفي
بواقر حظ الاستبصار
عن الأسفار ويتعرض
بأشعة الأنوار عن
مطالعة الغير والآثار
كما قال بعضهم الناس
يقولون اقتصوا
أعينكم وأبصروا وأنا
أقول غمضوا أعينكم
وأبصروا . وصحت
بعض الصالحين يقول
لله عباد طور سيناء
ركبهم تكون ردوسهم
على ركبهم وهم
في عان القرب لمن
ينج له مصيب
الحياة في ظلمة خلوته
فإذا صنع بدخوله
الظلمات ومن اندرج
له أطباق السموات
في طي شهوده ماذا
يصنع بتقلب طرفه في

لأن الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خفية أن يشتريه ظاهراً فهذا ورع فوق الأول والكرهية فيه أخف وليه ما هو مبالة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحرثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يبيع منهم البقر والقدان وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يبيع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحرثة ولا يسبق من الماء العام لذلك وينتهي هذا إلى حد التنطع للهى عنه وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بد وأن يسرف إن لم ينمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير ولهذا قال عليه السلام «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أعمالي» (١) والتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وبالجملة لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذ جاوز مرسوم له وتصرف بذهنه من غير مباح كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وقد روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذة خمرا وهذا لأعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة ولوجاز هذا لجاز قطع الله كرم خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الإلتفات . وأما القدمات : فلتنطرق للمصيبة إليها ثلاث درجات . الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها : ما بقي أثره في التناول كالأكل من شاة علفت بلف مغصوب أو رعت في مرعى حرام فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمه ولحمها وأجزاءها من ذلك اللف وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً وتقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لأبي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبتها كل يوم إلى الصحراء ويرعها وهو يصلى وكان يأكل من لبنها ففعل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها . فإن قيل فقد روى عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبشاها إلى الحمى فرعته إلبها حتى سمحت فقال عمر رضى الله عنه أربعتها في الحمى فقالا نعم فشاطرها فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من اللف لصاحب اللف فليوجب هذا تحريماً . قلنا ليس كذلك فإن اللف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين اللف فلا شركة لصاحب اللف شرعاً ولكن عمر غرمها قيمة الكلا ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ماله لما أن قسم من الكوفة وكذلك شاطر أباهريرة رضى الله عنه إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهاداً . الرتبة الوسطى : ما قل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احتفزه الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلمة وهو أرفع منه وأبلغ في الورع وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق وأعلى من ذلك امتناع ذى النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان وقوله إنه جاء في طي يذم ظالم ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر . الرتبة الثالثة : وهي قريب من الوسواس والبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كالأوعى بأكل الحرام فإن الوصول قوته الخاصة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف أكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بنية أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف فليضبط ما عرف من ورع ذى النون وبشر بالمصيبة في السبب

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أعمالي تقدم في العلم .

لسموات ومن جمعت أحقاد بصيرته متفرقات الكائنات ماذا يستفيد من طي القلوات ومن خلص بخاصية فطرته إلى مجمع الأرواح ماذا تفيده زيادة الأشباح . قيل أرسل ذوالنون المصري إلى أبي يزيد رجلاً وقال قل له إلى متى هذا النوم والراحة وقد سارت القافلة فقال للرسول قل لأخي الرجل من بنام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة فقال ذوالنون هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا . وكان بشر يقول يا ميسر القراء سيعوا تطيبوا فإن الماء إذا كثرت بكته في موضع تغير وقيل قال بعضهم عند هذا الكلام صر بجزاً حتى لا تغير فاذا أدام الريد سير الباطن يقطع مسافة النفس الأمارة بالسوء حتى قطع منازل آفاتهما

الواصل كالنهر وقوة اليد الاستفادة بالعداء الحرام ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجان لأن الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تسمى بنفسها والسائق يمتنع عن العدول في الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تدعى إليه هذه الأمور . واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تخص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يغرب العالم دون ما عده من ورع المؤمنين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله عليه السلام لو ابصرت قلبك « استفت قلبك وإن أتوك وأتوك وأتوك » وعرف ذلك إذ قال « الإنم حراز القلوب (١) » وكل ما حاك في صدر المرء من هذه الأسباب فلما أقدم عليه مع حزازة القلب استغربه وأظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وإنما الذي ذكرناه في التهي عن التباغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وكذلك يشدد على الوسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه ثلاث مرات لعلبة الوسوسة فيجب عليه أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وإن كان محططا في نفسه أولئك قوم شددوا فشد الله عليهم ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولواخذوا أولا بصوم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيًا وإثباتًا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده . وأما للعصية في العوض فله أيضا درجات . الدرجة العليا : التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئا في الذمة ويقضى ثمنه من غصب أموال حرام فينظر فان سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلا لكان متعلقا للمظلة بترك ذمته مرتبة بالدين ولا يتقلب ذلك حراما فان قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام قد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا المظلة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للإبراء هذا حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلبه ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده لأن الذي تسمى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بإقباض النقد كاتمين ملك المشتري وإنما يطل حق حبسه إما بالإبراء أو الاستيفاء ولم يجرش منعهما ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للأطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه فأما إذا وفي الثمن الحرام أولا ثم قبض فان كان البائع عالما بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض للبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذا أخذه ليس بتمن ولا يصير أكل البيع حراما بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضى به ولا أقبض البيع فحق حبسه لا يطل بهذا التلبس فأكله حرام محرم أكله للرهن إلى أن يبرئه أو يوفى من حلال

(١) حديث الإنم حراز القلوب تقدم في العلم .

وبدل أخلاقها
للمنومة بالهمودة
وعائق الإقبال على
الله تعالى بالصدق
والإخلاص اجتمع له
الشفقات واستفاد في
حضرة أكثر من سفره
لكون السفر لا يغلو
من متاعب وكلف
ومشوات وطوارق
ونوازل يتجدد الضعف
عن سياستها بالعلم
للضعفاء ولا يقدر على
تسليط العلم على
متجددات السفر
وطوارقه إلا الأقوياء
قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه للذي
زكى عنده رجلا : هل
صحبته في السفر الذي
يستدل به على مكارم
الأخلاق قال لا قال
ما أراك تعرفه فإذا
حفظ الله عبده في بداية
أمره من تشويش
السفر ومتمعه بجمع المم
وحسن الإقبال في
الحضر وساق إليه من
الرجال من أكتب
به صلاح الحال قد

أويرضى هو بالحرام ويرى فيصح إيراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمه فأما الامتناع عنه فمن الورع اللهم لأن للمعصية إذا تمكنت من السبب للوصول إلى الشيء تشدد الكراهة فيه كما سبق وأنقوى الأسباب للوصول إلى المعصية ولولا الثمن الحرام لما رضى البائع بتسليمه إليه فرضاء لا يخرج عنه كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول بدرجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى قتيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضى عنه من الحلال أو الحرام فهذا أخلف إذ وقع الشك في طرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقتله في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينفذ في القلب . الرتبة الوسطى : أن لا يكون العوض غصباً ولا حراماً ولكن يتبرأ للمعصية كالوسم عوضاً عن الثمن عنباً والأخذ شارب الحجر أو سيفاً وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريماً في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضى فيه كراهية دون الكراهية التي في النصب وتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة للمعصية على قابض الثمن وندوره ومهما كان العوض حراماً فبذله حرام وإن احتمل تحريمه ولكن أيسر بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندى النبي عن كسب الحجامة وكراهته (١) إذ نهى عنه عليه السلام مرات ثم أمر بأن يعلق الناصح (٢) وما سبق إلى الوهم من أن سببه مباشرة النجاسة والقدر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروها وهو يدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه وعامة القصاب النجاسة أكثر منه للحجامة والقصابان الحجامة يأخذان اللحم بالمحجمة ويمسحه بالقطنه ولكن السبب أن في الحجامة والقصد تخريب بنية الحيوان وإخراجا لدمه وبه قوام حياته والأصل فيه التحريم وإنما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحسب واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحس ولقد لا يجوز للفصاد فصدمي وعبدومعته ولا يذون له وقول طيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه السلام أجره الحجامة (٣) ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن القروية بالسبب فإنه أقرب إليه . الرتبة السفلى : وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة وروى عن النخعي أنه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ قال «لن الله اليهود حرمت عليهم الخمر فباعوها وأكلوا أموالها» (٤) وهذا غلط

(١) حديث النبي عن كسب الحجامة وكراهته ابن ماجه من حديث أبي مسعود الأنصاري والفسائي من حديث أبي هريرة بإسنادين صحيحين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجامة وللبخاري من حديث أبي جحيفة نهى عن غن الدم ولمسلم من حديث رافع بن خديج كسب الحجامة خبيث (٢) حديث نهى عنه مرات ثم أمر بأن يعلق الناصح أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيدة أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في إجارة الحجامة فنهاه عنها فلم يزل يسأل ويستأذن حتى قال ألعنه ناضحاً وريقك وفي رواية لأحمد أنه زجره عن كسبه فقال ألا أطعمه أيتاما لي قال لا قال أفلا أتصدق به قال لا فرخص له أن يعلنه ناضحه (٣) حديث أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجره الحجامة متفق عليه من حديث ابن عباس (٤) حديث للنخعي أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمر فباعوها لم أجده هكذا والعرف أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جعله ثم باعوه فأكلوا ثمنه .

أحسن إليه . قيل في تفسير قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - هو الرجل للقطع إلى الله يشكل عليه شيء من أمر الدين فيعت الله إليه من محل إشكاله فإذا ثبت قدمه على شروط البداية رزق وهو في القام من غير سفر ثمزات النهاية فيستقر في الحضراتها وابتداء وأقيم في هذا القام جمع من الصالحين وأما الذي أدام السفر فرأى صلاح قلبه وصحة حاله في ذلك يقول بعضهم اجتهد أن تكون كل ليلة صيف مسجداً ولا تؤت إلا بين منزلين . وكان من هذه الطبقة إبراهيم الخواص ما كان يقيم في بلد أكثر من أربعين يوماً وكان يرى إن أقام أكثر من أربعين يوماً فسد عليه توكله فكان علم الناس

لأن بيع الخمر باطل إلا لم يبق للخمر منفعة في الشرع ونحو البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد ولكن المقصود من التمهيد التقريب والتفهيم . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم « من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه ^(١) » ثم أدخل ابن عمر أصبعه في أذنيه وقال صمتا إن لم أكن سمعته منه . قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لافي الذمة وإذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصور فيحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمصية تطرقت إلى سببه وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالشترى في وقت النداء وغيره .

(لثار الرابع الاختلاف في الأدلة)

فان ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمه والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمه فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثوبته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض الصلوات الدالة أو لتعارض التشابه . القسم الأول : أن تعارض أدلة الشرع مثل تعارض عموميين من القرآن أو السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح فإن ظهر ترجيح في جانب الحذر وجب الأخذ به وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به ولكن الورع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق اللقي والمقلد وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن أنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للاستفتى أن ينتقد من المذاهب أو سمعها عليه بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالفه أصلا ، نعم إن أفتى له إمامه شيء وإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحسب وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يختون بعمل أشياء لا يقدمون عليها قط تورعا منها وحذرا من الشبهة فيها فلنقسم هذا أيضا على ثلاث مراتب . الرتبة الأولى : ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه فن المهمات التورع عن فرسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى للقي بأنه حلال لأن الترجيح فيه فامض وقد اخترنا أن ذلك حرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي قول جديد موافق لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهما وإن أفتى للقي بالقول الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية ظاهرة في إيجابها والأخبار متواترة فيه فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من ماله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكر عليه اسم الله فكل ^(٢) » ونقل ذلك على التكرار وقد شهر الديج بالبسملة ^(٣) وكل ذلك بقوى دليل الاشتراط

(١) حديث من اشترى ثوبا بعشرة دراهم الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث إذا أرسلت كلبك وذكر اسم الله فكل متفق عليه من حديث عذى بن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني (٣) حديث التسمية على الديج متفق عليه من حديث رافع بن خديج ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر .

ومعرقهم إياه براه سببا
ومعلوما . وحكى عنه
أنه قال مكثت في البادية
أحد عشر يوما لم آكل
وتطلعت نفسي أن
آكل من حشيش البر
فرايت الحذر مقبلا
نحوي فهربت منه ثم
التفت فاذا هو رجوع
عني قليل لم هربت منه
قال تشوقت نفسي
أن يفتني فهؤلاء
الفرارون بدنيهم .
أخبرنا أبو زرعة طاهر
ابن الحافظ أبي الفضل
المقدمي عن أبيه قال
أنا أبو بكر أحمد بن علي
قال أنا أبو عبد الله بن
يوسف بن نامية قال
تنا أبو محمد الزهري
القاضي قال تنا محمد بن
عبد الله بن أسباط قال
تنا أبو نعيم قال تنا محمود
بن عبد الله بن عثمان
ابن عبد الله بن أوس
عن سليمان بن هرمز
عن عبد الله بن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « أحب
شيء إلى الله الغرياء »

ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم «الؤمن يذبح على اسم الله تعالى ممي ولم يسم» (١) واحتمل أن يكون هذا عاما موجبا لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها وبمحتمل أن يخص هذا بالناس ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناس ممكنا تمهيدا لعنقه في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكنا إمكانا أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى . الثانية : وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الانسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الأخبار حديث الجنين إن ذكاته ذكاة أمه (٢) صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وقد قل ذلك في الصحيحين وأظن أن أباحيفة لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغت لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد . الرتبة الثالثة : أن لا يشتهر في المسئلة خلاف أصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع فان النقلة وإن كانوا عدولا فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضا قد يكذب والوهم جائز عليه فانه قد يسبق إلى معمم خلاف ما يقوله القائل وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن قوسهم إليه وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الزاوي فالتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلا . وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتد به وهو بخلاف النظام في أصل الإجماع وقوله إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يتمتع الانسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول ليس في كتاب الله ذكر إلا للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بصومات القرآن إذ من التسككين من ذهب إلى أن الصومات لاصفة لها وإنما يحتج بما فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فاذن لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو وإسراف فليفهم ذلك ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وليترك حزاز القلوب وحكايات الصدور وذلك يختلف

(١) حديث المؤمن يذبح على اسم الله ممي أو لم يسم قال المصنف إنه صح . قلت لا يعرف بهذا اللفظ فضلا عن محته ولأبي داود في الراسيل من رواية الصلت مرفوعا ذبيحة للمسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر وللطبراني في الأوسط والدارقطني وابن عدى والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل يارسول الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى الله فقال اسم الله على كل مسلم قال ابن عدى منكر والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس للمسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل فيه محمد بن سنان ضعفه الجمهور (٢) حديث ذكاة الجنين ذكاة أمه قال المصنف إنه صح لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده وأخذ هذا من إمام الحرمين فانه كذا قال في الأساليب والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الاسناد وليس كذلك وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد وقال عبد الحق لا يحتج بأسانيدنا كلها (٣) حديث أكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المصنف هو في الصحيحين وهو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد .

قبل ومن الغرباء ؟ قال
القرطبيون بدينهم
يحتجون إلى عيسى
ابن مريم يوم القيامة
وهذه كلها أحوال
اختلفت واتبع أربابها
الصحة وحسن النية
مع الله وحسن النية
يقتضى الصدق
والصدق لئنه محمود
كيف تقلبت الأحوال
فمن سافر ينبغي أن
يتقن حاله ويصح
نيتة ولا يقدر على
تخليص النية من
شوائب النفس إلا
كثير العلم تام التقوى
وافر الحظ من الزهد
في الدنيا ومن انطوى
على هوى كامن ولم
يستقم في الزهد
لا يقدر على تصحيح
النية قد يدعو إلى
السفر نشاط جبلي
قصائي وهو يظن أن
ذلك داعية الحق ولا
يميز بين داعية الحق
وداعية النفس
ويحتاج الشخص في
علم صحة النية إلى العلم

بالأشخاص والوقائع ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق فلا ينطوى على حزن في مظان الوسواس ولا يغلو عن الخزانة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب وإنما قال ذلك لوابسة لما كان قد عرف من حاله (١) . القسم الثاني : تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فانه قد ينيب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير التنبه فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير التنبه على أنه حرام فيتعارض الأمران وكذلك يجبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة فاسقين أو قول صبي وبالغ فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسأيت تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال . القسم الثالث : تعارض الأشياء في الصفات التي تتاط بها الأحكام . مثاله أن يوصى بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمتقى يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب وهذا أغضض ماثرات الشبهة فإن فيها صوراً يتغير للفتي فيها تحييراً لازماً لاحيلة له فيه إذ يكون للتصنيف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين للتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب ويتصدى منه النظر في مقدارة الدار وأبنتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها وكذلك في نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخرف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما لا يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك لا خد له والوجه في هذا ما قاله عليه السلام « دع ما يريك إلى ما لا يريك » (٢) وكل ذلك في محل الرب وإن توقف للفتي فلا وجه إلا التوقف وإن أفتى الفتى بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد ويبرز أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها فإدون الرطل السكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريه إلى ما لا يريه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب بلفظ العرب إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا مضمّنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل مادونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقدير فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف فالوقوف على الصوفية مثلاً ما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض فكذلك سائر الألفاظ وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص

(١) حديث لم يرد كل أحد إلى فتوى قلبه وإنما قال ذلك لوابسة وتقدم حديث وابسة وروى الطبراني من حديث واثلة أنه قال ذلك لوائلة أيضاً وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول .

(٢) حديث دع ما يريك إلى ما لا يريك تقدم في الباب قبله .

بمعرفة الخواطر وشرح
الخواطر وعليها يحتاج
إلى باب مفرد لنفسه
ونومى الآن إلى ذلك
برمز يدركه من نازله
شيء من ذلك فأكثر
الفقراء من علم ذلك
ومعرفته على يد .
اعلم أن ما ذكرناه من
نشاط النفس واقع
للفقير في كثير من
الأمر قد يجد الفقير
الروح بالخروج إلى
بعض الصحارى
والبساتين ويكون
ذلك الروح مضراً به
في ثاني الحال وإن كان
يتراءى له طيبة القلب
في الوقت وسبب طيبة
قلبه في الوقت أن النفس
تفسح وتتسع يلوغ
غرضها وتيسر يسير
هواها بالخروج إلى
الصحراء والترزه وإذا
انست بعدت عن
القلب وتحت عنه
متشوقة إلى متعلق
هواها فيتروح القلب
لا لصحراء بل يمد
النفس منه كشخص

ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تنور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم ترجع جانباً لحل بدلالة قلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه ماثرات الشبهات وبعضها أشد من بعض ولو تظاهرت شبهات شق على شيء واحد كان الأمر أغلظ مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن غيب باعه من خمار بعد النداء يوم الجمعة والبايع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما افصح من هذا الشرح أخذه وما التبس فليجتنب فإن الإثم حراز القلب وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح الفقه أمأحيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يمول على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق الراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور ، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليتمسك النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقته ، وجاء في الزبور : إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجل فذلك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي .

(الباب الثالث : في البحث ، والسؤال ، والمجوم ، والإجمال ومظانها)

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتسال وتقول هذا مما لا أعشق حله فلا آخذه بل أفتش عنه وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من تفصيله ، والقول الثاني فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الرية ومنشأ الرية ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال .

(لبار الأول أحوال المالك)

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال إما أن يكون مجهولاً أو مشكوكاً فيه أو معلوماً بنوع ظن يستد إلى دلالة . الحالة الأولى : أن يكون مجهولاً والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزى الأجناد ولا ما يدل على صلاحه ككتاب أهل التصوف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خبازاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مرياً أو خائناً ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ولا تقول إنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سيان متقابلان وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا هو الورع فقالوا لهم حسان بن أبي سنان ما شيء عندي أسهل من الورع إذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وإنما نذكر الآن حكم الظاهر ، فنقول حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلالتان كافيتان

(الباب الثالث : في البحث والسؤال)

بما عُد عنه قرين يستغله ثم إذا عاد الفقير إلى زاويته واستفتح ديوان معاملته وميز دستور حاله يجد النفس مقارنة للقلب بمزيد تغل موجب لثبرمه بها وكلما ازداد تغلها تكدر القلب وسبب زيادة تغلها استرسالها في تناول هواها فيصير الخروج إلى الصحراء عين الداء ويظن الفقير أنه ترويح ودواء فلو صبر على الوحدة والحلوة ازدادت النفس ذوباناً وخفت ولطفت وصارت قرينا صالحاً للقلب لا يستغلها وعلى هذا يقاس التروح بالأسفار فلنفس وثبات إلى توهم التروحات فمن فطن لهذه الدقيقة لا يفتقر بالتروحات للاستعارة التي لا تعتمد عاقبتها ولا تؤمن غائلتها ويتثبت عند ظهور خاطر السفر ولا يكثر بالخاطر بل يطرحه بعدم الالتفات

في المجهوم على أخذه ، وليس لك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا السلم بينه وإن بعض الظن إنهم وهذا السلم يستحق بإسلامه عليك أن لا تسيء الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فسادا من غيره قد جنبت عليه وأمنت به في الحال قدما من غير شك ولو أخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الأسواق وكان الحرام أيضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن ربة إذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل يسأل في أول قدمه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية (١) لأن قربنة الحال تدل وهو دخول المهاجرين للمدينة وهم قراء فقلب على الظن أن ما يعمل إليهم بطريق الصدقة ، ثم إسلام للمطى ويده لا يدلان على أنه ليس بصدقة ، وكان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا (٢) إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة ، ولذا دعت أم سليم (٣) ودعا الحياض (٤) كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدم إليه طعاما فيه قرع ، ودعا الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام «أنا وعائشة فقال لا قال فلا ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوآن قريبا إليهما إهالة (٥) » ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك ، وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رآه من أمره ، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رآه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة وهذه أسباب الرتبة وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا بأجابه من غير تفتيش بل لو رأى في داره جملا ومالا كثيرا فليس له أن يقول الحلال عزوه هذا كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه يحمل أن يكون ورث مالا أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به ، وأزيد على هذا وأقول ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدرى من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ لا يزال إيذاء وهتك ستر وإحماش وهو حرام بلا شك . فان قلت لعله لا يتأذى فأقول لعله يتأذى فانت تسأل حذرا من لعل فان قمت فلعل ماله حلال وليس الهم المحذور في إيذاء مسلم بأكل من الهم في أكل الشبهة والحرام والغالب على الناس الاستيعاش بالتفتيش ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدرى هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر وإن سأل من حيث لا يدرى هو فيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه نجس وفيه تشبث بالقية وإن لم يكن ذلك صريحا وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال الله تعالى - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إنهم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في التفتيش ويتكلم الكلام الحسن المؤذى وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلبا للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعته محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى

(١) حديث سؤاله في أول قدمه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث سلمان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية الحديث تقدم في الباب قبله من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان يدعى إلى الضيافات فيجب ولا يسأل أصدقة أم لا هذا معروف مشهور من ذلك في الصحيحين من حديث أبي مسعود الأنصاري في صنع أبي شعيب طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خامس خمسة . (٣) حديث دعت أم سليم متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث أنس أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه طعاما فيه قرع متفق عليه (٥) حديث دعا الرجل الفارسي فقال أنا وعائشة الحديث مسلم عن أنس .

مسيئا ظنه بالنفس
وتسويلاتها ومن هذا
القبيل والله أعلم قول
رسول الله صلى الله
عليه وسلم «إن الشمس
تطلع من بين قرني
الشیطان» فيكون
لنفس عند طلوع
الشمس وثبات تستند
تلك الوثبات والتهنئات
من النفس إلى المزاج
والطباع ويطول
شرح ذلك ويعمق
ومن ذلك القبيل خفة
مرض المريض غدوة
بخلاف العشيات
فيتشكل اهتزاز النفس
بنهضات القلب ويدخل
على الفقير من هذا
القبيل آفات كثيرة
يدخل في مداخل
باهتزاز نفسه ظنانه
أن ذلك حكم نهوض
قلبه وربما يترأى له
أنه بالله يصول وبالله
يقول وبالله يتحرك
قد ابتلى بهضة النفس
ووثوبها ولا يقع هنا
الاشتباه إلا لأرباب
القلوب وأرباب الأحوال

أشده من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤخذ بما لا يدري إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب فليعلم أن طريق الورع التردد دون التجسس وإذا لم يكن بد من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن هذا هو للألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع وهو حال مبتدع وليس بمبتدع فمن يبلغ أحمد أحدم ولا نصيفه ولو اتفق ما في الأرض جميعا كيف « وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة فقيل إنه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية (١) » ولم يسأل على التصديق عليها فكان التصديق مجهولا عنده ولم يمتنع . الحالة الثانية : أن يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة أورث رية فلنذكر صورة رية ثم حكمها . أما صورة الرية فهو أن تراه على تحرير ما في يده دلالة إيمان خلقته أو من ربه وثيابه أو من فله وقوله ، أما الحلقة فبأن يكون على خلقه الآراء والبواهي والمروفين بالظلم وقطع الطريق وأن يكون طويل الشارب وأن يكون الشعر مفرقا على رأسه على ذاب أهل القصاد ، وأما الثياب فالقباء والقلنسوة وزى أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم ، وأما الفعل والقول فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يعمل فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضا في المال ويأخذ ما لا يعمل فلهذا موضع الرية فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئا أو يأخذ منه هدية أو يجيء إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال اليد تدل على ذلك وهذه الدلالات ضعيفة فالإقدام جائز والترك من الورع ويحتمل أن يقال إن اليد دلالة ضعيفة وقد علمنا مثل هذه الدلالة فأورث رية فلهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفق به لقوله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريك إلى ما لا يريك (٢) » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستجاب لقوله صلى الله عليه وسلم « الإثم حزاز القلوب (٣) » وهذا له وقع في القلب لا ينكر ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصدقاءه هو أو هدية وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر رضي الله عنه وكل ذلك كان في موضع الرية وحمله على الورع وإن كان ممكنا ولكن لا يعمل عليه إلا بقياس حكيم والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات وأورث رية فإذا تخالفا فلاستحلال لاستند له وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا لواء متغيرا واحتمل أن يكون بطول للسكت فإن رأينا ظلية بال فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب وليس القباء وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم للمال فهو أيضا دليل ظاهر كالوصية بأمر بالنصب والظلم أو بقدع الربا فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو أجنب نظره امرأة مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من إنسان يتحرج في طلب المال ولا يكتب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بعد فليستفت المبدئي مثل ذلك قلبه . وأقول إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلاتان بالإضافة إلى المال وتساقتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلاتين تناسب للمال على الخصوص فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة يأكل من حيث يحسد الحكم في هذه الواقعة ما يعيل إليه القلب فإن هذا أمر بين المبدوين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث تدل على أن أكثر ما له حرام بأن يكون

(١) حديث أكله طعام بريرة فقيل إنها صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث دع ما يريك تهدم في البابين قبله (٣) حديث الإثم حزاز القلوب تقدم في العلم .

وغير أرباب القلب
والحال من هذا بعزل
وهذه مزية قسم خمسة
بالحواس دون العوام
فأعلم ذلك أنه عزز
عليه وأقل مراتب
التقراء في مبادئ الحركة
لغير التصحيح وجه
الحركة أن يقدموا
صلاة الاستخارة وصلاة
الاستخار لا تهمل
وإن تبين للتقريب صحة
خاطره أو تبين له وجه
الصحة في السفريين
أوضح من الخاطر فلقوم
مراتب في التبيان من
العلم بصحة الخاطر
وبما فوق ذلك ففي
ذلك كله لا تهمل صلاة
الاستخارة اتباعا لسنة
ففي ذلك البركة وهو
من تعليم رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
على ما حدثنا شيخنا
ضياء الدين أبو النجيب
السهروردي إمامه
قال أنا أبو القاسم بن
عبد الرحمن في كتابه
أن أنا سعيد
السكرودي أخبرهم

جندياً أو عاتل سلطان أو ناعمة أو مغنية فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع . الحالة الثالثة : أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حبل المال أو تحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديارته وعدالته في الظاهر ويجوز أن يكون الباطن بخلافه فهنا لا يجب السؤال ولا يجوز كافي المجهول فالأولى الإقدام والإقدام هنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء قال صلى الله عليه وسلم : « لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى » (١) فأما إذا علم بالخبرة أنه جندى أو مغنى أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والقيام فهنا السؤال واجب لاحتمال كافي موضع الرية بل أولى .

(للثالث ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المال)

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر أن أكثر ما في أيديهم حرام فندفع السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه حكم بلد والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون في كل عقد وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الرية في حق ذلك الشخص المعين وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في تلك الغنائم شيء مما أخفوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه جازاً بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله وصاحبه أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله ولم ينقل قط التفتيش عن هذا . وكتب عمر رضي الله عنه إلى أذريجان إنكم في بلاد تدبج فيها البتة فانظروا ذكاه من ميتة أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر بالسؤال عن الدرام التي هي آتمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن آتمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه إنكم في بلاد أكثر قصاياها الجوس فانظروا الذكي من البتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها [مسألة] شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام منصوب أو مال منسوب ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالم له أيضاً مال موروث ودهقنة أو تجارة أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويرى أيضاً فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز الأكل من ضيقه ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش فإن ظهر أن المأخوذ من وجهه حلال فذاك وإلا ترك وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبهاً فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بشري ميثاق مثلاً وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث إن مال الرجل الواحد كالحصو لا سيما إذا لم يكن كثير المال مثل السلطان وبخلافه من وجه إذ البتة يعلم وجودها في الحال يقينا والحرام الذي خالطه ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومسئلة اختلاط البتة واحد وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كافي الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا يشك في

(١) حديث لا تأكل كل الإطعام تقى ولا يأكل كل طعامك إلا تقى تقدم في الزكاة .

قال أنا أبو عمرو بن
حمدان قال حدثنا
أحمد بن الحسين
الموفى قال حدثنا
منصور بن أبي مزاحم
قال حدثنا عبد الرحمن
ابن أبي اللؤلؤ عن محمد
ابن النكندر عن جابر
رضي الله عنه قال : كان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلنا
الاستخارة كما يلنا
السورة من القرآن
قال : إذا تم أحدكم
بالأمر أو أربأ الأمر
فليصل ركعتين بين
غير الفريضة ثم ليقل
اللهم إني أستخيرك
بملكك وأستغفر
بكبريتك وأسألك من
فضلك العظيم فإنك
تقدر ولا أقدر وتعلم
ولا أعلم وأنت علام
الغيوب اللهم إن كنت
تعلم أن هذا الأمر
ويسميه بينه خير
لي في ديني ومعاشي
ومعادى وعاقبة أمري
أو قال عاجل أمري
وأجله فأقده لي ثم

بورك لي فيه وإن كنت
تطعمه شرا لي مثل ذلك
فأصرفه عنى وأصرفني
عنه وأقدر لي الخير
حيث كان .

[الباب السابع عشر
في دعوى إليه الصوفي
في سفره من الفرائض
والفضائل]

فأما من التقه وإن
كان هذا يذكر في كتب
لتقته وهذا الكتاب
غير موضوع لذلك
ولكن نقول على سبيل
الإيجاز تبينا بذكر
للأحكام الشرعية التي
هي الأساس الذي يبنى
عليه لا بد للصوفي
للسافر من علم التيمم
والسجدة على الحفين
والقصر والجمع في
الصلاة أما التيمم فجائز
لمريض والسافر في
الجنابة والحدث عند
عدم الماء أو الخوف
من استعماله تلقا في
النفس أو المال أو
زيادة في الرض على
القول الصحيح من
للذهب أو عند حاجته

أن الهجوم عليه بعيد من الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقض للمدالة وهذا من حيث النقل
أيضا غامض لتجاذب الأشياء ومن حيث النقل أيضا غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع
في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من
إقدام على الأكل كأكل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلا إن قدر في جملة ما في يده حرام فذلك
أيضا يعمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح فالأفعال في هذا
ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء التأخرين مختلفة حتى قال بعضهم لو أعطاني السلطان شيئا لأخذته وطرده
الإباحة فيما إذا كان الأكل أيضا حراما لم يصرف عين للأخوذ واحتمل أن يكون حلالا واستدل
بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين كسياتي في باب بيان أموال السلاطين فأما إذا كان الحرام هو الأكل
واحتمل أن لا يكون موجودا في الحال لم يكن الأكل حراما وإن تحقق وجوده في الحال كما في مسألة
اشتباه الذكية بالمتية فهذا مما لا أدري ما أقول فيه وهو من التشابهات التي يتجبر للفقهاء فيها لأنها مترددة
بين مشابهة المحصور وغير المحصور والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشرين نسوة وجب الاجتناب وإن
كان يلد في عشرة آلاف لم يجب وبينهما أعداد ولو شئت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها ولقد
توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوق
في ملك غيره أيكون الصيد للرامي أو للمالك الأرض فقال لا أدري فروجع فيه مرات فقال لا أدري
وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم فليقطع للفقهاء طمعه عن ذلك الحكم في جميع الصور
وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوما ياملون السلاطين فقال إن لم ياملوا سوى
السلطان فلا تعاملهم وإن عاملوا السلطان وغيره فاملهم وهذا يدل على الساعية في الأقل ويعتمد
الساعية في الأكثر أيضا وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والحجاز
والتاجر لتماطيه عقدا واحدا فاسدا أو لمعاملة السلطان مرة وتقدر ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها
فان قيل قد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فأما
يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك
فقال له السائل إن لي جارا لا أعلمه إلا خبيثا يدعوننا أو نحتاج فنستسلمه فقال إذا دعاك فأجبه وإذا
احتجت فاستسلمه فان لك الهنا وعليه المأثم وأفتى سلمان بمثل ذلك وقد علل على بالكثرة وعلل ابن
مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك الهنا أي أنت لاتعرفه . وروى
أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه إن لي جارا يأكل الربا فيدعوننا إلى طعامه أفأتيه فقال نعم
وروى في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة وأخذ الشافعي ومالك رضي الله
عنهما جواز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط ما لهم الحرام . قلنا أما ما روى عن علي رضي
الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه
ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت النقل لا يبعد غيره ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز
وفعله محتمل للورع ولكنه لو صح لسأل السلطان له حكم آخر فانه يحكم بكثرة يكاد يلتحق بما
لا يحصر وسياتي بيان ذلك وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان وسياتي
حكمه وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قرية من الحصر وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقول
إنه إنما نقله خوات التيمي وأنه ضعيف الحفظ والشهور عنه ما يدل على توفيق الشبهات إذ قال لا يقولن
أحدكم أخاف وأرجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشبهات فدع ما يريك إلى ما لا يريك
وقال اجتنبوا الحكايات فيها الاسم . فان قيل فلم قلتم إذا كان الأكل حراما لم يجز الأخذ مع أن

لأنه لو لم يكن فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على الملك حتى إن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والسكرنة توجب ظنا مرسلًا لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام ولا يجوز أن يستدل على هذا بموم قوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط القليل بغير المحصور فإن ذلك يوجب رية ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم . فالجواب أن اليد دلالة ضعيفة كالاتصاحاب وإنما تؤثر إذا سلت عن معارض قوى فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المالحظ موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام «دع ما يريك إلى ما لا يريك» لا يبقى له محمل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا بدعه وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاتصاحاب والسكرنة تأثير في تحقيق الظن وكذا للحصر وقد اجتمع حتى قال أبو حنيفة رضي الله عنه لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر فاشتراط اجتماع الاتصاحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة السكرنة ومن قال يأخذ أي آية أراد بلا اجتهد بناء على مجرد الاتصاحاب فيجوز الشرب أيضا فيلزمه التجوز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجزى ذلك في بول اشبه بماء إذ لا استصاحاب فيه ولا نظره أيضا في ميتة اشتبهت بدكية إذ لا استصاحاب في الميتة واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام للباح على أنه ملك فههنا أربع متعلقات استصاحاب وقلة في المخلوط أو كثرة وانحصار أو اتساع في المخلوط وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن ينفل عن مجموع الأربعة ربما يظلم فيشبه بعض للسائل بما لا يشبهه فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم يقين أو يظن عن علامة أو توهم فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقينا أو ظنا كالمو رأي تركيا مجهولا يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوما باليقين فهو محل التوقف وتكاد تفسير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الليل إلى الرخصة وأما الأقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلا . مسألة : إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من ادراكه كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا ؟ فله الأكل ولا يلزمه التفتيش وإنما التفتيش فيه من الورع ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدرك أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل وقد سبق أن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه . مسألة : إذا كان في يد التولي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا ما لان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة فهل له أن يأخذ ما يسله إليه صاحب الوقف نظرا فإن كانت تلك الصفة ظاهرة بصرفها للتولي وكان التولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بصير بحت لأن الظن بالتولي أنه لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه وإن كانت الصفة خفية وإن كان للتولي عن عرف حاله أنه يخلط ولا يزال كيف يفعل فعليه السؤال إذ ليس ههنا يد ولا استصاحاب يعول عليه وهو وزان سؤال الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهبة عند ترده فيها لأن اليد لا تخصص الهبة عن الصدقة ولا الاتصاحاب فلا ينجي منه إلا السؤال فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحمان ذي حته واحتمل أن يكون مجوسا لم يحزله ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد

إلى الماء الوجود لمطشه
أو عطش دابته أو
رفيقه في هذه الأحوال
كلها يصلى بالتييم
ولا إعادة عليه والخائف
من البرد يصلى بالتييم
وبعيد الصلاة على
الأصم ولا يجوز التيمم
إلا بشرط الطلب للماء
في مواضع الطلب
ومواضع الطلب مواضع
تردد السافر في منزله
للاحتطاب والاحتشاش
ويكون الطلب بعد
دخول الوقت والسفر
التصير في ذلك كالطويل
وإن صلى بالتييم مع
يقين الماء في آخر
الوقت جاز على الأصح
ولا يبعد مهما صلى
بالتييم وإن كان الوقت
باقيا ومهما توهم وجود
الماء بطل تيممه كما إذا
طلع ركب أو غير ذلك
وإن رأى الماء في أثناء
الصلاة لا يبطل صلاته
ولا تلزمه الإعادة
ويستحب له الخروج
منها واستئناف الوضوء
على الأصح ولا يتييم

لا تدل في اللينة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس فيه علامة الكفر أنه مسلم وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلتبس الواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد . مسألة : له أن يشتري في البلد داراً وإن علم أنها تشتمل على دور منصوبة لأن ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها منصوب أو وقف لم يميز الشراء ما لم يميز ويجب البحث عنه ومن دخل بلفة وفيها رباطات خص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز المحجور مع الإيهام لأن الرباطات وللدارس في البلد لا بد أن تكون محصورة . مسألة : حيث جلتا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله إذ يجب إنباء الظالم بأكثر من ذلك والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال ، نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا ينضبون من سؤاله ولأن عليه أن يسأل ليطهر طريق الحلال ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه وسأل عمر من سقاء من إبل الصدقة وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما أن قدم عليه بمال كثير فقال ويحك أكل هذا طيب من حيث إنه تعجب من كثرتهم وكان هو من رعيته لاسياً وقد رفق في صيغة السؤال وكذلك قال على رضي الله عنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورقه ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه . مسألة : قال الحرث المحاسبي رحمه الله لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع لأنه ربما يدوله ما كان مستورا عنه فيكون قد حمل على هتك السر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور الاحتراز عن هتك السر وإثارة البغضاء أهم وزاد على هذا وقال وإن رآه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويحبه الخبيث فإن كان لا يطعم قلبه إليه فيحتراز متلفاً ولا يهتك ستره بالسؤال قال لأنني لم أر أحداً من العلماء فعله فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل على مسامحة فيها إذا خالط للمال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقيق لأن لفظ الريية يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فليراع هذه الدقائق بالسؤال . مسألة : ربما يقول القائل أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال . فأقول مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضوره ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه فينبغي أن يسأل من غيره وكذا إن كان يباع وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره . وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن منهما كما يسأل للتولي على المال الذي يملكه أنه من أي جهة وكما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤدي ولا ينهم القائل فيه وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدرى طريق كسب الحلال فلا ينهم في قوله إذا أخبر عن طريق صحيح وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فهنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال منهما فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحداً قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينته حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال وليس كل من فسق يكذب ولا كل من

للفرض قبل دخول الوقت ويقيم لكل فريضة ويصلي مهما شاء من التواقل بيمين واحد ولا يجوز أداء الفرض بيمين النافلة ومن لم يجد ماء ولا تراباً يصلي ويميد عند وجود أحدهما ولكن إن كان محدثاً لا يمس للصحف وإن كان جنباً لا يقرأ القرآن في الصلاة بل يذكر الله تعالى عوض القراءة ولا يقيم إلا بتراب طاهر غير خالط للرمل والجص ويجوز بالتباعد على ظهر الحيوان والتوب ويسمى الله تعالى عند التيمم وينوي استباحة الصلاة قبل ضرب اليد على التراب ويضم أصابعه لضربة الوجه ويمسح بجميع الوجه فلا يبقى شيء من محل الفرض غير مسح لا يصح التيمم وضرب ضربة للدين مبسوط الأصابع ويمسح بالتراب محل الفرض

ترى العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله شهادة الفاسق وكَم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به وكذلك إذا أخبر به صبي يميز عن عرفته بالثبوت قد تحصل الثقة بقوله فيحل الاعتدال عليه فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب فان الفرق هو القلب في مثل هذا الموضع والقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فلي تأمل فيه ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روى عن عتبة بن الحارث « أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فرعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال دعها فقال إنها سوداء يصغر من شأنها فقال عليه السلام فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك ^(١) » وفي لفظ آخر كيف وقد قيل « ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر أماره غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة فذلك يتأكد الأمر بالاحتراز فان اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتماً واجباً . مسألة : حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين ويجوز أن يرجع في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين ويجوز أن يرجع أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة واللعرفة وذلك بما يتشعب تصويره . مسألة : لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه واحتمل أن لا يكون من المنصوب فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصالح جاز الشراء وكان تركه من الورع وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فان كان يكثر نوع ذلك للتعاضد من غير المنصوب فله أن يشتري وإن كان لا يوجد ذلك للتعاضد في تلك البقعة إلا نادراً وإنما كثر بسبب النصب فليس يدل على الحل إلا اليد وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه فالامتناع عن شرائه من الورع المهم ولكن الوجوب فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا أن أردته إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه فان كان الأقوى أنه منصوب لزم تركه وإلا حل له شراؤه وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهن من التشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقعها فقد استبرأ لمرئيه ودينه ومن اقتحمها فقد حارم حول الحمى وخطأ بنفسه . مسألة : لو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال ^(٢) . فيجب السؤال عن أصل اللال أم لا وإن وجب فمن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه ؟ فأقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر إلى الرية للتضييق للسؤال إما لجواباً أو ورعاً ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الرية للتضييق وذلك يختلف باختلاف الأحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فان قال اشترت انقطع سؤال واحد وإن قال من شاتي وقع الشك في الشاة فاذا قال اشترت انقطع وإن كانت الرية من الظلم وذلك بما في أيدي العرب ويتواله في أيديهم للمنصوب فلا تنقطع الرية بقوله إنه من شاتي ولا بقوله إن الشاة ولدتها شاتي فان أسندته إلى الورثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام

(١) حديث عتبة بن الحارث (٢) حديث سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه حديث عن ابن قد قدم إليه الحديث تقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعاملة .

وإن لم يقدر إلا بضربتين فصاعداً كيف أمكنه لا بد أن يتم التراب محل القرض ويمسح إذا فرغ إحدى راحتين بالأخرى حتى تصيرهما مسحيتين ويمر اليد على ما نزل من اللحية من غير إيصال التراب إلى التاب . وأما للصح : فيمسح على الخف ثلاثة أيام ولياليهن في السفر والقيم يوماً وليلة وابتداء لليلة من حين الحدث بعد لبس الخف ومن حين لبس الخف ولا حاجة إلى النية عند لبس الخف بل يحتاج إلى كمال الطهارة حتى لو لبس أحد الخفين قبل غسل الرجل الأخرى لا يصح أن يمسح على الخف ويشترط في الخف إمكان متابعة للنهي عليه وسرعه على القرض ويكتفى مسح يسير من أعلى الخف والأولى مسح أعلاه وأسفله

فقد ظهر التحريم وإن كان يسلم أن أكثره حرام بفكرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإثراء
 إليه لا يغير حكمه فليست في هذه العاني . مسألة : سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد
 خادهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك السكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو
 يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء فأكل طعامه حلالاً أو حراماً أو شبهة . فقلت إن هذا يلتفت إلى
 سبعة أصول . الأصل الأول : أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتري بالمعاطاة والذي اختارناه صحة
 المعاطاة لاسيما في الأطعمة والمستحقرات فليس في هذا إلا شبهة الخلاف . الأصل الثاني : أن ينظر أن
 الخادم هل يشتري بهين للمال الحرام أو في الذمة فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وإن لم يعرف
 فالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز الأخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو
 شراؤه بعين مال حرام . الأصل الثالث : أنه من يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم
 يجز وإن كان أقل ماله فقيه نظر قد سبق وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال
 أو ممن لا يدري المشتري حاله يمين كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب
 فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال . الأصل الرابع : أن يشتريه لنفسه أو للقوم فإن اتولى والخادم
 كالنائب وله أن يشتري له ونفسه ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ وإذا كان الشراء يجري
 بالمعاطاة فلا يجري اللفظ والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والتصايب والحجاز ومن يعامله يعول عليه
 ويقصد البيع منه لا يمن لا يحضرون فيقع عن جيبته ويدخل في ملكه وهذا الأصل ليس فيه تحريم
 ولا شبهة ولكن ثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم . الأصل الخامس : أن الخادم يقدم الطعام إليهم
 فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتقاداً على عوضه من
 الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو اتهم لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك
 وقرينة الحال لا تدل عليه فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهدية بشرط الثواب أعنى هدية لا لفظ
 فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطعم في ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وهنا ما طمع
 الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه لإحتمالهم من الوقف ليقضى به دينه من الحجاز والتصايب والبقال
 فهذا ليس في شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا بمبالاة
 بقول من لا يصح هدية في انتظار ثواب . الأصل السادس : أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف قيل
 إنه أقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى أنه لا يرضى بأضعاف القيمة والصحيح
 أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض به عليه وهنا الخادم قد رضى بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن
 كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه قدس الأمر وإن كان ناقصاً ورضى به الخادم صح أيضاً وإن علم أن
 الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضى في الثواب
 بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالحلل المتطرق إلى الثمن وقد
 ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة وهذا لا يقتضي تحريماً على ما فصلناه
 فلا تنقلب الهدية حراماً يتوصل للهدى بسبب الهدية إلى حرام . الأصل السابع : أنه يقتضي دين الحجاز
 والتصايب والبقال من ربيع الواقفين فإن وفي ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم قد صح الأمر وإن قصر
 عنه فرض التصايب والحجاز بأي ثمن كان حراماً أو حلالاً فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليفت
 إلى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام هذا إذا علم أنه قضاء من حرام فإن احتمل
 ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد وقد خرج من هذا أن كل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو
 بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرة أدوى

من غير تكرار ومتى
 ارتفع حكم السح
 بانقضاء الدة أو ظهور
 شيء من عمل القرض
 وإن كان عليه لقافة
 وهو على الطهارة يغسل
 القدمين دون استئفاف
 الوضوء على الأصح
 وللأسح في السفر إذا
 أقام بمسح كالتيمم
 وهكذا للقيم إذا سافر
 بمسح كالسافر واللبد
 إذا ركب جورباً ونعل
 يجوز السح عليه ويجوز
 على للشرج إذا ستر
 عمل القرض ولا يجوز
 على للنسوج وجهه
 الذي يستر بعض القدم
 به والباقي بالقافة .
 فأما القصر والجمع
 فيجمع بين الظاهر
 والقصر في وقت إحداها
 وينيم لكل واحدة
 ولا يفصل بينهما بكلام
 وغيره . وهكذا الجمع
 بين المغرب والعشاء
 ولا قصر في المغرب
 والمصبح بل يصليهما
 كرتبهما من غير
 قصر وجمع . والسنن

في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والقاط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من التناوي وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخرج الوقائع للشفعة للتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول فإن ذلك مما يحز عنه أكثر اللغتين .

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم للمالية)

اعلم أن من تاب وفي يده مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فليُنظر فيهما .

(النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج)

اعلم أن كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو ودية أو غيره فأمره سهل فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبسا مختلطاً فلا يغلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان وإما أن يكون في أعيان متبايزة كالصيد والدور والثياب فإن كان في المتبايزات أو كان شائماً في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها وفي الرابحة وصدق في بعضها أو من غصب دهنًا وخلطه بدهن نفسه أو فعل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يغلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وإن كان أشكل فله طريقتان أحدهما الأخذ باليقين والآخر الأخذ بظالم الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين فإن الأصل اشتغال الدمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في أعداد الركعات يوثق بها وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الأخذ بظالم الظن اجتهداً ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبق إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلاً أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وأن الثلث مثلاً حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بظالم الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقتطع القدر للتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر للتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه وإن غلب الحل جازله الامساك والورع إخراجه وإن شك فيه جاز الامساك والورع إخراجه وهذا الورع أكد لأنه صار مشكوكاً فيه وجاز إمساكه اعتدالاً على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضيقاً بعد يقين اختلاط الحرام ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يظن على ظنه أنه حلال وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتيقن في الحال ترجيح وهو من المشكلات . فإن قيل هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرج ليس يدرى أنه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز أن يقال إذا اختلطت مئة بتسع مذكاة فهي العشر فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت وبأخذ الباقي ويستحله ولكن يقال لعل للمئة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم يحل لاحتمال أنها الحرام . فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لطريق المعاوضة إليه وأما المئة فلا تطرق للمعاوضة إليها فليكشف الظاهر عن هذا الاشكال بالقرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال يدع الكل حتى يتيقن وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه للرهن آيتين وقال لا أدري أيتهما آيتك فتركهما فقال للرهن هذا هو الذي لك وإنما كنت أخترتك فقضى دينه ولم يأخذ

(الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن الظالم)

الرواتب يصلها بالجمع
بين السنتين قبله
القرضتين للظن
والصر وبعد الفراغ
من القرضتين يصل
ما يصل بعد القرض
من الظن ركعتين
أو أربعاً وبعد
الفراغ من القرض
والعشاء يؤدي السنن
الرابطة لها ويوتر
بعدها ولا يجوز أداء
القرض على الدابة
بحال إلا عند التحام
القتال للغازي ويجوز
ذلك في السنن
الرواتب والنوافل
وتكفيه الصلاة على
ظهر الدابة وفي الركوع
والسجود الإيماء
ويكون إيماء السجود
أخفض من الركوع
إلا أن يكون قادراً
على التحكك مثل أن
يكون في محاورة وغير
ذلك ويقوم توجهه
إلى الطريق مقام
استقبال القبلة ولا
يوجهها إلى غير
الطريق إلا للقبلة حتى

لو حرف دابته عن
الصوب للتوجه إليه
لإلى نحو القبلة بطلت
صلاته . والمأثي
يتقل في السفر ويقنعه
استقبال القبلة عند
الإحرام ولا يجزئه
في الإحرام إلا الاستقبال
ويضمه الأبناء للركوع
والسجود وراكب
العدابة لا يحتاج إلى
استقبال القبلة للإحرام
أيضا . وإذا أصبح
للسافر مقبلا ثم سافر
ففيه أيام ذلك اليوم
في الصوم وهكذا إن
أصبح مسافرا ثم أقام
والصوم في السفر أفضل
من الفطر وفي الصلاة
القصر أفضل من
الإتمام . فهذا القدر
كاف للصوفي أن يعلمه
من حكم الشرع في مهام
سفره . فأما الندوب
والاستحباب فينبغي أن
يطلب لنفسه رقيقا
في الطريق بعينه على أمر
الدين وقد قيل الرفيق
ثم الطريق ونهى
رسول الله صلى الله

الرهن وهذا ورع ولكننا نقول إنه غير واجب فلنفرض المسئلة في درهم له مالك معين حاضر فنقول إذا رد
أحد الدرهمين عليه ورضى به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون الردود
في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه
فلا احتياط أن يقاوما باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان المصوب منه
قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضماته فلما أخذ وقع عن الضمان بمجرد
القبض وهذا في جانبه واضح فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال
في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه . فنقول لأنه أيضا إن كان قد سلم درهم نفسه قد فات له أيضا
درهم في يد الآخر فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلا عنه في علم الله إن كان الأمر
كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أنلف رجلان كل واحد منهما درهما على
صاحبه بل في عين مسئلتنا لو ألقى كل واحد ما في يده في البحر أو أحرقه كأن قد أنلفه ولم يكن عليه
عهدة الآخر بطريق التقاص فكذا إذا لم يلف فإن القول بهذا أولى من الصبر إلى أن من يأخذ
درهما حراما ويطره في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف
فيه وهذا للذهب يؤدي إليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ والمعاطاة
بيع ومن لا يعملها يما غيبت تطرق إليها احتمال إذ الفصل يضعف دلالة حيث يمكن التلطف وهنا
هذا التسليم والتسليم للبدالة قطعا والبيع غير ممكن لأن البيع غير مباح إليه ولا معلوم في عينه وقد
يكون محالا قبل البيع كالموخلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع
البعض منه بالبعض . فإن قيل فأنتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه يما .
قلنا لا نجعله يما بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك التلف عليه من الرطب إذا أخذ
مثله هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأضر به وقال لا أخذ درهما أصلا إلا عين ملكي فإن
استبهم فأتركه ولأهله وأعطي عليك مالك . فأقول على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب
للرجل ماله فإن هذا محض التعتق والتضييق والشرع لم يرد به فإن محجوز عن القاضي ولم يحكم رجلا
متدينا ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويغرد على نية الصرف إليه درهما ويتم ذلك له
ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات أظهر وألزم . فان قيل فينبغي أن يحل له الأخذ وينقل
الحق إلى ذمته فأى حاجة إلى الإخراج أولا ثم التصرف في الباقي . قلنا قال قائلون يحل له أن يأخذ مادام
يبقى قدر الحرام ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك وقال آخرون ليس له أن يأخذ ما لم يخرج
قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال وقال آخرون يجوز للأخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو
فلا يعطى فإن أعطى عصى هودون الأخذ منه وما يجوز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله
أن يأخذ حقه من هذه الجملة إذ يقول لعل المصروف إلى يقع عين حق وبالتعيين وإخراج حق الغير
وتميزه يندفع هذا الاحتمال فهذا المال يرجع بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم
المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة
وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب
الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقه من موضع آخر إذ الاختلاط من
الجانبيين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فأنا بأولى من الآخر لأن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه قائم فيه
أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل فعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الأمثال فإنها
تقع عوضا في الاتلافات من غير عقد فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبيد ببيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضى .

فإن أبي أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يسوق عليه جميع ملكه فإن كانت متائلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أحسن الدور وصرف إلى للمتبع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل وإن لم يوجد القاضي فلهذا يرد الخلاص وفيه السكل أن يتولى ذلك بنفسه هذه هي الصلحة وماعداها من الاحتمالات ضعيفة لا تختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الحنطة ظاهر وفي التقود دونه وفي العروض أغمض إذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلهذا احتجج إلى البيع ولترسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل . مسألة : إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيقة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيقة نصفا وهو قدر حقه ساهم الورثة فإن النصف الذي لا يتميز حتى يقال هو الردود والباقي هو المنسوب ولا يصير محيرا بنية السلطان وقصد حصر النصب في نصيب الآخرين . مسألة : إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والال غفار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل منسوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجره للمنسوب وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجره البعيد والشياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يتأد إجازتها مما يحسر ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى وما رجع على المال للمنسوب في عقود عقدتها على القيمة وقضى الثمن منه فهو ملك له ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وإن كان بأعيان تلك الأموال فالمقود كانت فاسدة ، وقد قيل تنفذ بإجارة المنسوب منه المصلحة فيكون المنسوب منه أولى به والقياس أن تلك العقود تفسخ وتسترد الثمن وترد الأعواض فإن عجز عنه لكثرة فهي أموال حرام حصلت في يده فلم ينسب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليتصدق به ولا يحمل للغاصب ولا للمنسوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده . مسألة : من ورث مالا ولم يدرك أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال بائناق العلماء وإن علم أن فيه حراما وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحرى فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالا للسلطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئا أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد . وقال بعض العلماء : لا يلزمه والآن على الورث واستدل بما روى أن رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله أي لوارثه وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل بقدر كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصعبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراما يقينا .

(النظر الثاني في الصرف)

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال : إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثته وإن كان غائبا فينتظر حضوره أو الإيجال إليه وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجتمع فوائده إلى وقت حضوره وإما أن يكون للمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه وربما لا يمكن الرد لكثرة اللالك كمنهول النسيئة فأنها بعد تفرق التزاة كيف يقدر على جمعهم وإن قدر فكيف يفرق ديناراً واحداً من مائة ألف

عليه وسلم أن يسافر
الرجل وحده إلا أن
يكون صوفيا طالما
بآفة نفسه يخاف
الوحدة على بصيرة
من أمره فلا بأس
بالوحدة وإذا كانوا
جماعة ينبغي أن
يكون فيهم متقدم
أمير قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
« إذا كنتم ثلاثة في
سفر فأمرُوا أحداكم »
والذي يسميه الصوفية
يشتر وهو الأمير
وينبغي أن يكون الأمير
أزهد الجماعة في الدنيا
وأوفر حظا من
التقوى وأتمهم مروءة
وسخاوة وأكثرهم
شفقة . روى عبد الله
ابن عمر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
« خير الأصحاب عند الله
خيرهم لصاحبه » قل
عن عبد الله الروزي
أن أبا بلى الرياضي حبه
فقال على أن أكون أنا
الأمير أو أنت فقال
بل أنت فلم يزل يعمل

فان في الخبر الصحيح « إن للزارع والفارس أجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه (١) » وذلك بغير اختياره ، وأما قول القائل لا تصدق إلا بالطيب فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من الظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع وبين التصديق ورجحنا جانب التصديق على جانب التضييع ، وقول القائل لا ترضى لغيرنا ما لا ترضاه لأنفسنا فهو كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه ولتفقير حلال إذا حله دليل الشرع وإذا اقتضت للصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال وهو لا إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيرا . أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا يمتنع عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضا فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير ، ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضا مسائل . مسألة : إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرد إلى السلطان فهو أعلم بما تولاها فيقبله ما قبله وهو خير من أن يتصدق به واختار المحاسبي ذلك وقال كيف يتصدق به فلعل له مال كما معينا ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به ، وقال قوم يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرد به إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك ، والختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرد به إلى ماله فيصدق به عن ماله فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان لأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فردا على السلطان تضييع فان كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتقويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر فاذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فإنه غيبه بالقطعة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يملكها ثم وإن كان غنيا من حيث إنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصديق . مسألة : إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة ، فقد قال قوم يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو نجارة يكتسب بها للعائلة فعل وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال فان لم يجد فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا أمسك ذلك اليوم عنه فاذا فني عاد إليه فاذا وجد حلالا معينا تصدق بمثل ما أتقنه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم إنه يأكل الخبز ويترك اللحم إن قوى عليه وإلا أكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أتقنه قرضا عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يعد أن لا يجب عليه أيضا إذا أخذه لفقره لأسباب إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعديا بنفسه وكسبه حتى يفلظ الأمر عليه فيه . مسألة : إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحاجة عليه أو كدفي نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرمهم من الحرام إن كان لا يقضى بهم إلى ما هو أشد منه فان أنفى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو أنه يتناول مع العلم والعيال بما تنذر إذا

(١) حديث أجر الزارع والفارس في كل ما يصيب الناس والطيور البخاري من حديث أنس ما من مسلم يفرس غرسا أو يزرع زرعاً فياً كل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له صدقة .

الربط والاستمتاع
والزهوة وكلها حكر
للعلم في الرباط أطالوا
للقام وإن تصدقت
أسباب الدين وكلما قل
للعلم رحلوا وإن
تيسرت أسباب الدين
وليس هذا طريق
الصوفية ومن المستحب
أن يودع إخوانه إذا
أراد السفر ويدعوهم
بدعاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم . قال
بعضهم صحبت عبد الله
ابن عمر من مكة إلى
المدينة فلما أردت
مفارقتهم شيعني وقال
صحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول
قال لقمان لابنه يا بني
إن الله تعالى إذا
استودع شيئا حفظه
وإن استودع الله
دينك وأمانتك
وخواتيم عملك . وروى
زيد بن أرقم عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « إذا أراد
أحدكم سفرا فليودع
إخوانه فان الله تعالى

لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤمنين كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحال والاطلاء بالنورة والدهن ومهارة المنزل وتمهد الدابة وتسجير التنور وعن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه فإن ما يتعلق يدينه ولا غنى به عنه هو أولى بأن يكون طيبا وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه بمنزلة بلحمه ودمه وكل لحم ثبت من حرام فالنار أولى به وأما الكسوة فقائدها ستر عورته ودفع الحر والبرد والإبصار عن بشرته وهذا هو الأظهر عندي وقال الحرث الحاسبي يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روى أنه « لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم فيها درهم حرام (١) » وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام (٢) فإعانة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى ولذلك تقي الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا يثبت منه لحم ثبت ويبقى . فإن قيل فلماذا كان الكل منصرفا إلى أغراضه فأى فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة ومادرك هذا الفرق . قلنا : عرف ذلك بما روى أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحا وعيدا حجاما فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقبي عن كسب الحجام فروجع مرات ففتح منه قليل إن له أيتاما فقال أعلفوه الناضح (٣) فهذا يدل على الفرق بين ما يأكله هو أودابته فإذا انفتح سبيل الفرق قصص عليه التفصيل الذي ذكرناه . مسألة : الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم وإذا أنفق على نفسه فليضيّق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد وليكسر وسطا بين التوسيع والتضيّق فيكون الأمر على ثلاث مراتب فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وإن كان غنيا فلا يطعمه إلا إذا كان في برية أو قدم ليلا ولم يجد شيئا فإنه في ذلك الوقت فقير وإن كان الفقير الذي حضر ضيفا تقي لو علم ذلك لتورع عنه فليعرض الطعام وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعول على أنه لا يدري فلا يضره فإن الحرام إذا حصل في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه ولذلك تقي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل وهذا وإن أثبتنا بأنه حلال للفقراء أحللتنا بحكم الحاجة إليه فهو كالحزير والحر إذا أحللتنا بالضرورة فلا يلحق بالطيات مسألة : إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهما فلا طاعة للمخلوق في معصية الله تعالى فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاها بل هو واجب فليتطلب في الامتناع فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطل المضع ولا يتوسع فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك لأن حقهما أيضا مؤكّد وكذلك إذا ألبسته أمه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل

(١) حديث لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بمشرة دراهم وفيها درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر وقد تقدم (٢) حديث الجسد ثبت من حرام ثبت من حرام تقدم (٣) حديث أن رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعيدا حجاما الحديث وفيه أعلفوه الناضح أحمد والطبراني من رواية عباة بن رفاع ابن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحا وغلاما حجاما الحديث وليس المراد بجده رافع ابن خديج فإنه بقي إلى سنة أربع وسبعين فيحتمل أن المراد جده الأطل وهو خديج ولم أره ذكرنا في الصحابة وفي رواية للطبراني عن عباة بن رفاع عن أبيه قال مات أبي وفي رواية له عن عباة قال مات رفاع على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وهو مضطرب .

جاء له في دعائهم البركة . وروى عنه عليه السلام أيضا أنه كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حينما توجهت » وينبغي أن يستغفر إخوانه إذا دعا لهم واستودعهم الله أن الله يستجيب دعاءه فقد روى أن عمر رضي الله عنه كان يعطى الناس عطايام إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة ققلت أسودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار تلوح على قبرها ققلت للقوم ماهذه النار فقالوا هذه من قبر فلانة تراها كل ليلة ققلت والله إنها

كانت صوامة قوامة
فأخذت للعول حتى
اتسبنا إلى القبر فحفرنا
وإذا سراج وإذا هذا
الغلام يدب قفيل إن هذا
وديتك ولو كنت
استودعتنا أمه لوجدتها
قال عمر لمو أشبه بك
من الغراب بالغراب .
وينبغي أن يودع كل
منزل يرحل عنه
بركتين ويقول: اللهم
زودني التقوى واغفر لي
ذنوبي ووجهي للخير
أيتها وجهت . وروى
أنس بن مالك قال كان
رسول الله عليه الصلاة
والسلام لا ينزل منزلا
إلا ودعه بركتين
فينبغي أن يودع كل
منزل ورباط يرحل
عنه بركتين وإذا
ركب الدابة فليقل
- سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له
مقرنين - بسم الله
والله أكبر توكلت على
الله ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .
اللهم أنت الحامل على

وليلس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتمد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر
وعند تمارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق . وقد حكى عن بشر رحمه الله أنه سئل
إليه أمه رطبة وقالت بحق عليك أن تأكلها وكان يكرهه فأكل ثم سعد غرفة فصعدت أمه وراءه
فرأته يتقيأ وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة للمعدة وقد قيل لأحمد بن
حنبل سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال أحمد هذا شديد قفيل له سئل محمد بن مقاتل
العباداني عنها فقال بر والديك فإذا تقول فقال للسائل أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالاً ثم قال
ما أحسن أن تداريها . مسألة : من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية
لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً وهذا يجب عليه
إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك وأما إذا كان
مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرج من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً يمكن ولا يسقط الحج
إلا بالفقر ولم يتحقق فقره وقد قال الله تعالى - وفيه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً -
وإذا وجب عليه التصديق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريره فالزكاة أولى بالوجوب
وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص يمين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون
الإطعام إذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي يكفيه الإطعام والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتماعها وألزمنا إخراجها من يده لتكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه فليجمع بين الصوم
والإطعام أما الصوم فلا لأنه مفلس حكمها وأما الإطعام فلا لأنه قد وجب عليه التصديق بالجميع ويحتمل
أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة . مسألة : من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد
أن يتطوع بالحج فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سبأ كل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة
أولى وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ لئلا هذه الحاجة
في الطريق كالأخذ بجواز شراء للمركوب في البلد وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغنى
به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام . مسألة : من خرج لحج
واجب بماله فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل
فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه
حرام فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام فإنما وإن جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع
ضرورة وما ألحقناه بالطيبات فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه من تناول
ماليس بطيب فساء ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكرهته . مسألة :
سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قاتل مات أبي وترك مالا وكان يعامل من تكره معاملته فقال
تدع من ماله بقدر ما ربح فقال له دين وعليه دين فقال تفضي وتقتضي فقال أقرى ذلك قال أقره
محتسباً بدينه وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحري بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج
قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاولات الفاسدة بطريق التقاص
والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد وعول في قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم)

اعلم أن من أخدم مالا من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور في مدخل ذلك إلى يد السلطان
من أين هو وفي صفته التي بها يستحق الأخذ وفي القدر الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى
حاله وحاله شركائه في الاستحقاق .

(الباب الخامس في إدراوات السلاطين)

(النظر الأول في جهات الدخل للسلطان)

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسماً : مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة للأخوذة بالقهر والقبض وهو الذي حصل من ملهم في يده من غير قتال والجزية وأموال الصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقبة . والقسم الثاني للأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا القسماً : الموارث وسائر الأمور الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا متولى لها أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام فإذا كتب لفتية أو غيره إدرار أو صلة أو خلة على جهة فلا يغلو من أحوال ثمانية : فانه إما أن يكتب له ذلك على الجزية أو على الموارث أو على الأوقاف أو على ملك أحياء السلطان أو على ملك اشتراه أو على عامل خراج المسلمين أو على بيع من جملة التجار أو على الخزنة . فالأول هو الجزية وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأ خمس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فانه أيضاً في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط أن يكون القمى الذي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يسلح تحريره فلا يكون عامل سلطان ظالماً ولا يبيع خمر ولا سبياً ولا امرأة إذ لا جزية عليهما فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك . الثاني للموارث والأموال الضائعة فهي للمصالح والنظر أن الذي خلقه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراماً بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار الصروف . الثالث الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في للبركات مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون للأخوذ موافقاً له في جميع شرائطه . الرابع ما أحياء السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ أنه أن يعطى من ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء وإنما النظر في أن التائب أنه أحياء بأكرامه الأجراء أو بأداء أجرهم من حرام فان الإحياء يحصل بحجر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفصل لم يملكه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعليق الكراهة بالأعراض . الخامس ما اشتراه السلطان في الدمة من أرض أو ثياب خلة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقتضى ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله . السادس أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة وللصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فانها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين . السابع ما يكتب على بيع بمامل السلطان فان كان لا يعامل غيره فانه كمال خزنة السلطان وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسياً خذله من الخزنة فالحلل يتطرق إلى الموض وقد سبق حكم الثمن الحرام . الثامن ما يكتب على الخزنة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض وإن عرف يقينا أن الخزنة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلّم إليه بينه من الحلال احتمالاً قريباً وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز

الظهر وأنت للسمان
على الأمور السنة وأن
يرحل من التازل بكرة
ويتدى يوم الخميس
روى كتب بن مالك
قال قلما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يخرج إلى السفر إلا يوم
الخميس وكان إذا أراد
أن يبع سرية بشها
أول التار ويستحب
كلما أشرف على منزل
أن يقول : اللهم رب
السموات وما أظللن
ورب الأرضين وما
أظللن ورب الشياطين
وما أظللن ورب الرياح
وما ذرين ورب البحار
وما جرين أسألك خير
هذا للقول وخير أهله
وأعوذ بك من شر
هذا للقول وشر أهله
وإذا نزل فليصل
ركعتين . وما ينبغي
للمسافر أن يصحبه آلة
الطهارة قيل كان
إبراهيم الخواص
لا يخرجه أربعة أشياء
في السفر والسفر
الركوة والحبل والإبرة

فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام في أن آخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
 ما لم يتحقق أنه حلال فلا عمل شبهة أصلاً ولا كلاًها إسرافاً والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب
 إذا كان حراماً حرام وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق . ولقد احتج
 من جوز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال مهماً لم يتحقق أن عين الأخوذ حرام بما روى
 عن جماعة من الصحابة أنهم أدرکوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم أبو هريرة وأبو سعيد
 الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسلم بن
 عخرمة فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك وأخذ ابن عمر وابن عباس من
 الحجاج وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هرون
 الرشيد ألف دينار في دفعة وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً جمة وقال علي رضي الله عنه خذ ما يطعك السلطان
 فاعلم ما يطعك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً مخافة على
 دينه أن يعمل على ما لا يحل ألا ترى قول أبي ذرٍّ للأحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نعمة فإذا كان آثماً
 دينكم فدعوه . وقال أبو هريرة رضي الله عنه إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل . وعن سعيد بن المسيب
 أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منه وقع فيه وعن الشعبي عن مسروق
 لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أي يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام وروى نافع
 عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول لأسأل أحداً ولا أريد ما رزقني
 الله وأهدي إليه ناقة قبلها وكان يقال لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روى أن ابن عمر رضي الله
 عنهما لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار والأسناد في رده أثبت وعن نافع أنه قال يبعث ابن عمر إلى ابن
 عمر بستان ألفاً تقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرضه من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما
 قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال لأجيزك بجائزة لم أجزها أحدًا قبلك
 من العرب ولا أجيزها أحدًا بعدك من العرب قال فأعطاه أربع مائة ألف درهم فأخذها وعن حبيب
 ابن أبي ثابت قال لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس قبلها قليل ما هي قال مال وكسوة وعن
 الزبير بن عدي أنه قال قال سلمان إذا كان لك صديق طامل أو تاجر يقارف الربا فدهاك إلى طعام أو نحوه
 أو أعطاك شيئاً فاقبل فإن للهناً لك وعليه الوزر فإن ثبت هذا في الربى فالظالم في مناه وعن جعفر عن
 أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررت على سعيد
 ابن جبير وقد جعل طاملاً على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطلعونا مما عندكم فأرسلوا بطعاماً فأكل
 وأكلنا معه وقال العلاء بن زهير الأزدي أتى إبراهيم أبي وهو عامل على حلوان فأجازه قبل وقال
 إبراهيم لا بأس بجائزة المال إن للمال مؤنة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب لما أعطاك
 فهو من طيب ماله قد أخذ بهؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في مصبة الله
 تعالى وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع
 كالخلفاء الراشدين وأبي ذرٍّ وغيرهم من الزهاد فاتهم امتنعوا من الحلال الطالح زاهد ومن الحلال الذي
 يخاف إفضاؤه إلى محذور ورطاً وتقوى فاقدم هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم
 وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت للال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً وما نقل عن
 الحسن من قوله لا أتوضأ من ماء صبري ولو ضاق وقت الصلاة لأتت لأدري أصل ماله كل ذلك ورع
 لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً فهذه
 شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم . والجواب أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى

وخيوطها والقراض
 ورويت عائشة رضي الله
 عنها أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان إذا
 سافر حمل معه خمسة
 أشياء للمرأة والمكحلة
 والصدى والسواك
 والمشط وفي رواية
 القراض والسوفية
 لا تغار قهم الصاوي
 أيضاً من السنة . روى
 معاذ بن جبل قال قال
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « إن آخذ
 منبراً قد اغتذ إبراهيم
 وإن آخذ الصا
 قد اغتذ إبراهيم
 وموسى » وروى عن
 عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهما أنه قال
 التوكؤ على الصا من
 أخلاق الأنبياء كان
 لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم عصا يتوكأ عليها
 ويأمر بالتوكؤ على
 الصا وأخذ الركوة
 أيضاً من السنة . وروى
 جابر بن عبد الله قال
 « بينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يتوضأ من

ما قل من ردم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات . الدرجة الأولى : أن لا يأخذ من أموالهم شيئا أصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى إن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان يأخذه من بيت المال فلغ ستة آلاف درهم ففرمها لبيت المال وحق إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت للمخافة عن أحد منكم ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الحراج وقال أيها الناس ليس لعمرو ولا آل عمر إلا ما للسلمين قريتهم وبيدهم وكبح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمرو رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال أعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا عظمته ورد الدرهم إلى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرئ له دينه ويقتصر على الأقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « دعه ما يريك إلى مالا يريك » (١) ولقوله « ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه » (٢) ولما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة « اتق الله يا أبا الوليد لا تنجي يوم القيامة يعير نعله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها نواج قال يا رسول الله أهكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال فوالذي بئسك بالحق لأعمل على شيء أبدا » (٣) وقال ﷺ « إني لأخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا » (٤) وإنما خاف التنافس في المال ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجدهم في مالهم إلا كالوالى مال اليتيم إن استغنيت استغنيت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وروى أن ابنا لطاوس اقتل كتابا عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له وبعت من ثمنها إلى عمر ثلثمائة دينار هذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فلهذه هي الدرجة العليا في الورع . الدرجة الثانية : هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة خلال فاشتغال بد السلطان على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما قل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكثر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من اللباثين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكارا عليهم وأشداهم زما لأموالهم وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذا عند الله تعالى بها فقالوا له إنا نرجو لك الخير حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت وابن عمر ساكت فقال ماذا تقول يا ابن عمر فقال أقول ذلك إذا طاب للكسب وزكت النفقة وسترى قري وفي حديث آخر أنه قال إن الحبيث لا يكفر الحبيث وإنك قد ولت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شيئا فقال له ابن عامر ألا تدعو لي فقال

ركوة إذ جهش الناس نحوه أي أسرعوا نحوه « والأسل فيه البكاء كالصبي يتلازم بالأم ويسرع إليها عند البكاء قال « فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم قالوا يا رسول الله ما نجد ماء فنرب ولا نتوضأ به إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة فنظرت وهو يغور من بين أصابعه مثل العيون قال فتوضأ القوم منه قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة في غزوة الحديبية . ومن سنة الصوفية عند الوسط وهو من السنة . روى أبو سعيد قال « حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة وقال اربطوا على أوسا طبعكم بأزركم فربطنا ومشيئا خلفه المرولة . ومن ظاهر آداب الصوفية عند

(١) حديث دعه ما يريك إلى مالا يريك تقدم في الباب الأول من الحلال والحرام (٢) حديث من تركها فقد استبرأ له دينه وعرضه متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم أوله في أول الباب الثاني من الحلال والحرام (٣) حديث قال لعبادة بن الصامت حين بعثه إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تنجي يوم القيامة يعير نعله على رقبتك الحديث الشافعي في السند من حديث طاوس مرسل ولا يأنى يدل في الجمع من حديث ابن عمر مختصرا أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح (٤) حديث إني لأخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا متفق عليه من حديث عقبة بن عامر .

ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » (١) وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج : ما شئت من الطعام مذات شئت الدار إلى يومى هذا . وروى عن طى رضي الله عنه أنه كان له سويق في إثناء غنوم يضرب منه قليل أنفعل هذا بالمرأى مع كثرة طعامه فقال أما إنى لأختمه بخلاجه ولكن أكره أن يحمل فيه ماليس منه وأكره أن يدخل بطنى غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يجيبه شيء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفا فقال إنى أخاف أن تقتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب اذهب فأنت حر . وقال أبو سعيد الخدرى ما من أحد إلا وقدمت به الدنيا إلا ابن عمر فهذا يتضح أنه لا يظن بهو من كان في منصبه أنه أخذ مالا يدرى أنه حلال . الدرجة الثالثة : أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن مالا يمين مالكة هذا حكم الشرع فيه فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظم فقد يقول أخذه منه وضررته أولى من تركه في يده ، وهذا قدر آه بعض العلماء وسيأتى وجهه ، وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك إن الذين يأخذون الجواز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد خمس قسنتين ألفا وعائشة فلت مثل ذلك وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال رأيت أن أخذه منهم وأتصدق أحب إلى من أن أدعها في أيديهم وهكذا فعل الشافعى رحمه الله بما قبله من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يملك نفسه حبة واحدة ، الدرجة الرابعة : أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر ما لهم حراما ويدل عليه تلميل طى رضي الله عنه حيث قال فان ما يأخذ من الحلال أكثر فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء فتويلا على الأكثر ونحن إنما توقعنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان أحبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتادا على الأغلب وإنما منعه إذا كان الأكثر حراما فإذا فهمت هذه القربات تحققت أن ادرات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وأنها تضره من وجهين قاطعين : أحدهما أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها وكيف لا والحلال هو الصدقات والنفقة والتميمة لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يعمل أخذها به قائم بمجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الحراج للضروب على السليين ومن للصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشره . والوجه الثاني أن الظلمة في العصر الأول تقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين إلى استئالة قلوب الصحابة والتابعين وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبتشون إليهم من غير سؤال وإذلال بل كانوا يتقلدون للنة قبولهم ويفرحون به وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطعمون السلاطين في أغراضهم ولا ينشون مجالسهم ولا يكترون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينسكرون المنكرات منهم عليهم فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس فأما الآن فلا تسمع نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتسكيرهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بشيائهم مجالسهم وتكليفهم الواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء

(١) حديث لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول مسلم من حديث ابن عمر .

خروجهم من الربط
أن يصل ركعتين في
أول التيار يوم السفر
بكرة كاذكرنا يودع
البقة بالركعتين
ويقدم الحف وينفضه
ويشمر الكم اليمنى ثم
اليسرى ثم يأخذ
اليانيد الذي يشده
وسطه ويأخذ خريطة
للداس وينفضها ويأتي
للوضع الذي يريد أن
يلبس الحف فيفرغ
السجادة طاقين
ويحك نعل أحد
للداسين بالآخر ويأخذ
للداس اليسار
والخريطة باليمين ويضع
للداس في الخريطة
أعقابا إلى أسفل
ويشد رأس الخريطة
ويدخل للداس يده
اليسرى من كفه
الأيسر ويضعه خلف
ظهره ثم يقعد على
السجادة ويقدم الحف
يساره وينفضه
ويبتدى باليمنى فيلبس
ولا يدع شيئا من الران
أو للنطقة يقع على

في حضورهم ومنعهم فلم يذلل الأخذ نفسه بالسؤال أولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالثناء والدعاء ثالثا وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستمالة رابعا وبكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وبإظهار الحب والمودة والناصر له على أعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابعه وسأوى أعماله ساجا لم ينم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلا فلاذ لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لأفضائه إلى هذه اللعاني فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحاب والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين في أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة أعمالهم واحتمال الدل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم وكل ذلك مصيبة على ماسئين في الباب الذي يلي هذا فإذا قد بين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سنبه عليها في الباب الذي يلي هذا.

(النظر الثاني من هذا الباب في قدر للأخوذ وصفة الأخذ)

ولنفرض للمال من أموال الصالح كآخرة أحسن النى وللوارث فان ماعدها بما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس في أو خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان بما أحياء أو اشتراه فله أن يعطى ما شاء لمن شاء وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال الصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب فلما التفتي الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقا في بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع الإسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على خصوصين صفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمرا يخوم به تعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعمل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون ، وطلبة هذه العلوم أيضا يدخلون فيه فانهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين تربط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد للترتبة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البنى وأعداء الإسلام ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام فان هذا المال للمصالح والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر والطبيب وإن كان لا يرتبط بجملة أمر ديني ولكن يرتبط بصحة الجسد والدين يبقه فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين أعني من حال منهم غير أجره وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الفنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يفرقوا بالحاجة وليس يقتدر أيضا بمقدار بل هو إلى اجتهد الإمام وله أن يوسع ويغنى وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم وقد كان عمر رضي الله عنه يعطى لجماعة اثني عشر ألف درهم شهرة في السنة ، وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة وجماعة عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص واحدا منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص

للأرض ثم يخل بيديه ويحصل وجهه إلى الموضع الذي يخرج منه ويودع الحاضرين فان أخذ بعض الإخوان رايته إلى خارج الرباط لا يمنه وهكذا المصا والابريق ويودع من شيء ثم يشد الراوية برفع يده اليمنى ويخرج اليسرى من تحت إبطه الأيمن ويشد الراوية على الجانب الأيسر ويكون كتفه الأيمن خاليا وعقدة الراوية على الجانب الأيمن فإذا وصل في طريقه إلى موضع شريف أو استقبله جمع من الإخوان أو شيخ من الطائفة عمل الراوية ومخطها ويستقبلهم ويسلم عليهم ثم إذا جاوزوه يشد الراوية وإذا دنا من منزل رباطا كان أو غيره عمل الراوية ومخطها تحت إبطه الأيسر وهكذا المصا والابريق يمكنه يساره وهذه

من هذا المال ذوى الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خسر عالم أو شجاع بصلة كان فيه بث للناس وتعرض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلوات وضروب التخصيصات وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وإنما النظر في السلاطين الظلة في شيئين : أحدهما أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إمام موزول أو واجب العزل فكيف يجوز أن يأخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان . والثاني أنه ليس يصح بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للأحد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى . أما الأول فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فنة نائرة لا تنطق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء (١) وللنع من سأل يد عن مساعدتهم (٢) أو امر وزواج فالذي نراه أن الخلافة منقذة للتكفل بها من بني العباس رضى الله عنه وأن الولاية نافذة للسلاطين في أنظار البلاد والبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهرى المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهناك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه . والقول الوجيز أنا نراعى الصفات والشروط في السلاطين تشوقاً إلى مزايا الصالح ولو قضينا بيطلان الولايات الآن لبطلت الصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أنظار الأرض ولاية نافذة الأحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به . وأما الإشكال الآخر وهو أن السلطان إذا لم يصح بالمطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فعلا بعضهم وقال كل ما يأخذونه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دائق أو حبة فليترك الكل وقال قوم له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذوق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم إنه يأخذ ما يعطى وللظالم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالنسيئة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم يتفق قسمه حق مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يتمتع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من المال مالم يصرف إليه بطريق الايثار والتفضيل مع تمنيم الآخرين لجأز له أن يأخذه والتفضيل جائز في المطاء . سوى أبو بكر رضى الله عنه فراجعه عمر رضى الله عنه فقال إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ وفضل

(١) حديث الأمر بطاعة الأمراء البخارى من حديث أنس سمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زينة . وسلم من حديث أبي هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك الحديث وله من حديث أبي ذر أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطيع ولو لمجدع الأطراف (٢) حديث النع من سأل يد عن مساعدتهم الشيخان من حديث ابن عباس ليس أحد يفارق الجماعة شراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية ولمسلم من حديث أبي هريرة من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية وله من حديث ابن عمر من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له .

الرسوم استعنها فقراء
خراسان والجيل ولا
يتهدا أكثر فقراء
العراق والشام والغرب
ويجربى بين الفقراء
مشاحة في رعايتها
فمن لا يتهدا يقول
هذه رسوم لا تلزم
والالتزام بها وقوف
مع الصور وغفلة عن
الحقائق ومن يتهدا
يقول هذه آداب
وضمها للتقدمون وإذا
رأوا من يخل بها أو
بشيء منها ينظرون
إليه نظراً الازدراء
والحقارة ويقال هذا
ليس بصوفي وكلا
الطائفتين في الإنكار
يتصدون الواجب
والصحيح في ذلك أن
من يتهدا لا ينكر
عليه ظلياً بغيره
في التصرع وهو أدب
حسن ومن لم يلتزم
بذلك فلا ينكر عليه
فليس بواجب في
التصرع ولا مندوب
إليه وكثير من فقراء
خراسان والجيل يبالغ

عمر رضى الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفا وزينب عشرة آلاف وجوهرية سنة آلاف وكذا صفية وأقطع عمر لى خاصة رضى الله عنهما وأقطع عثمان أيضا من السواد خمس جئات وآثر عثمان عليا رضى الله عنهما بها قبل ذلك منه ولم ينكر وكل ذلك جائز في محل الاجتهاد وهو من المجتهدين التي أقول فيها إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لانص على عنها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في مضاهيها قياس جلي كهذه للسنة ومسألة حد الشرب فانهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنة وعق وان كل واحد من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضى الله عنهم إذ للفضول ما رد في زمان عمر شيئا إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان أبي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرايين حق فليؤخذ هذا الجنب دستوراً للاختلافات التي يصب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بنفلة أو سوء رأي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا حول فيها إن كل واحد مصيب بل للصيب من أصاب النص أو مافى معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا أن من وجد من أهل الخصوص للوصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلة أو إدارا على التركات أو الجزية لم يصر فاسقا بمجرد أخذه وإنما يفسق بخلفته لهم ومعاوته أيام ودخوله عليهم وثنائه وإطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم للمال غالبا إلا بها كما سنبينه .

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ومحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم)

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال . الحالة الأولى : وهي شرها أن تدخل عليهم والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك والثانية وهو الأسلم أن تعتزل عنهم فلا ترام ولا يروئك . أما الحالة الأولى : وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار فتتقيا لتعرف ذم الشرع له ثم تعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم . أما الأخبار : فإنه لما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراء الظلمة قال « فن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم ^(١) » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يسعه معهم إن نزل بهم تركه النابذة والنازعة وقال صلى الله عليه وسلم « سيكون من بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض ^(٢) » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء ^(٣) » وفي الخبر « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء »

(الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين)

(١) حديث فن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال ومن خالطهم هلك (٢) حديث سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن جعرة (٣) حديث أبي هريرة أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء تقدم في العلم .

في رعاية هذه الرسوم إلى حد يخرج إلى الافراط وكثيرا ما يحل بها قراء العراق والهام والنفارية إلى حد يخرج إلى المضريط والأليق أن ما ينكره الشرع ينكر وما لا ينكره لا ينكر ويحصل لتصرف الاخوان أعذار ما لم يكن فيها منكر أو إخلال بمنسوب إليه والله للوفق .

[للباب الثامن عشر

في القدوم من السفر ودخول الرباط

والأدب فيه]

يفنى للفقر إذا رجع من السفر أن يستعذ بالله تعالى من آفات لقلم كما يستعذ به من وعاء السفر . ومن الدعاء المأثور : « اللهم إني أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة القلب وسوء النظر في الأهل والمال والولد » وإذا أشرف

على بلد يريد القيام بها
يشير بالسلام على من
بها من الأحياء
والأموات ويقرأ من
القرآن ما تيسر
ويجعله هدية للأحياء
والأموات ويكبر قد
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم
كان إذا قفل من
غزو أو حج يكبر على
كل شرف من الأرض
ثلاث مرات ويقول :
لا إله إلا الله وحده
لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل
شيء قدير آيوني
تائبون عابدون
ساجدون لرئيسنا حامدون
صدق الله وعده ونصر
عبيده وهزم الأحزاب
وحده ويقول إذا رأى
البلد : اللهم اجعل لنا بها
قرارا ورزقا حسنا
ولو اغتسل كان حسنا
اقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث
اغتسل لدخول مكة .
وروى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
رجع من طلب الأحزاب

وفي الخبر «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل
فاحذروهم واعتزلوهم» (١) رواه أنس رضي الله عنه . وأما الآثار : فقد قال حذيفة إياكم ومواقف
الفتن قيل وما هي قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدق بالكذب ويقول ما ليس فيه
وقال أبوذر سلمة يأسل لانتقض أبواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك
أفضل منه ، وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للوك ، وقال الأوزاعي ما من شيء
أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا . وقال سمنون ما أسمع بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه
فيقال عند الأمير . وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيت العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جريت ذلك
إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها المراكم ما أواجههم به
من الظلمة والمخالطة لهوام ، وقال عباد بن الصامت حب القاري الناسك الأمراء فاق وجهه الأغنياء
رياء ، وقال أبوذر من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة ، وقال ابن مسعود رضي
الله عنه إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له ولم قال لأنه يرضيه بسخط
الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا قليل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل إنما عملت له على
شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحته يوما أو بعض يوم عثوما وشيرا ، وقال الفضيل ما ازداد رجلا
من ذي سلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا . وكان سعيد بن السيب يتجر في الزيت ويقول إن في هذا
لنقى عن هؤلاء السلاطين ، وقال وهيب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من
المقاصرين ، وقال محمد بن سلمة الدباب على العذرة أحسن من قاري على باب هؤلاء ، ولما خالط الزهري
السلطان كتب أخ له في الدين إليه : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بهال يبغي لمن
عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلك
من سنة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الليثاق على العلماء قال الله تعالى - لتبينه للناس
ولا تتكتمونه - واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنت وحشة الظالم وسهلت
سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحي ظلمهم
وجسرا يبرون عليك إلى بلادهم وسما يصعدون فيه إلى ضلاتهم ويدخلون بك الشك على العلماء
ويتنادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أدخلوا منك
فما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم - غلف من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة - الآية وإنك تعامل من لا يعقل ويحفظ عليك من لا ينفل فداو دينك فقد دخله سقم
وهي زائد قد حضر سفر بعيد - وما يغني على الله من شيء في الأرض ولا في السماء - والسلام ،
فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد ولكن تفصل ذلك
تفصيلا قهريا نميز فيه المخطوئ عن المكروه والباح . فنقول : الداخل على السلطان متعرض لأن يسي
الله تعالى إما بفعله أو بسكوته وإما بقوله وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحدهن الأمور أما الفعل فالدخول
عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور منصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام ولا يترنك
قول القائل إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فوات خبز فان ذلك صحيح في غير المنصوب
أما المنصوب فلا لأنه إن قيل إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز
فيجزي هذا في كل واحد فيجزي أيضا في المجموع والنصب إنما تم بفعل الجميع وإنما يتسامح به

(١) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخاطبوا السلطان الحديث العقيلي في الضعفاء
في ترجمة حفص الأبري وقال حديثه غير محفوظ تقدم في العلم .

إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فأما إذا كان ذلك طريقا إلى الاستغراق بالاشتراك لحكم التحريم فيسحب على الكل فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتادا على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لا تنقص الملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الأفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصا فإن فرض كون الظالم في موضع غير منصوب كالموت مثلا فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستغلال به فإن فرض كل ذلك حلالا فلا يصح بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله السلام عليكم ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائما في سلامه وخدمته كان مكروما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لشيء ليس بظالم لأجل غناه لالمعنى آخر اقتضى التواضع قمى ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم فلا يباح إلا مجرد السلام فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو لإمام عادل أو لعالم أولئ يستحق ذلك بأمر ديني .

قبل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد على كرم الله وجهه لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والأعراض عنهم استحقاقا لهم وعد ذلك من محاسن القربات فأما السكوت عن رد الجواب فيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتص على السلام فلا يغلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل . فأما السكوت فهو أنه سري في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير لللبوس عليهم وعلى غلمانهم ماهو حرام وكل من رأى سبحة وتسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة بل يسمع من كلامهم ماهو غش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله .

فإن قلت : إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستثنى عن أن يمرض نفسه لا ارتكاب ما لا يباح إلا بعدد فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا أقول من علم مسادا في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته . وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه أو يظهر له الحب والولاء والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الأقسام . أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فقير جائز قال صلى الله عليه وسلم « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ^(١) » فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس شيء فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاص وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ^(٢) » وفي خبر آخر « من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام ^(٣) »

(١) حديث من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه تقدم (٢) حديث إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق تقدم (٣) حديث من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام تقدم أيضا .

ونزل للدينه نزع لأتمته
واغتسل واستحم
ولا فليجد الوضوء
ويتنظف ويتطيب
ويستدلقاء الاخوان
بذلك وينوي التبرك
بمن هنالك من الأحياء
والأموات وزورهم .
روى أبو هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
« خرج رجل يزور أخا
له في الله فأرصد الله
بمدرجته ملكا وقال
أين تريد قال أزور
فلانا قال لمرابة قال
لا قال لعمرة له عندك
تشكرها قال لا قال
فيم تزوره قال إني
أحبه في الله قال فاني
رسول الله إليك بأنه
يحبك حبك إياه .
وروى أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال « إذا دعا الرجل
أخاه أو زاره في الله قال
الله له طيب وطاب
مجلسك وقيتوا من الجنة
منزلا » وروى أن

فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالإعانة
فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتوبيخ زجر
عنه وتضعيف لدواعيه والإعانة على المعصية ولو بشرط كلمة ، ولقد سئل سفيان الثوري رضى الله
عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في بركة هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له
وقال غيره يسقى إلى أن شوب إليه نفسه ثم يعرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه
وطول بقائه فإن كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وإن كان صادقا عصى بحبه بقاء الظالم وحقه
أن ينفذه في الله ويمتته فالبنفس في الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عاص ومن أحب ظلما فإن
أحبه لظلمه فهو عاص لمحبهه وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم ينفذه وكان الواجب عليه
أن ينفذه وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر
وسمى في كتاب الإخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين الغض والحب فإن سلم من ذلك كله وهيبات
فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدرى نعم الله عليه ويكون مقتحما
نهي رسول الله ﷺ حيث قال « يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق (٢) »
وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتحميله إياهم إن كان
ممن يتجمل به وكل ذلك إمامكروها أو محظورات . دعى سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بن
عبد الملك بن مروان فقال لا أباع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين (٢)
فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس فجعل مائة وألبس
السوح ولا يجوز الدخول عليهم إلا بمنزلة . أحدهما أن يكون من جهتهم أمر إزام لأمر إكرام
وعلم أنه لو امتنع أودى أوفد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة
لا طاعتهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية . والثاني أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن
مسلم سواء أوعن نفسه إما بطريق الحسنة أو بطريق الظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثنى
ولا يبيع نصيحة يتوقع لها قبولا فهذا حكم الدخول . الحالة الثالثة أن يدخل عليك السلطان الظالم
زائرا فجواب السلام لا بد منه وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة على إكرامه فإنه باكرام العلم
والدين مستحق للاحسان كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد فلا إكرام بالأكرام والجواب بالسلام ولكن الأولى
أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم ويظهر غضبه للدين واعراضه
عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه وإن كان الداخل عليه في جميع فإعانة حشمة أرباب
الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية وإن علم أن ذلك لا يورث فسادا في الرعية
ولا يناله أدى من غضبه فترك الإكرام بالقيام أولى ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن
كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب وأما ذكر تحريم
ما يلزم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن
أن التخويف يؤثر فيه وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقا على وفق الشرع

(١) حديث يامعشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق الحاكم من حديث
عبد الله بن الشخير أقبلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل وقال صحيح
الاسناد (٢) حديث دعا ابن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان بن عبد الملك فقال لا أباع اثنين
ما اختلف الليل والنهار فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين أبو نعيم في الحلية بإسناد
صحيح من رواية عوي بن سعيد .

رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال « كنت
نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها فإنها
تذكر الآخرة » فيحصل
للفقير فائدة الأحياء
والأموات بذلك فافها
دخل البلد يبتدىء
بمسجد من المساجد
يصلي فيه ركعتين فإن
قصد الجامع كان أكمل
وأفضل وقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
إذا قدم دخل المسجد أولا
وصلى ركعتين ثم دخل
البيت والرباط للفقير
بمقره البيت ثم يقصد
الرباط قصده الرباط
من السنة على ما روينا
عن طلحة رضى الله
عنه قال : مكان
الرجل إذا قدم للدينه
وكان له بها عريف
ينزل على عريضة وإن
لم يكن له بها عريف
نزل الصفة فكنت
ممن أنزل الصفة ، فإذا
دخل الرباط بعصى إلى
الموضع الذي يريد نزاع
الحف فيه فيحل

وسطه وهو قائم ثم يخرج الخريطة بيساره من كفه اليسار ويحل رأس الخريطة باليمين ويخرج اللداس باليسار ثم يضع اللداس على الأرض ويأخذ الليانيد وبقية في وسط الخريطة ثم يفرغ خفه اليسار فإن كان على الوضع يغسل قدميه بحدنزع الخف من تراب الطريق والعرق وإذا قدم على السجادة يطوى السجادة من جانب اليسار ويمسح قدميه بما انطوى ثم يستقبل القبلة ويصلي ركعتين ثم يسلم ويحفظ القدم أن يطأ بها موضع السجود من السجادة وهنما الرسوم الظاهرة التي استحسها بعض الصوفية لاتسكروا على من يتقيد بها لأنه من استحسان الشيوخ ونبههم الظاهرة في ذلك تحيد للرشد في كل شيء بهيئة مخصوصة ليكون أبدا مفتقدا

بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليعصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم فإذا يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرب عليه والإرشاد إلى ماهو غافل عنه مما يفنيه عن الظلم فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثرا وذلك أيضا لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعد رأو بغير عذر . وعن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها فيبينا أنا عنده إذ دق دق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال له مالي إذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لأنه قال عليه السلام « إن العالم إذا أراد بلمه وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكثر به السكنوز هاب من كل شيء » (١) ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال تأخذها وتسعين بها قال أردها على من ظلمتها قال والله ما أعطيتك إلا ما ورثته قال لا حاجة لي بها قال فأخذها فقسما قال لعلني إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم يرزق منها إنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني . الحالة الثالثة : أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لاسلامة إلا فيه فليعلم أن يعتقد بعضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثق عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم « إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإني وإياهم في غد لعلني وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم ، وما قاله أبو الدرداء إذ قال أهل الأموال يا كلون ونا كل وشربون ونسرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وتنظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره قص ذلك من رتبته في القلب لاعمالة والعصية ينبغى أن تسكره فانه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من السكراهة فليكن جنابة كل أحد على حق الله كجنابته على حقك . فان قلت السكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب . قلنا ليس كذلك فان الحب يكره بضرورة الطبع ماهو مكروه عند محبوه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة وإذا أحبه كره ما كرهه وأحبه ما أحبه وسياق تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا . فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين . فأقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة فلما دخلها قال اتنوني برجل من الصحابة فقيل يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فأتى بطاوس الجباني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بإزائه وقال كيف أنت يا هشام ؟ فضرب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله فقيل له أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيظا قال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تسكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت كيف أنت يا هشام قال أما ما فعلت (١) حديث حماد بن سلمة مرفوعا إن العالم إذا أراد بلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به السكنوز هاب من كل شيء هذا معضل وروى أبو الشيخ بن حبان في كتاب الثواب من حديث وائلة بن الأسقع من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء والله عليم في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاما منكرا .

من خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلسهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبي ولا يفتضب علي وأما قولك لم تقبل يدي فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة وأما قولك لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب وأما قولك لم تسكني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأوليائه فقال ياداد يايحي ياعيسى وكفى أعداءه فقال - ثبت يداي لأبي لب - وأما قولك جلست بازائي فإني سمعت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه يقول إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول إن في جهنم حيات كالقمل وعقارب كالبعال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال أدخلت علي أبي جعفر النصور يعني فقال لي ارفع إلينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت إنما أزلت هذه النزلة بسيف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يوتون جوعا فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأ رأسه ثم رفعه فقال ارفع إلينا حاجتك فقلت خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لحازنه كم أفتقت قال بضعة عشر درهما وأرى ههنا أموالا لا تطيق الجمال حملها وخرج فكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يفررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن أبي شعبة علي عبد الملك بن مروان فقال له تسلم فقال له إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعينة الردي فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك وقال لأجملن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ماعشت ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبد الله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه ^(١) » ودخل مالك بن دينار علي أمير البصرة فقال أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني ومن أعز من اعتراني أيها الراعي السوء دفعت إليك غنا سمانا صحاحا فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركته عظاما تتفقع فقال له والي البصرة أتدري ما الذي يجرئك علينا ويحببنا عنك قال لا قال فلة الطمع فينا وترك الامساك لما في أيدينا . وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فجمع سليمان صوت الرعد فخرج ووضع صدره على مقدمة الرجل فقال له عمر هذا صوت رحمة فكيف إذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان إلى الناس فقال ما أكثر الناس فقال عمر خصاؤك يا أمير المؤمنين فقال له سليمان ابتلاك الله بهم . وحكي أن سليمان بن عبد الملك قدم للديرة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حازم مالنا نسكركم للوت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الحراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم علي الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالثائب يقدم علي أهله وأما للسيء فكالثابق يقدم علي مولاه فبكي سليمان وقال ليت شعري مالي عند الله قال أبو حازم اعرض نفسك علي كتاب الله تعالى حيث قال - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من الحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل البر والتقوى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى الكلام أسمع قال قول الحق عند من تخاف وترجو

(١) حديث أبي ذر إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عز وجل منه لم أقف له علي أصل .

لحركاته غير قادم علي
حركة بغير قصد وعزيمة
وأدب ومن أدخل من
الفقراء بشئ من ذلك
لا يشكر عليه ما لم يحل
بواجب أو مندوب لأن
أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ماتوا
بشكر من رسوم
للتصوفة وكون الشبان
يطالبون الوارد عليهم
بهذه الرسوم من غير
نظر لهم إلى النية في
الأشياء غلط فعمل
الفقير يدخل الرباط
غير مشعرا كلمة وقد
كان في السفر لم يشمر
الأكام فينبه أن
لا يتعاطى ذلك لنظر
الحلق حيث لم يحل
بمندوب إليه شرعا
وكون الآخر يشمر
الأكام يقيس ذلك
علي شد الوسط وشد
الوسط من السنة كما
ذكرنا من شد أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو ساطهم
في سفرهم بين المدينة
ومكة فتشبه الأكام

قال فأى المؤمنين أكسب؟ قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر؟ قال رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيها نحن فيه؟ قال أوتعفيني قال لا بد فانها نصيحة تلقينا إلى قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهرروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من السليدين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بشما قلت قال أبو حازم إن الله قد أخذ الشياقي على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه قال وكيف لنا أن نصليح هذا الفساد؟ قال أن تأخذه من حله فتضخه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك؟ فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمان ادع إلى فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسر له الدنيا والآخرة وإن كان عدوك غفد بناصبته إلى ما تعب وترضى فقال سليمان أوصني فقال أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. وقال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم عظمي فقال اضطلع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تعب أن يكون فيك تلك الساعة فغذبه الآن وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل تلك الساعة قرية. ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني مكلّمك بكلام فاحمله وإن كرهته فإن وراءه ما يحب إن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنعوذ بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين إنه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دينهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما اتصنك الله تعالى عليه فانهم لم يألوا في الأمانة تضيعا وفي الأمة خسفا وعسفا وأنت مسئول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دينهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال له سليمان يا أعرابي أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن لك لعلك. وحكى أن أبا بكر دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لاترداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قربا وعلى أترك طالب لاتفوتة وقد نصب لك علما لاتحوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب وإنما ونحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باقى إن خيرا غير وإن شرا فسر فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أغنى علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصد الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يتر بهما الحق: أحدهما أن يظهر أن قصدى في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفيفة للشهرة وتحصيل العروة عندهم وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الإصلاح فينبغى أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم كمن وجب عليه أن يسأل مريضا ضائعا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان يصادف في قلبه ترجيحا للكلامه على كلام غيره فهو مغرور. الثاني أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامته وهذا أيضا مظنة التروير ومعياره ما تقدم ذكره وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلترسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل. مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل أخذه وإن لم يكن

في معناه من الخفصة والارتفاق به في الشيء فمن كان مشدود الوسط مشمرا يدخل الرباط كذلك ومن لم يكن في السفر مشدود الوسط أو كان راكبا لم يشد وسطه فمن الصدق أن يدخل كذلك ولا يعتمد شد الوسط وتشمير الأكام لنظر الخلق فانه تكلف ونظر إلى الخلق ومبني التصوف على الصدق وسقوط نظر الخلق وما ينكر على للتصوفة أنهم إذا دخلوا الرباط لا يتدنون بالسلام ويقول للسكر هذا خلاف للتدوب ولا ينبغي للسكر أن ينادر إلى الانكار دون أن يعلم مقاصد فيما اعتمدوه وتركهم السلام يحتمل وجوها: أحدها أن السلام اسم من أسماء الله تعالى وقد روى عبد الله بن عمر قال «مر رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو

بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على المساكين كما سبق فلك أن تأخذه وتولى التفرقة ولا تصي بأخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعندهذا ينظر في الأولى فنقول : الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل . الغائلة الأولى : أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تعد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تأخذه فان ذلك محذور ولا يبق الخبر في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام . الغائلة الثانية : أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازهم لا يفرقون فهذا أعظم من الأول فان جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويضلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة فالمفتدى والتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فانه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير . وقد حكى وهب بن منبه أن رجلا أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل فقيل له في ذلك فقال إن الناس قد اعتقدوا أنني طوبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يسمون ماذا أكلت فيضلون . ودخل وهب بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف أخى الحاج وكان عاملا وكان في غداة باردة في مجلس بارز فقال لعلامه هلم ذلك الطيلسان وألقه على أي عبد الرحمن أي طاوس وكان قد قصد على كرسى فألقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه فغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن أن تضنيه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به قل نعم لولا أن يقول من بعدى إنه أخذه طاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن فعلت . الغائلة الثالثة : أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيه إياك وإيثاره لك بما أقدمه إليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والهاء الدفين أعنى ما يجب الظلمة إليك فان من أحببته لابد أن تحرص عليه وتداخن فيه قالت عائشة رضي الله عنها : جيلت النفوس على حب من أحسن إليها وقال عليه السلام « اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيجبه قلبي »^(١) بين صلى الله عليه وسلم أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك . وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بمشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأثاء محمد بن واسع فقال ما صنعت بما أعطاك هذا الخاق ؟ قال سل أصحابي فقالوا أخرجه كله فقال أنتشدك الله أنفك أشد حبا له الآن أم قبل أن أرسل إليك ؟ قال لا بل الآن قال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبتة وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما من رضى بأمر وإن فاب عنه كمن شهده قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا - قيل لا ترضوا بأعمالهم فان كنت في القوة بحيث لا تزدد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ . وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له ألا تخاف أن تعجبهم فقال لو أخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قاي لأن الذي سخره للأخذ يدي هو الذي أبضه لأجله فكرا له على تسخير إياه وبهذا بين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك للمال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفعك عن هذه الغوائل . مسألة : إن قال قائل إذا جاز أخذه ما وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفي ودبته وتكر وتفرق على الناس فتقول ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين

(١) حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيجبه قلبي ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى للذبي في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلأ وأسانيده كلها ضعيفة .

يسول فسلم عليه فلم يرد عليه حتى كاد الرجل أن يتواري فضرب يده على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد على الرجل السلام وقال إنه لم يعنى أن أرد عليك السلام إلا أني لم أكن على طهر» وروى « أنه لم رد عليه حتى توضأ ثم اعتذر إليه وقال إنى كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر» وقد يكون جمع من الفقهاء مصطحين في السفر وقد يثق لأحدهم حدث فلوسلم للتوضي وأمسك الحديث ظهر حاله فترك السلام حتى توضأ من يتوضأ ويضل قدمه من يضل ستره الحال على من أحدث حتى يكون سلامهم على الطهارة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يصكون بعض التقيمين أيضا على غير طهارة فيستعجل جواب

السلام أيضا بالطهارة
لأن السلام اسم من
أسماء الله تعالى وهذا
من أحسن ما يذكر
من الوجوه في ذلك
ومنها أنه إذا قدم يماقه
الإخوان وقد يكون
معه من آثار السفر
والطريق ما يكره
فيستمد بالوضوء
والنظافة ثم يسلم
ويماقهم ومنها أن
جميع الزباط أرباب
مراقبة وأحوال
فلو هجم عليهم بالسلام
قد ينزعج منه مراقب
ويتشوش محافظ
والسلام يتقدمه
استئناس بدخوله
واشتغاله بفصل القدم
والوضوء وصلاة ركعتين
فيتأهب الجميع له كما
يتأهب لهم بعد مسابقة
الاستئناس وقال الله
تعالى - حق تستأنسوا -
واستئناس كل قوم
على ما يليق بحالهم
ومنها أنه لم يدخل على
غير بيته ولا هو بغريب
منهم بل هم إخوانه

وهو على عزم أن يردعه عليه وليس هذا كما لو بثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه يتصدق بحال
يملكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه فإن كان ممن يشكك عليه مثله فلا يجوز أن يقبل
منه لئلا يلم بحرف ذلك ، ثم كيف يسرق ويمتثل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته
فإن اليد دلالة على الملك فهذا لا سيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندى واحتمل أن
تكون له بشراء في الدمة أو غيره وجب الرد عليه فإذا لا يجوز سرقة مالهم لأنهم ولا ممن أودع عنده
ولا يجوز إنكار ودينتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا ادعى السارق أنه ليس ملكا لهم فعند
ذلك يسقط الحد بالدعوى . مسألة : للعامة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فأي يؤخذ عوضا فهو
حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم فإن علم أنهم يصون الله به
كبيع الدياج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الحار وإنما الخلاف في الصحة
وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساء فهو شبهة مكروهة هذا فيما يصح في عينه من الأموال
وفي معناه بيع الفرس منهم لأسباب في وقف ركوبهم إلى قتال المسلمين أو جباية أموالهم فإن ذلك إعانة
لهم بفرسه وهي محظورة فأما بيع الدرام والديناير منهم وما يجري مجراها مما لا يصح في عينه بل
يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إغاثتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب
ومائر الأسباب وهذه الكراهة جارية في الإهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجره حتى في تعليمهم
وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن
ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله ولو اتصب وكلاهم يشتري لهم في الأسواق من غير جعل أو أجره
فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به العصية كالغلام والدياج للفرس
والابس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام فلهما ظهر قصد للعصية بالمتاع حصل التحريم
ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلائلها عليه حصلت الكراهة . مسألة : الأسواق التي بنوها
بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم
كسبه وكان عاصيا بسكنائه والناس أن يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا أخرى فالأولى الشراء
منها فإن ذلك إعانة لسكنائهم وتكثير لكرام حوائثهم وكذلك معاملة السوق التي لاخراج لهم عليها
أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب
الأراضي التي لهم عليها الخراج فأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا
غلو في الدين وخرج على المسلمين فإن الخراج قد عم الأراضى ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض
ولا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول
ويتداهى إلى حسم باب العاش . مسألة : معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كعاملتهم بل أشد
أما القضاة فلا أنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيتهم فأنهم
على زى العلماء ويغتلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بنوى
الجاه والحشمة فهم سبب اتقياد الخلق إليهم وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من النصب الصريح
ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال
بالمحرم قال طاووس لا أشهد عندهم وإن تحققت لأنى أخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة
إنما فسدت الرعية بفساد اللوك وفساد اللوك بفساد الطاء فلولا القضاة السوء والطاء السوء لقل
فساد اللوك خوفا من إنكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا تزال هذه الأمة تحت يدي الله

وكنفه مالم يمالي^(١) قراؤها أمراءها^(٢) وإعما ذكر القراء لأنهم كانوا هم الطاء وإعما كان عليهم بالقرآن ومعانيه الفهومة بالسنة وماوراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم وقد قال سفيان : لا تخالط السلطان ولا من يخالطه وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرباس وصاحب البيطة بعضهم شركاء بعض وقد صدق فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر^(٣) وقال ابن مسعود رضي الله عنه « آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم^(٤) » وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥) وقال ابن سيرين لا تعمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفيان رحمه الله من مناوله الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حوالمهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بنضهم في الله جميعا . وروى عن عثمان بن زائدة أنسأله رجل من الجند وقال أين الطريق فسكت وأظهر الصم وخاف أن يكون متوجها إلى ظلم فيكون هو بارشاده إلى الطريق معينا وهذه البالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكمة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع الكفار من أهل الدمة وإنما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والموالين على إيذاء المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعارها وهذا لأن المصيبة تنقسم إلى لازمة ومتعدية والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جنابة على حق الله تعالى وجسابه على الله وأمامعية الولاية بالظلم وهو متعد فأنما يفظل أمرهم لذلك ويجدر عموم الظلم وعموم التمدي يزدادون عند الله مقتا فيجب أن يزداد منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم « يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار^(٦) » وقال عليه السلام « من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر^(٧) » فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات الشهوة فمن روى على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزييزهم ومساواة الزى تدل على مساواة القلب ولا يتجان

(١) حديث لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه مالم يمالي^(١) قراؤها أمراءها أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلًا ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ مالم يعظم أربارها فجارها ويداهن خيارها شرارها وإسنادهما ضعيف (٢) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لمن في الحجر عشرة حتى العاصر والعصر الترمذي حديث غريب (٣) حديث ابن مسعود آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله وشاهده ولأبي داود لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٤) حديث جابر لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم (٥) حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أزلت آية الربا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسرها فدعوا الربا والرية وهو من رواية ابن السيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه (٦) حديث يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٧) حديث من أشراط الساعة رجال معهم أسياط كأذناب البقر أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة يكون في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر الحديث ولمسلم من حديث أبي هريرة يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر وفي رواية له صفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر الحديث .

والألفة بالنسبة المنوية
الجامعة لهم في طريق
واحد والنزل منزله
والموضع موضعه فيرى
البركة في استفتاح
النزل بمعاملة الله قبل
معاملة الخلق وكما يبعد
عذرهم في ترك السلام
ينبغي لهم أن لا ينكروا
على من يدخل ويبتدئ
بالسلام فكأن من ترك
السلام له نية فالتى ابتداء
به له أيضا نية وللقوم
آداب ورد بها الشرع
ومنها آداب استحسانها
شيوخهم فما ورد به
الشرع ما ذكرنا
من شد الوسط والعصا
والركوة والابشداء
باليمين في لبس الخف
وفي نزعه باليسار . روى
أبو هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال « إذا
استلمتم فابدهوا باليمين
وإذا خلصتم فابدهوا
بالييسار أو اخلعها
جميعا أو اخلعها جميعا »
روى جابر رضي الله عنه
« أن رسول الله صلى

إلا يحون ولا يتشبه بالفاسق إلا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه بأهل الصلاح فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوئهم وإنما زل قوله تعالى - إن الدين توفاهم للأئمة ظالمى أنفسهم - في قوم من المسلمين كانوا يكثر جماعة الشركين بالمخالطة وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال ما بال الأخيار قال إنهم لا ينضبون لضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشربونهم وبهذا يتبين أن بعض الظلة والتعصب عليهم واجب . وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم» (١) . مسألة : الواضع التي بناها الظلة كالقنطرة والرباطات والساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاختراز ما أمكن وإن وجد معدلاً تأكد الورع وإنما جوزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف تلك الأعيان مالكا كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير فأما إذا عرف أن الأجر والحجر قد قل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً إلا للضرورة بحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه وأما المسجد فإن بنى في أرض موصوبة أو غنصب موصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض الموصوبة تسقط الفرض وتتعد في حق الاقتداء فلذلك جوزنا للمقتدى الاقتداء بمن صلى في الأرض الموصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في التمسك وإن كان من مال لا يعرف مالكا فالورع المدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من الملك الذي بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن صلى فيه مع اتساع المسجد أعنى في الورع قيل لأحمد بن حنبل ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالسكر فقال حجتى أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يقتلها الحجاج وأنا أخاف أن أقتل أيضاً وأما الخلق والتجسس فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه وأما البوارى التي فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلا فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز اقتراشها ولكن الورع المدول عنها فإنها محل شبهة . وأما السقاية فحكمها ما ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا موانع طريق مكة . وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبه الأرض موصوبة أو الأجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التمس المالك فقد أرصد لجهة من الخير والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى الصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال الصالح وإنما يجوز ذلك للولاء وأرباب الأمر . مسألة : الأرض الموصوبة إذا جعلت شارعاً لم يحز أن يتخطى فيه ألبنة وإن لم يكن له مالك معين جاز والورع المدول إن أمكن فإن كان الشارع مباحاً وفوقه سباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت السباط على وجه لا يحتاج فيه إلى

الله عليه وسلم كان يخلع اليسرى قبل اليمنى ويلبس اليمنى قبل اليسرى وبسط السجادة وردت به السنة وقد ذكرناه وكون أحدهم لا يقعد على سجادة الآخر مشروع ومسنون وقد ورد في حديث طويل «لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه ولا في أهله ولا يجلس على تكرمته إلا بإذنه» وإذا سلم على الاخوان يماقهم ويمسحونهم فقد روى جابر بن عبد الله قال «لما قدم جعفر من أرض الحبشة عاتقه النبي صلى الله عليه وسلم» وإن قبلهم فلا بأس بذلك روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم جعفر قبل بين عينيه وقال ما أنا بفتح خير أسر منى بقدم جعفر» ويصافح إخوانه فقد قال عليه السلام «قبلة للسلم أخاه للصاحفة» وروى أنس

(١) حديث ابن مسعود لعن الله علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم أبو داود والترمذى وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصى نهتهم عنها فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم وواكلهم وشاربهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم لفظ الترمذى وقال حسن غريب

السقف كما يقع في الشارع لشغل هذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك وهكذا حكم من يدخل مسجدا أو أرضا مباحة سقف أو حوط بنصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف إلا إذا كان له قائمة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو تستر عن بصر أو غيره فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على النصب لما فيه من المصلحة بل للانتفاع والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستئصال به فلا فرق بينهما .

(الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد مثل عنها في الفتاوى)

مسألة : مثل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاما أو ثوبا يشتري به طعاما لمن الذي يحل له أن يأكل منه وهل يختص بالصوفية أم لا . قلنا أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يجوز عن شبهة أما الحل فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى للصوفية فهو كالرجل العليل يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكا له للعيال وله أن يطعم غير العيال إذ يعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطى ولا يسلط الخادم على التبرأ به والتصرف فيه لأن ذلك مضمحل إلى أن المعطاة لا تسكنى وهو ضعيف ثم لا صائر إليه في الصدقات والهدايا ويعد أن يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخاتمة إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم بعدهم ولوماتوا كلهم أو واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يصح له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة وإنما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والروء فان منهم عنه منعه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى يتقطع وقفه كما يتقطع عن مات عياله . مسألة : مثل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه قلنا التصوف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي والضابط الكلى أن كل من هو بصفة إذا نزل في خاتمه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفر وزى الصوفية وأن لا يكون مشتغلا بحرفة وأن يكون مخالطهم بطريق الساكنة في الخاتمة ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجر بالبعث فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وإن كان على زيه لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولنا نعتير فيه الصغائر . وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في حانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجرة كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجر هذا بالزى والمخالطة فأما الورقة والحيطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيا فإذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجر بمساكنته أيام مع بقية الصفات وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقية الحاصل من الزى والساكنة والفر إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقرر وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل وأما الفقراء فإن زال بنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ صوفية الصوفية وإن كان له مال ولا يفي دخله

(الباب السابع في مسائل متفرقة)

ابن مالك قال : قيل
يا رسول الله الرجل يلقي
صديقه وأخاه ينحله
قال لا قليل يلتزمه ويقبله
قال لا قليل فيصافحه قال
نعم ويستحب للفقراء
القيمين في الرباط أن
يتلقوا الفقراء بالترحيب
روى عكرمة قال : قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم جئته :
مرحبا بالراكب
للهاجر مرتين وإن
قاموا إليه فلا بأس
وهو مسنون . روى
عنه عليه السلام أنه
قام لجفر يوم قدومه
ويستحب للخادم أن
يقدم له الطعام . روى
لقيط بن صبرة قال
« وقدنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فلم نصادفه في منزله
وصادفنا عائشة رضي
الله عنها فأمرت لنا
بالحريرة فصنعت لنا
وأتينا بقناع فيه تمر
والقناع الطبق فأكلنا
ثم جاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال

بخرجه لم يطل حقه وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خراج وهذه أمور
لادليل لها إلا العادات وأما الخالطة لم يمسوا كنههم قلها أثروا لكن من لا يخالطهم وهو في داره أو في مسجد
على زهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان ترك الخالطة يجبرها ملازمة الزى فإن لم يكن
على زهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكنا لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم
بالتبعية فالخالطة والزى ينوب كل واحد منهما عن الآخر والفقير الذي ليس على زهم هذا حكمه
فإن كان خارجا لم يمس صوفيا وإن كان ساكنا معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية
عليه حكمهم . وأما لبس الرقعة من يدشيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعنده لا يضره
مع وجود الترائط للذكورة وأما التأهل للتردد بين الرباط والسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم .
مسألة : ماوقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف
الصرف إلى مصالحهم فلتغير الصوفى أن يأكل معهم برضام على ما لدهم مرة أو مرتين فإن أمر الأظعمة
مبناء على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة وللغوال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك
الوقف وكان ذلك من مصالح معايشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية
بخلاف الوقف وكذلك من أحضره من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استئالة
قلوبهم على كل برضام فإن الواقف لا يقف إلا معتدا فيه ماجرت به عادات الصوفية فيزل
على العرف ولكن ليس هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا أن يسكن معهم على الدوام ويأكل
وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم . وأما الفقيه إذا كان على زهم
وأخلاقهم فله التزول عليهم وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من
يعرف التصوف ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحق بقولهم إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب وقد
ذكرنا تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود
والمذموم وشرحهما . وأما الفقيه إذا لم يكن على زهم وأخلاقهم فلم ينه من التزول عليهم فإن رضوا
بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزى تجبره المساكنة ولكن برضا أهل
الزى وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والاثبات ومتشابهة
أوساطها فمن احتز في مواضع الاشتباه قد استبرأ لدينه كأنهنا عليه في أبواب الشبهات . مسألة :
سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد
حرمت إحداها دون الأخرى . قلنا باذل المال لا يئله قط إلا لفرس ولكن الفرض إما أجل
كالثواب وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فضل وإعانة على مقصود معين وإما تقرب إلى قلب المهدي إليه
بطلب محبة إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة
الأول : ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لسكون المصروف إليه محتاجا أو عالما أو منتسبا
بنسب ديني أو صالحا في نفسه متدينا فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجا
وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب وما يعطى لعله فلا يحل له أن
يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقده الله أي فإن كان خيل إليه كمالا في العلم حتى يشبه بذلك على التقرب
ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقا في الباطن فسقا
لوعله المعطى ما أعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه وإنما ستر
الله الجليل هو الذي يحب الخلق إلى الخلق وكان التورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم
حتى لا يتساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكل بالدين فإن ذلك مخطر والتقى حتى لا كالمعلم

أصبتم غيثا قلنا نعم
يا رسول الله ويستحب
للقادم أن يقدم للفقراء
غيثا لحق القدوم .
ورد أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما
قدم للدينه نخرج زورا
وكرهيتهم لقدم القادم
بعد الصر وجهه من
السنة منع النبي صلى
الله عليه وسلم عن
طروفي الليل والصوفية
بعد الصر يستعدون
لاستقبال الليل
بالطهارة والانكباب
على الأذكار والاستغفار
روى جابر بن عبد الله
قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « إذا قدم
أحدكم من سفر فلا
يطرقن أهله ليلا »
وروى كعب بن مالك
أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان
لا يقدم من السفر إلا
نهارا في الضحى
فيستحبون القدوم في
أول النهار فإن فات
من أول النهار فقد
ينفق تعويق من

والنسب والفقر فينبغي أن يحتجب الأخذ بالدين ما أمكن . القسم الثاني : ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي إلى الفنى طمعا في خالته فهذه هبة بشرط الثواب لا ينبغي حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب الملموع فيه وعند وجود شروط العقود . الثالث : أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالاحتاج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصة ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فلينظر في ذلك العمل الذى هو الثواب فإن كان حراما كالسعى في تجيز إدار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ وإن كان واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التى لا يشك في تحريمها وإن كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجمالة كقوله أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم أو قال اقترح على فلان أن يعينى فى غرض كذا أو يتم على بكذا وافقر فى تجيز غرضه إلى كلام طويل فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصوصة بين يدي القاضى فليس بحرام إذا كان لا يسعى فى جرم وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذى الجاه أو تلك الفعلة من ذى الجاه فيد كقوله للبواب لا تطلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لأنه عوض من الجاه ولم يثبت فى الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهى عنه كما سياتى فى هدايا الملوك وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان فى هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينهبها على دواء ينفرده بمعرفة كواحد ينفرده بالعلم بنبت يقطع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كعبة من معمم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على علمه إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق فى الصناعة كالصيقل مثلا الذى يزيل اعوجاج السيف أو المراءة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل ولحذقه باصانته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير فى قيمة السيف والمراءة فهذا لا يرى بأسا بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل فى عملها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل .

الرابع : ما يقصد به الهبة وجلبها من قبل المهدى إليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستئناس وتأكيذا للصحة وتوددا إلى القلوب فذلك مقصود العقلاء ومنسوب إليه فى الشرع قال صلى الله عليه وسلم «تهادوا تحابوا» (١) وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان فى الغالب أيضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة فى محبة ولكن إذا لم تمن تلك الفائدة ولم يتمثل فى نفسه غرض معين ييمثل فى الحال أو المالسمى ذلك هدية وحل أخذها . الخامس : أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لالهبة ولا لأنس به من حيث إنه أنس فقط بل ليتوصل بمجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته اسكان لا يهدي إليه فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية فى ظاهرها فإن كان جاهه بولاية تولاه من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية اسكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت فى معرض الهدية إذ القصد بها فى الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لأمر ينحصر فى جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات لا ينفى وآية أنه لا ينفى المحبة أنه لو ولى فى الحال غيره لم يلل إلى ذلك الغير فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا فى كونه حراما والمعنى

(١) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وضعه ابن عدى .

فيه متمارضا فانه دأب بين الهدية الهضة وبين الرشوة للبذولة في مقابلة جاء محض في غرض معين وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال صلى الله عليه وسلم « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء لتوعظ به العامة (١) » ، وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال : يقضى الرجل الحاجة قهدي له الهدية ولله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تصب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئا في معرض العوض . شفع مسروق شفاعته فأهدى إليه للشفوع له جارية فنضب وردّها وقال لو علمت ما في قلبك لما تسكمت في حاجتك ولا أتكمم فيها بقى منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت ، وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولداه من بيت المال وقال إنما أعطيتا لمكانكما حتى إذا علم أنهما أعطيا لأجل جاء الولاية . وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقا فكافأتهما بجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاهما ثمن خلوقها ورد باقيه إلى بيت مال المسلمين . وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما هدايا للوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة (٢) » أي كان يتقرب إليه لبوته للولاية ونحن إنما نعطى للولاية وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا على صدقات الأزدي فلما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام ألا جلست في بيت أهلك وبيت أمك حتى تأتيتك هديتك إن كنت صادقا ثم قال مالي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هدية ألا جلست في بيت أمه ليهدي له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئا بغير حقه إلا أتى الله بحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة يبيع له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تبيع ثم رفع يديه حتى رأيت رياض إبطيه ، ثم قال اللهم هل بلغت (٣) » وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه لما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يسلطونه لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه .

(ثم كتاب الحلال والحرام بحمد الله ومنه وحسن توفيقه والله أعلم)

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع العبادات الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتانا . وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا . ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء وأخذانا . وفي الآخرة رقاء وخلانا والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولنا فضلا وعدلا وإحسانا .

(١) حديث يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة لم أقف له على أصل (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية البخاري من حديث عائشة (٣) حديث أبي حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا إلى صدقات الأزدي فلما جاء قال هذا مالكم وهذا هدية لي الحديث متفق عليه .

(كتاب آداب الصحبة)

روى أبو رفاعة قال « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغضب فقلت يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه قال فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على وترك خطبته ثم أتى بكرسي قوائمه من حديد فهدم رسول الله ثم جعل يلعن بماعله الله ثم أتى خطبته وأتم آخرها » فأحسن أخلاق الفقراء الرفق بالمسلمين واحتمال المكروه من السموم واللرن وقد يدخل فقير بعض الربط ويخلج من مراسم للتصوفة فينهر ويخرج وهذا خطأ كبير قد يكون خلق من الصالحين والأولياء لا يعرفون هذا الترميم الظاهر ويقصدون الرباطية سالحة فاذا استقبلوا بالمكروه يغنى أن تنشوش بواطنهم من الأذى

أما بعد : فان التحاب في الله تعالى والأخوة في دينه من أفضل القربات . وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجارى العادات . ولما شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمرعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان ، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله تعالى وبالحافظة عليها تنال الدرجات العلى ، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب . الباب الأول : في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها . الباب الثاني : في حقوق الصلبة وأدائها وحقيقتها ولوازمها . الباب الثالث : في حق للسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلى بهذه الأسباب .

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)

(فضيلة الألفة والأخوة)

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابير ومهما كان للثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا يغنى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال - وإنك لعل خلق عظيم - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « أكرم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق (١) » وقال أسامة بن شريك قلنا يا رسول الله « ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال خلق حسن (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « أتقبل ما يوضع في الميزان خلق حسن (٤) » وقال ﷺ ما حسن الله خلق امرئ وخلقته فيطعمه النار (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة رضى الله عنه وما حسن الخلق يا رسول الله ؟ قال تصل من قطعك وتمنع من ظلمك وتمطى من حرمك (٦) » ولا يغنى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة والاطمئنان والوحشة ومهما طاب الثمر طابت الثمرة ، وكيف وقد ورد في التناء على نفس الألفة سببا إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله . ومن الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع . قال الله تعالى مظهر عظيم منه على الخلق بنعمة الألفة - لو أنقذت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - وقال - فأصبحتم بنعمته إخوانا - أى بالألفة ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إلى - لعلمكم تهتدون - وقال ﷺ « إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يؤلفون ويؤلفون (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم

(الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة)

(١) حديث أول ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق الترمذى والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد وقد تقدم (٢) حديث أسامة بن شريك يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان قال خلق حسن ابن ماجه بإسناد صحيح (٣) حديث بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أحمد والبيهقى والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٤) حديث أتقبل ما يوضع في الميزان خلق حسن أبو داود والترمذى من حديث أبي الدرداء وقال حسن صحيح (٥) حديث ما حسن الله خلق امرئ وخلقته فيطعمه النار ابن عدى والطبرانى في مكارم الأخلاق وفي الأوسط والبيهقى في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة قال ابن عدى في إسناده بعض النكرة (٦) حديث يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتمنع من ظلمك وتمطى من حرمك البيهقى في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه (٧) حديث إن أقربكم مني مجلسا أحسنكم أخلاقا للوطنون أكنافا الذين يؤلفون ويؤلفون الطبرانى في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف ،

ويدخل على النكر عليه ضرر في دينه ودينه فليحذر ذلك وينظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما كان يعتمد مع الخلق من الداراة والرفق وقد صح « أن أعرابيا دخل المسجد وبأمر النبي عليه السلام حتى أتى بذنوب فصب على ذلك ولم ينهر الأعرابي بل رفق به وعرفه الواجب بالرفق واللين والفظافة والتفليظ والتسلط على السليين بالقول والقول من النفوس الحبيثة وهو ضد حال التصوفة ومن دخل الرباط بمن لا يصلح للمقام به رأسا بصرف من اللوم على ألفت وجه بعد أن يقدم له طعام ويحسن له الكلام فهذا الذى يلحق بسلوك الرباط وما يعتمد الفقهاء من تمييز القادم فخلق حسن ومعاملة صالحة وردت

« للؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم في الثناء على الأخوة في الدين « من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه »^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الأخوين إذا اتقيا مثل اليدين تفصل إحداهما الأخرى وما اتقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا »^(٣) وقال عليه السلام في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله »^(٤) وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ بن أبي أجيح في الله فقال له أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، قيل من هؤلاء يا رسول الله ؟ فقال هم المتحابون في الله تعالى »^(٥) ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم للمتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله »^(٦) وقال صلى الله عليه وسلم « ما تحاب اثنين في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه »^(٧) ويقال إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به

(١) حديث المؤمن إلف مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف أحمد والطبراني من حديث سهل ابن سعد والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه (٢) حديث من أراد الله به خيرا رزقه أخا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه غريب بهذا اللفظ والمعروف أن ذلك في الأمير ورواه أبو داود من حديث عائشة إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه الحديث ضعفه ابن عدي ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين (٣) حديث مثل الأخوين إذا اتقيا مثل اليدين تفصل إحداهما الأخرى الحديث السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات (٤) حديث من آخى أخا في الله عز وجل رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة وإسناده ضعيف (٥) حديث قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ بن أبي أجيح في الله فقال أبشر ثم أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة الحديث أحمد والحاكم في حديث طويل إن أبا إدريس قال قلت والله إني لأحبك في الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المتحابين يحلل الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ المتحابون في جلالهم من نور يغبطهم النبيون والشهداء قال حديث حسن صحيح وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري إن الله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا في الله وتصادقوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه (٦) حديث أبي هريرة إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء الحديث النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات (٧) حديث ما تحاب اثنين في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح الإسناد.

بالحسنة روى عمر رضي الله عنه قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلما له حبتي يعض ظهري فقلت يا رسول الله ما شأنك فقال إن الناقة اتهمتني » قد يحسن الرضا بذلك عن يعض في وقت تعب وقدمه من السفر فأما من يتخذ ذلك عادة ويجب التعمير ويستجلب به النوم ويساكنه حتى لا يغوته فلا يلقى بحال الفقراء وإن كان في الشرع جائزا وكان بعض الفقراء إذا استرسل في الغمز واستدعاه يحتمل فيرى ذلك الاحتلام عقوبة استرساله في التعمير ولأرباب المزاحم أمور لا يسههم فيها الركون إلى الرخص . ومن آداب الفقير إذا استقر وقعد سعد قدمه أن لا يتسدى بالكلام دون أن يستل ويستحب أن يمكث

كما تلتحق القرية بالآبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة . قال عز وجل - ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتى للذين يتفاضلون من أجلي وحقت محبتى للذين يتناصرون من أجلي (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتماعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم لهامه ماتتفق يمينه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب لعمرك وطابت لك الجنة (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد قال أريد أن أزور أخي فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فبئس ما لك عندك قال لا قال فبم قال أحبه في الله قال فان الله أرسلني إليك بخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (٦) » فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء ينضمهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله . وروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجبت الراحة وأما انقطاعك إلى قد تمزرت بي ولكن هل عادت في عدوا أو هل واليت في وليا . وقال ﷺ « اللهم لا تجعل لقاجر على منة تفرقه مني محبة (٧) » وروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام « لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئا » وقال عيسى عليه السلام : تحببوا إلى الله يغض أهل العاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتسوارضا الله بسخطهم قالوا ياروح الله فني نجالس قال جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله . وروى في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى على موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارقد لنفسك إخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو

(١) حديث إن الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتى للذين يتحابون من أجلي الحديث أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت ورواه الحاكم وصححه (٢) حديث إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي مسلم (٣) حديث أبي هريرة سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ابن عدى من حديث أنس دون قوله شوقا إليه ورغبة في لقائه وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة من عاد مريضا أوزار أخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب لعمرك وبتوات من الجنة منزلا قال الترمذي غريب (٥) حديث إن رجلا زار أخاه في الله فأرصد الله له ملكا فقال أين تريد الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه لبث بن أبي سليم مختلف فيه والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٧) حديث اللهم لا تجعل لقاجر على منة تفرقه مني محبة تقدم في الكتاب الذي قبله .

ثلاثة أيام لا يصعد زيارة أو مشهدا أو غير ذلك مما هو مقصوده من المدينة حتى يذهب عنه وعشاء الفجر ويعود باطنه إلى هيئته فقد يكون بالفرو عوارضه تقبر باطنه وتكدر حتى تجتمع في الثلاثة الأيام همته وينصلح بباطنه ويستمد لقاء الشايخ والزيارات بتتور الباطن فان باطنه إذا كان منورا يستوفى حظه من الخير من كل شيخ وأخ يزوره . وقد كنت أسمع شيخنا يوصي أصحاب ويقول لا تكلموا أهل هذا الطريق إلا في أصنى أوقاتكم وهذا فيه فائدة كبيرة فان نور الكلام على قدر نور القلب ونور السمع على قدر نور القلب فاذا دخل على شيخ أو أخ وزاره ينبغي أن يستأذنه إذا أراد الانصراف فقد روى عبد الله بن

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود مالي أراك منبذا وحيدا قال إلهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن قظانا وارتمد لنفسك أخذانا وكل خدن لا يواقلك على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو بقى قلبك وياعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم المشاءون بالقيمة للفرقون بين الإخوان ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين ^(٢) » وقال أيضا « ما أحدث عبدا خا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يصرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كاتضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله ^(٤) » . الآثار : قال على رضي الله عنه عليكم بالإخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار - فما لنا من شافعين ولا صديق حميم - وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والله لو صمت النهار لأفطره وقت الليل لأنامه وأنفقت مالي غلغا غلغا في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما تمنعني ذلك شيئا . وقال ابن السكك عند موته اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك . وقال الحسن على صفة يا ابن آدم لا يفرنك قول من يقول المرء مع من أحب فانك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع وقال الفضيل في بعض كلامه ما تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بأي عمل عملته بأي شهوة تركتها بأي حظ كظمته بأي رحم قاطع وصلتها بأي زلة لأخيك غفرتها بأي قريب باعدته في الله بأي بعيد قاربته في الله . ويرى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام هل عملت لي عملا قط فقال إلهي إني صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال إن الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأى عمل عملت لي ؟ قال موسى إلهي دلتني على عمل هولاك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت في عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبده الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه مصارمة الفاسق قرآن إلى الله وقال رجل لمحمد بن واسع إني لأحبك في الله فقال أحبك الذي أحببتني له ثم حول وجهه وقال اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض ودخل رجل

(١) حديث إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون الحديث الطبراني في الأسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٢) حديث إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألفت بين قلوب عبادك الصالحين أبو الشيخ ابن حبان في كتاب المظنة من حديث معاذ بن جبل والعباس بن سارية بسند ضعيف (٣) حديث ما أحدث عبد أخا في الله تعالى إلا أحدث الله له درجة في الجنة ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم (٤) حديث المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة الحديث الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه » وإن نوى أن يقيم أياما وفي وقته سعة ولنفسه إلى البطالة وترك العمل تشوف يطلب خدمة يقوم بها وإن كان دائم العمل لربه فكفى بالعبادة شغلا لأن الخدمة لأهل العبادة تقوم مقام العبادة ولا يخرج من الرباط إلا باذن للقدم فيه ولا يعمل شيئا دون أن يأخذ برأيه فيه فهذه جمل أعمال يستمدها الصوفية وأرباب الربط والله تعالى بغضه يزعمون توفيقا وتأديبا .

[الباب التاسع عشر في حال الصوفى للتسبب]
اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسباب فمنهم من كان على القنوح لا يركن

على داود الطائي فقال له ما حاجتك ؟ فقال زيارتك فقال أما أنت فقد عملت خيرا حين ررت ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي من أنت قترار أمن الزهاد أنت لا والله أمن العباد أنت لا والله أمن الصالحين أنت لا والله ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشيعة فاسقا فلما شئت صرت مرأيا والله للمرأتى شر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه إذا أصاب أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به قلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتعابون في الله إذا التقوا فكثير بعضهم إلى بعض تحتاتهم الخطايا كما تحت ورق الشجر في الشتاء إذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل إلى وجه أخيه على الودة والرحمة عبادة .

(بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا)

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما ذكره وهو أن الصعبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق كالصعبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في الكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار وإلى ما ينشأ اختيارا ويقصد وهو الذي نريد بيانه إذا الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لاحالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها والصعبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فان غير المحبوب يجتنب ويأعد ولا يقصد مخالطته والذي يجب فاما أن يجب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يجب للتوصل به إلى مقصود وذلك المقصود إما أن يكون مقصورا على الدنيا وحفظها وإما أن يكون متعلقا بالآخرة وإما أن يكون متعلقا بالله تعالى فهذه أربعة أقسام . القسم الأول : وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوبا عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدته أخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيد في حق من أدرك جماله وكل لذيد محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع للنسبة والملاءمة والواقعة بين الطباع ثم ذلك للمستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الحلقة وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لاحالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل السقيم وكل مستحسن فمستلذبه ومحبوب بل في اتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فانه قد تستحكم الودة بين شخصين من غير ملاحظة في صورة ولا حسن في خلق وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والواقعة فان شبه الشيء يجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها أسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك حيث قال « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ^(١) » فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التماسك الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الألفاظ « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء ^(٢) » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال إن الله تعالى خلق الأرواح فخلق بعضها فلما وأطافها حول العرش فأى روحين من فلقين تعارفا هناك فالتقيتا واصلتا في الدنيا . وقال صلى الله عليه وسلم « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط ^(٣) » وروى « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى قرأت للكية

(١) حديث الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة (٢) حديث الأرواح تلتقي فتتشام في الهواء الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث على بن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتتشام الحديث .

(٣) حديث إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم ومارأى أحدهما صاحبه قط أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ تلتقي وقال أحمد وفيه ابن لهيعة عن دراج .

إلى معلوم ولا يقسم بكسب ولا سؤال ومنهم من كان يكتسب ومنهم من كان يسأل في وقت فاقته ولم في كل ذلك أدب واحد يراعونه ولا يتمونه وإذا كان الفقير يسوس نفسه بالعلم يأتيه القهم من الله تعالى في الذي يدخل فيه من سبب أو ترك سبب فلا ينبغي للفقير أن يسأل مهما أمكن فقد حدث النبي عليه السلام على ترك السؤال بالترغيب والترهيب فاما الترغيب فما روى ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من يضمن لي واحدة أتكفل له بالجنة قال ثوبان قلت أنا قال لا تسأل الناس شيئا » فكان ثوبان تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحدا بئاوله وينزل هو ويأخذها . وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال

على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها فقالت أين زلت فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الأرواح جنود مجندة» الحديث والحق في هذا أن الشاهدة والتجربة تشهد للاتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطنا وظاهرا أمر مفهوم . وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هديان النجم أن يقول إذا كان طالع على تيسير طالع غيره أو تليثه فهذا نظر للواقعة وللودة فتقتضي التناسب والتواد وإذا كان على مقابله أو تريعه اقتضى التباغض والصدادة فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب فلا معنى للغرض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلا ويكفي في التصديق بذلك التجربة والشاهدة فقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه (٢)» وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به . وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوما غرابا مع حمامة فجبج من ذلك فقال احقنا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا ولذلك قال بعض الحكماء : كل إنسان يأنس إلى شكله كأن كل طير يطير مع جنسه ، وإذا اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا ، وهذا معنى خفي تفتن له الشعراء حتى قال قائلهم :

وقائل فكيف تفارقنا فقلت قولاً فيه إنصاف

لميك من شكلي ففارقته والناس أشكال وألوان

قد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل بل لمجرد المجانسة وللتناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الحمية ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن التصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح للشرب بالجرة وإلى اللاء الجاري والحضرة من غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك بمن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة قضاء الشهوة حيث لا يعمل قضاؤها وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذا لم يحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم . القسم الثاني : أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب وما يجب لتبره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إلا لا يطم ولا يلبس ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث

(١) حديث إن امرأة بمكة كانت تضعك النساء وكانت بالمدينة أخرى فزلت لمكية على المدينة فدخلت على عائشة فذكرت حديث الأرواح جنود مجندة الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن وحديث عائشة عند البخاري تعليقا مختصراً دونها كما تقدم (٢) حديث لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس وفيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه الحديث البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على ابن مسعود وذكره صاحب الفردوس من حديث معاذ بن جبل ولم يخرج له في المسند .

رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن يأخذ أحدكم جبلا فيحطب على ظهره فیا كل ويتصدق خيره من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه فإن البذل العليا خير من البذل السفلى» . أخبرنا الشيخ الصالح أبو زرعة طاهر بن أبي الفضل الحافظ للقدس قال أخبرني والدي قال أنا أبو محمد الصيرفي بغداد قال أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد قال ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي بن الجعد قال ثنا شعبة عن أبي حمزة قال سمعت هلال بن حصين قال : أتيت للمدينة فزلت دار أبي سعيد فضحك وإياه المجلس فحدث أنه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام فأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع فقالت لي امرأتك انت رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنه وسيلة إلى القصد إذ يتوصل به إلى نيل جاء أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطانا لا تتفاه به ماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه فالتوصل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التليذ لأستاده فهو أيضا خارج عن الحب لله فانه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فحجوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فحجوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلا ثم ينقسم هذا أيضا إلى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموما وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد للتوصل إليه فانها تابعة له غير قائمة بنفسها . القسم الثالث : أن يحبه لألفاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة فهذا من جملة المحبين في الله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتأنف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء ، إذ قال عيسى صلى الله عليه وسلم : من علم وعمل فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء ولا يتم التعليم إلا بتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرمته الذي هو سبب تربيته إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة القريبة تقربا إلى الله فأحب طبائحا لحسن صنعه في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل يزيد على هذا وتقول إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكسب بيته وطبخ طعامه وفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله بل يزيد عليه وتقول إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو محب في الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفائتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي واللواصي جميعا من التحايين في الله بل يزيد عليه وتقول من نكح امرأة سالحة ليتحصن بها عن وشواس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الاتفاق على العيال حتى اللقمة يضمنها الرجل في أمراته (١) بل تقول كل من اشتهر بحب الله وحبه رضاه وحبه لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محبا في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئا إلا لمناسبتة لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل بل أزيد على هذا وأقول إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد اللينان جميعا حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله كمن يحب أستاذه الذي يملئه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث إن في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل

(١) حديث الأجر في الإتفاق على العيال حتى اللقمة يضمنها الرجل في أمراته تقدم .

عليه وسلم فقد أنام
فلان فأعطاء وأنام
فلان فأعطاء قال فأثبته
وقلت التمس شيئا
فنهبت أطلب فأنهبت
إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يخطب
ويقول « من يستخ
يفه الله ومن يستخ
بفنه الله ومن سألتنا
شيئا فوجدناه أعطينا
وواسينا ومن استغف
عنه واستغنى فهو أحب
إلينا ممن سألنا » قال
فرجعت وما سألته
فرزقني الله تعالى حتى
ما أعلم أهل بيت من
الأنصار أكثر أموالا
منه وأما من حيث
الترهيب والتحذير فقد
روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه
قال « لا تزال الشقة
بأحدكم حتى يلقي الله
وليس في وجهه مزة
لحم » وروى أبو هريرة
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ليس
المسكين الذي تردّه

حظاً ألبته إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم - ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة - وقال عيسى عليه السلام في دعائه : اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوئني صديقي ولا تجعل مصيبتى لعدوي ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفعت شحانة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي بل قال لا تجعلها أكبر همي وقال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ^(١) » وقال « اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة ^(٢) » وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضاً لحب الله تعالى لحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضاً لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى فكيف تصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غدا لأن الغد سيصير حالاً راحة فالحالة الراهنة لا بد أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمتنع منها وهي التي احترز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يضاد وهي التي لم يتمتعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعني أن يكرهه بقله لا بطبعه كما يكره تناول من طعام لذيذ للملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزرت رقبتة لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتبه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر التعلق به والقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يواسيه ويصله أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمة التحاين في الله ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تمنع عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقدته هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب فليس حبك للذهب حبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما يوصل إليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله، وحده هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز قال الجريدي تعامل الناس في القرن الأول بالدين حتى رقق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاة حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمرودة حتى ذهبت المرودة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة . القسم الرابع : أن يحب لله وفي الله لا لئالمنه علماً أو عملاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأعظمها وهذا القسم أيضاً ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب حب ذلك الإنسان وأحب محبوه وأحب من يخدمه وأحب من يثق عليه محبوه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوه حتى قال بقية بن الوليد إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب قلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويغنيه تذكراً من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بن عامر

(١) حديث اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الليل وقد تقدم (٢) حديث اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة ، أحمد من حديث جرير بن أبي أرمطة نحوه بسند جيد .

الأكلة والأكلتان
والتمرة والتمران
ولكن للكين الذي
لا يسأل الناس ولا
يظن بمكانه فيعطى
هذا هو حال الفقير
الصادق والتصوف
الحق لا يسأل الناس
شيئاً ومنهم من يلزم
الأدب حتى يؤديه إلى
حال يستحي من
الله تعالى أن يسأله
شيئاً من أمر الدنيا
حتى إذا همت النفس
بالسؤال ترد الحية
ويرى الإقدام على
السؤال جراً فيعطيه
الله تعالى عند ذلك
من غير سؤال كما قل
عن إبراهيم الخليل
عليه السلام : أنه جاءه
جبريل وهو في الهواء
قبل أن يصل إلى النار
فقال هل لك من حاجة
فقال أما إليك فلا
فقال له قل ربك
فقال حسبي من سؤال
عليه بحالي وقد يصف
عن مثل هذا فيسأل
الله عبودية ولا يرى

أمر على الديار ديار ليل أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذن للشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه ولومن بمد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوتها وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوى وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستنثار فيتمدى إلى كل موجود سواه فإن كل موجود سواه أثر من آثار قدرته ومن أحب إنسانا أحب صنفته وخطه وجميع أفعاله ولذلك كان **عليه السلام** إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنه قريب المهدبرنا (١) وحب الله تعالى تارة يكون لصق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته وتارة قدامته لا أمراً آخر وهو أصدق ضروب المحبة وأعلاها وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربيع اللججيات إن شاء الله تعالى وكيفما اتفق حب الله فإذا قوى تمدى إلى كل متعلق به ضرباً من التعلق حتى يتمدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يصف الإحساس بالألم والفرح بفعل المبوب وقصده إياه بالإيلاء بغير إدراك الألم وذلك كالفرح بضر بمن المبوب وفرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحاً بغير إدراك الألم فيه وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا تفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا تفرح إلا بما في مرضاه حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمصيبة الله وقال ممنون : وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة وللقصود أن حب الله إذا قوى أمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بأداب الشريعة وما من مؤمن يحب للآخرة ويحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلاً إلى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته وبحسب ضعف حبه لله وقوته وهذا الليل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة فذلك الليل هو حب في الله وفيه من غير حظ فانه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضى عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر فإذا قوى حمل على اللوالة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله عز وجل ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المبوب في الحال أو الآل لما تصور حب للوحي من العلماء والعباد ومن الصعابة والتابيين بل ومن الأنبياء النضرين صلوات الله عليهم وسلامه وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين وريقين ذلك بنضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله ومن أحب ملكاً أو شخصاً جيلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يتمتع الحب بالمقابلة بحفظ النفس وقد يثلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المبوب وعنه خبر قول من قال :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

(١) حديث كان إذا حمل إليه با كورة من الفواكه مسح بها عينيه وأكرمها وقال إنها قريب عهد برها الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس ، وأبو داود في الراسيل والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله وأكرمها الخ وقال إنه غير محفوظ وحديث أبي هريرة في الباء كورة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده وقال الترمذي حسن صحيح .

سؤال المخلوقين فيسوق الله تعالى إليه القسم من غير سؤال مخلوق. بلغنا عن بعض الصالحين أنه كان يقول : إذا وجد الفقير نفسه مطالبة بشيء لا تخلو تلك المطالبة إما أن تكون لرزق يريد الله أن يسوقه إليه فتنبه النفس له قد تطلع نفوس بعض الفقراء إلى ما سوف يحدث وكأنها تخبر بما يكون وإما أن يكون ذلك عقوبة لذنوب وجد منه فإذا وجد الفقير ذلك وألحت النفس بالمطالبة فليقم وليسبغ الوضوء ويصل ركعتين ويقول : يارب إن كانت هذه المطالبة عقوبة ذنب فأستغفرك وأتوب إليك وإن كانت لرزق قدرته لي فبجل وسوله إلى فإن الله تعالى يسوقه إليه إن كان رزقه وإلا تخلف الطالب عن باطنه

وقول من قال • وما لجرح إذا أرضاكم أم • وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحفظ دون بعض
 كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشرة لقادير الأموال موازين المحبة
 إذ لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحسوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب
 سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلا ولا مالا فلم
 ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله ، قال ابن عمر رضي الله عنهما « بيننا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه
 عن الله السلام وقال له يا رسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد دخلها على صدره بخلال فقال أنفق ماله
 على قبل الفتح قال فأقره من الله السلام وقل له يقول لك ربك أرض أنت عني في قترك هذا أم
 ساخط ؟ قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من
 الله ويقول أرض أنت عني في قترك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال أهي ربي
 أسخط أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ^(١) . فحصل من هذا أن كل من أحب عالما أو عبدا
 أو أحب شخصا راغبا في علم أو في عبادة أو في خير فأنما أحبه في الله وله فيه من الأجر والثواب
 بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضا ولكن نزيد يانا .
 (بيان البغض في الله)

اعلم أن كل من يحب في الله لابد أن يبغض في الله فانك إن أحببت إنسانا لأنه مطيع لله ومحبوب
 عند الله فإن عصاه فلا بد أن تبغضه لأنه عاص لله وعقوت عند الله ومن أحب بسبب الضرورة يبغض
 لضده وهذان متلازمان لا يفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرود في الحب والبغض في العادات ولكن كل
 واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين
 والمبغضين في المقاربة والباعدة وفي المخالطة والواقعة فإذا ظهر في العمل معنى موالاة ومعاداة ولذلك قال
 الله تعالى : هل واليت في وليا وهل عادي في عدوا كما قلناه ، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا
 طاعته فتدبر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وجوره وأخلاقه السيئة فتدبر على أن تبغضه وإنما الشكل
 إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض
 نمرتهما من اللواقعة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض
 في الحفظ البشري فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تحبه من
 وجه وتبغضه من وجه فمن له زوجة حسنة فاجرة أو ولد ذكي خديم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه
 ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار والآخر بليد
 عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم
 فكذلك ينبغي أن تكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة ومن
 اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن تعطى كل صفة حظها من البغض والحب والإعراض
 والاقبال والصحبة والقطعة وسائر الأفعال الصادرة منه . فان قلت فكل مسلم فإسلامه طاعة منه
 فكيف أبغضه مع الاسلام . فأقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمصيته وتكون معه على حالة لو قسمتها بحال
 كافر أو فاجر أدركت خفة بينهما وتلك التفرقة حب الاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله
 (١) حديث ابن عمر بيننا النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد دخلها على
 صدره بخلال فنزل جبريل فأقرأه من ربه السلام الحديث ابن جبان والعقيل في الضعفاء قال الذهبي
 في اللباز هو كذب .

فإنه الغدير أن ينزل
 حوائجه بالحق فاما
 أن يرزقه الله أو الصبر
 أو يذهب ذلك عن
 قلبه لله سبحانه
 وتعالى أجواب من
 طريق الحكمة وأجواب
 من طريق القدرة
 فان فتح بابا من طريق
 الحكمة ولا فيفتح
 بابا من طريق القدرة
 وبأية الله يخرق
 القاعدة كما كان يأتي
 صريح عليها السلام - كما
 دخل عليها زكريا
 الهرب وجد عندها
 رزقا قال يا صبيم أتى لك
 هذا قالت هو من عند
 الله - حكى عن بعض
 الفقهاء قل جئت ذات
 يوم وكان حالي أن
 لأسأل فدخلت بعض
 المجال ينفاد مجازا
 متحسنا لعل الله تعالى
 يفتح لي على يد بعض
 جلله هيتا فلم يقدر
 فتمت جائها فأتى آت
 في منامي فقال لي اذهب
 للموضع كذا وعين
 الموضع ثم خرقة زرقاء

والطاعة له كالجنابة على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الاتقياض والاسترسال وبين الأقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تباليغ في إكرامه بمبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك ولا تباليغ في إهاتته بمبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك ثم ذلك التوسط نارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجنابة ونارة إلى طرف المجاملة والأكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويمس به ويتعرض لرضاه مرة ولخطئه أخرى . فان قلت فهذا يمكن إظهار البغض فأقول أما في القول فكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاتخفاف والتخليط في القول أخرى وأما في الفعل فبقطع السعي في إهاتته مرة وبالسعي في إيسائه وإفساد مآربه أخرى وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والعصية العائدة منه . أما ما يجرى مجرى الهفوة التي يعلم أنه متقدم عليها ولا يصير عليها فالأولى فيه السر والإغماض . أما ما أصره عليه من صغيرة أو كبيرة فان كان بمن تأكدت بينك وبينه مودة ومحبة وأخوة فله حكم آخر وشيأى وفيه خلاف بين العلماء . وأما إذا لم تأكد أخوة ومحبة فلا بد من إظهار أثر البغض إما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتخليط القول عليه وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ العصية وخفتها وكذلك في الفعل أيضا ربتان إحداها قطع للصوت والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كقتل الأعداء للبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق للصية أما ما لا يؤثر فيه فلا ، مثاله رجل عصى الله فحرب الحزب وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مضبوطا بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منته من شرب الخمر ولا في بئث وعريض عليه فإذا قدرت على إهاتته ليم له غرضه ومتصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه أما الإهانة فلوتركتها إظهارا للغضب عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تلتطف بعاقته وإظهار الشفقة عليه ليعتد مودتك وقيل نصحك فهذا حسن وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بمنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجنابة على حقك أو حق من يتلقى بكوفيه زل قوله تعالى - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة - إلى قوله تعالى - ألا تحبون أن يغفر الله لكم - إذ تكلم مسطح بن أثانة في واقعة الإفك^(١) خلف أبوبكر أن يقطع عنه رقه وقد كان بواسيه بالمال قولت الآية لمع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالجنبي عليه في نفسه بتلك الواقعة والفقو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمرعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك العفو والصفح . وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمتبعة وكل من عصى الله بمعصية متعديته منه إلى غيره فأما من عصى الله في نفسه فنه من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم . ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكار في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله إن لا أسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لأخذته ، وهجر الحارث

(١) حديث كلام مسطح في الإفك وهجر أبي بكر له حتى زلت ولا يأتل أولوا الفضل منكم الآية متفق عليه من حديث عائشة .

فيها قطيعات أخرجه
في مصالحك فمن تجرد
عن المخلوقين وتفرّد
بالله قصد تفرد بني
قادر لا يسجزه شيء
يفتح عليه من أبواب
الحكمة والقدرة
كيف شاء وأولى من
سأل نفسه يألها الصبر
الجميل فان الصادق
تجيه نفسه . وحكي
شيخنا رحمه الله تعالى
أن ولده جاء إليه
ذات يوم وقاله أريد
حبة قال قلت له
ما تطلب بالحبة فذكر
شهوة يشترها بالحبة
ثم قال من إذ ذاك انهب
واستقرض الحبة قال
قلت نعم استقرضها
من حشك فهي أولى
من أقرض . وقد نظم
بضم هذا النبي
قال :

إن شئت أن تستقرض
للمال متفقا
على شهوات النفس في
زمن الصبر
فصل نفسك لا تفتن
من كنز صبرها

الحاسي في تصديقه في الرد على المعتزلة وقال إنك لا بد تورد أولا شبهتهم وتحمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم ، وهجر أبو ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته (١) » وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطراب الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورت هذا تساهلا في العادة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به الداهية فأكثر البواعث على الاغضاء عن العاصي للداهية ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على النبي الأحق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جرى على خاص حقه ويقول إنه قد سخره والقدر لا ينفع منه الحذر وكيف لا يغله وقد كتب عليه قتل هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق أقدموان كان يتناظر عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهذا مداهن مغرور بمكيده من مكاييد الشيطان فليتبهله . فإن قلت فأقل الدرجات في إظهار البغض المحجر والاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يصي البعد بتركه . فأقول لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والایجاب فانا نعلم أن الدين شربوا الحمر وتماطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والسحابة ما كانوا بهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم : إلى من يلفظ القول عليه ويظهر البغض له ، وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له ، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر القاطعة والتباعد فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يختص به حاله ووقته ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والایجاب فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدى إفراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلا .

(بيان مراتب الدين يفضون في الله وكيفية معاملتهم)

فإن قلت إظهار البغض والمداوة بالفعل إن لم يكن واجبا فلا شك أنه مندوب إليه والصلاة والساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا أم لا . فأقول أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفا في عقده أو في عمله والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر والمبتدع إما دافع إلى بدعته أو ساكت إما بسجوه أو باختياره فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الأول : الكفر فالكافر إن كان محاربا فهو يستحق القتل والارفاق وليس بعدهذين إهانة وأما الذي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالاعراض عنه والتحقيره بالاضطرار إلى أميق الطرق وبترك اللقائفة بالسلام فإذا قال السلام عليك قلت وعليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكفته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها إلى حد التحريم قال الله تعالى - لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشراهم - وقال ﷺ « السلم والشرك لا ترا آي نارهما (٢) » وقال عز وجل - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء - الآية . الثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذي لأنه لا يقر بجزية ويسامح بفقد ذمة وإن كان ممن لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الانكار عليه أشد منه

عليك وإرفاقا إلى
زمن اليسر
فإن قلت كنت الفقي
وإن أبت
فكل منوع بعدها
واسع المنذر
فاذا استنفذ الفقير
الجهد من نفسه
وأشرف على الضعف
وتعققت الضرورة
وسأل مولاه ولم يقدر
له شيء ووقته يضيق
عن الكسب من شغله
بحاله فعند ذلك يفرغ
باب السب ويسأل
قد كان الصالحون
يفعلون ذلك عند
فائقهم . قل عن أبي
سعيد الخزاز أنه كان
يعد يده عند الفاقة
ويقول : ثم شيء لله .
ويقل عن أبي جعفر
الحمداد وكان أستاذا
للجنيد أنه كان يخرج
بين العشائين ويسأل
من باب أو باين
ويكون ذلك معلومه
على قدر الحاجة بعد
يوم أو يومين . وقل
عن إبراهيم بن آدم

(١) حديث إن الله خلق آدم على صورته مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث للؤمن والشرك لا ترا آي نارهما أبو داود والترمذي من حديث جرير أنا برى من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم ؟ قال لا ترا آي نارهما ورواه النسائي مرسل وقال البخاري الصحيح أنه مرسل .

على الكافر لأن شر الكافر غير متحد فان المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعى لنفسه الاسلام واعتقاد الحق . أما المتدع الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فلا استحباب في إظهار فضله ومعاداته والاحتطاع عنه وتخفيره والتشجيع عليه بدعته وتغيير الناس عنه أشد وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علمت أن الأعراض عنه والسكوت عن جوابه يقع في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى لأن جواب السلام وإن كان واجبا فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الانسان في الحمام أو في قضاء حاجته وغرض الزجر أهم من هذه الأعراض وإن كان في ملا ترك الجواب أولى تغييرا للناس عنه وتحييها لبدعته في أعينهم وكذلك الأولى كلف الاحسان إليه والاعانة له لاسيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام « من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن ألان له وأكرمه أوليائه يبشر قد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ (١) » . الثالث : للمتدع العاصي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون فالأولى أن لا يباغ بالتخليط والاهانة بل يلتطف به في النصح فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الأعراض عنه تقيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الأعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالأعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها . وأما العاصي بطله وعمله لا باعتقاده فلا يغفل عما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والتضرب بين الناس والنميمة وأمثالها أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذى غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء وبهي أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يشرب ويرزى وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة وكل واحد فلما أن يكون مصراً عليه أو غير مصر فهذه التقيحات تحصل منها ثلاثة أقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولان تلك بالكل مسلوكاً واحداً . القسم الأول : وهو أشدها ما يتضرر به الناس كالظلم والنصب وشهادة الزور والنية والنميمة فهؤلاء الأولى الأعراض عنهم وترك مخالطتهم والانتباذ عن معاملتهم لأن للعصية شديدة فبا يرجع إلى إيذاء الخلق ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في السماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض وبعضها أشد من بعض فلا استحباب في إهانتهم والأعراض عنهم مؤكدة جداً ومهما كان يتوقع من الاهانة زجراً لهم أو لغیرهم كان الأمر فيه أكيداً وأشد . الثاني : صاحب الماخور الذي بهي أسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا يؤذى الخلق في دنياهم ولكن يخلط بخله دينهم وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه فان للعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى الغنى أقرب ولكن من حيث إنه متعدد على الجملة إلى غيره فهو شديد وهذا أيضاً يقتضي الاهانة والأعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره . الثالث : الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته أن صودف يجب منه بما يتمتع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فان التهي عن النكر واجب وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فلن تحقق أن نصحه بمنعه عن المود إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتخليط إن كان

(١) حديث من اتهم صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ، الحديث أبو نعيم في الحلية والهروى في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف .

أنه كان مستكفراً بجامع البصرة مدة وكان يخطر في كل ثلاث ليالية ولية إفطاره يطلب من الأبواب وتقل عن سفبان الثوري أنه كان يسافر من الحجاز إلى صنعاء اليمن ويسأل في الطريق وقال كنت أذكر لهم حديثاً في الضيافة فيقدم لي الطعام فأتناول حاجتي وأترك ما بقي . وقد ورد من جاع ولم يسأل فمات دخل النار ومن عنده علم وله مع الله حال لا يبالى بمثل هذا بل يسأل بالعلم وبالحسنة عن السؤال بالعلم . وحكى بعض مشايخنا عن شخص كان مصراً على المعاصي ثم اتقه وتاب وحسنت توبته وصار له حال مع الله تعالى قال : عزمت أن أحج مع القافلة ونويت أن لأسأل أحداً شيئاً وأكتفى بسلام الله بحالي قال فبقيت أليماً في

هو الأنفع فأما الإعراض عن جواب سلامه والسكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصيح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الأعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والسفتى فيه القلب فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصالح وقد يكون رفقته عن مداينة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لحوف من تأثير وحشته وتفرته في جاء أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مرده على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو الملقى فيه وقد يصيب الحق في اجتنبه وقد يخطئ وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الضرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الضرور من ربيع المهلكات ، ويدل على تخفيف الأمر في التسوق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ماروى أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك (١) » أو لفظاً هذا معناه وكأن هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ .

(بيان الصفات المشروطة فيمن تختار محبته)

اعلم أنه لا يصلح للصحة كل انسان قال صلى الله عليه وسلم « للره على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل (٢) » ولا بد أن يتميز بحصال وصفات يرغب بسببها في محبته وتشتد تلك الحصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط ويطلب من الصحة فوائد دينية ودنيوية أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا . وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها الاستفادة للمال لا كتناف به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ومنها الاستفادة في اللحامات فيكون عدة في الصائب وقوة في الأحوال ومنها التبرك بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك وروى في غريب التفسير في قوله تعالى - ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله - قال يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال إذا غفر الله للعبد شفع في اخوانه ولقد كانت جماعة من السلف على الصحة والآلة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً لا تحصل إلا بها ونحن نقصدها أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر محبته خمس خصال أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا . أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في محبة الأحمق قالى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طال قال صلى الله عليه وسلم : فلا تصحب أحماً الجهول وإياك وإياه فكف من جاهل أردى حليماً حين آخاه يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه وللقلب على القلب دليل حين يلتقاه

الطريق ففتح الله على
بالماء والزاد في وقت
الحاجة ثم وقف الأمر
ولم يفتح الله على شيء
لجعت وعطشت حتى
لم يبق لي طاقة فضعفت
عن الشيء وبقيت متأخرة
عن القافلة قليلاً قليلاً
حتى مررت القافلة فقلت
في نفسي هذا الآن
منى إلقاء النفس إلى
التهلكة وقد منع الله
من ذلك وهذه مسألة
الاضطرار أسأل فلما
هممت بالسؤال انبعث
من باطني إنكار لهذه
الحال وقأت عزيمة
عقدتها مع الله لا أنقضها
وهان على الموت دون
نقض عزمي فقصدت
شجرة وقعدت في
ظلها وطرحت رأسي
استطرحاً للسوت
وذهبت القافلة فبينما
أنا كذلك إذ جاءني
شاب متفلسك بسيف
وحركني فقممت وفي
يده إداوة فيها ماء
فقال لي اشرب فشربت
ثم قدم لي طعاماً وقال

(١) حديث إن شارب خمر ضرب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه لا تكن عوناً للشيطان على أخيك البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث للره على دين خليله الحديث أوداود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

كيف والأحق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري ولذلك قال الشاعر :

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلا يتره جنون

فالقل فن واحد وطريقه أدري فأرصد والجنون فتون

ولذلك قيل مقاطعة الأحق قربان إلى الله . وقال الثوري : النظر إلى وجه الأحق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور هي منى عليه إما بنفسه وإما إذا فهم . وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لمعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في محبته ، وأما الفاسق المصير على الفسق فلا فائدة في محبته لأن من يخاف الله لا يصير على كبيرة ومن لا يخاف الله لا يؤمن بالله لا يؤمن بالله ولا يوثق بصدقه بل يتغير بتغير الأغراض وقال تعالى - ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه - وقال تعالى - فلا يصدرك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - وقال تعالى - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا - وقال - واتبع سبل من أناب إلى - وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق . وأما للبتدع ففي محبته خطر سراية البدعة وتعدى شوئها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف تؤثر محبته وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب الدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السيب قال : عليك باخوان الصديق تعش في أكنافهم فاتهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولأمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تظلمه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى . وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة البطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال : يا بني إذا عرضت لك إلى محبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن محبته زانك وإن قصدت بك مؤنة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك غير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سألك أعطاك وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولتما أمرا أمرك وإن تنازعتا آثرك فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصفة وشرط أن يكون قائما بجميعها . قال ابن أكرم قال للمؤمن فأين هذا فقبله أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لأنه أراد أن لا يصحب أحدا . وقال بعض الأدباء لا تصحب من الناس إلا من يكرمك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينثر حسنتك ويطوى سبتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك ، وقال على رضي الله عنه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضرك نفسه لينفك

ومن إذا ريب زمان صدعك شئت فيه فمعه ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تعلم منه شيئا من أمر دينك فينفعك أو رجل تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه ، وقال بعضهم : الناس أربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ، والأحق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه ، والجبان فإنه يسلمك ويضر عند الشدة ، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها قليل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها . وقال الجنيد لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلى من أن يصحبني قارى

كل فأكلت ثم قال لي
آريد القافلة فقلت من
لي بالقافلة وقد عبرت
فقال لي قم وأخذ
يسدى ومضى معي
خطوات ثم قال لي
اجلس فالقافلة إليك
تجي فجلست ساعة
فاذا أنا بالقافلة ورائي
متوجهة إلى ، هذا شأن
من يامل مولا
بالصدق وذمكر
الشيخ أبو طالب الكي
رحمه الله أن بعض
الصوفية أول قول
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أحل ما أكل
المؤمن من كسب يده »
بأنه للسألة عند القافة
وأنكر الشيخ
أبو طالب هذا التأويل
من هذا الصوفي وذكر
أن جفرا الخلد كان
يعكس هذا التأويل عن
شيخ من شيوخ
الصوفية ووقع لي والله
أعلم أن الشيخ الصوفي
لم يرد بكسب اليد
ما أنكر الشيخ
أبو طالب منه وإنما

سبي الخلق ، وقال ابن أبي الحواري قال لي أسدي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجلا ترتفع به في أمر دينك أو رجلا يزيد معه وتنفع به في أمر آخرتك والاشتغال بغير هذين حق كبير . وقال سهل بن عبد الله : اجتنب محبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة الغافلين والقراء الداهين والتسوفة الجاهلين . واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحة في مقاصد الدنيا مشروطا للصحة في الآخرة والأخوة كما قاله جسر . الإخوان ثلاثة : أخ لأخوتك وأخ لدينك وأخ لتأنيس به . وقطبا تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط فيهم لاهمالة ، وقد قال للآمون الإخوان ثلاثة : أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الدواء لا يحتاج إليه قط ولكن البعد قد يتنبت به وهو الذي لأنس فيه ولا تفع ، وقد قيل مثل جملة الناس كشل الشجر والنبات فيها ماله ظل وليس له ثم وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن وقع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ماله ثم وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ماله ثم وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والغرب كما قاله تعالى - يدعو لمن ضربه أقرب من قومه لبئس اللولى وبئس العشير - وقال الشاعر :

الناس شقي إذا ما أفت ذقتهم لا يستون كالأيتوى الشجر
هذا له ثم حلو مذاقه وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فاذا لم يجد رفيقا بؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به . قال أبو ذر رضي الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وروى مرفوعا . وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى - واتبع سبيل من أناب إلى - ولأن مشاهدة الفسق والفساق نهون أمر المعصية على القلب وتبطل نعمة القلب عنها . قال سعيد بن المسيب : لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لاسلامه في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم . قال الله تعالى - وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما - أي سلامة والألف بدل من الماء ومعناه إنا سلمنا من إنعكم وأنتم سلمتم من شرنا ، فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الأخوة وشروطها وقوائدها ، فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بمحبتها ، وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه ، فمجالسة الحريص على الدنيا تمحرك الحرس ومجالسة الزاهد تزهده في الدنيا فذلك تكره محبة طلاب الدنيا ويستحب محبة الراغبين في الآخرة . قال علي عليه السلام : أحبوا الطاعات بمجالسة من يستحبها منه . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أوقفني في بلية إلا محبة من لأحتشمه . وقال لقمان : يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر .

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكإتفاي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الأخوة . فلا تخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعمو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق :

(الباب الثاني : في حقوق الأخوة والصحة)

أراد بكسب الودعها إلى الله تعالى عند الحاجة فهو من أهل ما يأكله إذا أجاب الله سؤاله وساق إليه رزقه وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام - رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير - قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قاله ذلك وإن خضرة البقل تراه في بطنه من الهزال . وقال محمد الباقر رحمه الله قلما وإنه محتاج إلى شق تمرة وروى عن مطرف أنه قال : أما والله لو كان عند نبي الله شيء ما اتبع المرأة ولكن حمله على ذلك الجهد وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلي عن النصر آبادي أنه قال في قوله - إني لما أنزلت إلي من خير فقير - لم يسأل الكريم الخلق وإنما كان سؤاله من الحق ولم يسأل غداه النفس إنما أراد

(الحق الأول في المال)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مثل الأخوين مثل اليدين تفضل إحداهما الأخرى» (١) وإنما شبهما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الإخوان وإنما تم أخوتهما إذا تراقبا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضى المساهمة في السراء والضراء والشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار . والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاث مراتب أدناها أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم توجهه إلى السؤال فإن أخرجته إلى السؤال فهو غاية التخصير في حق الأخوة . الثانية : أن تنزله منزلة نفسك وترضى بشاركتك إياك في مالك ونزوله منزلك حتى تسمح بمشاطرته في المال . قال الحسن : كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه . الثالثة : وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات التحابين ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضا كما روى أنه سمى بجامعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول قيل له في ذلك قال أحببت أن أوتر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينفذ بعد في الباطن وإنما الجارى بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين ، فقد قال ميمون بن مهران : من رضى من الإخوان بترك الافضال فليؤاخ أهل القبور . وأما الدرجة الدنيا فليست أيضا مرضية عند ذوى الدين ، روى أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألعين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لاتعامله في الدنيا . قال أبو حازم : إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنيالك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة . وأما الرتبة العليا فهي التي وصفها الله تعالى للؤمنين في قوله - وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون - أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان منهم من لا يصحب من قال نعل لأنه أضافه إلى نفسه وجاء فتح اللوصل إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاهما فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل ، وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال إني أريد أن أواخيك في الله فقال أتدري ما حق الإخاء قال عرفني قال أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال على بن الحسين رضي الله عنهما لرجل هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه قال لا قال فليستم باخوان ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا أبا سعيد أصليت قال نعم قالوا فإن أهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن يأخذ دينه من أهل السوق يلقى أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم قاله كالتعجب منه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم على أن أكون أملك لشيتك منك قال لا قال أعجبنى صدقك . قال فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخافه وكان لا يصحب إلا من يوافقه ، ومحبته رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رقيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية فلما جاء رقيقه قال أين الشراك قال ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان قال كنت تطعمه شراكين أو ثلاثة قال اصبر سمح لك

(١) حديث مثل الأخوين مثل اليدين الحديث تقدم في الباب قبله .

سكون القلب . وقال
أبو سعيد الخراساني
الحلق مترددون بين
ما لهم وبين ما إليهم من
نظر إلى ماله تكلم
بلسان الفقرومن شاهد
ما إليه تكلم بلسان
الحيلة والفخر الأتري
حال الكليم عليه
السلام لما شاهد
خواص ما خاطبه به
الحق كيف قال : أرني
أنظر إليك . ولما نظر
إلى نفسه كيف أظهر
الفقر وقال : إني لما
أزلت إلى من خير
فقير . وقال ابن عطاء
نظر من العبودية إلى
الربوبية غشع وخضع
وتكلم بلسان الافتقار
بما ورد على سره
من الأنوار افتقار
العبد إلى مولاه في
جميع أحواله لا افتقار
سؤال وطلب . وقال
الحسين : فقير لما
خصصني من علم اليقين
أن ترقيني إلى عين
اليقين وحقه ووقع واقفه
أعلم في قوله لما أزلت

وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال أخى فلان أحوج مني إليه فبحث به إليه فبعثه ذلك الانسان إلى آخر فلم يزل يمشي به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. وروى أن سروقاً ادان ديناً ثقبلاً وكان على أخيه خيصة دين قال فذهب مسروق ففقد دين خيصة وهو لا يعلم وذهب خيصة ففقد دين مسروق وهو لا يعلم ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس قال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما (١) فأثره بما آثره به وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة وقال أبو سلمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي فملتها في فم أخ من إخواني لاستغلتها له وقال أيضاً إنى لأقيم للقيمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الإيثاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال على رضي الله عنه لشعرون درهما أعطيا أخى في الله أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضاً لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة . واقتداء الكل في الإيثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم منى فقال « ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن محبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه (٢) » فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصعبة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر ينقل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة لينقل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال بأبى أنت وأبى يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (٣) وقال مثل الله عليه وسلم « ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه (٤) » وروى أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيى صاحب البيت فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال يا مويلك هكذا كنا لا نعشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة كيف وقد قال الله تعالى - أو صدقكم - وقال - أو ما ملكم مفاتيحه - إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه وبفوض التصرف كما يريد وكان أخوه يتعرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والاصدقاء .

(الحق الثاني في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات

والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة)

(١) حديث لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن بارك الله لك فيهما رواه البخارى من حديث أنس (٢) حديث أنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع للمستقيم إلى صاحبه الحديث لم أقف له على أصل (٣) حديث ستر حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم بثوب حتى اغتسل ثم ستره صلى الله عليه وسلم لحذيفة حتى اغتسل لم أجده أيضاً (٤) حديث ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحدهما إلى الله أرفقهما بصاحبه تقدم في الباب قبله بلفظ أشدهما حباً لصاحبه .

إلى من خير فقير . أن
الانزال مشعر يمد
رتبته عن حقيقة القرب
فيكون الانزال عين
الفقر لما تقع بالمنزل
وأراد قرب المنزل ومن
صح فقره فققره في
أمر آخرته كفقره في
أمر دنياء ورجوعه
إليه في الدارين وإياه
يسأل حوائج المنزلين
وتساوى عنده
الحاجتان فله مع غير
الله شغل في الدارين .
[الباب العشرون في
ذكر من يأكل من
الفتوح]

إذا كل شغل الصوفي بالله
وكل زهد لكمال تقواه
بحكم الوقت عليه يترك
السبب وينكشف
له صريح التوحيد
وصحة الكفالة من الله
الكريم فيزول عن
باطنه الاهتمام بالأقسام
ويكون مقدمة هذا
أن يفتح الله له باباً من
التعريف بطريق
المقابلة على كل فعل
يصدر منه حتى لو جرى

وهذه أيضا درجات كما لله واساها بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة وقال بعضهم إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبر عليه وقرأ هذه الآية - واللوئى يعظم الله - وتضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية فقال ما هذا قال لما أسديته إلى فقال خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعنه في اللوئى قال جعفر بن محمد إنى لا تسارع إلى قضاء حوائج أعدائى مخافة أن أردم فيستغفروا عني هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بمحاجتهم ويردد كل يوم إليهم ويؤنهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه بل كانوا يرون منه مالم يروا من أبيهم في حياته وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصدقاته لم تضرك عداوته وقال صلى الله عليه وسلم « ألا وإن لله أوانى في أرضه وهي القلوب فأحب الأوانى إلى الله تعالى أصفها وأصلبها وأرقها أصفها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان ^(١) » وبالجملة فينبغى أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أعم من حاجتك وأن تكون متفقدًا لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تفعل عن أحوال نفسك وتفتيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة بل تقوم بمحاجته كأنك لا تدري أنك تمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتفقد منه بقبوله منك في حقه وقيامك بأمره ولا ينبغى أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالأكرام والزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد كان الحسن يقول إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة وقال الحسن من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة وفي الأثر مازار رجل أخاف الله شوقا إلى لقائه لإخاءه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة ^(٢) وقال عطاء تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغل فاعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم وروى « أن ابن عمر كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال أحببت رجلا فأنا أطلبه ولا أراه فقال : إذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضا عدته وإن كان مشغولا أعنته ^(٣) » وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته . وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى . وقيل لابن عباس من أحب الناس إليك قال جليسى وقال ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثا من غير حاجة له إلى فطمت ما مكافأته من الدنيا وقال سعيد ابن العاص لجليسى على ثلاث إذا دنا رحبت به وإذا حدث أقبلت عليه وإذا جلس أوسعت له وقد قال تعالى - رحما بينهم - إشارة إلى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ

(١) حديث إن لله أوانى في أرضه وهي القلوب فأحب الأوانى إلى الله أصفها وأصلبها الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني إلا أنه قال أليها وأرقها وإسناده جيد (٢) حديث مازار رجل أخا في الله الحديث تقدم في الباب قبله (٣) حديث ابن عمر إذا أحببت أحدا فأسأله عن اسمه واسم أبيه ومنزله وعشيرته الحديث الخرائطى في مكارم الأخلاق واليسبق في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه الترمذى من حديث يزيد بن نعمة وقال غريب ولا يعرف ليزيد بن نعمة سماع من النبي صلى الله عليه وسلم .

عليه يسر من ذنب بحسب حاله أو الذنب مطلانا مما هو منى عنه في الشرع يجد غيب ذلك في وقته أو يومه كان يقول بعضهم : إنى لأعرف ذنبي في سوء خلق غلاى وقيل إن بعض الصوفية قرض الفأرخفه فلما رآه تألم وقال :

لو كنت من مازن لم تسبح إلى بنو اللبقة من ذهل ابن شيانا

إشارة منه إلى أن الداخل عليه مقابلة له على شئ استوجب به ذلك فلا يزال به المقابلات متضمنة للتعريفات الإلهية حق يتحصن بصدق المحاسبة وصفاء المراقبة عن تضيق حقوق العبودية ومخالفة حكم الوقت ويتجرد له حكم فضل الله وتمحي عنه أفعال غير الله فيرى للعطى والمانع هو الله سبحانه فوفا وحالا

أو بحضور في سريرة دونه بل يتنصص لفرقة ويستوحش بانفراده عن أخيه .

(الحق الثالث)

(في اللسان بالكوت مرة وبالنطق أخرى) : أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يشككم به ولا يجاريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه في طريق أو حاجة لم يخاطبه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأله عنه فربما ينقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارته التي بها إليه ولا يبينها إلى غيره ألبتة ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي سبك من بلفك وقال أنس « كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بشيء يكرهه ^(١) » والتأذي يحصل أولا من اللبغ ثم من القائل ثم لا ينبغي أن يخفى ما يسمع من التناء عليه فإن السرور به أولا يحصل من اللبغ للحدح ثم من القائل وإخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا إلا إذا وجب عليه النطق في أمر معروف أو نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكرهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر . أما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من النية وذلك حرام في حق كل مسلم وبزجره عنه أمران : أحدهما أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهو على نفسك مآثره من أخيك وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الحصة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستغله بحصة واحدة مذمومة فأرى الرجال المذهب وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك . والأمر الثاني أنك تعلم أنك لو طلبت منزلها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلا من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساو فاذ غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والنهي فالمؤمن الكريم أبدا يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبت من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المنافق اللئيم فإنه أبدا يلاحظ للمساوي والميوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المآذير والمنافق يطلب الثرات وقال الفضيل الفتوة الغو عن زلات الإخوان ولذلك قال عليه السلام « استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره ^(٢) » وما من شخص إلا ويمكن تحمين حاله بخصال فيه ويمكن تقيحه أيضا روى « أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه قال عليه السلام : أنت بالأمس ثني عليه واليوم تنمى فقال والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه فقال عليه السلام : إن من البيان لسحرا ^(٣) » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر

(١) حديث أنس كان لا يواجه أحدا بشيء يكرهه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف (٢) حديث استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيرا ستره وإن رأى شرا أظهره البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح : نموذجوا بالله من جار السوء في دار المقام (٣) حديث أن رجلا أتني على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من القد ذه الحديث وفيه قال صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک من حديث أبي بكر إلا أنه ذكر للحدح والقدم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضا .

لاعلما وإيمانا ثم يتدراكه الحق تعالى بالمعونة ويوقفه على صريح التوحيد وتجريد فعل الله تعالى كما حكى عن بعضهم أنه خطر له خاطر الاهتمام بالرزق فخرج إلى بعض الصحاري فرأى قبرة عجماء عرجاء ضئيفة فوقفت متعبيا منها متفكرافيا تأكل مع عجزها عن الطيران والشيء والرؤية فيينا هو كذلك إذ انشقت الأرض وخرجت سكرجتان في إحداها سمسم نقي وفي الأخرى ماء صاف فأكلت من السمسم وشربت من الماء ثم انشقت الأرض وغابت السكرجتان قال فلما رأيت ذلك سقطت عن قلبي الاهتمام بالرزق فاذا أوقف الحق عبده في هذا المقام يزيل عن باطنه الاهتمام بالأنعام ويرى الدخول في التسبب والتكسب بالسؤال وغيره رتبة

« البدء والبيان شعبان من النفاق ^(١) » وفي الحديث الآخر « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يصيبه ولا أحد يصي الله ولا يطيعه لمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلا في حق الله فبأن تراه عدلا في حق نفسك ومقتضى أخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إسائة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منى عنه أيضا وحده أن لا تحمل له على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن ، فأما ما انكشف يقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه عليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى خرمًا وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكًا ضروريًا لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقاده فيه حتى يصد منه فعله وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنزله على الوجه الأرذل من غير علامة تخص به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذا قال صلى الله عليه وسلم « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ^(٣) » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال ^(٤) « لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تخططوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ^(٥) » والتجسس في تطلع الأخبار والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والجاهل والتناظر عنها شيمة أهل الدين ويكفيك تنبيهها على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجليل أن الله تعالى وصف به في الهداء قبيل يامن أظهر الجليل وستر القبيح والرضى عند الله من تخلف بأخلاقه فإنه ستر العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العيب فكيف لا تتجاوز أنت عن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك ، وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين : كيف تصنعون إذا رأيتم أسنًاكم نائمًا وقد كشف الریح ثوبه عنه قلوا نستره ونقطه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها . واعلم أنه لا يتم إيمان للرء ما لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يجب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على السأوى والعيوب ولو ظهر له منه قبيح ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه لما أبعد إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له ولا يعزم عليه لأجله وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال - ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون - وكل من يلتمس من الأوصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدين في الباطن وهو الحقد والحسد فإن الحقود الحسود بلاء باطنه بالحجب ولكن يحبه في باطنه ويخفيه ولا يديه مها

(١) حديث البدء والبيان شعبان من النفاق الترمذي وقال حسن غريب والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٢) حديث إن الله حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه ورجاله تحت إلا أن أباطي النيسابوري قال ليس هذا عندي من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو عندي من كلام ابن عباس وابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر ولمسلم من حديث أبي هريرة كل السلم على السلم حرام دمه وماله وعرضه (٣) حديث إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث لا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تخططوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو بعض الحديث الذي قبله .

العوام وبصير مسلوب
الاختيار غير متطلع
إلى الأغيار ناظرا إلى
فضل الله تعالى منتظرا
لأمر الله فقساق إليه
الأنعام ويخضع عليه
باب الانعام ويكون
بدوام ملاحظته لفضل
الله وترصده ما يحدث
من أمر الله تعالى
مكاشفا له تجليات من
الله تعالى بطريق
الأفضال والتجلى
بطريق الأفضال رتبة
من القرب ومنه يرقى
إلى التجلى بطريق
الصفات ومن ذلك
يرقى إلى تجلى الذات
والإشارة في هذه
التجليات إلى رتب في
اليقين ومقامات في
التوحيد شيء فوق
شيء وسمى أصنى من
شيء فالتجلى بطريق
الأفضال يحدث صفو
الرضا والقسيم والتجلى
بطريق الصفات
يكسب الهيبة والأنس
والتجلى بالذات يكسب
الفناء والبقاء وقد

لم يجد له مجالا وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بحبسه الدفين ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى قال بعض الحكماء ظاهر الكتاب خير من مكتون الحقد ولا يزيد لطف الحقد إلا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله . وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن مقرن عن أبيه أنه قال كنت باليمن ولي جاري يهودي يخبرني عن التوراة يقدم على اليهودي من سفر قلت إن الله قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الاسلام فأسلمنا وقد آتزل علينا كتابا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نفعه ونستأمنه في التوراة إنه لا يحمل لاصري أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم ، ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذبا فليس الصدق واجبا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فان أخاه نازل منزله ومها كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن هذه حقيقة الأخوة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيا وخارجا عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فان معرفة أخيه بعمله كفرته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام « من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(١) » وفي خبر آخر « فكأنما أحيا مودة ^(٢) » وقال عليه السلام « إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهو أمانة ^(٣) » وقال « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجالس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله ^(٤) » وقال ^(٥) « إنما يتجالس التجالسان بالأمانة ولا يحمل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره ^(٥) » قيل لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أنا قبره وقد قيل صدور الأحرار قبور الأسرار وقيل إن قلب الأحق في فيه ولسان العاقل في قلبه أي لا يستطيع الأحق إخفاء ما في نفسه في يديه من حيث لا يدري به فمن هذا يجب مقاطعة الحق والتوقي عن محبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر قال أجعد الخبر وأحاف المستخبر . وقد ذكر آخر أسره وأسترقى أسره وعبر عنه ابن المعتز قال :

ومستودعي سرا تبوات كتمه فأودعته صدرى فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه :

وما السر في صدرى كثا وقبره لأنى أرى القبور ينتظر النشرا

ولكننى أنسا حق كئانى بما كان منه لم أحط ساعة خبرا

ولو جاز كتم السر بينى وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

(١) حديث من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال يوم القيامة ولم يقل في الدنيا ولمسلم من حديث أبي هريرة من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٢) حديث فكأنما أحيا مودة من قبرها أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا مودة زاد الحاكم من قبرها وقال صحيح الاسناد (٣) حديث إذا حدث الرجل بمحدث ثم التفت فهي أمانة أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال حسن (٤) حديث المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس الحديث أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه (٥) حديث إنما يتجالس للتجالسان بالأمانة لا يحمل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسل والحاكم وصححه من حديث ابن عباس إنكم تجالسون بينكم بالأمانة .

يسمى ترك الاختيار والوقوف مع فعل الله فناء يعنون به فناء الإرادة والهوى والارادة ألطف أقسام الهوى وهذا الفناء هو الفناء الظاهر فأما الفناء الباطن وهو محو آثار الوجود عند لمعان نور الشهود يكون في تجلى الذات وهو أكمل أقسام اليقين في الدنيا فأما تجلى حكم الذات فلا يكون إلا في الآخرة وهو للقام الذي حظى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العراج ومنع عنه موسى بن ترائى فليعلم أن قولنا في التجلى إشارة إلى رتب الحفظ من اليقين ورؤية البصيرة فاذا وصل العبد إلى مبادئ أقسام التجلى وهو مطالعة الفعل الإلهي مجردا عن فعل سواء يكون تناوله الأقسام من الفتوح . روى عن رسول الله صلى الله

وأثنى بعضهم سرا له إلى أخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان أبو سعيد الثوري يقول إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قل خيرا وكنتم سررك فاهمه وقيل لأبي يزيد من تصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله وقال ذوالنون لا خير في محبة من لا يحب أن يراك إلا معصوما ومن أثنى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفائه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتا على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله يغنى القبيح ويظهر الاحسانا
وترى اللئيم إذا تقضى وصله يغنى الجليل ويظهر البهتان

وقال العباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خما لا تشين له سرا ولا تقتابن عنده أحدا ولا تجربن عليه كذبا ولا تعين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف ومن ذلك السكوت عن الماراة والدافعة في كل ما يتكلم به أخوك قال ابن عباس لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقلبك وقد قال صلى الله عليه وسلم «من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في أعلى الجنة» (١) هذا مع أن تركه مبطلا واجب وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الماراة والمنافسة فانها عين التدار والتقاطع فان التقاطع يقع أولا بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان وقال عليه السلام «لا تداربوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا السلم أخو السلم لا يظلمه ولا يجرمه ولا يغذله بحسب الرء من أكثر أن يحقر أخاه السلم» (٢) وأشد الاحتقار للماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإشارة للصدر وإعجاش وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال: ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فان نفعه قليل وإنه يهيج العداوة بين الإخوان» (٣) وقال بعض السلف من لاحى الإخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومماراة الرجال فانك لن تدمم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة الماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقد قال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وعلى الجلة فلا باع على الماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار الردود عليه بإظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والأيذاء والشم بالحق والجهل ولا معنى للمعاداة إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة الحديث تقدم في العلم (٢) حديث لا تداربوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا السلم أخو السلم الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأوله متفق عليه من حديثه وحديث أنس وقد تقدم بعضه قبل هذا بسبعة أحاديث (٣) حديث أبي أمامة خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتبارى فنضب وقال ذروا المراء لقلة خيره فان نفعه قليل فانه يهيج العداوة بين الإخوان الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وأبي الدرداء ورواه أنس دون ما بعد قوله لقلة خيره ومن هنا إلى آخر الحديث رواه أبو منصور والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسنادهما ضعيف .

عليه وسلم أنه قال «من وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه» وفي هذا دلالة ظاهرة على أن العبد يجوز أن يأخذ زيادة على حاجته بنية صرفه إلى غيره وكيف لا يأخذ وهو يرى فعل الله تعالى ثم إذا أخذ فمنهم من يخرججه إلى المحتاج ومنهم من يقف في الإخراج أيضا حتى يرد عليه من الله علم خاص ليكون أخذه بالحق وإخراججه بالحق أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر قال أنا والدي الحافظ أبو الفضل المقدسي قال أنا أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال قال أنا محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد قال أنا أبو طاهر أحمد بن محمد

أنه قل لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تتمد موعدا فتخلفه (١) وقد قال عليه السلام «إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط وجه وحسن خلق» (٢) والمارة مضادة لحسن الخلق وقد انتهى السلف في الحذر عن المارة والحض على الساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلا وقالوا إذا قلت لأخيك قم قال إلى أين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي أن يقوم ولا يسأل وقال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول أعطني من مالك شيئا فكان يلقي إلي كيسا فأخذ منه ما أريد فجئت ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة إخائه من قلبي وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الإخاء . واعلم أن قوام الأخوة بالمواقة في الكلام والفعل والشفقة قال أبو عثمان الخيري مواقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال .

(الحق الرابع على اللسان بالنطق)

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن للكراهة تقتضي أيضا النطق بالمحبة بل هو أخص بالأخوة لأن من قنع بالسكوت محبة أهل القبور وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أدام والسكوت معناه كفاف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقد في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها كالتسؤل عن عارض إن عارض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جهة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها وجهة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الأخوة للساهمة في السراء والضراء وقد قال عليه السلام «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره» (٣) وإنما أمر بالأخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتعاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق فقال «تهادوا تحابوا» (٤) ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لكود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيت أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك أن تثنى عليه بما ترفق من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنته وفله حتى على عقله وخلقه وهيبته وخطه وشمعه وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحمين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكمن ذلك أن تبينه ثناء من أثنى عليه مع إظهار القروح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك قال على رضي الله عنه من لم يحمدا أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الدب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لمرضه بكلام صريح أو تعرض لحق الأخوة التشمير في الحماة والنصرة وبكيت التفضيل وتقليظ القول عليه

(١) حديث ابن عباس لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تتمد موعدا فتخلفه الترمذي وقال غريب لا ترفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث لث بن أبي سليم وضعفه الجمهور (٢) حديث إنكم لا تسمعون الناس بأموالكم ولكن ليسمعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أبو يعنى للوصلى والطبراني في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وضعفه والحاكم ومحمد والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والحاكم من حديث للقدم بن معدي كرب (٤) حديث تهادوا تحابوا البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة .

ابن عمر وقال أنابونس ابن عبد الأعلى قال حدثنا ابن وهب قال ثنا عمرو بن الحارث عن ابن شهاب عن السائب بن يزيد عن حبيب بن عبد العزى عن عبيد الله السعدي عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني المطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أقدر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خذه فتموه أو تصدق به وما جاءك من هذا للسأل وأنت غير متصرف ولا سائل خذه وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه بدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج

والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تفصل إحداها الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه (١) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «السلام أخو المسلم لا يظلمه ولا يغذله ولا يئله» (٢) وهذا من الاتسلام والحدلان فإن إيهاله لتزريق عرضه كما هاله لتزريق لحمه فأخس بأخ براك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ما كنت لا تحركه الشفقة والحمة للدفع عنك وتمزق الأعراض أشد على النفوس من تمزق اللحوم ولذلك شبه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال - أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا - ولذلك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى إن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يضرب الناس لأن ذلك الملك في تمثله يرعى المشاركة وللناسبة بين الشيء وبين مثاله المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصور فاذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعت للعتين واجب في عقد الأخوة وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معيار أن أحدهما أن تقدر أن الذي قيل فيه لوقيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل التعرض لعرضه به والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره لما كان يتحرك في قلبك من النصرة له يسمع منه ومراى فينبغي أن يكون في منفيه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أعلى بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أعلى إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الاسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوق أحدهما عك جسمه فوق الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان الله فإذا وقف أحدهما واقفه الآخر وبالمواقة يتم الاخلاص ومن لم يكن غاصا في إخائه فهو منافق والاخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والحلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك محاذقة في لادة وهو دخل في الدين ووليعة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من نفسه على هذا فلا تقطع والعزلة أولى به من الواخاة والصاحبة فان حق الصعبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا موفق ولذلك قال عليه السلام «أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا» (٣) فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصعبة والاسلام جزاء الجوار فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين الشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصعبة فان الصعبة تقتضي حقوقا كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقا قربية في أوقات متباعدة لاندوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال فان كنت غنيا بالعالم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائده تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبيهه على عيوبه وتبصيح التبيح في عينه وتحسن الحسنة ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع

(٢) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله (٢) حديث السلام أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث (٣) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشرط الأول فقط وقال الترمذي مؤمنا قال وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال ابن ماجه مؤمنا قال الدارقطني والحديث ثابت ورواه القضاعي في مسند الشهاب بلفظ المصنف .

من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى .
سئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض . وروى زيد ابن خالد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله فاتما هو شيء من رزق الله تعالى ساقه الله إليه » وهذا البعد الواقف مع الله تعالى في قبول ما ساق الحق آمن ما غشى عليه إنما يغشى على من يرد لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق تحققا بالصدق والاخلاص وفي إخراجهم إلى القبر إثبات حقيقته فلا يزال في كلا الحالين زاهدا

عليه أحد فما كان على اللاّ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة إذ قال صلى الله عليه وسلم « المؤمن مرآة للمؤمن »^(١) أي يرى منه مالا يرى من نفسه فيستفيد للزم بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو اتفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه وقيل لمسر أحب من مخبرك بعيوبك فقال إن نصحتني فيما بيني وبينه فعم وإن قرأتني بين اللّا فلا وقد صدق فإن النصيح على اللاّ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله محتوما إلى اللّا مسكة الدين يحفون به إلى الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب محتوما ليقرأه وأما أهل الملت فينادون على ردوس الأَشهاد وتستنطق جوارحهم بغضائهم فيزدادون بذلك خزيا واقضاها ونمود بالله من الخزي يوم العرض الأكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالأسرار والاعلان كما أن الفرق بين الداراة والمداينة بالعرض الباعث على الاغضاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالاغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداين وقال ذوالنون لا تصحب مع الله إلا بالمواقفة ولا مع الخلق إلا بالمناسحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.. فإن قلت فإذا كان في النصيح ذكر العيوب فبها يعاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الأخوة فاعلم أن الإبحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما تنبيهه على ماله يعلمه فهو عين الشفقة وهو أسالة القلوب أعني قلوب العقلاء وأما الحق فلا يلتفت إليهم فإن من ينهك على فعل مذموم تعاطيته أوصفة مذمومة اتصفت بها تركي نفسك عنها كان كمن ينهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك فإن كنت تكره ذلك فما أشد حملك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ القلوب والأرواح وألها أشد ما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ولذلك قال عمر لسان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أن لك حلتين تلبس إحداها بالهيار والأخرى بالليل وبلغني أنك تجمع بين إدامين على مائدة واحدة فقال عمر رضي الله عنه أما هذان قد كفيتهما فهل بلغك غيرها فقال لا وكتب حذيفة الرعشى إلى يوسف بن أسباط بلغني أنك بعث دينك بحبتين وقفت على صاحب لئن قتلت بكم هذا فقال بسدس قتلت له لا بثمان فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رتدة اللوتى واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وأثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ينضمهم للناصحين إذ قال.. ولكن لا تحبون الناصحين.. وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فاما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه وإن كان يظهره فلا بد من التلطف في النصيح بالتمريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإبحاش فإن علمت أن النصيح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الاصرار عليه فالكوت عنه أولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعاضد والتعاضد في السر خير لذلك ليس من النصيح في شيء، نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والكتابة خير من الاشافة والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به

(١) حديث المؤمن مرآة المؤمن أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد حسن .

يراه الغير بين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد ومن أهل الفتوح من يعلم دخول الفتوح عليه ومنهم من لا يعلم دخول الفتوح عليه فمنهم من لا يتناول من الفتوح إلا إذا تقدمه علم بتعريف من الله إياه ومنهم من يأخذ غير متطلع إلى تقدم العلم حيث تجرد له الفعل ومن لا ينتظر تقدم العلم فوق من ينتظر تقدم العلم لتتمام محبته مع الله وانسلاخه من إرادته وعلم حاله في ترك الاختيار ومنهم من يدخل الفتوح عليه لا بتقدم العلم ولا رؤية تجرد الفعل من الله ولكن برزق شربا من المحبة بطريق رؤية النعمة وقد يشكبر شرب هذا بتخير مهبود النعمة وهذا حال

والاسترقاق منه قال أبو بكر السكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقبلا فوهبت له يوما شيئا على أن يزول ما في قلبي فلم يزول فأخذت يده يوما إلى البيت وقلت له ضع رجلك على خدي فأني قتلت لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي ، وقال أبو طي الرباطي صحبت عبد الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا قتلت بل أنت قتلت وعليك الطاعة قتلت نعم فأخذ محلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فإذا قلت له أعطني قال ألتست قلت أنت الأمير فليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس بمنع عن المطر فكنت أقول مع نفسي ليتني مت ولم أتل أنت الأمير .

(الحق الخامس الغفو عن الزلات والمفوات)

وهفوة الصديق لا تغلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الاخوة أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويبعد إلى الصلاح والورع حاله فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع ودل إذا اقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث أحببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تندعه لأجل ذلك فان أخاك يسوج مرة ويستقيم أخرى ، وقال إبراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا ، وقال أيضا لا تعذبوا الناس بزلّة العالم فان الزلة ثم يتركها وفي الخبر « اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته (١) » وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل أخى قال ذلك أخو الشيطان قال له قال إنه قارف الكبائر حتى وقع في الحفر قال إذا أردت الخروج فأذني فكتب عند خروجه إليه بسم الله الرحمن الرحيم - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع . وحكى أن أخوين ابني أحدهما بهوى فأظهر عليه أخاه وقال إني قد اعتللت فان شئت أن لا تمقد على صحبتي لله فافضل فقال ما كنت لأحل عقد أخوتك لأجل خطيئتك أبدا ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكلا ولا يشرب حتى يعافى الله أخاه من هواء فطوى أربعين يوما في كلها يسأله عن هواء فكان يقول القلب مقيم على حاله وما زال هو يتحلل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب أخيه بعد الأربعين فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يثلف هزالا وضرا . وكذلك حكى عن أخوين من السلف اقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه ألا تقطعه وتهجره فقال أحوج ما كان إلى في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن يأخذ يده وأتلف له في العاتية وأدعوله بالعود إلى ما كان عليه . وروى في الاسرائيليات أن أخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحما بدرهم فرأى بنيا عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جبايته قال فاقتده أخوه واهتم بشأنه فقتل إلى المدينة فلم يزلا يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يسرفه قط لقرط استحيا منه فقال قم يا أخى قد عدلت شأنك

(١) حديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيته البغوى في المعجم وابن عدى في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني وضعفاء .

ضعيف بالإضافة إلى
الحالين الأولين لأنه
علة في المحبة ووليعة
في الصدق عند
الصديقين وقد ينتظر
صاحب الفتوح العلم
في الإخراج أيضا كما
ينتظر في الأخذ لأن
النفس تظهر في
الإخراج كما تظهر في
الأخذ وأنهم من هذا
من يكون في إخراج
مخار أو في أخذه مختارا
بعد تحققة بصحة
التصرف فان انتظار
العلم إنما كان لموضع
إتهام النفس وهويقة
هوى موجود فاذا زال
التهام بوجود صريح
العلم يأخذ غير محتاج
إلى علم متجدد ويخرج
كذلك وهذه حال من
تحقق بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاكيا
عن ربه « فإذا أحببته
كنت له سمعا وبصرا
فويسمع وبصروني
ينطق » الحديث فلما
صح تعرفه صح تصرفه
وهذا أعز في الأحوال

وفستك وما كنت قط أحب إلى ولا أعز من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي اللطف وأتفه من طريقة أي ذر رضى الله عنه وطريقته أحسن وأسلم . فإن قلت ولم قلت هذا اللطف وأتفه ومقارفة هذه النصية لا يجوز مؤاخاة ابتداء فجب مقاطعة انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بطلان القياس أن يزول بزوالها وعلة عقد الأخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة النصية . فأقول أما كونه اللطف فلما فيه من الرفق والاستئالة والتعطف للنفوس إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصبغة ومهما قوطع واتقطع طمعه عن الصبغة أصر واستمر وأما كونه أتفه فمن حيث إن الأخوة عقد يتزلزل منزلة القرابة فإذا انقضت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وقره وقره الدين أشد من قهر اللال وقد أصابته جائحة وألمت به آفة اقتصر بسببها في دينه فينبغي أن يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتطلب به ليعان على الخلاص من تلك الوقعة التي ألمت به فالأخوة عدة للثبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب والفاجر إذا صاحب ثقباً وهو ينظر إلى خوفه ومدامته فيسرع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه . قال جعفر بن سليمان مهما قرت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعة فيرجع إلى نشاطي في العبادة فأرتقي الكسل وعملت عليه أسبوعاً وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحة كل حمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالصبي ولذلك قال الله تعالى لئيبه صلى الله عليه وسلم في عشرته - فان عصوك قتل إنى يرى مما تعملون - ولم يقل إنى يرى منكم مراعاة لحق القرابة ولحة النسب وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له ألا تفيض أخاك وقد فعل كذا فقال إنما أبغض عمله وإلا فهو أخى وأخوة الدين أؤكد من أخوة القرابة ولذلك قيل للحكيم أيما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقاً وكان الحسن يقول كم من أخ لم تلته أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج إلى مودة واللودة لا تحتاج إلى قرابة وقال جعفر الصادق رضى الله عنه مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم مائة من قطعها قطعها الله فإذا نزل الوفاء بقدر الأخوة إذ سبق انقضاء واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الناسق فإنه لم يتقدم له حق فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغى أن يقاطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصبغة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون الأفراد أولى فأما قطع الأخوة عن دوامها فنهى عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم « شرار عباد الله المشاءون بالنيمة المفرقون بين الأحبة »^(١) وقال بعض السلف في ستر زلات الإخوان ود الشيطان أن يلقى على أخيك مثل هذا حتى تهجره وتقطعوه فإذا اتقيتم من عجة عدوك وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة الصبيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغى أن يضاف إليه الثاني وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال له وزره وقال « لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك »^(٢) فهذا كله يقين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الناسق محذورة ومفارقة الأحباب والإخوان أيضاً محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذى لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضاً فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه أما زلته في حقه بما يوجب إغماشه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتفال بل كل ما يحتمل تنزيهه على وجه حسن ويتصور تمهيد

من الكبريت الأحمر وكان شيخنا ضياء الدين أبو النجيب السهروردي رحمه الله يحكي عن الشيخ حماد الهباس أنه كان يقول أنا لا آكل إلا من طعام الفضل فكان يرى الشخص في المنام أن يعمل إليه شيئاً وقد كان يعين لرائى في المنام أن يحمل إلى حماد كذا وكذا وقيل إنه بقي زماناً يرى هو في واقته أو منامه إنك أحلت على فلان بكذا وكذا وحكى عنه أنه كان يقول كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء ويعنى بطعام الفضل ما شهد له صحة الحال من فحرج الحق ومن كانت هذه حاله فهو غنى بالله . قال الواسطي الافتقار إلى الله أعلى درجة للريدين والاستغناء بالله أعلى درجة الصديقين وقال أبو سعيد الخراز

(١) حديث شرار عباد الله المشاءون بالنيمة المفرقون بين الأحبة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف
(٢) حديث لا تكونوا أعواناً للشيطان على أخيك . البخارى من حديث أبي هريرة وتقدم في الباب قبله .

عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق الأخوة فقد قيل ينبغي أن تستبسط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اليوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقصاك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فأنت العيب لا أخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا إن لم تقبل قال الأحنف حق الصديق أن تحتل منه ثلاثا ظم الغضب وظلم اللهالة وظلم المفوعة وقال آخر ما شتمت أحدا قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها له أو لثيم فلا أجعل عرضي له غرضا ثم تمثّل وقال :

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم الثيم تكرما

وقد قيل : خذ من خليلك ماصفا ودع الذي فيه العسكر

فالمعسر أقصر من معا تبة الخليل على التبر

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذبا كان أو صادقا فاقبل عذره قال عليه السلام « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب الكس^(١) » وقال عليه السلام « للؤمن سريع الغضب سريع الرضا^(٢) » فلم يصفه بأنه لا يغضب وكذلك قال الله تعالى - والكاظمين الغيظ - ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يخرج الإنسان فلا يتألم بل تنهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلمه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي التشنج والانتقام والكفافة وترك العمل بمقتضاه يمكن وقد قال الشاعر :

ولست بمستيق أخا لائمه على شتم أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى إذا واخيت أحدا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال جبرته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضر الأخ خير من معاتبته والمعاتبه خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقعة وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقعة قال تعالى - عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة - وقال عليه السلام « أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وهو أن تحب صاحبك مع هلاكك .

(الحق السادس)

(الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به قد عوله كما تدعول نفسك)

(١) حديث من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل صاحب مكس ابن ماجه وأبو داود في اللراسيل من حديث جودان واختلف في محبته وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث للؤمن سريع الغضب سريع الرضا لم أجده هكذا وللترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى الحديث وفيه ومنهم سريع الغضب سريع النفي فتلك تلك (٣) حديث أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب قلت رجاله ثقات رجال مسلم لكن الراوى تردد في رفته .

العارف تديره في
في تدير الحق فالواقف
مع الفتوح واقف مع
الله ناظر إلى الله
وأحسن ما حكي في هذا
أن بعضهم رأى
النورى يمد يده
ويسأل الناس قال
فاستعظمت ذلك منه
واستباحت له فأثبت
الجيد وأخبرته
فقال لي لا يعظم هذا
عليك فان النورى لم
يسأل الناس إلا لمعطيهم
سؤلهم في الآخرة
فيؤجرون من حيث
لا يضره وقول الجيد
ليعطيههم كقول بعضهم
اليده العليا يد الأخذ
لأنه يعطى الثواب قال
ثم قال الجيد هات
الميزان فوزن مائة درهم
ثم قبض قبضة فالتفاها
على المائة ثم قال أحملها
إليه فقلت في نفسي إنما
يزن لي عرف مقدارها
فكيف خلط المجهول
بالموزون وهو رجل
حكيم واستحييت أن
أسأله فنهبت بالصرة

ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك » (١) وفي لفظ آخر « يقول الله تعالى بك أبدأ يا عبدي » (٢) وفي الحديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » (٣) وفي الحديث « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » (٤) وكان أبو الدرداء يقول إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أميهم بأسمائهم وكان محمد بن يوسف الأسفهانى يقول وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتقسمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهم بما قدمت وماصرت إليه يدعوك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الترى وكان الأخ الصالح يقتدى باللائكة إذ جاء في الخبر « إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم » (٥) يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغ موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل العريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولده أو والد أو أخ أو قريب » (٦) وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال وقال بعض السلف الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية .

(الحق السابع الوفاء والإخلاص)

ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه فان الحب إنما يراد للأخرة فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال عليه السلام « في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه » (٧) وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة ولذلك روى أنه عليه السلام « أكرم عبودا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين » (٨) فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والتعلقين به ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديهما من المحبوب إلى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبى أن يمر في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخين في الله ومتحايين

- (١) حديث إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك مسلم من حديث أبي الدرداء
(٢) حديث الدعاء للأخ بظهر الغيب وفيه يقول الله بك أبدأ يا عبدي لم أجدها اللفظ (٣) حديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه لم أجده بهذا اللفظ ولأبي داود والترمذي وضعفه
من حديث عبد الله بن عمرو إن أسرع الدعاء إجابة دعوة طائب لغائب (٤) حديث دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد الدارقطني في المثل من حديث أبي الدرداء وهو عند مسلم إلا أنه قال مستجابة مكان لا ترد (٥) حديث إذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت اللائكة ما قدم البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث مثل الميت في قبره مثل العريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة ولد أو والد الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة قال الذهبي في الليزان إنه خبر منكر جدا (٧) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث تقدم غير مرة (٨) حديث إكرامه صلى الله عليه وسلم لمجوز دخلت عليه وقوله إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان الحاكم من حديث عائشة وقال صحيح على شرط الشيخين وليس له علة .

إلى النورى قال هات لليزان فوزن مائة درهم وقال بردها وقل له أنا لا أقبل منك شيئا وأخذ ما زاد على المائة قال فزاد تسجي فأسأله على ذلك فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن المائة لنفسه طلبا للثواب وطرح عليها قبضة بلا وزن لله فأخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فردتها على الجنيد فيكى وقال أخذ ما له ورد ما لنا . ومن لطائف ما سمعت من أصحاب شيخنا أنه قال ذات يوم لأصحابه نحن محتاجون إلى شيء من العلوم فارجعوا إلى خلواتكم واسألوا الله تعالى وما يفتح الله تعالى لكم التوفى به فعملوا ثم جاءهم منهم شخص يعرف باسمعيل البطامى ومعه كاغد عليه ثلاثون دائرة وقال هذا الذى فتح

فيه فانه يجهد نفسه لافساد ما بينهما فلله تعالى - وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم - وقال غبراً عن يوسف - من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي - ويقال ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما وكان بشر يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك لأن الاخوان مسالة للهدوم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك ألد الأشياء محالة الاخوان والانتقال إلى كفاية وللوذة الدأمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات اللوذة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ودنيا وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال - ولا يجحدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم - ووجود الحاجة هو الحسد ومن الوفاء أن لا يغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم قال الشاعر :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في النزل الحسن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا انفقرت إليه قرب منك وإن استغيت عنه لم يطعم فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك وذلك بعض الحكاء إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير . وحكى الربيع أن الشافعي رحمه الله آخى رجلاً يغداد ثم إن أخاه ولي السيين فغير له عما كان عليه فكتب إليه الشافعي بهذه الآيات :

أذهب فودك من فؤادي طالق أبداً وليس طلاق ذات البين
فإن أروعيت فانها تطلقه ويدوم ودك لي على ثنتين
وإن امتعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيزين
وإذا التلات أمتك مني بته لم تغن عنك ولاية السيين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فماده الشافعي رحمه الله تعالى فقال :

مرض الحبيب فعدته فرضت من حذري عليه
وآنى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته فقبل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه إلى من نجس بعدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئذ إليه فقال الشافعي سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي فأنكر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمد كان قد حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك الداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى فلما توفي انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الأم الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به وإنما صنعه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره والمقصود أن الوفاء بالحبة من تمامها النصيحة قال الأحنف الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالسكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ومن آثار الصدق والإخلاص وتتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة فنور الطبع عن أسبابها كما قيل :

الله لي في واقعي فأخذ
الشيخ الكاغد فلم
يكن إلا ساعة فإذا
بشخص دخل ومعه
ذهب قدمه بين يدي
الشيخ ففتح القرطاس
وإذا هو ثلاثون
محمجة قترك كل
محمج على دائرة وقال
هذا فتوح الشيخ
إسماعيل أو كلاماً هذا
معناه . ومحت أن
الشيخ عبد القادر
رحمه الله بحث إلى
شخص وقال لقان
طعام وذهب اتنى من
ذلك بكذا ذهباً
وكذا طعاماً قال الرجل
كيف تصرف في وديعة
عندي ولو استغيتك
ما أقتيتي بالتصرف
فأثره الشيخ بذلك
فأحسن الظن بالشيخ
وجاء إليه بالذي طلب
فلما وقع التصرف
منه جاءه مكتوب من
صاحب الوديعة وهو
غائب في بعض نواحي
العراق أن احمِل إلى
الشيخ عبد القادر

وجدت مصييات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب.

وأُنفذ ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت أنوما فارقهم منذ ثلاثين سنة ما يغيل إلى أن حبرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لاسيما من يظهر أولا أنه يحب لصديقه كبلاتهم ثم يلقى الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلا قال واحد الحكماء قد جئت خاطبا لمودتك قال إن جعلت مهرها ثلاثا فقلت قال وما هي قال لا تسمع على بلاغة ولا تغالفي في أمر ولا توطنى عشوة ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عدوك .
(الحق الثامن التخفيف وترك التكلف والتكليف)

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل بروح سره من مهماته وحاجاته وبرقه عن أن يحمله شيئا من أعبائه فلا يستمد منه من جاء ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلفظه واستعانة به على دينه وتقربا إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤثته قال بعضهم من اقتضى من إخوانه مالا يقتضونه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم ومن لم يقتض فهو للتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا ونعم التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه وقال الجنيد ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لمة في أحدهما وقال على عليه السلام شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وأجلك إلى اعتذار وقال الفضيل إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلفه فيقطعه ذلك عنه وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو للمؤمن لا ينتمه ولا يعتصمه وقال الجنيد صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلاثون رجلا حارثا المحاسبي وطبقته وحسنا للسوحى وطبقته وسريا السقطي وطبقته وابن الكريبي وطبقته فما تواخى اثنان من الله واحببهم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لمة في أحدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول أهل إخواني على من يتكلف لي وأحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاصر من الناس إلا من لا يزيد عنده ير ولا تنقص عنده يلثم يكون ذلك لك وعليك وبأنت عنده سواء وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين بكف شئت وقال آخر لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك بل ينبغي أن يواخى كل متدين عاقل ويمزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مواخيا في الله وإلا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخجلي في الله فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثا فلما أكثر قال له الجنيد إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل وإن أردت أخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصب على أذاه فعندى جماعة أعرفهم لك فسكت الرجل . واعلم أن الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحته ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تنفع به ولكن

كذا وكذا وهو القدر
الذي عنه الشيخ
عبد القادر ضابطه
الشيخ بعد ذلك على
توقفه وقال ظننت
بالفقراء أن إشاراتهم
تكون على غير صحة
وعلم فالبعد إذا صح
مع الله تعالى وأقضى هواه
متطلبا رضا الله تعالى
يرفع الله عن باطنه
هموم الدنيا ويحمل
الغنى في قلبه ويفتح
عليها أبواب الرقى وكل
الهموم للتسلطة على
بعض الفقراء لكون
قلوبهم ما استكملت
العمل بالله والاهتمام
برعاية حقائق البوذية
فلى قدر ما خلعت من
الهمم بالله ابتليت بهم
الدنيا ولو امتلأت من
همم الله ما عذبت بهموم
الدنيا وتنتع وارتقت.
روى أن عوف بن
عبد الله السعدي كان
له ثلثانة وستون
صديقا وكان يكون
عده كل واحد يوما
وآخر كان له ثلاثون

لا تنتفع به ورجل لا يتقدر أيضا على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحق أو السوء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه فأما الثاني فلا تجتنبه لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبشوابك على القيام به وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أعطيتي لنا أكثر إخوانك أي إن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فاني كنت معهم على قسوى ومن كانت هذه شيمته أكثر إخوانه . ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يترى في نوافل العبادات . كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان إن أكل أحدهم التمار كله لم يقل له صاحبه صم وإن صام الأخر كله لم يقل له أفطر وإن نام الليل كله لم يقل له قم وإن صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلامزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفيز لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفتة ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة إن الله لمن التكلفين وقال صلى الله عليه وسلم « أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف » (١) وقال بعضهم إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به (٢) إذا أكل عنده ودخل الحلاء وصلى ونام فقد ذكر ذلك لبعض الشايخ فقال بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويحاميها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخس وإلا فالساجد أرواح لقنوب التعبدية فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكّد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك إذ يقول أحدهم لصاحبه مرحبا وأهلا وسهلا أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب واللسان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي لا يشتد علينا شيء مما تريد ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسوء الظن بنفسه فإذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم وقال أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قيل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلى على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له » (٣) فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ ولذلك قال سفيان إذا قيل لك بإشر الناس فضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون منتقدا ذلك في نفسك أبدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبير والمعجب وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان آيات :

تذلل لمن إن تذلت له يرى ذاك للفضل لا للبه
وجانب صداقة من لا يزال على الأصدقاء يرى الفضل له
وقال آخر : كم صديق عرفته بصديق صار أخطى من الصديق العتيق
ورفيق رأيت له في طريق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم قال صلى الله عليه وسلم « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » (٤) ومن تمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور

(١) حديث أنا وأمتي برآء من التكلف الدارقطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام ألا إنى يرى من التكلف وصالحوا أمتي وإسناده ضعيف (٢) حديث إذا صنع الرجل في بيت أخيه أربع خصال قد تم أنسه به الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المرء على دين خليله ولاخير في صفة من لا يرى لك مثل ماترى له تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف (٤) حديث حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . مسلم

صديقا يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له سبعة إخوان يكون كل يوم من الأسبوع عند واحد فكان إخوانهم معلومهم وللعلوم إذا أقامه الحق للناظر إلى الله الكامل توحيد يكون نعمة هنيئة . جاء رجل إلى الشيخ أبي السعود رحمه الله وكان من أرباب الأحوال السنية والواقفين في الأشياء مع فعل الله تعالى متمكنا من حاله تاركا لاختياره ولله سبق كثيرا من المتقدمين في تحقيق ترك الاختيار وأبنا منه وشاهدنا أحوالا صحيحة عن قوة وتمكين فقال له الرجل أريد أن أعين لك شيئا كل يوم من الخبز أحمله إليك ولكن قلتي الصوفية يقولون للعلوم شؤم قال الشيخ نعمن ما تقول للعلوم شؤم فإن الحق يصني لنا وفه نرى فكل ما يقسم لنا

إخوانه في كل ما يقصده ويقبل إشاراتهم فقد قال تعالى - وشاورهم في الأمر - وينبغي أن لا يخفى عنهم شيئا من أسرارهم كما روى أن يعقوب بن أخى معروف قال جاء أسود بن سالم إلى عمى معروف وكان مواخيا له فقال إن جبر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافيك بذلك وقد أرسلى إليك يسألك أن تعفله فباينك وبينه أخوة محتسبا ويستد بها إلا أنه يشترط فيها شروطا لا يحب أن يشتر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقة فإنه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف أما أنا لو آخيت أحدا لم أحب مفارقتة ليلا ولا نهارا ولزرتة في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله ﷺ عليا فشاركه في العلم (١) وقاصمه في البدن (٢) وأنسجه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاتة (٣) وأنا أشهدك أنى قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك ولمسأته على أن لا يزورنى إن كره ذلك ولكنى أزوره متى أحبيت ومره أن يلقانى في مواضع نلتقى بها ومره أن لا يخفى على شيئا من شأنه وأن يطلعنى على جميع أحواله فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضى وسر به فهذا جامع حقوق الصبة وقد أجملناه مرة وفضلناه أخرى ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للأخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك . أما البصر فبأن تنظر إليهم نظرة ودية يعرفونها منك وتنظر إلى محاسنهم وتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسأته وتوجهه للجالس إليه (٤)

من حديث أن هريرة وتقدم في أثناء حديث لاندابروا في هذا الباب (١) حديث أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وشاركه في العلم النسائي في الخصائص من سننه الكبرى من حديث على قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب الحديث وفيه فأيك يابنى على أن يكون أخى وصاحبى ووارثى فلم يقم إليه أحد قصمت إليه وفيه حتى إذا كان في الثالثة ضرب يده على يده وله وللحاكم من حديث ابن عباس أن عليا كان يقول في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إنى لأخوه ووليه ووارث علمه الحديث وكل ما ورد في أخوته فضعيف لا يصح منه شيء وللترمذى من حديث ابن عمر وأنت أخى في الدنيا والآخرة وللحاكم من حديث ابن عباس أنا مدينة العلم وعلى بابها وقال صحيح الإسناد وقال ابن حبان لأصله وقال ابن طاهر إنه موضوع وللترمذى من حديث على أنا دار الحكمة وعلى بابها وقال غريب (٢) حديث مقاصته عليا للبدن مسلم في حديث جابر الطويل ثم أعطى عليا فنخر ماعبر وأشركه في هديه (٣) حديث أنه أنسج عليا أفضل بناته وأحبهن إليه هذا معلوم مشهور فى الصحيحين من حديث على لما أردت أن أبتى بفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم واعدت رجلا صواغا الحديث وللحاكم من حديث أم أيمن زوج صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليا الحديث وقال صحيح الإسناد وفى الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة يافاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين الحديث (٤) حديث كان يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه الحديث الترمذى في التمهال من حديث على في أثناء حديث فيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ثم قال مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة وفيه يضحك مما يضحكون ويشتجب مما يتعجبون منه وللترمذى من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ما رأيت أحدا أكرم تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب

نزه مبارك ولا نراه
شوما. أخبرنا أبو زرعة
إجازة قال أنبأنا أبو بكر
ابن أحمد بن خلف
الشيرازى إجازة قال أنا
أبو عبد الرحمن السلى
قال سمعت أبا بكر بن
شاذان قال سمعت أبا
بكر السكتاني قال كنت
أنا وعمرو وللكي وعياش
ابن المهدي نسطب
ثلاثين سنة نصلى
الثدلة على طهر العصر
وكنا نقودا بمكة على
التجريد مائتا على
الأرض ما يساوى فلما
وربما كان يصحبنا
الجوع يوما ويومين
وثلاثة وأربعة وخمسة
ولا نسأل أحدا فان
ظهر لنا شيء وعرفنا
وجهه من غير سؤال
ولا تعريض قبلناه
وأكلناه وإلا طوينا
فاذا اشتد بنا الأمر
وخفنا على أنفسنا
التقصان في القرائض
قصدا أباسيد الخراز
فيتخذنا ألوانا من
الطعام ولا يقصد غيره

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة وكان عليه السلام أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتمجبا عما يحدوثونه به وكان فحك أصحابه عنده التبسيم اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام .
وأما السمع فبأن تسمع كلامه متلذذا بسماعه ومصداقه ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ولا منازعة ومداخلة واعتراض فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرست صمكت عن سماع ما يكرهون . وأما اللسان فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون . وأما اليدان فإن لا يقبضهما عن معاوتهما في كل ما يتعاطى باليد . وأما الرجلان فإن يمشي بهما وراءهم مشى الأتباع لا مشى التبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعا حيث يقعد ومهتما بالآحاد خف حملهم من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والتناء فإنها من حقوق الصعبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف فإذا تم الآحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى محبة الخلق فتارة يسوج وتارة يستقيم ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله وولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها على أنواع الخدمة فهذا لا وصول إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القامم الصائم وزيادة .

[خاتمة لهذا الباب] نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أوصاف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء . إن أردت حسن العشرة فالحق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقير من غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكل طرف في قصد الأمور ذمهم ولا تنظر في عطفك ولا تكثر الالتفات ولا تنف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز وتعظم من تشييك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك ونخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقتك وتخمك وطرده القباب من وجهك وكثرة التخطي والتشاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واضع إلى الكلام الحسن عن حديثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عنه الضاحك والحكايات ولا تعدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك ومائرا ما يخصك ولا تصنع تصنع المرأة في التزين ولا تبدل تبدل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلج في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلا هنت عندهم وإن كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم وخوفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك وإذا خصمت فتوقروا غمظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة يديك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك ولا تبحث على ركبتك وإذا هدا غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حد السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقا بالصبي وكله بما يشبهه ما لم يكن معصية ولا يحملتك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقا عنده فإن سقطه الداخل بين الملك وبين أهله سقطه لا تمنع وزلة لا تنال وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع وأن تعمي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على الطريق فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة الظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لوضع البصاق ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن

ولا تبسط إلا إليه لما
نعرف من تقواه
وورعه . وقيل لأبي
يزيد ما نراك تشتغل
بكسب فن ابن معاشك
فقال مولاي يرزق
الكلب والخنزير تراه
لا يرزق أبا يزيد .
قال السلي صمت أبا
عبد الله الرازي يقول
صمت مظفرا القرميضي
يقول الفقير الذي
لا يكون له إلى الله
حاجة . وقيل لبعضهم
ما الفقر قال وقوف
الحاجة على القلب
ومحوها من كل أحد
سوى الرب . وقال
بعضهم أخذ الفقير
الصدقة بمن يسطيه
لا بمن تصل إليه على
يده ومن قبل من
الوسائط فهو للرسم
بالفقر مع دناءة محته .
أبنا نا شيخنا ضياء الدين
أبو النجيب السهروردي
قال أنا عصام الدين أبو
حفص عمر بن أحمد
ابن مصور الصفاق قال
أنا أبو بكر أحمد بن

يمكنك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت فأدبه ترك القيسة ومجانبة الكذب وصيانة السروقة الحوائج وتهذيب الألفاظ والاعراب في الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك الودعة وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتدخل بعد الأكل عنده وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السروا والقدح في الملك والتمرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء أفعالهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم وإياك أن تنازع لبيبا أو غير لبيب فان التبيب بمحمد عليك والسفيه بجحريء عليك لأن الزاح يخرق الحمية ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الودع ويشين فقه الفقيه ويجريء السفيه ويسقط للزلة عند الحكيم ويعتقه التقون وهو يبيت القلب وياعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث القلة وبه تظلم السرائر وتعمت الحواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب وقد قيل لا يكون الزاح إلا من سخط أو بطر ومن بلى في مجلس عزم أو لقط فلينكر الله عند قيامه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لقطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سيحانك اللهم وبمحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك لا يغفر له ما كان في مجلسه ذلك (١) » .

(الباب الثالث في حق السلم والرحم والجوارح والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب)
اعلم أن الانسان إما أن يكون وحده أو مع غيره وإذا تعذر عيش الانسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة وكل مخالطة في مخالطة أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطة التي بها وقعت المخالطة والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الاسلام وهي أعمها وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحة وإما الجوارح وإما محبة السفر والمكتب والدرس وإما الصداقة أو الأخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب قربهم من الدار وبعده ويظهر التفاوت عند النسبة حتى إن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوارح في البلد وكذلك حق للألميتا كدبتا كد العرفه وللعارف درجات فليس حق القدي عرف بالمشاهدة حتى الذي عرف بالسماع بل آكد منه والعرفه بعد وقوعها تآكد بالاختلاط وكذلك الصحة تتفاوت درجاتها حتى الصحة في الدرس والمكتب آكد من حق صحة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها إذا قويت صارت أخوة فان ازدادت صارت حبة فان ازدادت صارت خلة والخلة أقرب من الحبيب فالهبة ما تمسك من حبة القلب والخلة ما تتدخل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليل وتتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فأما كون الخلة فوق الأخوة فمما أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرف من قوله صلى الله عليه وسلم « لو كنت متخذ خليل لا اتخذت أبا بكر خليل ولكن صاحبكم خليل الله (٢) » إذ الخليل هو الذي يتدخل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله وقد منتهى الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا فقال « علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة (٣) »

(١) حديث من جلس في مجلس فكثر فيه لقطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سيحانك اللهم وبمحمدك الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه .

(الباب الثالث في حقوق السلم والرحم والجوارح)

(٢) حديث لو كنت متخذ خليل لا اتخذت أبا بكر خليل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري

(٣) حديث علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص .

خلف الشيرازي قال أنا أبو عبد الرحمن السلسي قال سمعت أحمد ابن طي بن جعفر يقول سمعت أن أبا سليمان الداراني كان يقول آخر أقدام الزاهدين أول أقدام التوكلين . زهد فبلغ من زهده أن فارق الناس وخرج من الأمصار وقال لا أسأل أحدا شيئا حتى يأتيني رزقي فأخذ يسبح فأقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد أن يتلف فقال يا رب إن أحببتني فأنتي برزقي القدي قسمت لي وإلا فأقبضني إليك فألمه الله تعالى في قلبه وعزتي وجلالي لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة وأقام بين ظهرائي الناس فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك

فصل بلى عن النبوّة كما عدل بأن بكر عن الحلة فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الحلة وأهليته لها لو كان للشركة في الحلة مجال فانه نبه عليه بقوله لا تخذت أبا بكر خيلا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليته وقد روى أنه صعد النبريوما مستبشرا فرحا فقال «إن الله قد اتخذني خيلا كما اتخذ إبراهيم خيلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى» (١) «فأذن ليس قبل المرفة رابطة ولا بعد الحلة درجة وما سواها من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصلوة والأخوة ويدخل فيهما ما وراءها من المحبة والحلة وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والأخوة حتى يتنهي أقصاها إلى أن يوجب الايثار بالنفس والمال كما أثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما أثره طلحة بيده إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلى الله عليه وسلم ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدین وحق الجوار وحق الملك أعني ملك الميمن فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح .

(حقوق المسلم)

(١) من أسلم عليه إذا بقيته وتجيئه إذا دعاك وتسمته إذا عظمى وتعوذه إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات (وتبرقعه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتخفله بظهر الغيب إذا غاب عنك وتغيبه ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك) (٢) ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربع من حق للمسلم عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمدرهم وأن تحب تأييمهم» (٣) وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى - رحماء بينهم - قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فبارك له من الخير وثبتته عليه واتقنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهدمه وتب عليه واغفر له عثرته . ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «مثل المؤمن في توادم وتراحيمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضومه تداعى سائر به حتى والسهر» (٤) وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «للمؤمن المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا» (٥) ومنها أن لا يؤذى أحدا من المسلمين بغمل ولا قول قال ﷺ «المسلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده» (٦)

(١) حديث إن الله اتخذني خيلا كما اتخذ إبراهيم خيلا الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله فأنا حبيب الله وأنا خليل الله .

(الأخبار الواردة في حقوق المسلم على المسلم)

(٢) هو أن يسلم عليه إذا بقيه فذكر عشر خصال الشيخان من حديث أبي هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعبادة للريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية لمسلم حق المسلم على المسلم ست إذا بقيته تسلم عليه وزاد وإذا استنصحك فانصح له ولترمذى وابن ماجه من حديث على بن السلام ست قد كرمها ويجب له ما يجب لنفسه وقال أبو بصير إذا غاب أو شهد ولأحمد من حديث معاذ وأن يحب للناس ما يحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وفي الصحيحين من حديث البراء أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وإبرار القسم ونصر المظلوم (٣) حديث أنس أربع من حقوق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لذنبهم وأن تدعو لمدرهم وأن تحب تأييمهم ذكره صاحب القردوس ولم أجد له إسنادا (٤) حديث النعمان بن بشير مثل المؤمن في توادم وتراحيمهم كمثل الجسد الحديث متفق عليه (٥) حديث أبي موسى للمؤمن المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا متفق عليه (٦) حديث المسلم من سلم للمسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو .

فسمع هاتفا أردت أن تبطل حكمته بهذه في الدنيا أما علمت أن يرزق العباد بأيدي العباد أحب إليه من أن يرزقهم بأيدي القدرة فالواقف مع الفتوح استوى عنده أيدي الآدميين وأيدي الملائكة واستوى عنده القدرة والحكمة وطلب القفار والتوصل إلى قطع الأسباب من الارتهاق برؤية الأسباب وإذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الانسان . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو حفص عمر قال أنا أحمد ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال أنا محمد بن أحمد بن حمدان العكبري قال سمعت أحمد بن محمد بن اليسرى يقول سمعت محمدا الإسكافي يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول من استفتح باب العاش

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل «فإن لم تقدر فذبح الناس من الصنفين بها صدقة تصدقت بها على نفسك» (٢) وقال أيضا «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من آمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه» (٤) وقال رجل يارسل الله ما الإسلام قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» وقال مجاهد يسلط على أهل النار الحرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادى يا فلان هل يؤدبك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم «لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى للمسلمين» (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه «يارسل الله علفي شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين» (٦) وقال صلى الله عليه وسلم «من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة» (٧) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يحل لمسلم أن يهجم على أخيه بنظرة تؤذيه» وقال «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما» (٨) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله يكره أذى المؤمنين» (٩) وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله . ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» (١٠) ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل - وعن ابن أبي أوفى «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يعشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته» (١١)

(١) حديث فإن لم تقدر فذبح الناس من الشرقاتها صدقة تصدقت بها على نفسك متفق عليه من حديث أبي ذر (٢) حديث أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الطبراني والحاكم ومصححه من حديث فضالة بن عبيد الأخرى بمؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب رواه ابن ماجه مقتصر على المؤمن والمهاجر وللحاكم من حديث أنس وقال على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عتبة قال رجل يارسل الله ما الإسلام قال أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك (٤) حديث لقد رأيت رجلا في الجنة يتقلب في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى للمسلمين مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث أبي هريرة يارسل الله علفي شيئا أتضع به قال اعزل الأذى عن طريق المسلمين مسلم من حديث أبي هريرة قال قلت يا نبي الله فذكره (٦) حديث من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة ومن كتب الله له بها حسنة أوجب له بها الجنة أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف (٧) حديث لا يحل لمسلم أن ينظر إلى أخيه بنظر يؤذيه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسل بسند ضعيف وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي ميمى وهو الصواب (٨) حديث إن الله تعالى يكره أذى المؤمنين ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسل بإسناد جيد (٩) حديث إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن جهم ورجاله رجال الصحيح (١٠) حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يتكبر أن يعشي مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته الفسائي بسناد صحيح والحاكم وقال على شرط الشيخين .

بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى الخلقين . قال بعض للتطمين كنت ذا صنعة جليلة فأريد منى تركها ففك في صدرى من أين الهامش ففتفت بي هاتفت لا أراه تنقطع إلى وتنهى في رزقك على أن أخدمك وليا من أوليائي أو أسخر لك مناقما من أعدائي فلما صح حال الصوفى وانقطعت أطعماعه وسكنت عن كل تشوف وتطلع خدمته الدنيا وصلحت له الدنيا خادمة وما رضىها مخدومة فصاحب الفتح يرى حركة النفس بالتشوف جنابة وذنبا . روى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك اللوم من بحمله فوافى أيوب الحال فجعله ودفع إليه أحمد أجرته فلما دخل الدار بعد إذ نهله اتفق

ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . قال صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات »^(١) وقال الحليل بن أحمد من ثم لك ثم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك . ومنها أن لا يزيد في المهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه . قال أبو أيوب الأنصاري قال صلى الله عليه وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام »^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أقال مسلما عشرته أقاله الله يوم القيامة »^(٣) قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن إخوانك رفعت ذكرك في الدارين . قالت عائشة رضي الله عنها « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله »^(٤) وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلة إلا زاده الله بها عزاً . وقال صلى الله عليه وسلم « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع لله إلا رفاه الله »^(٥) ومنها أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل ، روى طي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله »^(٦) وعنه بإسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر »^(٧) قال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد يده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركة جلسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه »^(٨) ومنها أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف . قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون »^(٩) ومنها أن يخالف الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمر بالفقه والعلم بالبيان أدى وتأذى . ومنها أن

(١) حديث لا يدخل الجنة قتات متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث أبي أيوب لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الحديث متفق عليه (٣) حديث من أقال مسلماً عشرته أقاله الله يوم القيامة أبو داود والحاكم وقد تقدم (٤) حديث عائشة ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله متفق عليه بافظ إلا أن تنتهك (٥) حديث ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفاه الله مسلم من حديث أبي هريرة (٦) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده اصنع المعروف إلى أهله فإن لم تصب أهله فأنت أهله ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ورواه القضاة في مسند الشهاب من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسل بسند ضعيف (٧) حديث طي بن الحسين عن أبيه عن جده رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبين وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله واصطناع إلى آخره وقال الطبراني التحجب .

(٨) حديث أبي هريرة كان لا يأخذ أحد يده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها الحديث الطبراني في الأوسط بإسناد حسن ولأبي داود والترمذي وابن ماجه نحوه من حديث أنس بسند ضعيف (٩) حديث أبي هريرة الاستئذان ثلاث فالأولى يستصنون والثانية يستصلحون والثالثة يأذنون أو يردون الدارقطني في الأفراد بسند ضعيف وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع .

أن أهل الدار قد خبروا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبر على السرير ينشف فراه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما قال أحمد ضعما ثم صبر قليلا ثم قال خذها فالحقه بهما فلحقه فأخذها فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذنه قال نعم قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت قمه إليه فلما أعطيتاه مع الاستئراف رده ثم أيس فرددناه إليه بعد الإياس قبل . هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا بعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا بعلم فن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والسكب بشرط العلم فأما السائل

يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » (١) قال عليه السلام « من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم » (٢) ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال جابر « قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير » (٣) وفي الخبر « ما وقر شاب شيخا إلا قبض الله له في سنه من يوقره » (٤) وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر ، وقال عليه السلام « لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا وتفيض القثام فيضا وتفيض الكرام غيضا ويختبر الصغير على الكبير والثلثم على الكريم » (٥) « والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله عليه السلام » (٦) . « كان صلى الله عليه وسلم يقدم من السفر فيلتقيه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفقون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم » (٧) « فربما تفاخر الصبيان بذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك أنت ورائه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك ورائهم » وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول : لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه للابروا أنه تأذى يوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعده (٨) « ومنها أن يكون

(١) حديث جابر ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود والبخاري في الأدب من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن (٢) حديث من إجلال الله إكرام ذى الشية السلم أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (٣) حديث جابر قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فأين الكبير الحاكم وصححه (٤) حديث ما وقر شاب شيخا لسنه إلا قبض الله له في سنه من يوقره الترمذي من حديث أنس بلفظ ما أكرم ومن يكرمه وقال حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرجال وهو ضعيف (٥) حديث لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادها ضعيف (٦) حديث التلطف بالصبيان البزار من حديث أنس كان من أفكاه الناس مع صبي وقد تقدم في النكاح وفي الصحيحين يا أبا عمير ما فعل الصغير وغير ذلك (٧) حديث كان يقدم من السفر فيلتقيه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفقون إليه الحديث مسلم من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا قدم من سفر تلقى بنا قال فليق بي وبالحسن وقال فحمل أحدهما بين يديه والآخر خلفه وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبقني إليه فحملني بين يديه ثم جاء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك لفظ مسلم وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر فأنه أعلم (٨) حديث كان يؤتى بالصبي الصغير ليدعوله بالبركة ويسميه فيأخذه ويضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من رآه الحديث مسلم من حديث عائشة كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويغسلكهم فأتى صبي فقال عليه فدعا بعماء فأتبعه بوله ولم يفسله وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد فيدعولهم وفيه صوابا عليه السلام ولقد ارتضى بال ابن الزبير على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه أخذا عنيما الحديث وفيه الحاجب بن أرمطة ضعيف ولأحمد بن منيع من حديث حسن بن علي عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره بلاعب صبي إذ بال قامت لتأخذه وتضربه فقال دعبه اتوني بكوز

مستكرا فوق الحاجة لافي وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء . مع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل فقال قد عشته فنظر عمر فاذا تحت إبطه حلافة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم ثر حلاته بين يدي أهل الصدقة وضربه بالقدرة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال إن لله تعالى في خلقه مثنوبات قهرو عقوبات قهر فمن علامة الفقر إذا كان مثنوبة أن يحسن خلقه وبطبع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على قهره ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء خلقه ويصعب ربه ويكثر الشكاية ويتسخط للقضاء فعال الصوفية حسن الأدب

مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا . قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال على الذين الهين السهل القريب ^(١) » وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب السهل الطلق الوجه ^(٢) » وقال بعضهم : يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة . فقال « إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ^(٣) » وقال عبد الله بن عمر إن البرة شيء هين وجهه طلق وكلام لين وقال ^(٤) « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكرة طيبة ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لفرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها : قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ؟ قال « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام ^(٦) » وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ^(٧) » وقال أنس رضي الله عنه « عرضت لنبي الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت : لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك فجلست فجلس إليها حتى قضت حاجتها ^(٨) » وقال وهب بن منبه إن رجلا من بني إسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يفوق الشيطان الناس فلما طالع عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبى بيني وبين ربى لكان خيرا لي من هذا الأمر الذي طلبته فأرسل الله إليه ملكا فقال له إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إلى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فنظر فإذا جنود إبليس قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذئب قال أي رب من ينجو من هذا قال الورع اللين . ومنها أن لا يخدم مسلما بوعدا ولا يبنى به قال ^(٩) « العدة عطية ^(١٠) » وقال « المدة دين ^(١١) » وقال « ثلاث في النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان ^(١٢) » وقال « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى ^(١٣) » وذكر ذلك

من ماء الحديث وإسناده صحيح ^(١) حديث أتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله أعلم قال الهين الذين السهل القريب الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل الهين وذكرها الحرائطي من رواية محمد بن أبي معيقب عن أمه قال الترمذي حسن غريب ^(٢) حديث أبي هريرة إن الله يحب السهل الطلق البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية موريق الجعفي مرسل ^(٣) حديث إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والحرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هاني بن يزيد باسناد جيد ^(٤) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة الحديث متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتقدم في الزكاة ^(٥) حديث إن في الجنة فرقا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها الحديث الترمذي من حديث على وقال حديث غريب . قلت وهو ضعيف ^(٦) حديث معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية ولم يقل البيهقي وخفض الجناح وإسناده ضعيف ^(٧) حديث أنس عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك الحديث رواه مسلم ^(٨) حديث العدة عطية الطبراني في الأوسط من حديث قيات بن أشيم بسند ضعيف ^(٩) حديث المدة دين الطبراني في معجمه الأوسط والأصغر من حديث على وابن مسعود بسند فيه جهالة ورواه أبو داود في المراسيل ^(١٠) حديث ثلاث في النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتهم خان متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه ^(١١) حديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى البخاري من حديث أبي هريرة

في السؤال والقنوح والصدق مع الله على كل حال كيف تغلب [البسبب الحامد] والعشرون في شرح حال التجرد والتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم [الصوفي يتزوج ثم كما يتجرد ثم فلتجرده مقصد وأوان ولتأهله مقصد وأوان والصادق يعلم أوان التجرد والتأهل لأن الطبع الجлож للصوفي ملجم بلجام العلم مهما يصلح له التجرد لا يستجمله الطبع إلى التزوج ولا يقدم على التزوج إلا إذا انفصلت النفس واستحقت إدخال الرفق عليها وذلك إذا صارت متقادة مطوعة بحجة إلى ما يراد منها بمثابة الطفل الذي يتأهد بما يروق له ويمنع عما يضره فإذا صارت النفس محكومة مطوعة قد فاءت إلى أمر الله وتصلت عن مشاحة

ومن أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال صلى الله عليه وسلم
 « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام ^(١) » وقال عليه السلام « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته
 وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ^(٢) » وقال
 صلى الله عليه وسلم « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحب للناس ما عيب نفسك
 تكن مسلما ^(٣) » قال الحسن : أوحى الله تعالى إلى آدم صلى الله عليه وسلم بأربع خصال وقال فيهن :
 جماع الأمر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق
 فأما التي لى تعبدنى ولا تشرك بى شيئا وأما التي لك فملكك أجريك به أفقر ما تكون إليه وأما التي
 بيني وبينك فملكك الدعاء وعلى الاجابة وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك
 به وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال أى رب أى عبادك أعبد قال من أنصف من نفسه .
 ومنها أن يزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم روى أن عائشة
 رضى الله عنها كانت فى سفر فزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين
 قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه إلى الطعام فقيل لها تعطين للمسكين وتدعين هذا النقي
 فقالت إن الله تعالى أنزل الناس منازل لا يد لنا من أن نزلهم تلك النازل هذا المسكين رضى بقرص
 وقبيح بنا أن نعطي هذا النقي على هذه الهيئة قرصا وروى أنه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت
 فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقمع على
 الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فألقاه إليه وقال له اجلس على هذا فأخذه جرير ووضع
 على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لأجلس على
 ثوبك أكرمك الله كما أكرمتنى ففطر النبي صلى الله عليه وسلم يميننا وشمالا ثم قال « إذا أتاكم كريم
 قوم فأكرموه ^(٤) » وكذلك كل من له عليه حق فليكرمه ، روى « أن ظئرا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا بأبى ثم أجلسها على الرداء
 ثم قال لها اشغفى تشغفى وسلى تعطى فقالت قولى فقال أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل
 ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سمانه بخين ^(٥) » فبيع ذلك
 من عثمان بن عفان رضى الله عنه بمائة ألف درهم « ولربما آتاه من يأتيه وهو على وسادة
 وأصله متفق عليه ولفظ مسلم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم وهذا ليس فى البخارى ^(١) حديث
 لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه
 وبذل السلام الخرائطى فى مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر ووقف البخارى عليه
^(٢) حديث من سره أن يزحزح عن النار فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا
 رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
 نحوه والخرائطى فى مكارم الأخلاق بلفظه ^(٣) حديث يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن
 مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الأخلاق بسند ضعيف
 والمعروف أنه قاله لأبى هريرة وقد تقدم ^(٤) حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفى أوله قصة
 فى قدوم جرير بن عبد الله الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم فى الزكاة مختصرا
^(٥) حديث إن ظئرا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أرضه جاءت إليه فبسط لها رداءه الحديث
 أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا فى بسط رداءه لها دون ما بعده .

القلب فيصلح بينهما
 بالعدل وينظر فى أمرهما
 بالقسط ومن صبر من
 الصوفية على العزوبة
 هذا الصبر إلى حين
 بلوغ الكتاب أجله
 ينتخب له الزوجة انتخابا
 ويهيء الله له أعوانا
 وأسبابا وينعم برفيق
 يدخل عليه ورزق
 يساق إليه متى استعجل
 للريد واستغفره الطبع
 وخامره الجهل بثوران
 دخان الشهوة المطفئة
 لشعاع العلم وأنخط من
 أوج العزيمة الذى هو
 قضية حاله وموجب
 إرادته وشريطة صدق
 طلبه إلى حضيض
 الرخصة التى هى رحمة
 من الله تعالى لعامة خلقه
 يحكم عليه بالنقصان
 ويشهد له بالحسرة
 ومثل هذا الاستعجال
 هو حضيض الرجال
 قال سهل بن عبد الله
 القسرى إذا كان للمريد
 مال يتوقع به زيادة
 فدخل عليه الابتلاء
 فرجوعه فى الابتلاء

جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فيزعمها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فان أبي عزم عليه حق فعل (١) . ومنها أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هي الخاتمة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين (٣) » وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضي الله عنه قال « بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا قال الله تعالى رد علي أخيك مظلمته قال يارب لم يبق لي من حسناتي شيء قال الله تعالى للطالب كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء قال يارب فليحمل عني من أوزاري ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء فقال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال فيقول الله تعالى أي للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يارب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكحلة بالؤلؤ لأى نبي هذا أولأى صديق أولأى شهيد قال الله تعالى هذا لمن أعطى الثمن قال يارب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا يارب قال بعفوك عن أخيك قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة (٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا (٥) » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه قال صلى الله عليه وسلم « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها (٦) » . ومنها أن تستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم « من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة (٧) » وقال « لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة (٨) »

(١) حديث نزع صلى الله عليه وسلم وسادته ووضعها تحت الذي يجلس إليه أحمد من حديث ابن عمرو أنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالتقى إليه وسادة من أدم حشوها ليف الحديث وإسناده صحيح والطبراني من حديث ثمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فالتقاء إلى الحديث وسنده ضعيف قال صاحب اللباز هذا خبر ساقط (٢) حديث ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال إصلاح ذات البين وفساد ذات البين الخاتمة أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي العرداء (٣) حديث أفضل الصدقة إصلاح ذات البين الطبراني في الكبير والحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعفه الجمهور (٤) حديث أنس بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بأبي وأمي ما الذي أضحكك قال رجلان من أمي جثيا بين يدي الله عز وجل قال أحدهما يارب خذني مظلمتي من هذا الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق والحاكم وقال صحيح الإسناد وكذا أبو يعلى الوصلي خرجه بطول وضعفه البخاري وابن حبان (٥) حديث ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نعى خيرا متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط (٦) حديث كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب الحديث الحرائطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس ابن سمعان وفيه انقطاع وضعف ولمس نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة (٧) حديث من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة مسلم من حديث أبي هريرة وللشيخين من حديث ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٨) حديث لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة مسلم من حديث أبي هريرة أيضا .

إلى حال دون ذلك نقصان وحدث وصحت بعض الفقهاء وقد قيل لهم لا تزوج فقالوا لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال فكيف أتزوج فالصادقون لهم أو ان بلوغ عنده يتزوجون وقد تعارضت الأخبار وتماثلت الآثار في فضيلة التجريد والتزويج وتزوج كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك لتتوهم الأحوال فمنهم من فضيلته في التجريد ومنهم من فضيلته في التأهل وكل هذا التعارض في حق من نازتوقاته برد وسلام لسكال تقواه وقهره هوام وإلا ففي غير هذا الرجل الذي يخاف عليه الفتنة يجب النكاح في حال التوقان المفرط ويكون الخلاف بين الأئمة في غير النائق فالصوفي إذا صار متأهلا يتعين على الاخوان معاوته

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة» (١) وقال عليه السلام لما أخبره «لو سترته بثوبك كان خيرا لك» (٢) فإذا نزل على المسلم أن يستر عورة نفسه لحق إسلامه وأوجب عليه حق إسلام غيره قال أبو بكر رضي الله عنه لو وجدت ثوبا لأحببت أن يستره الله ولو وجدت سارقا لأحببت أن يستره الله وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسر بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلا وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس أرايتم لو أن إماما رأى رجلا وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا إنما أنت إن لم تقال على رضي الله عنه ليس ذلك لك إذا يقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سأله فقال القوم مثل مقاتلهم الأولى فقال على رضي الله عنه مثل مقاتله الأولى وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان مترددا في أن الهوى هل له أن يغضى بطنه في حدود الله فذلك راجعهم في معرض التقدير لافي معرض الإخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفا بإخباره ومال رأي على إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أغشها الزنا وقد نيط بأربعة من الدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالرود في المسككة وهذا قط لا ينق وإن علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات ثم انظر إلى كيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فترجو أن لا نحرّم هذا السكر يوم تبلى السرائر ففي الحديث «إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى» (٣) وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمّه فلما دنونا منه إذا باب مطلق على قوم لهم أصوات ولطف فأخذ عمر يدي وقال أتدري بيت من هذا؟ قلت لا فقال هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف يوم الآن شرب لنا ترمي؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه قال الله تعالى «ولا تحسبوا» فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم وهذا يدل على وجوب السر وترك التتبع وقد قال صلى الله عليه وسلم لما وى «إنك إن تتبع عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسد» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تتبعوا السبلين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته» (٥) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى

(١) حديث أبي سعيد الخدري لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة الطبراني في الأوسط والصغير والخرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف (٢) حديث لو سترته بثوبك كان خيرا لك أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال والحاكم من حديث هزال نفسه وقال صحيح الإسناد ونعيم مختلف في صحته (٣) حديث إن الله إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث على بن أذنب ذنبا في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فآله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ومن أذنب ذنبا في الدنيا فزوق عليه فآله أعدل من أن يثقي العقوبة على عبده لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ولمسلم من حديث أبي هريرة لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة (٤) حديث إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسد قاله لما وى أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية (٥) حديث يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تتبعوا السبلين ولا تتبعوا عوراتهم الحديث أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد والترمذي نحوه من حديث ابن عمرو وحسنه.

بالإشارة ومساعدته في الاستكثار إذا رأى ضعيف الحال قاصرا عن رتبة الرجال كما وصفنا من صبر من صبر حتى ظفر لما بلغ الكتاب أجله. أخبرنا أبو زرعة عن والده أبي الفضل القدسي الحافظ قال أنا أبو محمد عبد الله بن محمد الخطيب قال أنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله ابن أخي يحيى قال أنا أبو القاسم عبيد الله ابن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا ابن هرون قال أنا أبو المغيرة قال حدثنا صفوان بن عمرو قال حدثنا عبد الرحمن ابن جبير عن أبيه عن عوف بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه في نفسه في يومه فأعطى المتأهل حظين والعزب حظا واحدا فدعينا وكنت أدعى قبل عمار بن ياسر

ما أخذته ولا دعوت له أحدا حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر فقال هذا نشوان فقال عبد الله بن مسعود استنكوهوا فاستنكوهوه فوجده نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فسكر ثم قال للجلاد اجلدوا وارضع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط فلما فرغ قال للذي جاء به ما أنت منه قال همه قال عبد الله ما أدبت فأحسن الأدب ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للامام إذا انتهى إليه حد أن يقيه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا - ثم قال «إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال وما يعني لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيك فقالوا ألا عفوت عنه فقال إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيه إن الله عفو يحب العفو ثم قرأ - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (١) » وفي رواية فكأنما سني في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد لشدة تغيبه وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسى بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتنى فتصور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال يا عدو الله أظننت أن الله يترك وأنت على مصيئته فقال وأنت يا أمير المؤمنين فلا تسجل فإن كنت قد عصيت الله واحدة قد عصيت الله في ثلاثا قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسس وقال الله تعالى - وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها - وقد تسورت على وقد قال الله تعالى - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الآية وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لأعود إلى مثلها أبدا ففأعنه وخرج وتركه وقال لرجل لعبد الله بن عمر يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال سمعته يقول «إن الله ليدني منه للؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له يا عبيدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسنة وأما الكافرون وللناقصون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألألئكة الله على الظالمين (٢) » وقد قال صلى الله عليه وسلم «كل أمي معافي إلا المجاهرين (٣) » وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوءا ثم يخبر به وقال صلى الله عليه وسلم «من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة (٤) » ومنها أن يتقى مواضع اتهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الفية فانهم إذا عصوا الله بذكركم وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى - ولا تنسوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - وقال صلى الله عليه وسلم «كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه ؟ فقال نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه (٥) » وقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(١) حديث ابن مسعود إني لأذكر أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم آتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجه رسول الله ﷺ الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وللخرايطي في مكارم الأخلاق فكأنما سني في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم رماد الحديث (٢) حديث ابن عمر إن الله عز وجل ليدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول أتعرف ذنب كذا الحديث متفق عليه (٣) حديث كل أمي معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث من استمع من قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا وموقوفا عليه وعلى أبي هريرة أيضا (٥) حديث كيف ترون من يسب أبويه فقالوا وهل من أحد يسب أبويه الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو نحوه .

فأعطاني حظين وأعطاه
حظا واحدا فسخط
حتى عرف ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في وجهه ومن حضره
فبقيت معه سلسلة من
ذهب فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يرفها بطرف عصاه
وتسقط وهو يقول
كيف أنتم يوم يكثر
لكم من هذا فلم يجبه
أحد فقال عمار ودنا
يا رسول الله لو قد
أكثرنا من هذا
فالتجرد عن الأزواج
والأولاد أعون على
الوقت للفقير وأجمع
لهمه وألقت ليشه
ويصلح للفقير في ابتداء
أمره قطع العلائق
ومحو العوائق والتنقل
في الأسفار وركوب
الأخطار والتجرد عن
الأسباب والخروج عن
كل ما يكون حجابا
والتزوج انعطاف من
العزيمة إلى الرخص
ورجوع من التروح
إلى النفس وتقيد

بالأولاد والأزواج
ودوران حول مظان
الاعوجاج والتفات إلى
الدنيا بعد الزهادة
وانعطاف على الهوى
بمقتضى الطبيعة
والعادة. قال أبو سليمان
إلهاراني ثلاث من
طلبهن فقد ركن
إلى الدنيا من طلب
معاشاً أو تزوج امرأة
أو كتب الحديث .
وقال مارأيت أحداً
من أصحابنا تزوج
ثبت على مرتبته .
أخبرنا الشيخ طاهر
قال أنا والذي أبو الفضل
قال أنا محمد بن
إسماعيل التميمي قال
أنا أحمد بن الحسن
قال أنا حاجب الطوسي
قال حدثنا عبد الرحيم
قال حدثنا الفزاري
عن سليمان التيمي
عن أبي عثمان الهدي
عن أسامة بن زيد
رضي الله عنهما قال
: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما تركت
بدي فتنة أضرب على

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساياه فمر به رجل فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أكن أظن فيك فقال إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (١) » وزاد في رواية « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً وكانا رجلين فقال علي رسلكما إنها صفية (٢) » الحديث وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن ومرو برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق ففلا بدرة فقال يا أمير المؤمنين : إنها امرأتى فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس ؟ . ومنها أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلى الله عليه وسلم « إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأتم عندي فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدي نبيي ما أحب (٣) » وقال معاوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشفعوا إلى تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إلى فتؤجروا [١] » وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك ؟ قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها النفقة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر (٤) » وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال صلى الله عليه وسلم للعباس ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوراجعتيه فأنه أبو لهذ قال قالت يا رسول الله أتأمرني فأفعل فقال لا إنما أنا شافع (٥) » ومنها أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام (٦) » وقال بعضهم « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أسأله ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع قل السلام عليكم وادخل (٧) » وروى جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته (٨) » وقال أنس رضي الله عنه « خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على

(١) حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم إحدى نساياه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هدمزوجتي فلانة الحديث وفيه إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم (٢) حديث إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً وقال علي رسلكما إنها صفية متفق عليه من حديث صفية (٣) حديث إني أوتي وأسأل وتطلب إلى الحاجة وأتم عندي فاشفعوا لتؤجروا الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى نحوه (٤) حديث ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف (٥) حديث عكرمة عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كآنى أنظر إليه خلفها يبكي الحديث رواه البخاري . (٦) حديث من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه الحديث الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين (٧) حديث دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال ﷺ ارجع قل السلام عليكم أ أدخل أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلد بن الحنبل وهو صاحب القصة (٨) حديث جابر إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف .

[١] هذا الحديث ساقط عند العراقي وهو من رواية أبي داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية كافي الشارح اهـ .

من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك (١) » وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى المؤمنان فتصالحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشرا » وقال تعالى - وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها - وقال عليه السلام « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ؟ قال أفشوا السلام بينكم (٢) » وقال أيضا « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه (٤) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم (٥) » وقال قتادة كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة وكان أبو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم عليهم ويقول ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلثمهم الملائكة والصالحات أيضا سنة مع السلام « وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فقال عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة فجاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون (٦) » وكانت أنس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فعل ذلك . وروى عبد الحميد بن بهرام « أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالسلام وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية (٨) » فقال عليه السلام « لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحديهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه (٩) » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين حجج فقال لي يا أنس أسبغ الوضوء بزد في عمرك وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت بيتك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك الحرائط في مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقي في الشعب وإسناده ضيف للترمذي وصححه إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك (٢) حديث والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولله في السند (٤) حديث الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم فلا يسلم عليه لم أقف له على أصل (٥) حديث يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم أحد أجزأ عنهم ومالك في الوطأ عن زيد بن أسلم مرسل ولأبي داود من حديث علي بن عيسى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويمحى عن الجلوس أن يرد أحدهم وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يسلم الراكب على الماشي الحديث وسيأتي في بقية الباب (٦) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليك فقال صلى الله عليه وسلم عشر حسنات الحديث أبو داود والترمذي من حديث عمران بن حصين قال الترمذي حسن غريب وقال البيهقي في الشعب إسناده حسن (٧) حديث أنس كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم ورفعته متفق عليه (٨) حديث عبد الحميد بن بهرام أنه صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فأومأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وقال حسن وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر ورواه أبو داود وقال أحمد لا بأس به (٩) حديث لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام الحديث مسلم من حديث أبي هريرة .

الرجال من النساء » وروى رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال « ابتلينا بالضراء فصرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر وإن أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء إذا تسورن بالذهب ولبسن ريط الشام وعصب اليمن وأتبعن الثياب وكفنن الفقير ما لا يجد » وقال بعض الحكماء معالجة الزوجة خير من معالجة النساء . وسئل سهل بن عبد الله عن النساء فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار . وقيل في تفسير قوله تعالى - خلق الإنسان - ضعيفا - لأنه لا يصبر عن النساء وقيل في قوله تعالى - ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به - الغلظة فان قدر الفقير على مقاومة النفس ورزق العلم الوافر بحسن المعاملة في معالجة

« لاتصالحوا أهل الذمة ولا تبدهم بالسلام فإذا قيتهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق »
 قالت عائشة رضي الله عنها « إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت عائشة رضي الله عنها فقامت بل عليكم السام والمنة فقال عليه السلام يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت عليكم (١) » وقال عليه السلام « يسلم الراكب على السائق والمائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (٢) » وقال عليه السلام « لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالألف كف (٣) » قال أبو عيسى إسناده ضعيف وقال عليه السلام « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة (٤) » وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لأحسنهما بشراً (٥) » وقال عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللصافح عشرة (٦) » وقال الحسن للشافعة يزيد في الود وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمام تحياتكم بينكم الصافحة (٧) » وقال عليه السلام « قبله المسلم أخاه الصافحة (٨) » ولا بأس بقبلة يد العظمى الدين تبركاً به وتوقيراً له وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم (٩) وعن كعب بن مالك قال لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده (١٠) وروى أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدن قال فأذن له فعقل (١١) ولقي أبو عبيدة

(١) حديث عائشة إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك الحديث متفق عليه (٢) حديث يسلم الراكب على السائق والمائى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير (٣) حديث لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالاشارة بالألف كف الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال إسناده ضعيف (٤) حديث إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فان بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة أبو داود والترمذى وحسنه من حديث أبي هريرة (٥) حديث أنس إذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة الحديث الخرائطى بسند ضعيف ولطبرانى فى الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعون لأحسنهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسألة لأخيه وفيه الحسن بن كثير بن يحيى بن أبي كثير مجهول (٦) حديث عمر بن الخطاب إذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة الحديث البزار فى مسنده والخرائطى فى مكارم الأخلاق واللفظ له والبيهقى فى الشعب وفى إسناده نظر (٧) حديث أبي هريرة تمام تحياتكم بينكم الصافحة الخرائطى فى مكارم الأخلاق وهو عند الترمذى من حديث أبي أمامة وضعفه (٨) حديث قبله المسلم أخاه الصافحة الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال غير محفوظ (٩) حديث ابن عمر قبلنا يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود بسند حسن (١٠) حديث كعب بن مالك لما نزلت توبى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قبلت يده أبو بكر بن القري فى كتاب الرخصة فى قبيل اليد بسند ضعيف (١١) حديث أن أعرابياً قال يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك فأذن له فعقل الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال رجلك موضع يدك وقال صحيح الإسناد.

النفس وصبر عنهن
 فقد حاز الفضل
 واستعمل العقل
 واهتدى إلى الأمر
 السهل قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم
 « خيركم بعد المائتين
 رجل خفيف الحاذقيل
 يا رسول الله وما خفيف
 الحاذق قال الذى لا أهل
 له ولا ولد » وقال بعض
 الفقهاء لما قيل له تزوج
 أنا إلى أن أطلق نفسى
 أخرجنى إلى الزوج
 وقيل لبشر بن الحرث
 إن الناس يتكلمون
 فيك فقال ما يقولون
 قيل يقولون إنه تارك
 للسنة يعنى التكاح فقال
 قولوا لهم أنا مشغول
 بالفرض عن السنة .
 وكان يقول لو كنت
 أعول دجاجة خفت
 أن أكون جلادا على
 الجسر والصوفى مبتلى
 بالنفس ومطالبها وهو
 فى شغل شاغل عن
 نفسه فاذا انضاف إلى
 مطالبات نفسه
 مطالبات زوجته

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصاحه وقبل يده وتحميا يكيان وعن البراء بن عازب رضي الله عنه «أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده إليه فصاحه فقال يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للتسليمين إذا التقيا فصاحا تحاتت ذنوبهما (١) » وعن النبي ﷺ قال «إذا مرَّ الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب ، أو قال وأفضل (٢) » والآنحناء عند السلام منهي عنه قال أنس رضي الله عنه «قلنا يا رسول الله أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال لا قال فيقبل بعضنا بعضاً ؟ قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً ؟ قال نعم (٣) » والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر (٤) وقال أبو ذر رضي الله عنه ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني وطلبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالترننى فكانت أجود وأجود (٥) والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر فلن ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت (٦) وأخذ عمر بن زر زيد حتى رفعه وقال هكذا فاضلوا زيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام قال أنس ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطمون من كراهيته لذلك (٧) وروى أنه عليه السلام قال مرة «إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم (٨) » وقال عليه السلام «من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار (٩) » وقال عليه السلام «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا (١٠) » وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النبي وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة أكرمه بها أخوه

(١) حديث البراء بن عازب أنه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ومد يده إليه فصاحه الحديث رواه الخرائطي بسند ضعيف وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا قال الترمذي حسن غريب . من حديث أبي اسحاق عن البراء (٢) حديث إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام وإن لم يردوا عليه رد عليه ملاً خير منهم وأطيب الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح (٣) حديث أنس قلنا يا رسول الله أينحنى بعضنا لبعض قال لا الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي (٤) حديث الالتزام والتقبيل عند القدوم من السفر الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب (٥) حديث أبي ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم إلا صافحني الحديث أبو داود وفيه رجل من عزة لم يسم وسماه البيهقي في الشعب عبد الله (٦) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت تقدم في العلم (٧) حديث أنس ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يطمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح (٨) حديث إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم أبو داود وابن ماجه من حديث أبي أمامة وقال كما يقوم الأعاجم وفيه أبو العديس مجهول (٩) حديث من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال حسن (١٠) حديث لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا متفق عليه من حديث ابن عمر .

يضحف طلبه وتكل
إرادته وتفر عزيمته
والنفس إذا أطمعت
طمعت وإذا أقنعت
قنعت فيستعين الشاب
الطالب على حسم مواد
خاطر التسكح بادامة
الصوم فان للصوم أثراً
ظاهراً في قمع النفس
وقهرها وقد ورد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بجماعة
من الشبان وهم يرفضون
الحجارة فقال «يا معشر
التياب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج
ومن لم يستطع فليصم
فان الصوم له وجاء »
أصل الوجاء رض
الحصيتين كانت العرب
تجأ القمل من الغنم
لتذهب غولته
ويسمن ومنه الحديث
ضحي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكبشين
أملحين موجوءين وقد
قيل هي النفس إن لم
تشغلها غفلتك فاذا
أدام الشاب للربرد
العمل وأذاب نفسه في

فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه ^(١)» وروى أنه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب ^(٢) فيكره السلام على من يقضى حاجته ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «إن عليك السلام تحية الموتى قالها ثلاثاً» ثم قال : إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ^(٣) ويستحب للدخول إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها وأما الثاني فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه ^(٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن مسلمين يلتصقان فيتصالحان لا يغفر لهما قبل أن يتفرقا ^(٥)» . وسملت أم هانيء على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له أم هانيء فقال عليه السلام مرحباً بأم هانيء ^(٦) . ومنها أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الاسلام . روى أبو الدرداء «أن رجلاً قال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار ^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «ممن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ^(٨)» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ^(٩)»

(١) حديث إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع يعني له فيجلس فإنه كرامة من الله عز وجل الحديث البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شعبة ورجاله ثقات وابن شعبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة وقد رواه الطبراني في الكبير من رواية مصعب بن شيبة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أخضر منه وشيبة بن جبير والد منصور ليست له محبة (٢) حديث أبي رجل سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول فلم يجب مسلم من حديث ابن عمر بالفظ فلم يرد عليه (٣) حديث قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال إن عليك السلام تحية ألئت الحديث أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جري الهجيمي وهو صاحب القصة قال الترمذي حسن صحيح (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس فيها الحديث متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي (٥) حديث مامن مسلمين يلتصقان فيتصالحان لا يغفر لهما قبل أن يتفرقا أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب (٦) حديث سملت أم هانيء عليه فقال مرحباً بأم هانيء مسلم من حديث أم هانيء (٧) حديث أبي الدرداء من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار الترمذي وحسنه (٨) حديث مامن امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه والحرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الطبراني بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب (٩) حديث أنس من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة الحديث ابن أبي الدنيا .

المباداة تقبل عليه خواطر النفس وأيضاً شغله بالمباداة يميز له حلاوة المعاملة ومحبة الاكثار منه ويفتح عليه باب السهولة والميسر في العمل فيفار على حاله ووقته أن يتكدر بهم الزوجة . ومن حسن أدب المرید في عزوبته أن لا يمكن خواطر النساء من باطنه وكلما خطر له خاطر النساء والشهوة يفر إلى الله تعالى بحسن الانابة فيتداركه الله تعالى حينئذ بقوة المزمعة وبؤيده بمراغمة النفس بل ينعكس على نفسه نور قلبه ثواباً لحسن إنابته فتسكن النفس عن المطالبة ثم يمرض على نفسه ما يدخل عليه بالنكاح من الدخول في المداخل للدمومة للسودية إلى القلب والهوان وأخذ الشيء من غير وجهه وما يتوقع من القواطع

وقال عليه السلام « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » (١) وقال جابر وأبو طلحة سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن امرئ مسلم ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته » (٢) . ومنها تسميت العاطس قال عليه الصلاة والسلام في العاطس يقول « الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويرد عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم » (٣) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فإذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم » (٤) . وشميت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشميت آخر فأسأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت » (٥) وقال ﷺ « يشميت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكاهم » (٦) . وروى أنه شمت عاتسا ثلاثا فعطس أخرى فقال إنك مزكوه » (٧) وقال أبو هريرة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عطس غص صوته واستتر بثوبه أويده » (٨) . وروى خمر وجهه وقال أبو موسى الأشعري « كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول : يهديكم الله » (٩) . وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه « أن رجلا عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب الكلمات فقال أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيرا فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يتتدرونها أيهم يكتبها » (١٠) »

في الصمت مقتصر على ما ذكر منه وإسناده ضعيف (١) حديث من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار أبو داود من حديث معاذ بن أنس نحوه بسند ضعيف (٢) حديث جابر وأبي طلحة مامن امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمة الحديث أبو داود مع تقديم وتأخير واختلف في إسناده (٣) حديث يقول العاطس الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشتمه يرحمك الله ويقول هو يهديكم الله ويصلح بالكم البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال (٤) حديث ابن مسعود إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين الحديث النسائي في اليوم والليلة وقال حديث منكر ورواه أيضا أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله واختلف في إسناده (٥) حديث شمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عاتسا ولم يشميت آخر فأسأله عن ذلك فقال إنه حمد الله وأنت سكت متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث شمتوا المسلم إذا عطس ثلاثا فإن زاد فهو زكاهم أبو داود من حديث أبي هريرة شمت أخاك ثلاثا الحديث وإسناده جيد (٧) حديث أنه شمت عاتسا فعطس أخرى فقال إنك مزكوه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع (٨) حديث أبي هريرة كان إذا عطس غص صوته وستر بثوبه أويده أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة خمر وجهه وفاه (٩) حديث أبي موسى كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح (١٠) حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة أن رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد

بسبب التفات الحاضر إلى ضبط المرأة وحراستها والكلف التي لا تنحصر . وقد سئل عبد الله بن عمر عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال ، وقد قيل كثرة العيال أحد الفقرين وقلة العيال أحد اليسارين . وكان إبراهيم بن آدم يقول : من تعود أفضاء النساء لا يفلح ولا شك أن للمرأة تدعو إلى الرفاهية والدعة وتمنع عن كثرة الاشتغال بالله وقيام الليل وصيام النهار ويتسلط على الباطن خوف الفقر وحببة الادخار وكل هذا بعيد عن التجرد وقد ورد « إذا كان بعد المائتين أيجت العزوبة لأمتي » فإن توالى على الفقر خواطر النكاح وزاحمت باطنه سيما في الصلاة والأذكار والتسلاوة فليستمن بآفة أولا ثم

وقال صلى الله عليه وسلم « من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته ^(١) » وقال عليه السلام « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا ثأب أحدكم فليضع يده على فيه فإذا قالهاها فان الشيطان يضحك من جوفه ^(٢) » وقال إبراهيم النخعي إذا عطس في قضاء الحاجة فلا بأس - بأن يذكر الله وقال الحسن بن محمد الله في نفسه ، وقال كعب قال موسى عليه السلام يارب أقرب أنت فأناجيك أم بعيد فأناذك قال أناجليس من ذكرني فقال فأناسكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجناية والناط قال إذا ذكرني على كل حال . ومنها أنه إذا بلى بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه قال بعضهم خالص للمؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر . وقال أبو الدرداء إن التبتش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلثمهم وهذا معنى الداراة وهي مع من يخاف شربه قال الله تعالى - ادفع بالتي هي أحسن السيئة - قال ابن عباس في معنى قوله - ويدرون بالحسنة السيئة - أي الفحش والأذى بالسلام والداراة وقال في قوله تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض - قال بالرغبة والرهبة والحياة والداراة وقالت عائشة رضي الله عنها « استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم ألت له القول فقال يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء خشفه ^(٣) » وفي الخبر « ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة ^(٤) » وفي الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزايولهم بالقلوب . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ليس بحكيم من لم يهاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . ومنها أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويعمن إلى الأيتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ^(٥) » وقال كعب الأخبار كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس إليه وقال مسكين جالس مسكينا . وقيل ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين وقال كعب الأخبار ما في القرآن من يا أيها الذين آمنوا فهو في التوراة يا أيها المساكين وقال عبادة ابن الصامت إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني أن نبيا من الأنبياء قال : يارب كيف لي أن أعلم رضاك عني فقال انظر كيف رضا للمساكين عنك ، وقال عليه الصلاة والسلام « إياكم ومجالسة اللوتي ، قيل ومن اللوتي يا رسول الله ؟ قال الأغنياء ^(٦) » وقال موسى إلهي أين أبنيك قال عند التكسرة قلوبهم ، وقال صلى الله عليه وسلم

بالمشايع والإخوان
ويشرح الحال لهم
ويسألهم مسألة الله له
في حسن الاختيار
ويطوف على الأحياء
والأموات وللساجد
والشاهد ويستعظم
الأمر ولا يدخل فيه
بقلة الاكثريات فانه
باب فتنة كبيرة وخطر
عظيم وقد قال الله تعالى
- إن من أزواجكم
وأولادكم عدوا لكم
فاحذروهم - ويكثر
الضراعة إلى الله تعالى
ويكثر البكاء بين يديه
في الخلوات ويكرر
الاستخارة وإن رزق
القوة والصبر حتى
يستبين له من فضل الله
الخبرة في ذلك فهو
الكامل والتمام قد
يكتشف الله تعالى
للمصدق ذلك من أو
إطلاقا في منامه أو
يقظته أو على لسان
من يتق إلى دينه وحاله
أنه إذا أشار لا يشير
إلا على بصيرة وإذا حكم
لا يحكم إلا بحق فند

(١) حديث من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته الطبراني في الأوسط وفي الدعاء من حديث علي بن بسند ضعيف (٢) حديث العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله العطاس من الله فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وقال البخاري إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب الحديث (٣) حديث عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة الحديث متفق عليه (٤) حديث ما وقى للرء به عرضه فهو له صدقة أبو يعلى وابن عدى من حديث جابر وضمه (٥) حديث اللهم أحيني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والترمذي من حديث عائشة وقال غريب (٦) حديث إياكم ومجالسة اللوتي قيل وما اللوتي قال الأغنياء الترمذي وضمه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة إياكم ومجالسة الأغنياء .

«لاتبطن فاجرا. نعمة فانك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا^(١)» وأما اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم «من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة^(٢)» وقال عليه السلام «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وهو يشر بأصبعه^(٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة^(٤)» وقال عليه السلام «خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه^(٥)». ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه قال صلى الله عليه وسلم «للمؤمن عجب للمؤمن كما يحب لنفسه^(٦)» وقال عليه السلام «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئا فليحطه عنه^(٧)» وقال صلى الله عليه وسلم «من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره^(٨)» وقال صلى الله عليه وسلم «من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة^(٩)» وقال صلى الله عليه وسلم «من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين^(١٠)» وقال عليه السلام «من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة^(١١)» وقال صلى الله عليه وسلم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما . فقيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم^(١٢)» وقال عليه السلام

(١) حديث لاتبطن فاجرا نعمة الحديث البخارى فى التاريخ والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث من ضم يتيما من أبوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنة ألبنة أحمد والطبرانى من حديث مالك بن عمر وفيه على بن زيد بن جعدان متكلم فيه (٣) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة البخارى من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبى هريرة (٤) حديث من وضع يده على رأس يتيم ترحما كانت له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة أحمد والطبرانى بإسناد ضعيف من حديث أبى أمامة دون قوله ترحما ولا بن جبان فى الضعفاء من حديث ابن أبى أوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (٥) حديث خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه ضعف (٦) حديث المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه تقدم بلفظ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولم أره بهذا اللفظ (٧) حديث إن أحدكم مرآة أخيه الحديث رواه أبو داود والترمذى وقد تقدم (٨) حديث من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره البخارى فى التاريخ والطبرانى والحرائلى كلاهما فى مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف مرسل (٩) حديث من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاه أو لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين الحاكم وصححه من حديث ابن عباس لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته وأشار بأصبعه أفضل من أن يتكف فى مسجدى هذا شهرين والطبرانى فى الأوسط من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكافه عشر سنين وكلاهما ضعيف (١٠) حديث من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة الحرائلى فى مكارم الأخلاق وابن جبان فى الضعفاء وابن عسدى من حديث أنس بلفظ من أغاث مظلوما (١١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم .

حديث من أقر عين مؤمن لم نجد له تحريجا فى نسختنا وجدنا الشارح نقل عن الراوى أنه رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسل .

ذلك يكون تزوجه مدبرا معاناه . وسمعنا أن الشيخ عبدالقادر الجليل قال له بعض الصالحين لم تزوجت ؟ فقال ما تزوجت حتى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج فقال له ذلك الرجل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخى وطريق القوم التزم بالزعة فلا أعلم ما قال الشيخ فى جوابه ولكنى أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالرخة وأمره على لسان الشرع فأما من التجأ إلى الله تعالى وافتقر إليه واستخاره فيكشفه الله بكتبه إياه فى منامه وأمره هذا لا يصحكون أمر رخصة بل هو أمر يتبعه أرباب الزمة لأنه من علم الحال لا من علم الحكم ويدل على صحة ما وقع لى ما نقل عنه أنه قال كنت أريد

«إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه عما أويقه عن دينه أو يطعمه من جوع» (١) «وقال صلى الله عليه وسلم «من حمى مؤمناً من منافق يفتنه بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحمى لحيته من نار جهنم» [١] «وقال صلى الله عليه وسلم «خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله» (٢) «وقال صلى الله عليه وسلم «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» (٣) «وقال معروف السرخسي من قال كل يوم : اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال وفي رواية أخرى اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الأبدال . وبكى على بن الفضل يوماً قبيل له ما ييكك ؟ قال أبكى على من ظلمني إذا وقف غدا بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة . ومنها أن يعود مرضاهم فالمعرفة والسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول أنا إذا قيل له من ؟ ولا يقول يا غلام ولكن يحمي ويُسبح وقال صلى الله عليه وسلم «تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ونعمام تحياتكم المصافحة» وقال ﷺ «من عاد مريضاً قعد في مغارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل» (٤) «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه» (٥) «وقال صلى الله عليه وسلم «إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة» (٦) «وقال عليه السلام «إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال انظرا ماذا يقول لعواده فإن هو إذا جاءوه حمد الله وأثنى عليه رضا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن توفيته أن أدخلك الجنة وإن أنا شفيتك أن أبدل له لما خيرا من الحمد وما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته» (٧) «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الزوجة مدة من الزمان ولا أجتري على التزوج خوفاً من تكدير الوقت فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله لي أربع زوجات ما فيهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة فهذه ثمرة الصبر الجليل الكامل فإذا صبر الفقير وطلب الفرج من الله يأتيه الفرج والمخرج - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - فإذا تزوج الفقير بعد الاستقصاء والإكثار من الضراعة والدعاء وورد من الله تعالى بإذن فيه فهو الغاية والنهاية وإن عجز عن الصبر إلى ورود الأذن واستنفد جهده في الدعاء والضراعة فقد يكون ذلك حظه من الله تعالى ويغان عليه لحسن نيته وصدق مقصده وحسن رجائه واعتاده على ربه وقد

(١) حديث إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على المؤمن الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضرر لعباد الله الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يسنده ولده في مسنده (٣) حديث من لم يهتم للمسلمين فليس منهم الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف (٤) حديث من عاد مريضاً قعد في مغارف الجنة الحديث أصحاب السنن والحاكم من حديث على من أتى أخاه السلم عائداً مشى في خرافة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء الحديث لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ومسلم من حديث ثوبان من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة (٥) حديث إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال انغمس فيها قال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطأ بلاغاً بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها للطبراني في الصغير من حديث أنس فإذا قعد عنده غمرته الرحمة وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها (٦) حديث إذا عاد السلم أخاه أوزاره قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً في الجنة الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد قال الترمذي غريب قلت فيه عيسى بن سنان القسطلي ضعفه الجمهور (٧) حديث إذا مرض العبد بعث الله تعالى

[١] حديث من حمى مؤمناً قال الشارح لم يذكره العراقي ورواه ابن المبارك وأحمد وأبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والطبراني عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه .

نقل عن عبد الله بن عباس أنه قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ونقل عن شيخ من مشايخ خراسان أنه كان يكثر الزواج حتى لم يكن يغلو عن زوجتين أو ثلاث فتوب في ذلك قال هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف وقفة في معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا قد يصينا ذلك فقال لو رزيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد ما تزوجت قط ولكني ما خطر على قلبي خاطر شهوة قط شغلني عن حالي إلا نقذته لأستريح منه وأرجع إلى شغلي ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبي خاطر معصية فالصادقون ما دخلوا في التكاح إلا على بصيرة وقصدوا حسم مواد النفس وقد يكون للأقوياء والطماء

عليه وسلم « من رد الله به خيرا يصب منه »^(١) وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد قالها مرارا »^(٢) ودخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال له « قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك فانك ستعطى إحداهن »^(٣) ويستحب للعليل أيضا أن يقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا شك أحدكم بطنه فليسال امرأته شيئا من صدقها ويشتري به عسلا وشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والبرى والشفاء والبارك . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار قلت بلى يا رسول الله قال يقول لا إله إلا الله محيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبيرا إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن أنت أمرضني لتقبض روحي في مرضي هذا فأجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسن وباعدني من النار كما باعدت أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسن »^(٤) وروى أنه قال عليه السلام « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة »^(٥) وقال طاوس أفضل العيادة أخفها وقال ابن عباس رضي الله عنهما عيادة للمريض مرة سنة لما ازدادت فنافقه ، وقال بعضهم عيادة للمريض بعد ثلاث ، وقال عليه السلام « أغبوا في العيادة وأربعوا فيها »^(٦) وحجة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفرع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء . ومنها أن يشيع جنازهم قال صلى الله عليه وسلم « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »^(٧) وفي الخبر « القيراط مثل أحد »^(٨) ولما روى أبو هريرة هذا الحديث ومعه ابن عمر ملكين فقال انظرا ما يقوله لعمري أنه الحديث مالك في الوطأ مرسل من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير التقي ضعيف الحديث وللبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله تعالى إذا ابتليت عبدك المؤمن فلم يشكني إلى عواده أطلقته من إيساري ثم أبدله لما خيرا من لحمه وما خيرا من دمه ثم استأنف العمل وإسناده جيد (١) حديث من رد الله به خيرا يصب منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أعينك بالله الأحد الصمد الحديث ابن السني في اليوم والليلة والطبراني والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان بإسناد حسن . (٣) حديث دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو مريض فقال قل اللهم إني أسألك تسجيل عافيتك الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بن مالك ضعيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم عليا وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال إن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات (٤) حديث أبي هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات (٥) حديث عيادة المريض فواق ناقة ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة (٦) حديث أغبوا في العيادة وأربعوا ابن أبي الدنيا وفيه أبو يعلى من حديث جابر وزاد إلا أن يكون مغلوبا وإسناده ضعيف (٧) حديث من تبع جنازة فله قيراط من الأجر فان وقف حتى تدفن فله قيراطان الشيخان من حديث أبي هريرة (٨) حديث القيراط مثل جبل أحد مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه .

قال لقد فرطنا إلى الآن في قرارات كثيرة والقصد من التشييع قضاء حق السلمين والاعتبار وكان مكحول الدم حتى إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنار أعون موعظة بليغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهوميكي ويقول واقف لا تتر عني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لأعلم ما صنعت حيا . وقال الأعمش كنا شهد الجنازة فلاندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه نجا من أهوال ثلاث وجه ملك الموت قدرأى ومهارة الموت قد ذاق وخوف الحامة قد آمن ، وقال صلى الله عليه وسلم « يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ^(١) » ومنها أن يزور قبورهم والقصد من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال ^(٢) « ما رأيت منظرا إلا والقبر أفزع منه ^(٣) » وقال عمر رضي الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكى فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر أمينة بنت وهب استأذنت ربى في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى على فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة ^(٤) » وكان عمر رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحية ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن القبور أول منازل الآخرة فان نجاسته صاحبه لما بعده أيسر وإن لم ينح منه فما بعده أشد ^(٥) » وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم فخرته تقول أنا بيت السود وبيت الوحده وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك لما أعددت لي ؟ وقال أبو ذر ألا أخبركم يوم قبرى يوم أوضع في قبرى ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فيقبله في ذلك فقال ما جلس إلى قوم يذكرونى معادى وإن قتلتهم لم يتأبونى وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم قد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم « ما من ليلة إلا وينادى مناد يا أهل القبور من تبطون قالوا نبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلى ويذكرون الله ولا نذكره ^(٦) » وقال سفيان من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الريح بن خنيم قد حفر في داره قبرا فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال - رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت - ثم يقول يا رب ارجع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع وقال يميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في قداهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم اللثام وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أنهم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن عذاب الله . وآداب العزى خفض الجناح وإظهار الحزن وقلة الحديث وترك التبسم . وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة البيت والتفكير في اللوت والاستعداد له

الراسخين في العلم
أحوال في دخولهم في
النكاح تختص بهم
وذلك أنهم بعد طول
المجاهدات والراقيات
والرياضات تطمئن
توسم وتقبل قلوبهم
وللقلوب إقبال وإدبار
يقول بعضهم : إن
للقلوب إقبالا وإقبالا
فاذا أدبرت روح
بالأرقاق وإذا أقبلت
ردت إلى البثاق فتبقى
قلوبهم دائما الإقبال
إلا اليسير ولا يدوم
إقبالها إلا لطمانينة
النفوس وكفها عن
للتنازع وترك التثبت
في القلوب فاذا اطمأنت
النفوس واستقرت
عن طيشها وغورها
وشراسياتها توفرت عليها
حقوقها وربما يصير
من حقوقها حظوظها
لأن في أداء الحق
إقناعا وفي أخذ الحظ
انساعا وهذا من دقيق
علم الصوفية فانهم
يقسمون بالنكاح
للإباحة إيصالا إلى النفس
حظوظها لأنها ما زالت

(١) حديث يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد مسلم من حديث أنس (٢) حديث ما رأيت منظرا إلا والقبر أفزع منه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن غريب (٣) حديث عمر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر فجلس إلى قبر الحديث في زيارته قبر أمه مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وأحمد من حديث بريدة وفيه قيام عمر ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث (٤) حديث عثمان بن عفان إن القبر أول منازل الآخرة الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه إسناده (٥) حديث ما من ليلة إلا وينادى مناد يا أهل القبور من تبطون فقلولون نبط أهل المساجد الحديث لم أجده أصلا .

وأن يمشى أمام الجنائز بقرنها والأسراع بالجنائز سنة (١) بهذه جل آداب تنبه على آداب العاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستعصر منهم أحدا حيا كان أو ميتا قهلك لأنك لا تدري له خير منك فانه وإن كان فاسقا فله عظم لك بمنزل حاله ويحتم له بالصلاح ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فستسقط من عين الله ولا تبدل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في العادة ويذهب دينك ودينك فيهم ويذهب دينهم فيك إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتعاضد أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بين الرحمة لهم لتعرضهم لعقوبة الله وعقوبته بصيائهم فحسبهم جهنم يصلونها فمالك تعقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحدا وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في القرب والسركا في الملاينة فذلك طمع كاذب وآتى تظفر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعمل القتل ولا تال القرض ولا تل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر باظهار الاستغناء وإذا سألت أبا منهم حاجة قضاهم فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعابه فيصير عدوا تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه عايل القبول فلا يسمع منك ويغاديك وليكن وعظك عرضا واسترسالا من غير تعيين على الشخص ومهما رأيت منهم كرامة وغيرا فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعد بالله أن يكلك إليهم وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شرا أو أصابك منهم ما يسوءك فكل أمرهم إلى الله واستعد بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمسكافة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي ، واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موصعا في قلوبهم فله الحب والبغض إلى القلوب وكن فيهم جميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا عن باطلهم واحذر محبة أكثر الناس فانهم لا يقبلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقيير والطعير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والقياس ولا يغفون بفرون الاخوان على الاخوان بالقيمة والبهتان فصحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان إن رضوا فظاهرهم للثق وإن سخطوا فباطنهم الحق لا يؤمنون في حقهم ولا يرجون في ملتهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتماززون ورايك باليون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب التون يحسون عليك الشر في محبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تمول على مودة من لم تجرب حقا الخبرة بأن تصعبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وقدره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه فان رضيت في هذه الأحوال فاتخذته أبالك إن كان كبيرا أو ابنا لك إن كان صغيرا أو أخاك إن كان مثلك ، فهذه جملة آداب العاشرة مع أصناف الخلق .

(حقوق الجوار)

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراه ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار السلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي صلى الله عليه وسلم « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار السلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم

(١) حديث الاسراع بالجنائز متفق عليه من حديث أنى هريرة اسرعوا بالجنائز الحديث .

تخالف هو اهاحق صار
داؤها واءها وارت
الشموات الباحة
واللذات الشروعة
لاتضرها ولا تفرعلها
عزائمها بل كلاوصات
النفوس الزكية إلى
حظوظها ازداد القلب
انشراحا وانفسحا
ويصير بين القلب
والنفس موافقة بمطف
أحدهما على الآخر
يزداد كل واحد منهما
بما يدخل على الآخر
من الحظ كلما أخذ
القلب حظه من الله
خلع على النفس خلع
الطمأنينة فيكون
مزيد السكينة للقلب
مزيد الطمأنينة للنفس
وينشد :
إن السماء إذا اكتست
كست الثرى
حلا يدبجها النعام
الرام
وكلا أخنت النفس
حظها تروح القلب
تروح الجار المشفق
براحة الجار . سمعت
بعض الفقهاء يقول :
النفس تقول للقلب كن

وأما الذي له حقان فالجوار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام ، وأما الذي له حق واحد فالجوار المشرك (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بجرد الجوار ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً» (٢) وقال النبي ﷺ «ما زال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه» (٣) وقال صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه» (٥) وقال صلى الله عليه وسلم «أول خصمين يوم القيامة جاران» (٦) وقال عليه الصلاة والسلام «إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت» (٧) وروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له : إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ فله اذهب فان هو عصى الله نيك فأطع الله فيه ، وقيل لرسول الله ﷺ «إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار» (٨) . وجاء رجل إليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك في الطريق قال فجعل الناس يعمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعله الله فجاءه جاره فقال لمرء متاعك فوالله لأعود» (٩) وروى الزهري «أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا إن أربعم دأراً جار» (١٠) قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعم إلى أربع جهات وقال عليه السلام «اليمين والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للمرأة خفة مهرها ويسمى نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن السكن سمته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن القرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعبته وسوء خلقه» (١١) .

(١) حديث الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق الحديث الحسن بن سفيان والبراز في مسندهما وأبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر وابن عدي من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف (٢) حديث أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً تقدم (٣) حديث ما زال جبريل يوصيني بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر (٤) حديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره متفق عليه من حديث أبي شريح (٥) حديث لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه البخاري من حديث أبي شريح أيضاً (٦) حديث أول خصمين يوم القيامة جاران أحمد والطبراني من حديث عتبة بن عاصر بسند ضعيف (٧) حديث إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيت لم أجده أصلاً (٨) حديث إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار ، أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد (٩) حديث جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال اصبر ثم قال له في الثالثة أو الرابعة اطرع متاعك على الطريق الحديث أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (١٠) حديث الزهري ألا إن أربعم دأراً جار أبو داود في الراسيل ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف (١١) حديث اليمين والشؤم في المرأة والسكن والقرس فيمن للمرأة خفة مهرها الحديث مسلم من حديث ابن عمر الشؤم في الدار والمرأة والقرس وفي رواية له إن بك من الشؤم شيء حقاً وله من حديث سهل بن سعد إن كان في القرس والمرأة والسكن ولترمذي من حديث حكيم ابن معاوية لشؤم وقد يكون اليمين في الدار والمرأة والقرس ورواه ابن ماجه فجاءه محمد بن معاوية وللطبراني من حديث أسماء بنت همام قالت يا رسول الله ما سوء الدار قال ضيق صاحبها وخيب جيرانها .

معي في الطعام أكن معك في الصلاة وهذا من الأحوال العزيزة لا تصلح إلا لعالم رباني وكم من مدح يهلك بتوهمه هذا في نفسه ومثل هذا البعد يزداد بالسكاح ولا ينقص والبعد إذا كمل علمه يأخذ من الأشياء ولا تأخذ الأشياء منه وقد كان الجليل يقول : أنا أحتاج إلى الزوجة كما أحتاج إلى الطعام وسمع بعض العلماء بعض الناس يطمئن في الصوفية فقال يا هذا ما الذي ينقصهم عندك فقال يا كلون كثيراً فقال وأنت أيضاً لو جئت كما يجوعون أكلت كما يأكلون ثم قال : ويتزوجون كثيراً قال وأنت أيضاً لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون قال وأي شيء أيضاً قال يسمعون القول قال وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون سمعت كما

واعلم أنه ليس حق الجوار كنف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضا قد كنف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره التي يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لمعنى معروفة وسد بابة دوني وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركه وكان يجلس في ظل داره فقال مالئت إذا بجرمة ظل داره إن باعها بعدما قدفع إليه عن الدار وقال لا تبعها ، وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له لو اتقنت هرا فقال أخشى أن يسمع الفأر صوت الخنزير فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحييت لهم مالا أحب لنفسي ، وجملة حق الجار أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في الرض ويعزبه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجنع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرخته إذا نابه نايبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما وينفض بصره عن حرمة ولا يديم النظر إلى خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده إلى ما يحمله من أمر دينه ودنياه ، هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن افتقر عدت عليه وإن مرض عده وإن مات تبع جنازته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابه مصيبة عزيته ولا تستمل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بأذنه ولا تؤذنه وإذا اشترت فأكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله (١) » هكذا رواه عمرو بن عبيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر وعظامه يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه (٢) » وقال هشام : كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك ، وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال « إذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل على نياحه والآخر ناه

قيل فما سوء الدابة ؟ قال منعها ظهرها وسوء خلقها ، قيل فما سوء المرأة ؟ قال عقم رحمها وسوء خلقها وكلامها ضعيف ورونيها في كتاب الحيل للدمياطي من رواية سالم بن عبد الله مرسلا إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجها قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهي مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الأذان والاقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف ووصله صاحب مسند الفردوس بذكر ابن عمر فيه (١) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أعتته وإن استقرضك أقرضته الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف (٢) حديث مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلامه يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب (٣) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم .

يسمعون. وكان سفيا
ابن عينة يقول كثرة
النساء ليست من الدنيا
لأن عليا رضي الله عنه
كان أزهد أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان له
أربع نسوة وسبع
عشرة سرية وكان
ابن عباس رضي الله
عنه يقول خير هذه
الأمّة أكثرها نساء
وقد ذكر في أخبار
الأنبياء أن عبادتبتل
للعادة حتى فاق أهل
زمانه فذكر لني ذلك
الزمان فقال نعم الرجل
لولا أنه تارك لشيء من
السنة فمضى ذلك إلى
العابد فأهمه فقال
ما تنفعني عبادتي وأنا
تارك السنة فجاء إلى
النبي عليه السلام فسأله
فقال نعم إنك تارك
التزوج فقال ما تركته
لأنني أحرمه وما منعني
منه إلا أنني فقير لشيء
لي وأنا عيال على الناس
يطعمني هذا مرة وهذا
مرة فأكره أن أتزوج

يباه عن وربما كان الذي عندي لا يسمعهما فأيهما أعظم حقا قال القبل عليك يباه (١) ورأى الصديق ولله عبد الرحمن وهو يباهي جارا له فقال لاتص جارك فان هذا يتي والناس ينهبون . وقال الحسن بن عيسى النيسابوري : سألت عبد الله بن المبارك فقلت الرجل الجوار يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمرا والقلم ينكره فأكره أن أضربه ولله برى وأكره أن أدعه فيجد على جاري فكيف أصنع ؟ قال إن غلامك لله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه فإذا عساه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبت على ذلك الحدث وهذا تلتطف في الجمع بين الحقين . وقالت عائشة رضي الله عنها خلال للكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب : صدق الحديث وصدق الناس وإعطاء السائل ولكافأة بالصانع وصلة الرحم وحفظ الأمانة والتشمع للجوار والتشمع للماحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا معشر المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من معادة للرء السلم للسكن الواسع والجوار الصالح والركب الهنيء » (٣) وقال عبد الله قال رجل يارسول الله « كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت وإذا سمعهم يقولون قد أسأت قد أسأت » (٤) وقال جابر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يعرضه عليه » (٥) وقال أبو هريرة رضي الله عنه « قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى » (٦) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يمتن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين أكتافكم وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم « من أراد الله به خيرا عله قيل وماعسه قال يحبه إلى جيرانه » (٧) .

(١) حديث عائشة قلت يارسول الله إن لي جارين الحديث رواه البخاري (٢) حديث أبي هريرة يانساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخاري (٣) حديث إن من معادة للرء السلم للسكن الواسع والجوار الصالح والركب الهنيء أحمد من حديث نافع بن عبد الحارث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد (٤) حديث عبد الله قال رجل يارسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت قال إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت قد أحسنت أحمد والطبراني وعبد الله هو ابن مسعود وإسناده جيد (٥) حديث جابر من كان له جار في حائط أو شريك فلا يمه حتى يعرضه عليه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار وقال صحيح الإسناد وهو عند الحرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف وابن ماجه من حديث ابن عباس من كانت له أرض فأراد يمه فليعرضها على جاره ورجاله رجال الصحيح (٦) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى الحرائطي في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ لا يمتن أحدكم جاره أن يفرز خشبه في حائطه رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف وافق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة (٧) حديث من أراد الله به خيرا عله أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني ورواه الحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الزهد من حديث عمرو بن الحنظلي زاد الحرائطي قيل وماعسه قال حبه إلى جيرانه وقال البيهقي بفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله وإسناده جيد .

بأمرأة أعزلها أو أرهقها
جهدا قال له النبي
عليه الصلاة والسلام
وما يمتنك إلا هذا قال
نعم قال أنا أزواجك
ابنتي فزوجه النبي
عليه السلام ابنته وكان
عبد الله بن مسعود
يقول لو لم يتي من
عمري إلا عشرة أيام
أحببت أن أتزوج
ولا ألقى الله عزبا
وما ذكر الله تعالى في
القرآن من الأنبياء
إلا التاهلين . وقيل إن
يحيى بن زكريا عليهما
السلام تزوج لأجل
السنة ولم يكن يقربها
وقيل إن عيسى عليه
السلام سينكح إذا
نزل إلى الأرض ويولد
له . وقيل إن ركة
من متأهل خير من
سبعين ركة من عزب
أخبرنا الشيخ طاهر بن
أبي الفضل قال أنا
أبو منصور محمد بن
الحسين بن أحمد بن
الميثم القومى القزويني
قال أنا أبو طلحة القاسم

(حقوق الأقارب والرحم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهذه الرحم شقت لهما اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه » (٢) وفي رواية أخرى « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه » وقيل لرسول الله ﷺ أي الناس أفضل « قال أنعام الله وأوصلهم لرحمه وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر » (٣) وقال أبوذر رضي الله عنه « أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها » (٥) وقال عليه السلام « إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون جارا فتتمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم » (٦) وقال زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بني مدج قال عليه السلام « إن الله قد منحنى من بني مدج بصلتهم الرحم » (٧) وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قدمت على أمي فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت على وهي مشركة أفأصلها ؟ قال نعم (٨) وفي رواية أفأصلها قال نعم صليها وقال عليه السلام « الصدقة على السالكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان » (٩) ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كان له يجبه عملا بقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - (١٠) قال يا رسول الله هو في سبيل الله وللفقراء وللسالكين فقال عليه السلام « وجب أجرك على الله فاقسمه في أقاربك » وقال عليه السلام « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » (١١)

(١) حديث يقول الله أنا الرحمن وهذه الرحم الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه متفق عليه من حديث أنس دون قوله فليصل رحمه وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بن إسماعيل (٣) حديث أي الناس أفضل قال أنعام الله وأوصلهم لرحمه أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن (٤) حديث أبي ذر أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا ، أحمد وابن حبان ومحمد (٥) حديث إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث عائشة (٦) حديث أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم الحديث ابن حبان من حديث أبي بكره والحرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف (٧) حديث زيد بن أسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عرض له رجل فقال إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فليك بني مدج قال إن الله منحنى من بني مدج بصلتهم الرحم الحرائطي في مكارم الأخلاق وزاد وطهم في لبات الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد (٨) حديث أسماء بنت أبي بكر قدمت على أمي فقلت يا رسول الله قدمت على أمي وهي مشركة أفأصلها قال نعم صليها متفق عليه (٩) حديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي (١٠) حديث لما أراد أبو طلحة أن يتصدق بمائة كان له يجبه عملا بقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون - الحديث أخرجه البخاري وقد تقدم (١١) حديث أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب وفيه الحجاج

ابن أبي البدر الخطيب
قال ثنا أبو الحسن علي
ابن إبراهيم بن
سنة القطان قال ثنا
أبو عبد الله بن محمد
يزيد بن ماجه قال ثنا
أحمد بن الأزهر قال
حدثنا آدم قال حدثنا
عيسى بن ميمون عن
القاسم عن عائشة
رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « النكاح
سنة لمن لم يعمل بسنة
فليس مني فزوجوا فاني
مكاثركم الأم ومن
كان ذا طول فليتكح
ومن لم يجد فليته
بالصيام فان الصوم له
وجاء » وما ينبغي
للتأهل أن يحذر من
الافراط في المخالطة
وللمعاشرة مع الزوجة إلى
حد ينقطع عن أوراده
وسياسة أوقاته فان
الافراط في ذلك يقوى
النفس وجنودها ويفتر
ناهنس الهمة . وللتأهل
بسبب الزوجة فتنان
فتنة لموم حاله وقتة

وهو في معنى قوله «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصنع من ظلمك»^(١) وروى أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزام على الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

(حقوق الوالدين والولد)

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم «لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه»^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم «برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله»^(٣) وقد قال ﷺ «من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار وإن أمسى مثل ذلك وإن كان واحدا فواحدا وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما»^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم «إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم»^(٥) وقال ﷺ «برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك»^(٦) وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى إنه من برّ والديه وعقني كتبته عاقا ، وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يرق له فأوحى الله إليه أتماظم أن تقوم لأبيك وعزني وجلالي لا أخرجت من صلبك نيا وقال صلى الله عليه وسلم «ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء»^(٧) وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن أرملة ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة (١) حديث أفضل الفضائل أن تصل من قطعك الحديث أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف والطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم (٢) حديث لن يجزى ولد والده حتى يجد مملوكا فيشتريه فيعتقه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث برّ الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد لم أجده هكذا وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد ، قال أمي قال قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتبر ومجاهد وإسناده حسن (٤) حديث من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة الحديث البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح (٥) حديث إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال من مسيرة ألف عام وإسنادهما ضعيف (٦) حديث برّ أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك النساء من حديث طارق المحاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منفعة عن جده وله ولقرنمذي والحاكم ومصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : من أبر قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل من أحق الناس بمحسن الصلابة قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك لفظ مسلم (٧) حديث ما طي أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يحملها لوالديه إذا كانا مسلمين الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلمين .

لخصوص حاله فتنة
عموم حاله الإفراط في
الاهتمام بأسباب
اللياسة . كان الحسن
يقول : واقمما أصبح
اليوم رجل يطيع
امرأته فيما تهوى إلا
أكبه الله على وجهه في
النار . وفي الخبر «يأتي
على الناس زمان يكون
هلاك الرجل على يد
زوجته وأبويه وولده
يصرونه بالفقر ويكلفونه
ما لا يطيق فيدخل في
للداخل التي يذهب فيها
دينه فيهلك» . وروى
أن قوما دخلوا على
يوس عليه السلام
فأضافهم وكان يدخل
ويخرج إلى منزله
فتؤذيه امرأته
وتستطيل عليه وهو
ساكت فصبوا من
ذلك وها يوه أن يسألوه
فقال لا تعجبوا من هذا
فإني سألت الله فقلت
يارب ما كنت معاقبي
به في الآخرة فصبه لي في
الدينا فقال إن عقوبتك
بنت فلان تزوج بها

إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بدو عاقبتهما ؟ قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنقاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودة أبيه بعد أن يولى الأب ^(٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الوالد منفقان ^(٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط ^(٤) » . وسأل الرجل فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ^(٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « رحم الله والدا أعان ولده على بره ^(٦) » أي لم يعمل على العقوق بسوء عمله . وقال صلى الله عليه وسلم « ساووا بين أولادكم في العطية » وقد قيل ولدك رحماتك تشمها سبما وخادمك سبما ثم هو عدوك أو شريكك . وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراغه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجته أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنبكتك أعوذ بأقمن فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة ^(٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه ^(٨) » وقال عليه الصلاة والسلام « كل غلام رهين أو رهينة ببقية تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه ^(٩) » وقال قتادة إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها وأداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل عنه مثل الحيط ثم يفسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت

(١) حديث مالك بن ربيعة يينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي على من بر أبوي شيء الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد (٢) حديث إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودة أبيه مسلم من حديث ابن عمر (٣) حديث بر الوالدة على الولد ضعيفان غريب بهذا اللفظ وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث من حديث بهز بن حكيم وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث (٤) حديث الوالدة أسرع إجابة الحديث لم أقف له على أصل (٥) حديث قال رجل يا رسول الله من أبر ؟ قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال ولدك فكما أن لو والديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق أبو عمر التوقاني في كتاب معاشره الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله فكما أن لو والديك الخ وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر قال الدار قطن في الملل إن الأصح وقفه على ابن عمر (٦) حديث رحم الله والدا أعان ولده على بره أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث طي بن أبي طالب وابن عمر بسند ضعيف ورواه التوقاني من رواية الشعبي مرسلا (٧) حديث أنس الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ سبع سنين عزل فراغه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة والصوم فإذا بلغ ستة عشر زوجته أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنبكتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم (٨) حديث من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وحديث عائشة وضمفهما (٩) حديث كل غلام رهين أو رهينة ببقية تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه أصحاب السنن من حديث حمزة قال الترمذي حسن صحيح .

فترى جيت بهلوانا صابر
على ماترون فاذا أفرط
الفقير في الداراة ربعة
تعدي حد الاعتدال
في وجوه العيشة متطلبا
رضا الزوجة فهذا فتنة
عموم حاله . وقتنة
خصوص حاله الإفراط
في المجالسة والمخالطة
فتنطلق النفس عن
قيود الاعتدال
وتسرق الغرض بطول
الاسترسال فيستولي
على القلب بسبب
ذلك السهو والتفلة
ويستجلس مقار اللهة
فيقل الوارد لقلة
الأوراد ويتكدر الحال
لاهمال شروط
الأعمال والطف من
هذين القتنين فتنة
أخرى تختص بأهل
القرب والحضور وذلك
أن للنفس امتزاجا
وبرابطة الامتزاج
تتضد وتشتد
وتتطرى . طينها
الجامدة وتلتهب نارها
الجامدة فدواء هذه
الفتنة أن يكون للتأهل

أفسدته ويستحب الرفق بالولد . رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه الصلاة والسلام « إن من لا يرحم لا يرحم » (١) وقالت عائشة رضي الله عنها « قال لي رسول الله ﷺ يوما اغسلي وجه أسامة فجلست أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال : قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية » (٢) وتشر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره قتل غلمه وقرأ قوله تعالى - [عنا أموالكم وأولادكم فتنة - (٣) وقال عبد الله بن شداد « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنك قد حدثت أمر فقال : إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » (٤) وفي ذلك فوائد إحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتطهير لأمته . وقال ﷺ « ربح الولد لمن ربح الجنة » (٥) وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي إلى الأخنف بن قيس فلما وصل إليه قال : يا أبا عمر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين مमार قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة ومساء ظلية وبهم نصول على كل جليظة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم بمنحوك ودمهم وبمحوك جهدهم ولا تكن عليهم قولا قبيلا فيملوا حياتك ويوموا وفاتك ويكرهوا قريبتك فقالا لمعاوية لله أنت يا أخنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأخنف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأخنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه بإياها على الشطر فهذه الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقوقهما تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران : أحدهما أن أكثر الطاء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنصان بافترادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورعا والوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا باذنهما والبادرة إلى الحج الذي هو فرض الاسلام قل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم قل إلا إذا حكنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يسلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الاسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق

(١) حديث رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال لا يرحم لا يرحم البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجلست أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فقبل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية لهكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعثة الباب فدمى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه ويقول لو كان أسامة جارية لحيتها ولكسوتها حتى أنفقها وإسناده صحيح (٣) حديث عثر الحسن وهو على منبره ﷺ قتل غلمه وقرأ قوله تعالى - [عنا أموالكم وأولادكم فتنة - أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معا بعثيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب (٤) حديث عبد الله بن شداد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاء الحسن فركب عنقه النساء من رواية عبد الله بن شداد عن أبيه وقال فيه الحسن أو الحسين على الشك ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث ربح الولد من ربح الجنة الطبراني في الصغير والأوسط وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه منديل بن على ضعيف .

عند المجالسة عينان
باطنان ينظر بهما إلى
مولاهم عينان ظاهران
يستعملهما في طريق
هواه . وقد قالت رابعة
في معنى هذا نظما :
إن جلتك في القواد
محدثي
وأبحت جسمي من
أفراد جلوس
فالجسم من الجلوس
مؤانس
وحبيب قلبي في القواد
أنيس .

والطف من هذا فتنة
أخرى يخشاها للتأهل
وهو أن يصير للروح
استرواح إلى لطف
الجمال ويكون ذلك
الاسترواح موقوفا
على الروح ويصير
ذلك وليجة في حب
الروح المخصوص
بالخلق بالحضرة الالهية
فتقبل الروح وينسند
باب الزيد من الفتوح
وهذه البلادة في الروح
بمزالشعور بها فلتحذر
ومن هذا القليل
دخلت الفتنة على طائفة

الوالدين قال أبو سعيد الخدرى «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنالك ؟ قال لا فقال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنها فان ضلّا فجاهدوا وإلا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد^(١)». وجاء آخر إليه صلى الله عليه وسلم ليستشير في النزول فقال ألك والدة قال نعم قال فآلها فان الجنة عند رجلها^(٢). وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئتك حتى أبكيك والديّ فقال ارجع إليها فأضحكها كما أبكيتهما^(٣) وقال عليه السلام «حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده^(٤)» وقال عليه السلام «إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه^(٥)»

(حقوق للملوك)

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك العيّن فهو أيضا يقتضى حقوقا في العاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما وصى به رسول الله ﷺ أن قال «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون لما أحببتهم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فان الله ملككم إياهم ولو شاء لملككم إياكم^(٦)» وقال صلى الله عليه وسلم «للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق^(٧)» وقال عليه السلام «لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة^(٨)» وقال

(١) حديث أبي سعيد الخدرى هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم هل باليمن أبواك ؟ قال نعم الحديث أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت الخ (٢) حديث جاء آخر إلى النبي ﷺ يستشير في النزول فقال ألك والدة فقال نعم قال فآلها فان الجنة تحت قدمها النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جهمان جاهمة أتى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح الإسناد (٣) حديث جاء آخر فقال ماجئتك حتى أبكيك والديّ فقال ارجع إليها فأضحكها كما أبكيتهما أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الإسناد (٤) حديث حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود في الراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلًا ووصله صاحب مسند الفردوس فقال عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده سعيد ابن العاص وإسناده ضعيف (٥) حديث إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه (٦) حديث كان من آخر ما وصى به رسول الله ﷺ أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون الحديث الخ وهو مفرق في عدة أحاديث فروى أبو داود من حديث علي كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ولهما من حديث أبي ذر أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يظلمهم فان كلفتموهم فأعينوهم لفظ رواية مسلم وفي رواية لأبي داود من لا يمكنكم مملوككم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لا يلبسكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى وإسناده صحيح (٧) حديث للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق مسلم من حديث أبي هريرة (٨) حديث لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة أحمد مجموعا والترمذى مفرقا وابن ماجه مقتصرًا على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس

قالوا بالمشاهدة وإذا كان في باب الحلال وليجة في الحب يتولد منها ببلادة الروح في القيام بوظائف حب الحضرة الإلهية لما ظنك فيمن يدعى ذلك في باب غير مشروع يفره سكون النفس فيظن أنه لو كان من قبيل الهوى ما سكنت النفس والنفس لا تسكن في ذلك دائماً بل تسلب من الروح ذلك الوصف وتأخذ إليها على آتى استبجحت عما يبتلى به المفتونون بالمشاهدة فوجدت الحمى من ذلك من صورة الفسق عنده رغبة شراب الشهوة إذ لو ذهب علة الشراب ما بقيت الرغبة فليحذر ذلك جدا ولا يسمع ممن يدعى فيه حالا وصحة فانه كذاب مدع ولهذا المعنى قال الأطباء الجماع يسكن هيجان العشق وإن كان من غير

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه في كل يوم سبعين مرة» (١) وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى الموالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيعه وضع عنه منه . وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله خلفك فانما هو أخوك روحه مثل روحك فعمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله عبدا ما مشى خلفه . وقالت جارية لأبي الهرداء إني ممثلك منذ سنة لما عمل فيك شيئا فقال لم فصمت ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال أذهبني عنى فأنت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للملوك أخراك الله فهو حر . وقيل للأحنف بن قيس ممن تطلعت الحلم ؟ قال من قيس بن عاصم ، قيل فما بلغ من حلمه ؟ قال بينا هو جالس في داره إذ أتته خادمة بشفود عليه شواء فسقط الشفود من يدها على ابن له فقتره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال لها أنت حرة لا بأس عليك وكان عون بن عبد الله إذا عصاه غلامه قال ما أشبهك بمولك مولك يصي مولاه وأنت تصي مولك فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستجبل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعهما قصعة مملوءة فمترت وأراقها على رأس سيدها ميمون فقال بإجارية أحرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت قال - والكاذمين الغيظ - قال قد كظمت غيظي قالت - والعافين عن الناس - قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله تعالى يقول - والله يحب المحسنين - قال أنت حرة لوجه الله تعالى . وقال ابن النكدر «إن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم ينفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فأنطلق إليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه الله فلم تنفقه فلما رأى أمسك يده قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال لولم تفعل اسفنت وجهك النار» (٢) وقال **عليه السلام** «العبد إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين» (٣) ولما عتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب أحدهما وقال صلى الله عليه وسلم «عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيدته وعفيف ذو عيال وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يعطى حق الله وحق فقير فقور» (٤) وعن أبي

للمشوق فليعلم أن مستند الشهوة ويكذب من يدعى فيه حالا وهذه قن للتأهل وقتة العزب مرور النساء بخاطره وتصورهن في متخيله ومن أعطى الطهارة في باطنه لا يدنس باطنه بخواطر الشهوة وإذا منع الخاطر يمحوه بحسن الانابة واللباذ بالمر بومتي سامر الفكر كشف الخاطر وخرج من القلب إلى الصدر وعند ذلك يحذر حساس الضو بالخاطر فيصير ذلك عملا خفيا وما أقبح مثل هذا بالصادق للتطلع إلى الحضور واليقظة فيكون ذلك فاجشة الحال وقديلا مرور الفاحشة بقلب العارفين كفعل الفاعلين لها والله أعلم .

[الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبل ولا وإثارة]

قال الله تعالى - فبشر

عند أحد منهم متكبر وزاد أحمد والترمذي البخيل والنان وهو ضيف وحسن الترمذي أحد طريقه (١) حديث ابن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نفقوا عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث ابن النكدر أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد الحديث ابن المبارك في الزهد مرسل وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له قلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لولم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار (٣) حديث إذا نصح العبد لسيدته وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين مثق عليه من حديث ابن عمر (٤) حديث عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار فأول ثلاثة يدخلون الجنة والشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيدته

مسعود الأنصاري قال « بينا أنا أضرب علاماً لي إذ سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأبامسعود مرتين فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقيت السوط من يدي فقال : والله لله أندرك عليك منك على هذا ^(١) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه ^(٢) » رواه معاذ . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله لقمة ^(٣) » وفي رواية « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤته وقرّبه إليه فليجلسه وليأكل معه فان لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها وأشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه . » ودخل على سلمان رجل وهو يمجن فقال يا أبا عبد الله ما هذا فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجتمع عليه عمليين وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران ^(٤) » وقد قال صلى الله عليه وسلم « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ^(٥) » فجعلت حق المملوك أن يشركه في طعامه وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر إليه بهين الكبر والازدراء وأن ينفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو يجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته وروى فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا يشغل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصي إمامه فأت عاصياً فلا يسأل عنها وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفها مؤنة الدنيا فترجعت بعده فلا يسأل عنها وثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينزع الله رداؤه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز ورجل في شك من الله وقنوط من رحمة الله ^(٦) » ثم كتاب آداب الصبغة والمباشرة مع أصناف الخلق .

(كتاب آداب العزلة)

(وهو الكتاب السادس من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أعظم النعمة على خيرة خلقه وصموته بأن صرف همهم إلى مؤانسته وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته وحقه في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزله كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته واستوحش بذلك عن الأنس بالإنس وإن كان من أخص خاصته

الحديث الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة .

(١) حديث أبي مسعود الأنصاري بينا أنا أضرب غلاماً لي سمعت صوتاً من خلفي أعلم بأبامسعود مرتين الحديث رواه مسلم (٢) حديث معاذ إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخرائط في مكارم الأخلاق بسند ضعيف (٣) حديث أبي هريرة وليأكل كل معه فإن أتى فليناوله وفي رواية إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه الحديث متفق عليه مع اختلاف لفظ وهو في مكارم الأخلاق للخرائط باللفظين اللذين ذكرهما الصنف غير أنه لم يذكر علاجه وهذه اللفظة عند البخاري (٥) حديث من كانت عنده جارية فصاتها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران متفق عليه من حديث أبي موسى (٥) حديث كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر وقد تقدم (٦) حديث فضالة بن عبيد ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً الحديث الطبراني والحاكم وصححه .

(كتاب العزلة)

(الباب الأول في ثقل المذاهب والحجج فيها)

عباد الدين يستمعون
القول فيقيمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب
قيل أحسنه أي أهدهم
وأرشدده وقال عز
وجل - وإذا سمعوا
ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق -
هذا السماع هو السماع
الحق الذي لا يختلف
فيه اثنان من أهل
الإيمان محكوم لصاحبه
بالهداية واللب وهذا
سماع تردحراته على
برد اليقين تفيض
العين بالسمع لأنه تارة
يثير حزناً والحزن حار
وتارة يثير شوقاً
والشوق حار وتارة
يثير غماً والندم حار
فإذا أثار السماع هذه
الصفات من صاحب
قلب مملوء يبرد اليقين
أبكي وأدمع لأن
الحزنة والبرودة إذا
اصطدما عصرا ما فإذا
الم السماع بالقلب تارة
غفت إلامه فيظهر

والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحبه سادة الحق وأئمة .

[أما بعد] فإن للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداها على الأخرى مع أن كل واحدة منهما لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها وميل أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة وما ذكرناه في كتاب الصلحة من فضيلة المخالطة وللؤاخاة وللؤلفة يكاد يناقض ما مال إليه أكثرهم من اختيار الاستيعاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم ويحصل ذلك برسم باين . الباب الأول : في قل للذهاب والحجج فيها . الباب الثاني : في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل .

(الباب الأول في قل للذهاب والأقوال وذكر حجج الفريقين في ذلك)

أما للذهاب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي وقصيل بن عياض وسليمان الحواص ويوسف بن أسباط وحذيفة الرعشي وبشر الحافي وقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان والتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال إلى هذا سعيد بن المسيب والشعي وإبن أبي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك ابن عبد الله وابن عينة وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وجماعة ، وللاثور عن الطاء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة للميل فلتنقل الآن مطلقات تلك الكلمات لتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نوره عند التمرض للغوائل والفوائد فتقول قد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال الفضيل كفى بالله عجا وبالقرآن مؤنسا وباللوت واعظا وقيل اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا . وقال أبو الريح الزاهد لداود الطائي عطف قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد وقال الحسن رحمه الله كلمات أحفظهن من التوراة فنع ابن آدم فاستغنى اعزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلضا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشق في عزلة الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما أصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا كنت أجالس الناس ولأكلهم وقال سفيان الثوري هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شغب من الصلوة لم يكش معنا سبعا لانسمع له كلاما قتلناه يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فأنشأ يقول :

قليل لهم لا وله يموت ولا أمر يحاذره يغوث
قضى وطر السبا وأفاد علما فضايته التفرد والسكوت

وقال إبراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعزل وكذا قال الريح بن خثيم وقيل كان مالك بن أنس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الإخوان حقوقهم فترك ذلك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول لا ينبغي للمرء أن يغبر كل عذره وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ إلا عند الله تعالى وقال الفضيل إني لأجد للرجل عندي يدا إذا لقيني أن لا يسلم على وإذا مرضت أن لا يعودني وقال أبو سليمان الداراني بينما الريح بن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه جبر فصك جبهته فمشجه فجعل يسبح الدم ويقول لقد وعظت ياربيع فقام ودخل داره فجالس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته . وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لهما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتیان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق وقال يوسف بن أسباط سمعت سفيان الثوري يقول : والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة

أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى - تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم - وتارة بسظم وقسه ويتصوب أثره إلى فوق نحو الدماغ كالخبير للعقل فيعظم وقع للتجدد الحادث فتندفع منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره إلى الروح فتعوج منه الروح موجا يكاد تضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب الجهال . روى أن عمر رضي الله عنه كان رجلا مر بآية في ورده فتخففه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مرضا فالسباع يستجلب الرحمة من الله الكريم . روى زيد بن أسلم قال

وقال بشر بن عبد الله أمد من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن ضيعة كان من معرفتك قليلا ودخل بعض الأمراء على حاتم الأصم فقال له ألك حاجة ؟ قال نعم قال وما هي ؟ قال أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني وقال رجل لسهل أريد أن أمحك فقال إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل إن عابا ابنك يقول لوددت أتى في مكان أرى الناس ولا يرونني فسكن الفضيل وقال يابوعلى أفلا آتيتها فقال لا أراهم ولا يرونني وقال الفضيل أيضا من سخافة ثقل الرجل كثرة معارفة وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل المجالس مجلس في قصر بيتك لا ترى ولا ترى فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة .

(ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها)

احتج هؤلاء بقوله تعالى - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا - الآية وبقوله تعالى - فألف بين قلوبكم - أمعن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لأن الراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة والراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب الثيرة لافتن الحركة للخصومات والعزلة لا تنافي ذلك واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا ي ألف ولا يؤلف »^(١) وهذا أيضا ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببه للؤافة ولا يدخل تحتها الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلباً للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم « من فارق الجماعة شرا فخلع ربة الاسلام من عنقه » وقال « من فارق الجماعة فمات فميته جاهلية »^(٢) وبقوله صلى الله عليه وسلم « من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام من عنقه »^(٣) وهذا ضعيف لأن الراد به الجماعة التي اتفقت آراهم على إمام بعقد البيعة بالخروج عليهم بنى وذلك مخالفة بالرأى وخروج عليهم وذلك محظور لا اضطرار الخلق إلى إمام مطاع يجمع رأيهم ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيها تشويش مشير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة . واحتجوا بنبيه صلى الله عليه وسلم عن الهجر فوق ثلاث إذ قال « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات فدخل النار »^(٤) وقال عليه السلام « لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة »^(٥) وقال « من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه »^(٦) قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لأن الراد به الغضب على الناس والنجاس فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلا من غير غضب مع أن الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين : أحدهما أن يرى فيه إصلاحا للمهجور في الزيادة . والثاني أن يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وإن كان عاما فهو محمول على ما وراء الموضعين الخصوصيين بدليل ما روى عن عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم هجرها ذات الحجة »

(١) حديث للؤمن ألف مألوف الحديث تقدم في الباب الأول من آداب الصلحة (٢) حديث من ترك الجماعة فمات فميته جاهلية مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام (٣) حديث من شق عصا المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربة الاسلام الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند جيد (٤) حديث من هجر أخاه فوق ثلاث فمات فدخل النار أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث لا يحل لامرئ أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصالح يدخل الجنة متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق بالصالح زاد فيه الطبراني والذى يبدأ بالصالح يسبق إلى الجنة (٦) حديث من هجر أخاه سنة فهو كسافك دمه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حذر بن أبي حذر وإسناده صحيح .

قرأ أبي بن كعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة من الله تعالى » وروى أم كلثوم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اقتصر جلد العبد من خشية الله تحات عنه القنوب كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها » وروى أيضا « إذا اقتصر الجلد من خشية الله حرمه الله تعالى على النار » وهذه جملة لا تنكر ولا اختلاف فيها إنما الاختلاف في استماع الأشعار بالأحاديث وقد كثرت الأقوال في ذلك وتباينت الأحوال فمن منكر بلحظه بالقصق ومن مولع به يشهد بأنه واضح الحق ويتجاوزان في طرفي الافراط والتفريط . قيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر الباع وقد كان الجنيدي وسري

والهزم وبعض صفر^(١)» وروى عن عمر «أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا وصعد إلى غرفة له وهي خزائنه فلبث تسعا وعشرين يوما فلما نزل قيل له إنك كنت فيها تسعا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعا وعشرين^(٢)» وروى عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه^(٣)» فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال : هجران الأحقق قرابة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلا حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم : سعد بن أبي وقاص كان مهاجرا لمبار بن ياسر حتى مات وعثمان بن عفان كان مهاجرا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة لحفصة وكان طاوس مهاجرا لوهب بن منبه حتى ماتا وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة . واحتجوا بما روى «أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاما^(٤)» والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا بشعب فيه عينة طيبة للماء فقال واحد من القوم لو اغتزلت الناس في هذا الشعب ولني أفضل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة^(٥)» واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامية والجماعة والمساجد^(٦)» وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لفروضة .

(ذكر حجج السائلين إلى تفضيل العزلة)

احتجوا بقوله تعالى حكايه عن إبراهيم عليه السلام - واعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعوا ربى - الآية ثم قال تعالى - فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا - إشارة إلى أن ذلك يركه العزلة وهذا صريح لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا لدعوتهم إلى الدين وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم هجر عائشة ذا الحجة والهرم وبعض صفر . قلت : إنما هجر زينب هذه المدة كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه فهو عنده صالح (٢) حديث عمر أنه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى منهن شهرا الحديث متفق عليه (٣) حديث عائشة لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يكون ممن لا يأمن بوائقه ابن عسدي وقال غريب اللين والاسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء بإسناد صحيح (٤) حديث أن رجلا أتى الجبل ليتعبد فيه فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل الحديث البيهقي من حديث عيسى بن سلامة قال ابن عبد البر يقولون إن حديث مرسل وكذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٥) حديث أبي هريرة غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففررنا بشعب فيه عينة طيبة للماء غزيرة فقال واحد من القوم لو اغتزلت الناس في هذا الشعب الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم إلا أن الترمذي قال سيعين عاما (٦) حديث معاذ بن جبل الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا .

السقطى وذو النون يسمعون فقال كيف أنكرا السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان جعفر الطيار يسمع وإنما النكر اللهو واللب في السماع وهذا قول صحيح . أخبرنا الشيخ طاهر بن أبي الفضل عن أبيه الحافظ المقدسى قال أنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن الحسن الخوافي قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف قال ثنا أبو بكر بن نون وقال ثنا عمرو بن الحرث قال ثنا الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها «أن أبا بكر دخل عليها عندها جليتان قنينا وتضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه فاتهرها أبو بكر فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتها أيام عيده»

لما روى أنه قيل « يا رسول الله الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمسا لبركة أيدي المسلمين (١) » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد منته الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه وقال اسقوني فقال العباس إن هذا النبيذ شراب قد منعت وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر غمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس الخمس بركة أيدي المسلمين فشرب منه (٢) » فإذا كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا أيضا بقول موسى عليه السلام - وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون - وأنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم وقال تعالى في أصحاب الكهف - وإذا اعتزلتهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينزلكم ربكم من رحمة - أمرهم بالعزلة « وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة (٣) » ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أطيأه الله كله وهذا أيضا اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم فإنه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار وإنما النظر في العزلة من المسلمين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال « يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وأبك على خطيئتك (٤) » وروى أنه قيل له صلى الله عليه وسلم « أي الناس أفضل ؟ قال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى قيل ثم من ؟ قال درجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب العبد التقي الخفي (٦) » وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر فأما قوله لعبد الله بن عامر

(١) حديث قيل له صلى الله عليه وسلم الوضوء من جر غمر أحب إليك أو من هذه المظاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المظاهر الخمس الطهراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف (٢) حديث لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم يشرب منها فاذا التمر المنقع في حياض الأدم قد منته الناس بأيديهم الحديث وفيه قال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس رواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث ابن عباس بسند ضعيف ومن رواية طاوس مرسل نحوه (٣) حديث اعتزاله صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى الحبشة الحديث رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسلًا ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب على بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام مرسلًا أيضا واصله من رواية أبي سلمة الحضرمي عن ابن عباس إلا أن ابن سعد ذكر أن الشريكين حصروا بني هاشم في الشعب وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومغازي موسى بن عقبة أصبح للمغازي وذكر موسى بن عقبة أيضا أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالخروج إلى أرض الحبشة ولأبي داود من حديث أبي موسى أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نطلق إلى أرض النجاشي قال البيهقي وإسناده صحيح ولأحمد من حديث ابن مسعود بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي وروى ابن اسحق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا بيلاده الحديث (٤) حديث سأل عقبة بن عامر يا رسول الله ما النجاة ؟ فقال ليسعك بيتك الحديث الترمذي من حديث عقبة وقال حسن (٥) حديث أي الناس أفضل فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (٦) حديث إن الله يحب العبد التقي الخفي مسلم

وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا أسأم » قد ذكر الشيخ أبو طالب السكي رحمه الله ما يدل على تجويزه ونقل عن كثير من السلف صحابي وتابعي وغيرهم وقول الشيخ أبي طالب السكي يعتبر لو فور علمه وكال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريمه الأصواب والأولى وقال في السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهو يفتو حرام ومن سمعه بمقلوه على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد معاني قلبه على الدليل ويشهد طرقات الجليل فهو مباح وهذا

فلا يمكن تنزيهه إلا على ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « الذي يخالط الناس ويصبر على أذىهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم » (١) وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام « رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره » فهذا إشارة إلى شرب طبعه تتأذى الناس بمخالطته وقوله « إن الله يحب التقي الخفي » إشارة إلى إثار الحول وتوق الشهرة ، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل تعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة ، واحتجوا بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده وأشار يده نحو الحجاز وقال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعترل شرور الناس » (٢) فاذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف النطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقاساة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضائلها)

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهاى اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة ، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ماضئته من آفات النكاح وفوائده فكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر أولا فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودينية والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم وإلى تخلص من ارتكاب الناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة كالرياء والفتنة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء سوء . وأما الدينية فتقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكين المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطعمه في الناس وطمع الناس فيه وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذى بسوء خلق الجليس في مرأته أو سوء ظنه أو نعيمته أو محاسناته والتأذى بثقله وتشويه خلقته وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد :

(الفائدة الأولى)

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض فإن ذلك يستدعى فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسية إليه ، ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله

من حديث سعد بن أبي وقاص (١) حديث الذي يخالط الناس ولا يصبر على أذىهم الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابي قال شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والطريق واحد (٢) حديث ألا أنبئكم بخير الناس قالوا بلى قال فأشار يده نحو الغرب وقال رجل آخذ بمنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه الحديث الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال نحو الشرق بدل الغرب وفيه ابن اسحق رواه بالنعنة وللترمذي والنسائي نحوه مختصرا من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن .

(الباب الثاني : في فوائد العزلة وغوائلها)

قول الشيخ أبي طالب السكي وهو الصحيح فإذا لا يطلق القول بمنعه وتحريمه والانكار على من يسمع كفعل القراء للترهدين للبالغين في الانكار ولا يفسح فيه على الإطلاق كفعل بعض الشبهين به المهملين شروطه وآدابه للقيمين على الإصرار ونفصل الأمر فيه تفصيلا ونوضح الماهية فيه تحريما وتعليلا فأما الدف والشابة وإن كان فيهما في مذهب الشافعي فسحة فالأولى تركهما والأخذ بالأحوط والخروج من الخلاف وأما غير ذلك فإن كان من القصاص في ذكر الجنة والنار والتشويق إلى دار القرار ووصف نعم الملك الجبار وذكر العبادات والترغيب في الخيرات فلا سبيل إلى الانكار ومن ذلك القليل قصائد الغزاة

تعالى والتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذي كرون الله بالله عاشوا
بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ، ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر
والذكر فالعزلة أولى بهم ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يقبّل في جبل حراء وينعزل
إليه حتى قوى فيه نور النبوة (١) فكان الخلق لا يجيبونه عن الله فكان يدهنه مع الخلق وقبله
مقبلا على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليفه ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
استغراق همه بالله فقال «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» (٢)
ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهراً والاقبال على الله سراً إلا قوة النبوة فلا ينبغي أن يفتر كل
ضيف بنفسه فيقطع في ذلك ولا يمد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه ، فقد قل عن الجنيد أنه
قال أنا أكلّم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أنّي أكلّمهم وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقاً
لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي الشهرين بحب الخلق من مخالطة الناس يدهنه وهو لا يدري
ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه لم يشوش عليه أمراً من أمور دنياه قد
يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه وأمر الآخرة أعظم
عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستئانة بالعزلة ، ولذلك قيل لبعض
الحكماء ما الذي أرادوا بالخلو واختيار العزلة فقال يستدعون بذلك دوام الفكرة وثبت العلوم في
قلوبهم ليحيوا حياة طيبة وينوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما أصبرك على الوحدة فقال ما أنا
وحدى أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت وقيل لبعض
الحكماء إلى أي شيء أفنى بكم الزهد والخلو فقال إلى الأنس بالله وقال سفيان بن عيينة لقيت إبراهيم
ابن آدم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له يا إبراهيم تركت خراسان فقال ما تنأت بالعيش إلا ههنا أفر
بديني من شاطئ إلى شاطئ فمن يراني يقول موسوس أو حمال أو ملاح وقيل لغزووان الرقاشي هبك
لاضحك فما يمنعك من محالة إخوانك قال إني أصيب راحة قلبي في محالة من عنده حاجتي وقيل
للحسن بأبا سعيد ههنا رجل لم تره قط جالساً إلا وحده خلف سارية فقال الحسن إذا رأيتموه فأخبروني
به فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي أخبرنا بك به وأشاروا إليه فمضى إليه الحسن وقال
له يا عبداً لله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من محالة الناس فقال أمر شغلني عن الناس قال
فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه فقال أمر شغلني عن الناس وعن الحسن
قال له الحسن وما ذلك الشغل يرحمك الله فقال إني أصبح وأمسى بين نعمة وذنوب فرائيت أن أشغل
نفسى بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنوب فقال له الحسن أنت يا عبداً لله ألقه عندي من
الحسن فالزم ما أنت عليه وقيل بينا أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس ما جاء
بك قال جئت لأنس بك فقال أويس ما كنت أرى أن أجدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال الفضيل
إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء
الناس وأن يجيئني من شغلني عن ربي وقال عبد الله بن زيد طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة
قبل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويحاوره في الآخرة وقال ذوالنون المصري سرور المؤمن
ولده في الخلو بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة الخلو بين

(١) حديث كان صلى الله عليه وسلم في أول أمره يقبّل في جبل حراء وينعزل إليه متفق عليه من
حديث عائشة نحوه فكان يغلو بنهار حراء يتحنّث فيه الحديث (٢) حديث لو كنت متخذاً خليلاً
لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

والحجاج في وصف
الغزو والحج مما يثير
كامن العزم من الغزى
وساكن الشوق من
الحاج وأما ما كان من
ذكر القدود والحدود
ووصف النساء فلا يليق
بأهل الديانات الاجتماع
لحل ذلك وأما ما كان
من ذكر المعجرو والوصل
والقطيعة والصد مما
يقرب حمله على أمور
الحق سبحانه وتعالى
من تلون أحوال
الريدين ودخول
الآفات على الطالبين
فمن سمع ذلك وحدث
عنده نم على ما فات
أو تجدد عنده عزم
لما هو آت فسكيف
يكون صحابه وقد قيل
إن بعض الواجدین
يقتات بالسباع ويتقوى
به على الطمّ والوصال
ويثير عنده من الشوق
ما يذهب عنه لخب
الجوع فإذا استمع
العبد إلى بيت من
الشعر وقبله حاضريه
كان يسمع الحادى

قد دل علمه وعمى قلبه وضيع عمره . وقال ابن المبارك ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى وبرىء عن بعض الصالحين أنه قال بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بباد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظرت إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل على بالنظر إليك فقال يا هذا إنى أقمت في هذا الجبل دهرًا طويلًا أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفنى فيه عمري نسأت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والافتراد فلما نظرت إليك خفت أن أتع في الأمر الأول فإليك عنى فإني أعوذ من شرك رب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماء من طول اللبس في الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نقض يديه وقال إليك عنى يا دنيا لغيري فترين وأهلك فترى ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان وجمع همهم في ذكره فلا شئ له عند من مناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس فإذا في الخلوة أنس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل :

وإني لأستبشى ومابى غشوة لعل خيالاً منك يلقى خيالاً
وأخرج من بين الجلوس لطفى أحدث عنك النفس بالسرخيال

ولذلك قال بعض الحكماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه خلوة ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ لملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على السكرة ويستخرج العلم والحكمة . وقد قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الله كالأُنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فإن غاية العبادات ومرة للعاملات أن يموت الإنسان بحبا لله عارفاً بالله ولا حجة إلا بالأُنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما ولا فراغ مع المخالطة .

(الفائدة الثانية)

التخلص بالزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة الغيبة والنميمة والرياء والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا . أما الغيبة فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربح للمهلكات وجوها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون فإن عادة الناس كافة التضمض بأعراض الناس والتفكك بها والتنقل بمحلاتها وهي طعنتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فإن خالطتهم وواقفتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وإن سكت كنت شريكاً ولستمع أحد القتاتين وإن أنكرت أبفضوك وتركوا ذلك القتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة وربما زادوا على الغيبة واتهوا إلى الاستخفاف والشتيم . وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب كما سيأتى بيانه في آخر هذا الرابع ومن خالط الناس فلا يغلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عنى الله به وإن أنكرت تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يحرمه طلب الخلاص منها إلى معاصى أكبر مما نهى عنه ابتداء وفي الزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق . وقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيباً وقال «أيها الناس إنكم تفرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم تضعونها في غير موضعها وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه .

أتوب إليك يا رحمن إنى
أسأت وقد تضاعفت
الذنوب

فأما من هوى إلى وحي
زيارتها ذاتي لأتوب
فطاب قلبه لما يجده
من قوة عزمه على
الثبات في أمر الحق
إلى الممات يكون في
مماعه هذا ذا كراهة

تعالى . قال بعض
أصحابنا سكننا نرف
مواجيد أصحابنا في
ثلاثة أشياء عند
المسائل وعند الغضب
وعند السماع . وقال
الجنيذ تزل الرحمة
على هذه الطائفة في

ثلاثة مواضع عند
الأكل لأنهم يأكلون
عن ذقة وعند المذاكرة
لأنهم يتجاوزون في
مقامات الصديقين
وأحوال النبيين وعند
السماع لأنهم يسمعون
بوجد ويشهدون حقاً
ومثل رويم عن وجد
الصوفية عند السماع
فقال يقبضون للعاني
التي تعذب عن غيرهم

أوشك أن يعمهم الله بعقاب (١) « وقد قال صلى الله عليه وسلم » إن الله ليسأل العبد حتى يقول له مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره فإذا لقن الله العبد حجه قال يارب رجوتك وخفت الناس (٢) « وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الأمر بالمعروف والنهي عن النكر إثارة للخصومات وتحريك لتوائل الصدور كاقيل :
وكم مقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد البغضة للتصحيح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه يجد أرائم الناس أن يقيمه فيوشك أن يستقط عليه فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته ما لائتم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وأنج نفسك . وأما الرياء فهو الداء العضال الذي يصير على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراً من دارهم ومن رآهم ومن راءهم وقع فياوقصوا فيه وهلك كما هلكوا وأقل ما يلزم فيه النفاق فأنك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يواقه صرت بغياًضاً إليهما جميعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . وقال عليه السلام » تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٣) « وقال عليه السلام » إن من شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه (٤) « وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والبالغة فيه ولا يغفل ذلك عن كذب إما في الأصل وإما في الزيادة وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك كيف أنت وكيف أهلك وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه وهذا نفاق محض قال سري لودخل على أخ لي فسويت لحقي يدي لدخوله فخشيت أن أكتب في جريدة الناقلين وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له ما جاء بك قال للواسة يا أبا علي فقال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تترنن لي وأنزني لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني أو أقوم عنك . وقال بعض العلماء ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به ودخل طاووس على الخليفة هشام فقال كيف أنت ياهشام غضب عليه وقال لم تخاطبني بأمر المؤمنين فقال لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافك فخشيت أن أكون كاذباً فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخاطب الناس وإلا فليرض باثبات اسمه في جريدة الناقلين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت وكيف أمسيت وكيف أنت وكيف حالك وفي الجواب عنه فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا قال حاتم الأصم لحامد اللخاف كيف أنت في نفسك قال سالم معافي فكره حاتم جوابه وقال يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة وكان إذا قيل لعيسى صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت قال أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتجاً بعمل والخير كله في يد غيره ولا أقدر أقرر مني وكان الريح بن خنيم إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت من ضغفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا وكان أبو الدرداء إذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحت بخير إن نجوت من النار وكان سفيان الثوري إذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفر من ذا إلى ذا وقيل لأوبس القرني كيف

(١) حديث أبي بكر إنكم تقرءون هذه الآية - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإنكم لتضعونها في غير موضعها الحديث أصحاب السنن قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث إن الله يسأل العبد حتى يقول مامنك إذا رأيت للنكر في الدنيا أن تسكره الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد (٣) حديث تجدون من شرار الناس ذا الوجهين متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث إن من شر الناس ذا الوجهين مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله .

فيشير إليهم إلى إلى
فيتنعمون بذلك من
الفرح ويقع الحجاب
لوقت فيعود ذلك
الفرح بكاء فمنهم من
يعزق ثيابه ومنهم من
يبكي ومنهم من يصيح .
أخبرنا أبو زرعة بإجازة
عن ابن خلف بإجازة
عن السلي قال سمعت
أبا سهل محمد بن سليمان
يقول للسمع بين
استثار ونجل فالاستثار
يورث التلهب والتجلى
يورث الزيف فالاستثار
يتولد منه حركات
الرديدن وهو محل
الضغف والعجز والتجلى
يتولد منه السكون
للواصلين وهو محل
الاستقامة والتحكين
وكذلك محل الحضرة
ليس فيه إلا الدبول
تحت موارد الهيبة قال
الشيخ أبو عبد الرحمن
السلي سمعت جدي
يقول المستمع ينبغي
أن يستمع بقلب ونفس
ميتة ومن كان قلبه
ميتاً ونفسه حية لا يحل

أصبحت قال كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدرى أنه يصبح وإذا أصبح لا يدرى أنه يمسي . وقيل لمالك ابن دينار كيف أصبحت قال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد . وقيل لبعض الحكماء كيف أصبحت قال أصبحت لأرضى حياتي لماتى ولا ترضى لربى . وقيل لحكيم كيف أصبحت قال أصبحت آكل رزق ربى وأطيع عدوه إبليس . وقيل لعماد بن واسع كيف أصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة . وقيل لحامد اللقاف كيف أصبحت قال أصبحت أشهى عافية يوم إلى الليل قليل له ألت في عافية في كل الأيام فقال العافية يوم لأعصى الله تعالى فيه . وقيل لرجل وهو يوجد بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبراً موحشاً بلامؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة . وقيل لحسان بن أبى سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يموت ثم يموت ثم يموت . وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك فقال وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناره ومعهيل فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفنها إليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عذب بها على نفسك وعيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا أسأل أحدا عن حاله أبدا وإنما فعل ذلك لأنه خشى أن يكون سؤاله من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مرايا مناققا قد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال القلب في معاملة الله وإن سألوا عن أمور الدنيا فمن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة وقال بعضهم إني لأعرف أقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه وأرى الآن أقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه فهل هذا إلا مجرد الرياء والفاق وآية ذلك أنك ترى هذا يقول كيف أنت ويقول الآخر كيف أنت فالسائل لا ينتظر الجواب والسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال . قال الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب وأما الآن فكيف أصبحت عافاك الله كيف أنت أصلحك الله فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينا وإن شاءوا لا وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة وقال رجل لأبى بكر بن عياش كيف أصبحت فما أجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون همواس بالشام من الموت القريع كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أصبحت والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس بخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور وبعضه مكروه وفي الزلة الخلاص من ذلك فإن من لقي الخلق ولم يخاتمهم بأخلاقهم مقتوه واستتقلوه واغتابوه وتشمروا لإيذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودينه في الاتهام منهم . وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين فلا يجالس الإنسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستتقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فإذا صار مستصغرا بطول المشاهدة أو شك أن تنحل القوة الوازعية عن الطبع لليل إليه أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غير استحقار الصغائر من نفسه ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغروا عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما يئيب له من النعم وكذلك النظر إلى الطمعين والعصاة هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتزهد عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار وإلى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه

له السماع وقيل في قوله تعالى - يزيد في الخلق ما يشاء - الصوت الحسن وقال عليه السلام «فه أشد أذنا بالرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب قينة إلى قينته» نقل عن الجنيد قال : رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم شيئا فقال إنه يصر على شأنهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئا إلا في وقتين قلت أى وقت قال وقت السماع وعند النظر فإني أسترق منهم فيه وأدخل عليهم به قال فخفيت رؤياى لبعض المشايخ فقال لو رأيته قلت له يا أحمق من مع منة إذا مع ونظر إليه إذا نظر أثربج أنت عليه شيئا أو تظفر بشئ منه قلت صدقت . وروى عائشة رضى الله عنها قالت «كانت عندي

مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر إلى الأحوال القلبية على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكنى في تفسير الطبع مجرد سماع الخير والشرفلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة (١) » وإنما الرحمة دخول الجنة وقضاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو ابتعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستكاف مما هو ملائمه من التصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والفهم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالفهم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأن كثرة ذكرهم تهون على الطبع أمر للمعاصي واللعنة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو للمعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه للشروع ومبدأ للمعاصي سقوط ثقلها وتضاغطها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك جمره علق بك من ريعه (٢) » فكما أن الريح يعلق بالتوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب للسك إن لم يهب لك منه تجد ريعه ولهذا أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لثنين : إحداهما أنها غيبة والثانية وهي أعظمهما أن حكايتها تهون على السامعين أمر تلك الزلة ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك للصبي فانهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يعطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام فكيف من شخص يتكالب على الدنيا ويعرض على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزينها ويهون على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرياسة وربما يستشهد عليه بقتال على ومعاوية ويحمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطالب الحق بل لطالب الرياسة فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرياسة ولو أزمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالنزول على مقتضى الشهوة ليتحل به وهو من دقائق مكاييد الشيطان ولذلك وصف الله الراغبين للشيطان فيها بقوله - الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه - وضرب ﷺ لذلك مثلا وقال « مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يسمع كمثل رجل آتى راعيا فقال له ياراعى اجرر لى شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم (٣) » وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضا وبما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلما أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعادا يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون

(١) حديث عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ليس له أصل في الحديث الرفوع وإنما هو قول سفيان ابن عيينة كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة (٢) حديث مثل الجليس السوء كمثل الكير الكبير الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث مثل الذي يسمع الحكمة ثم لا يعمل منها إلا شر ما يسمع كمثل رجل آتى راعيا فقال ياراعى اجرر لى شاة من غنمك الحديث ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

جارية تسحقني فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله ؟ فحدثه حديث الجارية فقال لا أبرح حتى أسمع ما سمع رسول الله فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمته « وذكر الشيخ أبو طالب السكي قال كان لطاء جاريتان تلحنان وكان إخوانه يجتمعون إليهما وقال أدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التاجين أعدهن للصوفية وهذا القول ثقلته من قول الشيخ أبي طالب فقال وعندي اجتناب ذلك هو الصواب وهو لا يسلم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى :

من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضى تركها الكفر عند قوم وحز الرقة عند قوم وتمرك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر والتساهل فيها بما يكثر فيسقط وقصا بالمشاهدة عن القلب ولذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير أو خاتما من ذهب أو شرب من إناء فضة استبعدته النفس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اختيار للناس ولا يستبعد منه ذلك والنية أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير ولكن كثرة صماع النية ومشاهدة للفنائين أسقط وقصا عن القلوب وهون على النفس أمرها فظن لهذه الدقائق وفر من الناس فراركا من الأمد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك العصية ويضعف رغبتك في الطاعة فإن وجدت جليسا يذكر الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تخارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولا حظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالمرزة أو التقرب إليه بالخلاطة وإياك أن تحكم مطلقا على المرزة أو على الخلاطة بأن إحداها أولى إذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا أوهم خلف من القول محض ولا حق في المفصل إلا التفصيل .

(الفائدة الثالثة)

(الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها)
وقلنا تغلوا البلاد عن نصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة منها قال عبدالله بن عمرو ابن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال « إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قلت فإنا أمرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر عليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (١) » وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق (٢) » وروى عبدالله بن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالتلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا لم تل للعيشة إلا بماصى الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة (٣) » وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالمرزة مفهومة منه إذ لا يستغنى التأهل عن العيشة والمخالطة ثم لا ينال العيشة إلا بمعصية الله تعالى ولست

يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور وما هذا القول من الشيخ أبي طالب للسك إلا مستغرب عجيب والتزه عن مثل ذلك هو الصحيح . وفي الحديث في مدح داود عليه السلام أنه « كان حسن الصوت بالياحة على نفسه وبتلاوة الزبور حتى كان يجتمع الإنس والجن والطير لسماع صوته وكان يحمل من مجله آلاف من الجنائز . وقال عليه السلام في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود » . وروى عنه عليه السلام أنه قال « إن من الشعر لحكمة » « ودخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرءون القرآن وقيام يشدون الشعر فقال يا رسول الله قرآن وشعر فقال من

(١) حديث عبد الله بن عمرو بن العاص إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم الحديث أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٢) حديث أبي سعيد الخدري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواء البخاري . (٣) حديث ابن مسعود سيأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق تقدم في النكاح .

أقول هذا أو أن ذلك الزمان فلقد كان هذا بأعصار قبل هذا العصر ولأجله قال سفيان والله لقد حلت العزلة . وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الفتنة وأيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جلسه قلت فم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت يا رسول الله أرايت إن دخل على دارى قال فادخل بيتك قلت فإن دخل على بيتى قال فادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربى الله حتى تموت (١) » وقال سعد لما دعى إلى الخروج أيام معاوية لا إلا أن تعطوني سيفه لعينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فأقتله وبالمؤمن فأكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على عجة يضاء فبينهم كذلك يسرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق فالتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتأهوا وصلوا . وقال بعضهم ذات الشمال فأخذوا فيها فتأهوا وصلوا وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهب الريح وتبينت الطريق فصاروا فاعزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بمدزو والفتن . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضى الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له أين تريد فقال العراق فإذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم ويعتقم فقال لا تنتظر إلى كتبهم ولا تأتهم فأبى فقال إني أحدثك حديثا إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم غفيرة بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يلها أحد منكم أبدا وماصر فيها عنكم إلا للذى هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال أستودعك الله من قتل أو أسير (٢) وكان في الصحابة عشرة آلاف لما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلا وجلس طاوس في بيته فقبله في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الأئمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له لزم القصر وترك مسجد رسول الله ﷺ فقال رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجأكم عالية وفيها هناك عما أتم فيه عافية فإذا من الحذر من الخصومات ومثارات الفتن إحدى فوائد العزلة .

(الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس)

فانهم يؤذونك مرة بالفتنة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالافتراء والأطباع الكاذبة التي يصر الوفاء بها وتارة بالتمية أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر فإذا اعتزلتهم استغيت من التحفظ عن جميع ذلك ، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم قال ما هما قال :

اخفض الصوت إن نطقت بليل والثفت بالهزار قبل القفال

ليس للقول رجمة حين يبدو بقبیح يكون أو بحمال

ولاشك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدو يسوء الظن به ويتوهم أنه يستعمل عاداته ونصب المكيدة عليه وتأسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر يحسبون كل

(١) حديث ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام المهرج قلت وما المهرج قال حين لا يأمن الرجل جلسه الحديث أبو داود مختصرا والخطابي في العزلة بتمامه وفي إسناده عند الخطابي انقطاع ووصله أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم محتاج إلى معرفته (٢) حديث ابن عمر أنه لما بلغه أن الحسين توجه إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة أيام الحديث وفيه أنه صلى الله عليه وسلم خير بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة الطبراني مقتصر على المرفوع رواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام وكذا رواه البزار بشواه وإسنادهما حسن .

هذامرة ومن هذامرة
وأشد النابغة عند
رسول الله صلى الله عليه
وسلم آياته التي فيها :
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بواد تحمي صفوه
أن يكدر
ولا خير في أمر إذا لم
يكن له
حكيم إذا ما ورد الأمر
أصدرا

قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم
« أحسنت يا أبا ليلى
لا يفضض الله فاك »
فماش أكثر من مائة
سنة وكان أحسن الناس
تقرا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يضع لسان منبرا في
المسجد فيقوم على المنبر
فأعما يهجو الذين كانوا
يهجون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويقول
النبي صلى الله عليه
وسلم « إن روح القدس
مع حسان مادام بنافع
عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم » ورأى
بعض الصالحين أبا

صبيحة عليهم هم العدو واحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال النبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يتداه من توهم
وعادى عييه بقول عدياته فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقد قيل معاشر الأشرار تورث سوء الظن بالأبرار وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وعن
يختلط به كثيرة ولنا نطول بتفصيلها فيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها
وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء أخبر تفلح يروي مرفوعا وقال الشاعر:

من حمد الناس ولم ييلهم ثم بلام ذم من محمد
وصار بالوحدة مستأنسا يوحشه الأقرب والأبعد

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من القرنين السوء . وقيل لعبد الله بن الزبير ألا تأتي للدينة فقال
ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنعمة . وقال ابن السكيت كتب صاحب لنا أما بعد فإن الناس كانوا دواء
يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد وكان بعض الأعراب يلزم شجرا ويقول
هو نديم فيه ثلاث خصال إن سمع مني لم ينم علي وإن تفلت في وجهه احتمل مني وإن عربت عليه
لم يفضض فسمع الرشيد ذلك فقال زهدني في الندماء ، وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والقبائر فقيل له في ذلك
فقال لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليسا أمتنع من دقتر . وقال الحسن رضي الله عنه أردت
الحج فسمع ثابت البناني بذلك وكان أيضا من أولياء الله فقال بلغني أنك تريد الحج فأجبت أن أحبك
فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاضد بستر الله علينا إني أخاف أن نصطبغ بغير بضنا من بعض ما تهاقت
عليه وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء السر على الدين والروء والأخلاق والفقرو سائر
العورات وقد مدح الله سبحانه التستريين فقال - يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف - وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجلل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودينه وأخلاقه وأفعاله عن عورات الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى
السلامة مع انكشافها . وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه
وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر . وقال
سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته أقلل من معرفة الناس
فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت . وقال بعضهم جئت إلى مالك
ابن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنك على ركبته فذهبت أطرده فقال دعه يا هذا هذا
لا يضر ولا يؤذي وهو خير من المجلس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على أن تعتزل الناس قال خشيت أن
أساب ديني ولا أشعر وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرنين السوء وقال أبو الدرداء اتقوا
الله واحذروا الناس فانهم ماركبو اظهر بغير إلا أدبروه ولا ظهروا جواد إلا عقروه ولا قلب مؤمن إلا خربوه ،
وقال بعضهم أقلل المعارف فانه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسهو الحقوق عنك لأنه كلما كثرت
المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تعرف إلى من لا تعرف .

(الفائدة الخامسة)

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد
فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور
الجنائز وعبادة المريض وحضور الولائم والأملات وفيها تضييع الأوقات وتعرض لآفات ثم قد
تموق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المآذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون له فلت بحق .

العباس الحضر قال

قلت له ما تقول في

الجماع الذي يختلف فيه

أصحابنا فقال هو الصفا

الزلال لا يثبت عليه

إلا أقدام العلماء . وقيل

عن عماد الدينوري

قال رأيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم في

الجماع قلت يا رسول الله

هل تنكر من

هذا الجماع شيئا ؟

فقال ما أنكره ولكن

قل لهم يفتحون

قبله بقرأة القرآن

ويختمون بعده

بالقرآن قلت يا رسول

الله إنهم يؤذون

وينسبون فقال

احتملهم يا أيها علي

أصحابك فكان عماد

يفتخر ويقول كنان

رسول الله صلى الله

عليه وسلم . وأما وجه

الانكار فيه فهو أن

يرى جماعة من المريدين

دخلوا في مبادئ الارادة

وهو سبهم ما عرفت على

صدق المجاهدة حتى

يحدث عندهم علم بظهور

فلان وقصرت في حقنا وبصر ذلك سبب عداوة قد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة انتهى موته خيفة من تحجيله إذا صح على نفسه ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص استوحشوا وتميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه التجرد له طول الليل والتهار فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا . قال عمرو بن العاص كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله أصل كل عداوة اصطناع المروء إلى اللثام وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضا فائدة جزيلة فان من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبت بقوة الحرص طعمه ولا يرى إلا الحية في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال الله تعالى - ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم - وقال صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم ^(١) » وقال عون بن عبد الله كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموما كنت أرى ثوبا أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحمت . وحكى أن الزنى رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكة فبهره مارأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أفصبرون - ثم قال بلى أصبر وأرضى وكان فقيرا مقلا فالذى هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فلما أن يقوى دينه ويقينه يصبر فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو أمر من الصبر أو تنبث رغبته فيحتاج إلى طلب الدنيا فملك هلاكا مؤبدا أما في الدنيا فبالطمع الذي يوجب أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له وأما في الآخرة فبإشارته متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه ولذلك قال ابن الأعرابي :

إذا كان باب الدل من جانب التقى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلا .

(الفائدة السادسة)

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحقى ومقاساة حقمهم وأخلاقهم فان رؤية الثقل هي العمى الأصغر قيل للأعمش ثم عمشت عينك قال من النظر إلى الثقلاء . ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر « إن من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما ^(٢) » فما الذي عوضك فقال في معرض المطاوعة عوضني الله منهما أنه كفا في رؤية الثقلاء وأنت منهم . وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت إلى ثقل مرة ففتشني على وقال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء . وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل على من الجانب الآخر . وهذه القوائد ماسوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما تأذى برؤية ثقل لم يأمن أن يفتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله فاذا تأذى من غيره بغية أو سوء ظن أو محاسدة أو نعمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يحجر إلى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليتهم .

(١) حديث انظروا إلى من هو دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم مسلم من حديث أبي هريرة (٢) حديث من سلب الله كرميته عوضه الله عنهما ما هو خير منهما الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير من سلب كرميته عوضه الله عنهما الجنة ولهم لأحمد نحوه من حديث أبي أمامة بسند حسن وللبخاري من حديث أنس يقول الله تبارك وتعالى إذا ابتليت عبدي بحبيبتي ثم صبر عوضته منها الجنة يريد عينيه .

صفات النفس وأحوال
القلب حتى تنضبط
حركاتهم بقانون
العلم ويعلمون ما لهم
وعليهم مشتغلين به
حكى أن ذا النون لما
دخل بغداد دخل عليه
جماعة ومعهم قوال
فاستأذنه أن يقول
شيئا فأذن له فأشدد
القول :

صغير هواك عذبي
فكيف به إذا احتسكا
وأنت جمعت من قلبي
هوى قد كان مشتركا
ما ترقى لمكتب
إذا ضحك الخلى بكى
فطاب قلبه وقام وتواجد

وسقط على جبهته والدم
يقطر من جبهته ولا يقع
على الأرض ثم قام
واحد منهم فنظر إليه
ذو النون فقال اتق
الذي يراك حين تقوم
فجلس الرجل وكان
جالوسه لموضع صدقه
وعلم أنه غير كامل
الحال غير صالح للقيام
متواجدا فيقوم أحدم
من غير تدبير وعلم في

(آفات العزلة)

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالخاططة فكل ما يستفاد من الخاططة يفوت بالعزلة وفوائده من آفات العزلة فانظر إلى فوائد الخاططة والدواعي إليها ماهي وهي التعليم والتعلم والنفع والاستفاد والتأديب والتأديب والاستئناس والابتناس ونيل الثواب وإثباته في القيام بالحقوق واعتناء التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوائد الخاططة وهي سبع :

(الفائدة الأولى : التعليم والتعلم)

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك إلا بالخاططة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالحاجة إلى التعلم لما هو فرض عليه عام بالعزلة وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الحسرة ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته نوم أو فكر في هوس وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها ولا يفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من القصور يغيب عنه ويبطل عمله بحيث لا يدري ولا يفك في اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال أعنى من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فثاله النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه فالمرضى الجاهل إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لاهعالة مرضه فلا تليق العزلة إلا بالعلم وأما التعليم فبغيره نواب عظيم مهما سحت نية العلم والتعلم ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه فانه لا يرى مستفيدا يطلب فائدة لدينه بل لا طالب إلا الكلام مزخرف يستعمل به العوام في معرض الوعظ أو الجدل معقد يتوصل به إلى إغلام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض النافسة والباهة وأقرب علم مرغوب فيه الذهب ولا يطلب غالبا إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولى الولايات واجتلاب الأموال فهو لاء كلهم يقتضى الدين والحزم الاعتزال عنهم فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكم كان العلم منه وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف ولا ينبغي أن يفتر الإنسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله فان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله وانظر إلى أواخر أعمار الأكرمين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها وليس الخبر كالمائة . واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فان لم يؤثر في الحال أثر في المال ، وأما الكلام والفقهاء الجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات الذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله بل لا يزال متجاذبا في حرصه إلى آخر عمره ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخس فيه إذ يرجى أن يترجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فان القصر العالم

قيامه وذلك إذا سمع
إيقاعا موزونا بسمع
يؤدى ماسمه إلى طبع
موزون فيتحرك بالطبع
الموزون للصوت
الموزون والايقاع
للموزون وينسب
حجاب نفسه للنسب
بأبسط الطبع على
وجه القلب ويستفزه
النشاط للبحث من
الطبع فيقوم برقص
موزونا موزجا بتصنع
وهو محرم عند أهل
الحق ويعيب ذلك
طية للقلب وما رأى
وجه القلب وطيبته لله
تعالى ولمرى هو
طية القلب ولكن
قلب ملون بلون النفس
ميال إلى الهوى موافق
للردى لا يهتدى إلى
حسن النية في الحركات
ولا يعرف شروط صحة
الارادات ومثل هذا
الراقص قبل الرقص
قص لأنه رقص
مصدره الطبع غير
مفترن بنية صالحة
لا سيما إذا انضاف

بتقصيره أسعد حالا من الجاهل المغرور أو المتجاهل المتبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجلاء وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فأفة العلم الخلاء (١) كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولذلك حكى عن بشر أنه دفن سبعة عشر قطرا من كتب الأحاديث التي سمعها وكان لا يحدث ويقول إني أشتي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتيت أن لا أحدث لحذت ولذلك قال حدثنا باب من أبواب الدنيا وإذا قال الرجل حدثنا فاعما يقول أوسعوا لي . وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري ، نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيذا رغبت ؟ قالت : في الحديث ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني من تزوج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر قد دركن إلى الدنيا فهذه آفات قد نهينا عليها في كتاب العلم والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلا في مثل هذا الزمان أن يتركه فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال إخوان الغلانية أعداء السر إذا لقوك تعلقوك وإذا غبت عنهم سلقوك من أتاك منهم كان عليك رقبيا وإذا خرج كان عليك خطيبا أهل حاق ونجعة وغل وخديعة فلا تفر باجتماعهم عليك فأغرضهم العلم بل الجلاء والمال وأن يتخذوك سلما إلى أوطارهم وأغراضهم وحمارافي حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريتهم وخادهم ووليهم وتنهض لهم سفيرا وقد كنت قريبا وتكون لهم تابعا خيسا بعد أن كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل إعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدى تحفه إليهم ويرى حقه واجبا عليهم وربما لا يختلف إليه مالم يتكفل برزق له على الإدرار ثم إن للدرس السكين قديمجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال مترددا إلى أبواب السلاطين ويقاسي القتل والشدائد مقاساة الدليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يستترقه ويستخدمه ويعتنه ويستفله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوى بينهم مقته الميزون ونسبوه إلى الحق وقلة التميز والقصور عن درك مصارقات الفضل والقيام بمقادير الحقوق بالعدل وإن قاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنه حداد وثاروا عليه ثوران الأسود والأصايد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطابقة ما يأخذونه ويفرقه عليهم في العقبي والعجب انه مع هذا البلاء كله يعنى نفسه بالأباطيل ويدلها بجبل الغرور ويقول لها لا تفتري عن صنعك فأما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذبة شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشرة علم دين الله وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله وأموال السلاطين لأمالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم فبهم يظهر الدين وينفوى أهله ولولم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال ويستجرون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لأثارهم ولذلك قيل ما فسدت الرعية إلا بفساد اللوك وما فسدت اللوك إلا بفساد العلماء فعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي ليس له دواء .

إلى ذلك شوب حركاته
بصرح التفاف بالتودد
والقرب إلى بعض
الحاضرين من غير
نية بل بدلالة نشاط
النفس من العاقبة
وتقيل اليد والقدم
وغير ذلك من الحركات
التي لا يعتمد عليها من
التصوفة إلا من ليس
له من التصوف إلا
مجرد زى وصورة أو
يكون القوال أمرد
تنجذب النفوس إلى
النظر إليه وتستلذ ذلك
وتضمر خواطر السوء
أو يكون للنساء إشراف
على الجمع وتواصل
البواطن الملوثة من
الموى بسفارة الحركات
والرقص وإظهار
التواجد فيكون ذلك
عين الفسق المجمع على
تخرجه فأهل اللواخير
حينئذ أرجى حالا ممن
يكون هذا ضميره
وحركاته لأنهم يرون
فسفهم وهذا لا يراه
ويريه عبادة لمن لا يعلم
ذلك أقرى أحدا من

(١) حديث آفة العلم الخلاء المروفي مارواه مطين في مسنده من حديث على بن أبي طالب بسند ضعيف آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخلاء .

(الفائدة الثانية النفع والانتفاع)

أما الانتفاع بالناس في الكسب والمعاملة وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والحاجة إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه كإذ كرهناه في كتاب الكسب فإن كان معه مال لو اكتفى به قائما لأفقه فالعزلة أفضل له إذا انسدت طرق الكسب في الأكثر إلا من المعاصي إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافعة وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالحق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولأمن الأقبال بكنه المهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله أعنى من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لآعن أوهام وخيالات فاسدة . وأما النفع فهو أن ينفع الناس إما بماله أو بدينه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة في النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزله إلا بالنافل الصلوات والأعمال البدنية وإن كان ممن افتتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة .

(الفائدة الثالثة التأديب والتأدب)

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذى كسرا للنفس وقهر للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تهذب أخلاقه ولم تدع عن حدود الشرع شهواته ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخاطبون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسرا لرغوة النفس واستمدادا من بركة دعاء الصوفية النصارفين بهمهم إلى الله سبحانه وكان هذا هو البدأ في الأغصار الحالية والآن قد خالطته الأمراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كمالا سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الأتباع فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو إلى القبر وإن كانت التبرية النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل الراد منها أن تتخذ مركبا يقع به المراحل ويطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها وهي لعمرى فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة وإنما تراد الدابة الفائدة تحصل من حياتها فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت ولا ينبغي أن يقتصر على كراهب الذي قيل له ياراهب فقال ما أناراهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس وهذا حسن بالإضافة إلى من يسقر الناس ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه فإن من قتل نفسه أيضا لم يسقر الناس بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أولا والعزلة أخرا . وأما التأديب فأنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطهم وحاله حال العلم وحكمه حكمه ويتطرق إليه من دقائق الآفات والزياد ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن يحايل طلب الدنيا من المريدن الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبه العلم ولذلك يرى فهم قلة وفي طلبه العلم كثرة فينبغي أن يقبس ما تيسر له من الحلول بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وإيقاب أحدهما بالآخر وإثبات الأوسل وذلك يدرك بدق

أهل الديانات يرضى بهذا ولا ينكره فمن هذا الوجه توجه للنكر الانكار وكان حقيقا بالاعتذار فكمن من حركات موجبة للمقت وكم من نهضات تذهب رونق الوقت فيكون إنكار النكر على المرید الطالب ينفعه عن مثل هذه الحركات ويحذره من مثل هذه المجالس وهذا إنكار صحيح وقد يرقص بعض الصادقين بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال ووجه نيته في ذلك أنه ربما يوافق بعض الفقراء في الحركة فيتحرك بحركة موزونة غير مدع بها حالا ووجدا يجعل حركته في طرف الباطل لأنها وإن لم تكن محرمة في حكم الشرع ولكنها غير محللة بحكم الحال لما فيها من الأهم وتقصير حركاته ورفسه من قبيل المباحات التي تجري عليه من الضحك

الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقا بنفي ولا إثبات .

(الفائدة الرابعة : الاستئناس والإيناس)

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس وهذا يرجع إلى حفظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا يجوز مؤانسته أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك الأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتلاقى بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتيسير دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت عمت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس بروح القلب فهي أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن الله لا يعل حق تملوا ^(١) » وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها للملازمة داعية للفترة وهذا عن بقوله عليه السلام « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والابضال فيه برفق دأب للتبصرين ولذلك قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس ، وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس إلا الناس فلا يستغنى العزل إذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فيجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ^(٢) » وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاعتداء إلى الرشد ففي ذلك متنفس ومتروح للنفس وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح نفسه فانه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعمارا طويلة والراضى عن نفسه مغرور قطعاً فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليفتقد أحوال القلب وأحوال الجاليس أو لا ثم ليجالس .

(الفائدة الخامسة : في نيل الثواب وإنائته)

أما النيل فيحضور الجنائز وعبادة المرضى وحضور العيدين ، وأما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضا لا رخصة في تركه إلا لحوف ضرر ظاهر يقام ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث إنه إدخال سرور على قلب مسلم . وأما إنائته فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في المصائب أو يهنوه على النعم فانهم ينالون بذلك ثوابا وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو بالتمسكين سببا فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بأفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة . فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعبادة المرضى وحضور الجنائز بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور وبعضهم فارق الأمصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل .

(الفائدة السادسة)

من المخالطة التواضع فانه من أفضل القامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روى في الاسرائيليات أن حكيمًا من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة فأوحى الله إلى نبيه قل لعلان إنك قد ملأت الأرض نفاقا وإنى لا أقبل من نفاقك شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال الآن قد بلغت رضا ربى

(١) حديث إن الله لا يعل حق تملوا تقدم (٢) حديث المرء على دين خليله تقدم في آداب الصحبة .

والداعية وملاعبة الأهل والولد ويدخل ذلك في باب الترويح للقلب وربما طار ذلك عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس كما نقل عن أبي الدرداء أنه قال إني لأستجم نفسي بشي من الباطل ليكون ذلك عوناً لى على الحق ولوضع الترويح كرهت الصلاة في أوقات ليستريح عمال الله وترفع النفوس ببعض مآربها من ترك العمل وتستطيب أوطان الليل والآدمى يترحمه المختلف وترتيب خلقه المتنوع بتنوع أصوله خلقته وقد سبق شرحه في غير هذا الباب لأننى قواه بالصبر على الحق الصرف فيصكون التنفس في أمثال ما ذكرناه من الباح التى ينزع إلى هو ما باطلا يستمان به على الحق فان الباح وإن لم يكن باطلا في حقيقة

فأوحى الله إلى نبيه قل له إنك لن تبلغ رضى حق تحالط الناس وتصر على أذاهم فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومضى في الأسواق معهم فأوحى الله تعالى إلى نبيه الآن قد بلغ رضى فكم من معزل في بيته وباعته الكبر ومانعه عن الحافل أنت لا يوقر أولاً يقدم أو يرى الترفع عن مخالطهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس وقد بعزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت سترًا على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والسياسين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذى يفيض إليه المخالطة وزيارة الناس لفيض إليه زيارتهم له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئني إلا لأتزين لك وتزين لى . وعن حاتم الأصم أنه قال للأمير الذى زاره حاجي أن لا أراك ولا ترانى فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزله عن الناس سيده شدة اشتغاله بالناس . لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرم إليه بعين الوقار والاحترام والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه : أحدها أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعله أودينه إذ كان على رضى الله عنه بحمل الفخر والمخ في ثوبه ويده ويقول : لا ينقص الكامل من كاله . ماجر من تقع إلى عياله

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبى وابن مسعود رضى الله عنهم يحملون حزم الخطب وجرب الدقيق على أكتافهم . وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول وهو والى المدينة والخطب على رأسه طرّقوا لأمرهم « وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب الشيء أحق بحمله (١) » وكان الحسن بن علي رضى الله عنه يامر بالسؤال وبين أيديهم كسر فيقولون : هلم إلى الفداء يا ابن رسول الله فكان ينزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول - إن الله لا يحب المتكبرين - الوجه الثانى أن الذى شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يفتنون عنه من الله شيئاً وأن ضرره وتعبه يد الله ولا نافع ولا ضارّ سواء وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تتال فرضا الله أولى بالطلب ولذلك قال الشافعى ليونس بن عبد الأعلى والله ما أقول لك إلا نصيحة إنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ماذا يصلحك فافعله ولذلك قيل :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له : اعمل كذا وكذا كذا أمره به فقال يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين : عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه وإن أحدا لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأى حال يرويه . وقال الشافعى رحمه الله ليس من أحد إلا أول عيب ومبغض فإذا كان هكذا فكأن مع أهل طاعة الله . وقيل للحسن يا أبا سعيد إن قومًا يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعيتك بالسؤال فتبسم وقال للقاتل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ومحدثت نفسي بالسلامة من الناس لأنى قد

(١) حديث كان يشتري الشيء ويحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله فيقول صاحب المتاع أحق بحمله أبو يعلى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذى اشتراه .

الشرع لأن حدّ الباح ما استوى طرفاه واعتدل جانباه ولكنه باطل بالنسبة إلى الأحوال ورأيت في بعض كلام سهل بن عبد الله يقول في وصفه للصادق الصادق يكون جهله مزيدا لعلمه وباطله مزيدا لحقه ودينه مزيدا لآخرته ولهذا المعنى حجب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ليكون ذلك حظ نفسه الشريفه للهوب لها حظوظها للوفر عليها حقوقها لموضع طهارتها وقديسها فيكون ما هو نصيب الباطل الصرف في حق الغير من اللباحات المقبولة برخصة الشرع الرودة بعزيمة الحال في حقه صلى الله عليه وسلم متسا بسمه العبادات وقد ورد في فضيلة النكاح ما يدل على أنه عبادة ومن ذلك

علت أن خالطهم ورازقهم ومحيرهم ومخيرهم لم يسلم منهم . وقال موسى صلى الله عليه وسلم : يا رب احبس عني ألسنة الناس فقال يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسى فكيف أقصه بك وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزير إن لم تطب نفسا بأن أجعلك علكا في أفواه اللاضفين لم أكتبك عندي من للتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا - ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون - فاذن لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربه ذكرًا وفكرًا وعبادة وعلمًا بحيث لو خالطه الناس لضاقت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقيا فانه مهلكات في صور منجيات .

(الفائدة السابعة التجارب)

فانه استناد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل التريزى ليس كافيا في فهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحسب التجارب فالصبي إذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكتفيه ذلك ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة ومن أتم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يجدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الحلاء يبرو وكل غضوب أو حقود أو حمود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إبطاؤها قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحرركها فثال القلب للشجون بهذه الحباثت مثال دمل يمتلئ بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بأنه مالم يتحرك أو يحس فيه فانه لم يكن له يد نفسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يهركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد قده ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لا تجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختلق إذا حبس عن الاسترسال فكذلك القلب للشجون بالحدود والخل والحد والغضب وسائر الأخلاق السميعة إنما تتفجر منه خباثته إذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون تركية القلوب يجربون أنفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا حتى في إماتته حتى كان بعضهم يحمل قرعة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليحرب نفسه بذلك فان غوائل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يفتطن لها ، ولذلك حكى عن بعضهم أنه قال أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أنى كنت أصلها في الصف الأول ولكن تغلفت يوما بنذر فها وجدت موضعاً في الصف الأول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس إلى وقد سيق إلى الصف الأول فسلت أن جميع صلواتى التى كنت أصلها كانت مشوبة بالرياء مخروجة بلمنة نظر الناس إلى ورويتهم إياى في زمرة السابقين إلى الخير فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الحباثت وإظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الأخلاق فانه نوع من المخالطة الداعة ومتأنى غوائل هذه الأمانى ودقائقها في ربيع المهاسكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستعمل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا الصلاة أفضل من الصلاة فانما تعلم أن ما يراد لغيره فان ذلك الغير أشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال صلى الله عليه وسلم « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابى »^(١) فعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه : أحدها ما ذكرناه والثانى عموم النفع لتمدى فائدته والعمل لا تمدى فائدته والثالث أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله فذلك أفضل من كل عمل بل مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتثبت

(١) حديث فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابى تقدم في العلم .

من طريق القياس
اشتغاله على الصالح
الدينية والدينية على
ما أطيب في شرحه
الفقهاء في مسألة
التخلي لنوافل المبادات
فاذا يخرج هذا
الراقص بهذه النية
التبرى من دعوى
الحال في ذلك من
إنكار الشكر فيكون
رقصه لاهليه ولا له
وربما كان بحسن
النية في الترويح يصير
عبادة سببا إن أضمر
في نفسه فرحا بربه
ونظر إلى شمول رحمته
وعطفه ولكن لا يلبق
الرقص بالشيوخ
ومن يقتدى به لما فيه
من مشاجرة اللهو
واللهو لا يلبق بمنصهم
ويبين حال التمكن
مثل ذلك وأما وجه
منع الإنكار في السماع
فهو أن الشكر للسمع
على الاطلاق من غير
تفصيل لا يخلو من
أحد أمور ثلاثة إما

بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبة فالعمل وعلم العمل مراد أن لهذا العلم وهذا العلم غاية المريد
والعمل كشرط له وإليه الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - فالكلم
الطيب هو هذا العلم والعمل كالحال الرفع له إلى مقصده فيكون الرفع أفضل من الرفع وهذا
كلام مقترض لا يليق بهذا الكلام - فلنرجع إلى المقصود فنقول : إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها
تحققت أن الحكم عليها مطلقا بالتفضيل غيا وإثباتا خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى
الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى القائن بسبب مخالطته من هذه الفوائد للذكورة ويقاس
القائن بالحاصل فند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب
إذ قال يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانقباض إليهم محبة لقرناء السوء فكأن بين
النقبض والنبيض فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال وبملاحظة الفوائد
والآفات يتبين الأفضل هذا هو الحق الصراح وكل ماذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار كل
واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز أن يحكم بها على غيره الخائف له في الحال والفرق بين العالم
والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا يجزم تختلف أجوبتهم
في المسائل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك
بما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك مثل الصوفية عن
الفقر فما من واحد إلا أجاب بجواب غير جواب الآخر وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق
في نفسه إذا الحق لا يكون إلا واحدا ولذلك قال أبو عبد الله الجلاء ، وقد مثل عن الفقر فقال ضرب
بكُميك الحائط وقل ربني الله فهو الفقر . وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسأل أحدا ولا يعارض وإن
عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر وقال آخر هو أن لا يكون لك فان
كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك وقال إبراهيم الخواص هو ترك الشكوى وإظهار أثر
البلى والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة فلما يتفق منها اثنان وذلك كله
حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما
لصاحبه قدما في التصوف أو ينفي عليه بل كل واحد منهم يدعي أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه
لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفتون إلى
غيرهم ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ومثال نظر هؤلاء ما رأيت
من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدما . وحكى عن آخر أنه
نصف قدم وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام . وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام وآخر يرد
عليه فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه يولد
نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطيطه صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده كما أن الصوفي
لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه
بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها
يقصر فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة . فان قلت فمن أثر العزلة ورآها أفضل له
وأسلم فما آدابها في العزلة فنقول إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة
وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزله كنه شرفه عن الناس أولا ثم طلب
السلامة من شر الأشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد
بكنه المهمة لبادئة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر

جاهل بالسنن والآثار
وإما مقتر بما أتبع
له من أعمال الأخبار
وإما جامد الطبع
لا ذوق له فيصير على
الإنكار وكل واحد
من هؤلاء الثلاثة
يقابل بما سوف يقبل ،
أما الجاهل بالسنن
والآثار فيعرف بما
أسلفناه من حديث
عائشة رضي الله عنها
وبالأخبار والآثار
الواردة في ذلك وفي
حركة بعض المتحركين
تعرف رخصة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
للعبسة في الرقص
ونظر عائشة رضي الله
عنها إليهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
هذا إذا سلمت الحركة
من المنكرات التي
ذكرناها وقد روى
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لعلى
يرضى الله عنه أنت
منى وأنا منك فحبل
وقال لجعفر أشبهت

ليجتنى ثمرة العزلة ولينجس الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش أكثر وقته وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به فإن كل ذلك يفسد في القلب حتى ينفث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحسب فوقع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض فلا بد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض وأحد مهمات المنزل قطع الوسوس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوسوس وأصولها وليقع باليسر من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولومدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة فإن السير إما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوته سمواته وأرضه وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفاسد القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل صالحة أو جلس صالح لتسريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة فيه عون على بقية الساعات ولا يئمه له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا يقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة ولينتحق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وأن من أنسى بذكر الله ومعرفته فلا يزال للموت أنه إذ لا يهدم للموت هل الأنس والعرفة بل يبقى حياً بمعرفته وأنه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته كما قال الله تعالى في الشهداء - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله - وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد منهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر « فالجهاد من جاهد نفسه وهواه (١) » كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال بعض الصحابة رضى الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يضنون جهاد النفس .

تم كتاب العزلة ويشلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده .

(كتاب آداب السفر)

وهو الكتاب السابع من ربيع العادات من كتب إحياء العلوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر واستخلص همهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر فأصبحوا راضين بمجاري القدر منزهي قلوبهم عن التفت إلى متزهات البصر إلا على سبيل الاعتبار بما يسح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر . والصلاة على محمد خير البشر وعلى آله وصحبه القتنين لأنارهم في الأخلاق والسير وسلم كثيراً .

(١) حديث المجاهد من جاهد نفسه وهواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصحبه دون قوله وهواه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصعبة .

(كتاب آداب السفر)

خلقى وخلقى فجعل وقال
لزيد أنت أخونا ومولانا
فجعل « وكان جعل
جعفر في قصة ابنه حمزة
لما اختصم فيها على
وجعفر وزيد . وأما
النكر الغرور بما
أصبح له من أعمال
الأخبار فيقال تفريك
إلى الله بالصادقة لشفل
جوارحك بها ولولانية
قلبك ما كان لعمل
جوارحك قدر فأنما
الأعمال بالنيات ولكل
امرى مانوى والنية
لنظرك إلى ربك خوفاً
أو رجاء فالساع من
الشعر بيتا يأخذ منه
معنى يذكره ربه إما
فرحاً وحزناً أو انكساراً
أو افتقاراً كيف يقلب
قلبه في أنواع ذلك
ذاكراً لربه ولو سمع
صوت طائر طاب له ذلك
الصوت وتفكر في قدرة
الله تعالى وتسويته
حجرة الطائر وتسويته
حلقه ومنشأ الصوت
وتأديته إلى الأصماع

[أما بعد] فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب ومرعوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحارى والقفلات وسفر بسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات وأشرف السفيرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقاه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة القهص ومبتدل بمقتضى قضاء - جنة عرضها السموات والأرض - ظلة السجن وضيق الحبس ولقد صدق القائل :
ولم أر في عيوب الناس عيباً كنعص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقصده في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخبر فانتضى غموض السيل وقصد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندرس مسالكه فانتطح فيه الرفاق وخلا عن الطافين متزهات الأتس والملكوت والآفاق وإليه دعا الله سبحانه بقوله - سربهم آياتاً في الآفاق وفي أنفسهم - وبقوله تعالى - وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسهم أفلا تبصرون - وعلى التعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى - وإنكم لترون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون - وبقوله سبحانه - وكأن من آية في السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون - فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متزهاً في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والوارد ولا يضر فيه التزامم والتوارد بل تزيد بكثرة للسافرين غناؤه وتضاعف ثمراته وفوائده فضائعه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للسافر قرة في سفره ووقفة في حركته فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا زاغوا أزاح الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر يده في مدة مديدة فراسخ معدودة مفتناً بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكى سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان وإن اظلم عليها لم يحل سفره عن فوائده تلحقه بمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى . الباب الأول : في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان . الباب الثاني : فيما لا بد للسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات .

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان :
النصل الأول في فوائد السفر وفعله ونيته)

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كاذكرناه في كتاب الصعبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه وإما أن يكون له مقصد ومطلب والمهرب عنه إما أمر له نكابة في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر يله أو خوف سيئه فتنة أو خصومة أو غلاء ومر وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأفية في بلدة فيهرب منها وإما أمر له نكابة في الدين كمن ابتلى في بلدة بجاء ومال واتساع أسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والحول ويحجب السعة والجاه أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لأهل مباشرته فيطلب الفرار منه وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني والدين إما علم وإما عمل والعلم إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق

كان في جميع ذلك
السكر مصعباً مقدماً
فإذا سمع صوت آدمي
وحضره مثل ذلك
السكر وامتنلاً باطنه
ذكراً وفكراً كيف
ينحصر ذلك . حكى
بعض الصالحين قال
كنت متكفناً في جامع
جدة على البحر فرأيت
يوماً طائفة يقولون في
جانب منه شيئاً
فأنسكوت ذلك بقلبي
وقلت في بيت من بيوت
الله تعالى يقولون
الشعر فرأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
في المنام تلك الليلة وهو
جالس في تلك الناحية
وإلى جنبه أبو بكر
وإذا أبو بكر يقول
شيئاً من القول والنبي
صلى الله عليه وسلم
يستمع إليه ويضع يده
على صدره كالواجد
بذلك قلت في نفسي
ما كان ينبغي لي أن
أنسك على أولئك
الذين كانوا يسمعون
وهذا رسول الله

(الباب الأول في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع)

نفسه وصفاته على سبيل التجربة وإعالم بآيات الأرض وعجايبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض والعمل إما عبادة وإما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة أيضا من القربات وقد يقصد بها مكان كسكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فإن الرباط بها قرابة وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام . القسم الأول : السفر في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا وذلك العلم إما علم بأمر دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه وقد قال عليه السلام « من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ^(١) » وفي خبر آخر « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ^(٢) » وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد . وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كفة تدله على هدى أو ترده عن ردى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فصاروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه ^(٣) وكل مذكور في العلم حصل له من زمان الصحابة إلى زماننا هذا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضا منهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحصين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخايق الرجال وبه يخرج الله الحب في السموات والأرض وإنما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض اليهود هل محبته في السفر الذي يستدل به على مكازم أخلاقه فقال لا فقال ما أراك تعرفه . وكان بشر يقول يابشر القراء سيحوا تطيؤوا فإن البناء إذا صاح طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير . وبالجملة فإن النفس في الوطن مع مواناة الأسباب لا تظهر خبايا أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألفاتها المعتادة وامتنحت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بملاجها وقد ذكرنا في كتاب المزية فوائد الخاطلة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق . وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر فيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد وأما الجاحدون والعاقلون والفترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون - يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - وما أريد بالسمع السمع الظاهر فالذي أريدوا به ما كانوا معزولين عنه وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات ويشارك الإنسان فيه

(١) حديث من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٢) حديث من سلك طريقا يلتمس فيه علما الحديث رواه مسلم وتقدم في العلم (٣) حديث رحل جابر بن عبد الله من المدينة إلى مسيرة شهر في حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي وقال البخاري في صحيحه رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن وأحمد أن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر

صلى الله عليه وسلم
يسمع وأبو بكر إلى
جنبه يقول فالتفت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول هذا
حق بحق أو حق من
حق بل إذا كان
ذلك الصوت من أمره
يغنى بالنظر إليه
الفتنة أو من امرأة غير
محرم وإن وجد من
الأذكى والأفكار
ما ذكرنا يحرم معامه
لخوف الفتنة لا لجرد
الصوت ولكن يحل
معام الصوت حريم
الفتنة ولكل حرام
حريم ينسحب عليه
حكم للنسج لوجه الصلحة
كاقبلة للشباب الصائم
حيث جلت حريم
حرام الوقاع والخلوة
بالأجنبية وغير ذلك
فلى هذا قد تقتضى
الصلحة للنسج من المعام
إذا علم حال السامع
وما يؤديه إليه معامه
فيجمل للنسج حريم
الحرام هكذا وقد
ينسكح السامع جامد

سائر الحيوانات فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق اللقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوجد والحائط قال الجدار للوجد لم تشقني فقال - لم من يدقني ولم يتركني ورأى الحجر الذي ورأى ومامن ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها وأنواع شهادات لسانها بالقدس هي تسبيحها - ولكن لا يفقهون تسبيحها - لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركافة لسان اللقال إلى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بجمع كلام الله تعالى الذي يجب تهديسه عن مشابهة الحروف والأصوات ومن يسافر ليستقرى هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجملادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويغرق قلبه لمتنوع بجمع نيات القسيحات من آحاد القدرات فماله ولتردد في الغلوات وله غنية في ملكوت السموات فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات وهي إلى أبصار ذوى البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دالة في الحركة على توالي الأوقات فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من تطوف به أقطار السماء ثم مادام للسافر مفتقرا إلى أن يصير طام الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في التزل الأول من منازل السائرين إلى الله والسافرين إلى حضرة وكأنه معتكف على باب الوطن لم يغض به للسير إلى متسع الفضاء ولا سبب لطول اللقام في هذا التزل إلا الجبن والقصور ولذلك قال بعض أرباب القلوب إن الناس ليقولون اتحموا أعينكم حتى تصروا وأنا أقول غمضوا أعينكم حتى تصروا وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبر عن التزل الأول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا عاظم بنفسه والمجاور إليها بما يتبه فيها سنيين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل والمالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون يتور التوفيق فازوا بالنعيم والملك القيم وهم الذين منعت لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملكه نياقته يقل بالامانة إلى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم الملوك فذل للمساعد ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك ولا تصدى لطالب الملك العاجز الجبان لعظيم الخطر وطول التعب وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر وقد يسمى الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل :

تري الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض . فلنرجع إلى الفرض الذي كنا قصده ولنبين القسم الثاني : وهو أن يسافر لأجل العبادة إما للحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج ويدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بعشادته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرجال لهذا الفرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام ولا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى (١) لأن ذلك في المساجد قائم بمائة بعد هذه المساجد وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء

أتى سلمة بن محمد وهو أمير مصر في حديث آخر وكلامها منقطع (١) حديث لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد الحديث تقدم في الحج .

الطبع عديم الذوق فيقال له : العنين لا يعلم لذة الوقع والكفوف ليس له بالجمال البارع استمتاع وغير للصاب لا يتكلم بالامتزاج فماذا ينكره من محب تربي بطلنه بالشوق والهبة ويرى انحباس روحه الطيارة في مضيق قصص النفس الأمانة يمر بروحه نسيم أنس الأوطان وتلوح له طوالع جنود العرفان وهو بوجود النفس في دار العربة يتجرع كأس المجران يئن تحت أعباء المجاهدة ولا تحمل عنه سوانح المشاهدة وكلما قطع منازل النفس بكثرة الأعمال لا يقرب من صكبة الوصول ولا يكشف له للسبل من الحجاب فيتروح بنفس الصعداء ويرتاح بالألمع من شدة البرحاء ويقول مخاطبا للنفس والشیطان وهما اللانسان : أيا جيلي نعمان بأفقه خليا

بأصل المضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله . وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه الطماء والصلحاء عبادة وفيه أيضاً حركة للرجة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العظيمة المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف وبمجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل كما ذكرناه في كتاب الصحة وفي التوراة : سر أربعة أميال زر أخاً في الله . وأما البقاع فلامنى لزيارتها سوى الساجد الثلاثة وسوى التنوير للرباط بها فالحدث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى الساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج ، وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعاً من القدس إلى المدينة وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يمينه إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه مادام متقيافه حتى يخرج منه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك . القسم الثالث : أن يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين وذلك أيضاً حسن فالفرار عما لا يطاق من سنى الأنبياء والمرسلين . وما يجب الهرب عنه الولاية والجاه وكثرة الملائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا المفقون وهلك المتقون والحديث الذي لم يسلق النجاة بالفراغ التلحق عن جميع الأوزار والأعباء بل قبل الخلق بفضله وشمله بسعة رحمة والخلف هو الذي ليست الدنيا أكبرهم وذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علاقته فلا يتم مقصوده إلا بالقرية والحقول وقطع الملائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة ثم ربما عده الله بموته فينم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والملائق وعدمها فلا يصد شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك على عجز وجوده جداً بل الغالب على القلوب الضعف والتصور عن الاتساع للخلق والخلق وإتمام السعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوة الظاهرة في الأعضاء فرب رجل قوى ذي مرة ضوى شديد الأعصاب يحكم البنية يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً فلو أراد الضيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدرج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وإن كان ذلك لا يلبثه درجته فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من عادة السلف رضى الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن وقال سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحامل فكيف على الشهيدين هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحول إلى غيره وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت إلى أين يا أبا عبد الله قال بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقم بها فقلت له وتفعل هذا قال نعم إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقم بها فإنه أسلم لديك وأقل لحملك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول للصوفية إذا خرج الشتاء فقد خرج أفاار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا وقد كان الخواص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوماً وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتياداً على الأسباب قادجا في التوكل وشيأتى أسرار الاعتقاد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى . القسم الرابع : السفر هرباً عما يقدح في البدن كالطاعون أو في المال كغلاء السعر

نسب الصباح خلص إلى

نسيمها

فان الصبا ربح إذا

ما تنفسمت

على قلب همزون تجلت

هموما

أجد ردها أوتشف

من حرارة

على كبد لم يبق إلا

صميمها

ألا إن أدوائى بليلى

قدية

وأقتل داء العاشقين

قديةما

ولعل النكر يقول هل

الحبة إلا امتثال الأمر

وهل يعرف غير هذا

وهل هناك إلا الخوف

من الله ويذكر الحبة

الخاصة التي تختص

بالعلماء الراسخين

والأبدال القريين ولما

تقرر في فهمه القاصر

أن الحبة تستدعى

مثلاً وخيلاً وأجناساً

وأشكالاً أنكر حبة

القوم ولم يعلم أن القوم

بلغوا في رتب الإيمان

إلى أتم من المحسوس

وجادوا من فرط

أو ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض الواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من القوائد واستجابته ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفتر منه لورود النهي فيه قال أسامة بن زيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذا الوجد أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يهتد من عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرج منه القرار منه (١) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « إن فناء أمتي بالطمن والطاعون قتل هذا الطمن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تأخذهم في مراتهم للسلم الليث منه شهيد والقيم عليه المحتسب كالمرباط في سبيل الله والفار منه كالنار من الزحف (٢) » وعن مكحول عن أم أيمن قالت « أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه لا تشرك بالله شيئا وإن عذبت أو حرقت وأطع والدك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هلك فخرج منه ولا تحرك الصلاة عمدا فإن من ترك الصلاة عمدا قد برئت ذمة الله منه وإياك والخرفانها مفتاح كل شر وإياك والمصيبة فإنها تسخط الله ولا تخر من الزحف وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم ثابت فيهم أنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله (٣) » فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل فهذه أقسام الأسفار وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مدموم وإلى محمود وإلى مباح والمدموم ينقسم إلى حرام كابق العبد وصفر المالك وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم إلى واجب كالخروج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهد ومن هذه الأسباب تبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره وذلك ظاهر في الواجب وللمندوب ومحال في المكروه والمحذور . وأما الباعث فمرجه إلى النية فهما كان قصده بطلب للمثلثة الترفع عن السؤال ورعاية ستر اللزوم على الأهل والميال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمة لخرج عن كونه من أعمال الآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات (٤) » لقوله صلى الله عليه وسلم الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والباحات دون المحظورات فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن صحتها من المحظورات وقد قال بعض السلف : إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدكم فيعطى كل واحد على قدر نيته فمن كانت نيته الدنيا أعطى منها وقص من آخرته أضاعه وفرق عليه همه وكثر الحرص والرغبة غفله ومن كانت نيته الآخرة أعطى من البصيرة والحكمة والفضيلة وفزع له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له للملائكة واستغفرت له . وأما إنظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليهم هذا منه فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعبد ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين والأفضل في هذا ما هو الأعون على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى

(١) حديث أسامة بن زيد إن هذا الوجد أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم (٢) حديث عائشة إن فناء أمتي بالطمن والطاعون الحديث رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بأسناد جيد (٣) حديث أم أيمن أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أهله لا تشرك بالله شيئا وإن حرقت بالنار البيهقي وقال فيه إرسال (٤) حديث الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم .

المنكشف والعبان بالأرواح والنفوس .
 روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله قال من خلق الأرض قالت الله قال من خلق الجبال قالت الله قال من خلق النعم قالت الله فقال إني أسمع الله شأنا ورحمى نفسه من الجبل فتقطع » فالجمال الأزلي الإلهي منكشف للأرواح غير مكيف للعقل ولا مفسر لفهم لأن العقل موكل بحالم الشهادة لا يهتدي من الله سبحانه إلا إلى مجرد الوجود ولا يتطرق إلى حريم الشهود التجلي في طي القيب المنكشف للأرواح بلا ريب وهذه رتبة من مطالعة الجمال رتبة خاصة وأعم منها من رتب الهبة الخلية

وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى والأنس يحصل بدوام الذكر والمعرفة يحصل بدوام الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي العينة على العمل بالعلم في الانتهاء ولهما السياحة في الأرض على الهواء فمن المشوشات للقلب إلا في حق الأقوياء فان السافر وماله لعل قلق إلا ما وفق الله فلا يزال السافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله وتارة بفارقة ما الله واعتاده في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يغلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع ثم الشغل بالخط والترحال مشوش لجميع الأحوال ، فلا ينبغي أن يسافر المرید إلا في طاب علم أو مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته وتستفاد الرقبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه واستبصر واقتبح له طريق الفكر أو العمل فالكون أولى به إلا أن أكثر متصوفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطلان غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستغلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلناوا جانب السؤال والكسبية واستطابوا الرباطات البنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تملا بكرة الأتباع فلم يكن لهم في الخاتقات حكم نافذ ولأناديب المریدین نافع ولا حرج عليهم قاهر فلبسوا للرقعات وآخذوا في الخاتقات منزهاة وربما تلقفوا ألقاظا مزخرفة من أهل الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ويمتدحون أن كل سوداء تمره ويتوهمون أن المشاركة في الظاهر توجب للساهمة في الخفايا وهيئات لما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بضاء الله فان الله تعالى يفيض الشب القارخ ولم يحماهم على السياحة إلا الشباب والفراخ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضمت إلا التصوف فانه قد أعحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تدرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء قائما فساده في سيرته لاقى علمه فيبقى عالما غير عامل بعلمه والعمل غير العلم وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فأت الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إصاب للنفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فان حظوظهم التفرج عن كرب البطالة ، مشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفسو التحركين لهذه الحظوظ أيضا خسيسة ولا بأس بإتباع حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو التأذى والتلذذ والفتوى تقتضي تشتيت العوام في الباحات التي لا تقع فيها ولا ضرر فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لحض التفرج في البلاد كالبهايم المترددة في الصحارى فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبس والأموال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبار فلا تبق معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة ، وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم .

دون العامة . مطالعة
جمال الكمال من
الكبرياء والجلال
والاستقلال بالنسب
والنوال والصفات
النقمة إلى ما ظهر
منها في الآباد ولازم
الذات في الآزال فللكمال
جمال لا يدرك بالحواس
ولا يستنبط بالقياس
وفي مطالعة ذلك الجمال
أخذ طائفة من الحيين
خصوا بتجلى الصفات
ولهم بحسب ذلك ذوق
وشوق ووجد وسماع
والأولون منحوا قسطا
من تجلى الذات فكان
وجدتهم على قدر الوجود
وسماعهم على حيد
الشهود . وحكى بعض
الشايخ قال رأينا جماعة
من عيشى على الماء
والهواء . يسمعون
السماع ويعبدون به
ويتوهمون عنده .
وقال بعضهم كنا على
الساحل فسمع بعض
إخواننا فجعل يتقلب
على الماء يمر ويحيى
حتى رجع إلى مكانه .

وأعطى من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وأغنى به إذا كان اللطى بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم فأخذ المال باظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه باظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ، ومن زعم أنه علوى وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفى ولهذا احتراز المتألمون عن الأكل بالدين فإن البالغ فى الاحتياط لديه لا ينفك فى باطنه عن عورات لو انكشف للراغب فى مواساته لغرت رغبته عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترطون شيئا بأنفسهم مخافة أن يساعوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري فم إنما يعمل لأخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الأخذ بحيث لو علم لللطى من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتورا فى رأيه فيه والعقل النصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والغرور الجاهل بنفسه أخرى بأن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لاهالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الفائلة أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشف له عورات باطنه لم ينمته ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطى لما تستقدمه فى من الدين فليست مستحقا لذلك ولو كشف الله تعالى سترى لم ترنى بعين التوفير بل اعتقدت أنى شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فانه ربما يرضى منه هذه الحصة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة وعجاجة فليتنظن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين فى ذمهم فهو سهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين اللفت والازدراء فتكون صورة الكلام صورة القبح والازدراء وباطنه وروحه هو عين اللذخ والاطراء ، فكلم من ذام نفسه وهو لها ماذح بعين ذمه قدم النفس فى الخلوة مع النفس هو الممود وأما اللهم فى الللا فهو عين الرياء إلا إذا أوردته إيرادا يحصل للاستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن محابته لله عز وجل أو محابته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك فهذا هو القول فى أقسام السفر ونية المسافر وفصيلته .

(الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا)

الأول أن يبدأ برد الظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ زاده إلا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه . قال ابن عمر رضى الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده فى سفره ولا بد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق فى السفر فانه يخرج خبايا الباطن ومن صالح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح فى الحضر من لا يصلح فى السفر ولذلك قيل إذا أتى على الرجل معاملة فى الحضر ورقاؤه فى السفر فلا تشكوا فى صلاحه والسفر من أسباب الضرر ومن أحسن خلقه فى الضرر فهو الحسن الخلق ولا فتند مساعدة الأور على وفق القرض فلما يظهر سوء الخلق . وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضرر : الصائم والمريض والمسافر . وتعام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكابى ومعاونة الرفقة بكل ممكن والرفق بكل منقطع بأن لا يعاوزه إلا بالاعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتعام ذلك مع الرفقاء بمزاج ومطابقة فى بعض الأوقات من غير غش ولا مصية ليكون ذلك شفاء لضرر السفر ومشاقه . الثانى : أن يختار رفيقا .

وقيل أن بعضهم كان يتقلب على النار عند السماع ولا يحس بها . ونقل أن بعض الصوفية ظهر منه وجد عند السماع فأخذ شمعة فجعلها فى عينه قال الناقل قربت من عينه أنظر فرأيت نارا أو نورا يخرج من عينه برد نار الشمعة . وحكى عن بعضهم أنه كان إذا وجد عند السماع ارتفع من الأرض فى الهواء أذرعاً ويمر بجوى فيه . وقال الشيخ أبو طالب الكلى رحمه الله فى كتابه إن أنكرنا السماع مجولا مطلقا غير مقيد مفصل يكون إنكارا على سبعين صديقا وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتبدين إلا أننا لا نفعل ذلك لأننا نعلم ما لا يملكون وممنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون وهذا قول الشيخ عن

ولا يخرج وحده. ولرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يمينه على الدين فذكره إذا نسي ويمينه ويساره إذا ذكره. على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن أن يسافر الرجل وحده (١) وقال الثلاثة نفر (٢) وقال أيضاً إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحكمكم (٣) وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هذا أميرنا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرقهم بالأصحاب وأسرعهم إلى الأثر وطلب للواقعة وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأشير فلهذا وجب التأشير ليجمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم كما فعل عن عبد الله الروزي أنه صحبه أبو على الرباطي فقال على أن تكون أنت الأمير أو أنا فقال بل أنت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي على على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكما قال له عبد الله لا تفعل يقول ألم تقل إن الأمانة مسلمة لي فلا تتحكم على ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو على وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير ، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير وقد قال صلى الله عليه وسلم « خير الأصحاب أربعة (٥) » وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لابد أن يكون له فائدة والذي يتقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان التردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بل رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرجل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر فإذا ن مادون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينفق بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تصرف المهمة إليه فلا تتم المراقبة معه نعم في كثرة الرقاء فائدة للأمن من المخاوف ولكن الأربعة خير للرفقة الخاصة للرفقة العامة وكمن رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه . الثالث : أن يودع رقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم بحب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك (٦) » وروى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث النهي عن أن يسافر الرجل وحده أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح وهو عند البخاري بإسناد لو يعلم الناس ما في الوحدة ما صار راكباً بليل وحده (٢) حديث الثلاثة نفر رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود وأبو يونس وحسنه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٣) حديث إذا كنتم ثلاثة فأمرؤا أحكمكم الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن (٤) حديث كانوا يفعلون ذلك ويقولون هو أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم البزار والحاكم عن عمر أنه قال إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمرؤا عليكم أحكمكم ذا أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٥) حديث خير الأصحاب أربعة أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس قال الترمذي حسن عريب وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ابن عمر قال لقمان إن الله إذا

علمه الوافر بالسكن والآثار مع اجتنبه ونحره الصواب ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الاعتذار ونوضح لهم الفرق بين صانع يؤثر وبين صانع ينكر وسمع الشبلي قائل يقول :

أسألك عن سلسي فهل من غير
يكون له علم بها أين تنزل

فزعق الشبلي وقال لا والله ما في الدارين عنه غير . وقيل الوجد سر صفات الباطن كما أن الطاعة سر صفات الظاهر وصفات الظاهر الحركة والسكون وصفات الباطن الأحوال والأخلاق . وقال أبو نصر السراج أهل السماع على ثلاث طبقات يقوم يرجعون في صماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيها يسمعون وقوم يرجعون فيها يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم ومقامهم وأوقاتهم

أنه قال « إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة (١) » وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ودع رجلا قال « زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت (٢) » فهذا دعاء القيم للودع وقال موسى بن وردان أثبت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي شيئا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع قلت بلى قال قل « أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه (٣) » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني أريد سفرا فأوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت (٤) » شك فيه الراوي . ويبنى إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخص قد روى أن عمر رضي الله عنه كان يهبط الناس عطايام إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر : ما رأيت أحدا أشبه بأحد من هذا بك فقال له الرجل أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمره إني أردت أن أخرج إلى سفروأمة حامل به فقالت تخرج وتدعى على هذه الحالة قلت أستودع الله ما في بطنك غربت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت جلوسا فاذا نار على قبرها قلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة قلت والله إنها كانت لصوامة قوامه فأخذت العول حتى اتينا إلى القبر فخرنا فاذا سراج وإذا هذا البلام يدب قيل لي إن هذه وديمتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها فقال عمر رضي الله عنه : لهو أشبه بك من الغراب بالغرراب . الرابع : أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى ابن أخي أم أبي قال النبي ﷺ ما استخلف عبيد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصلين في بيته إذا شد عليه ثياب سفره قرأ فيهن بآخرة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إني أتقرب بهن إليك فأخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله (٥) » الخامس : إذا حصل على باب الدار فليقل باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت تقى وأنت رجاى فأكفنى ما أحمى ومالا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل تناؤك ولا إله غيرك اللهم زدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهي للخير أينما توجهت ، وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل باسم الله وبالله

استودع شيئا حفظه وإن استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك الناس في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصرا وإسناده جيد (١) حديث زيد بن أرقم إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فان الله جاعل له في دعائهم البركة الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضيف (٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده كان إذا ودع رجلا قال زدك الله التقوى الخرائطي في مكارم الأخلاق والمجاهل في الدعاء وفيه ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة أستودعك الله الذي لا تضيع ودائمه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن (٤) حديث أنس في حفظ الله وفي كنفه زدك الله التقوى الحديث تقدم في الحج في الباب الثاني (٥) حديث أنس أن رجلا قال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أمي أم أخي أم أمي أمي أمي أمي أمي أمي أمي أمي من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات الحديث الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف .

مرتبطون بالمسلم
ومطالبون بالصدق
فيما يشيرون فيه من
ذلك وقوم هم الفقراء
المجربون الذين قطعوا
العلائق ولم تتلوث
قلوبهم بحجة الدنيا
والجمع والمنع فهم
يسمعون لطيفة قلوبهم
ويبقى بهم السماع
فهم أقرب الناس إلى
السلامة وأسلمهم من
الفتنة وكل قلب ملوث
بعبء الدنيا فسماعه
سماع طبع وتكلف
وسئل بعضهم عن
التكلف في السماع فقال
هو على ضربين :
تكلف في السمع
لطلب جاه أو منفعة
دنيوية وذلك تلبس
وخيانة وتكلف فيه
لطلب الحقيقة كن
يطلب الوجد بالتواجد
وهو بمنزلة التباكي
الندوب إليه وقول
القائل إن هذه الهيئة
من الاجتماع بدعة
يقال له إنما البدعة
المحدورة المنوع منها

والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون فإذا استوت الدابة تحته فليقل - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت السنان على الأمور . السادس : أن يرحل عن المنزل بكرة . روى جابر « أن النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وقال « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(١) ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس ، فقد روى عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس^(٢) . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت » وكان ﷺ إذا بحث سرية بشها أول النهار^(٣) . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »^(٤) وقال عبد الله بن عباس : إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »^(٥) ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون قاصيا بترك الجمعة واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشجيع للوداع مستحب وهو سنة قال صلى الله عليه وسلم « لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو راحة أحب إلى من الدنيا وما فيها »^(٦) . السابع : أن لا ينزل حتى يحصى النهار فهي السنة ويكون أكثر سريه بالليل قال ﷺ « عليكم بالدمية فان الأرض تطوى بالليل لا تطوى بالنهار »^(٧) ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شرارهم فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم يقل اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل فليقل يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شرك من شركك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شركك أمد وأسود وجبة وعقرب ومن شر ما كفى البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا شرفا من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سجع ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحانه للكل القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعرزة والجبروت . الثامن : أن يحتاط بالنهار فلا يمشى

(١) حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس يريد تبوك وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها روى الخرائطي ، وفي السنن الأربعة من حديث صخر العامري اللهم بارك لأمتي في بكورها قال الترمذي حديث حسن (٢) حديث كعب بن مالك قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس والسبت البزار مقتصر على يوم خميسها والخرائطى مقتصر على يوم السبت وكلاهما ضعيف (٣) حديث كان إذا بحث سرية بشها أول النهار الأربعة من حديث صخر العامري وحسنه الترمذي (٤) حديث أبي هريرة اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ابن ماجه والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له وقال ابن ماجه يوم الخميس وكلا الإسنادين ضعيف (٥) حديث ابن عباس إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهارا الحديث البزار والطبراني في الكبير والخرائطى في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف (٦) حديث لأن أشيع مجاهدا في سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو راحة أحب إلى من الدنيا وما فيها ابن ماجه . بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس (٧) حديث عليكم بالدمية الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج .

بدعة تزاحم سنة
مأمور بها وما لم يكن
هكذا فلا بأس به وهذا
كالقيام للداخل لم يكن
فكان في عادة العرب
ترك ذلك حتى قل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يدخل
ولا يقام له وفي البلاد
التي فيها هذا القيام لهم
عادة إذا اعتمد ذلك
لتطبيب القلوب
والدلالة لا بأس به لأن
تركه يوحش القلوب
ويوغر الصدور فيكون
ذلك من قبيل الشرية
وحسن الصيغة
ويكون بدعة لا بأس
بها لأنها لم تزاحم سنة
مأثورة .

الباب الثالث
والشروع في القول
في السماع ردا وإنكارا
قد ذكرنا وجه صحة
السماع وما يليق منه
بأهل الصدق وحيث
كثرت الفتنة بطريقه
وزالت الصحة فيه
وتصدى للحرص عليه
أقوام قلت أعمالهم

منفردا خارج القافلة لأنه ربما يفتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان صلى الله عليه وسلم إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعيه نصبا وجعل رأسه في كفه^(١) والقرض من ذلك أن لا يستقل في النوم فتقطع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره ، والمستحب بالليل أن يتقارب الرقهاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر^(٢) فهذه السنة ومهما قصد عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله وسورة الإخلاص واللعوذتين وليقل باسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالحيرات إلا الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى بمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ - كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز - تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحق القيوم الذي لا يموت اللهم ارحمنا بينك التي لاتام واكفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلك وأنت تقنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أمت أرحم الراحمين . التاسع : أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها مالا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينأى عنها فانه يشغل بالنوم وتتأذى به الدابة كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة ، وقال صلى الله عليه وسلم « لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي^(٣) » ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية بروحها بذلك^(٤) فهو سنة وفي آثار عن السلف وكان بعض السلف يكثر بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لافي ميزان حسنات الكاري ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل مالا تطيق طوبى به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر . قال أبو الدرداء رضي الله عنه ليعبر له عند الموت : أيها البعير لا تخافني إلى ربك فاني لم أك أحملك فوق طائفتك وفي النزول ساعة صدقتان : إحداها ترويح الدابة والثانية إدخال السرور على قلب الكاري وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتمريك الرجلين والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب وينبغي أن يقرر مع الكاري ما يحمله عليها شيئا شيئا ويعرضه عليه ويستأجر الدابة بقدر صحيح لئلا يشور بينهما نزاع يؤدي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع الكاري فلا ينبغي أن يحمل فوق الشروط شيئا وإن خف فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . قال رجل لابن المبارك وهو على دابة أحمل لي هذه الرقعة إلى فلان فقال حتى أستاذن الكاري فاني لم أشاركه على هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه ولكن سلك طريق الورع . العاشر : ينبغي أن يستصحب ستة أشياء قالت عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء : المرأة والمسكحة والقراض والسواك والمشط^(٥) وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء : المرأة والقارورة والقراض والسواك والمسكحة والمشط وقالت أم سعد الأنصارية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارقه في السفر المرأة والمسكحة^(٦) وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للجماع ولربما يتخذ للاجتماع طعاما تطلب النفوس الاجتماع لذلك لارغبة للقلوب في الجماع كما كان من سير الصادقين فيصبر الجماع معلولا تركن إليه النفوس طلبا للشهوات واستحلاء لمواطن الله والنفلات ويقطع ذلك على المرید طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من الصادات وتكون الرغبة في الاجتماع طلبا لتناول الشهوة واسترواحا لأولى الطرب والله والمشرقة ولا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق . وكان يقال لا يصح الجماع إلا لعارف مكين ولا يباح لمريد مبتدى .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى إذا رأيت المرید يطلب الجماع فاعلم أن

- (١) حديث كان إذا نام في ابتداء الليل في السفر اقترش ذراعيه الحديث تقدم في الحجج (٢) حديث تناوب الرقهاء في الحراسة تقدم في الحجج في الباب الثاني (٣) حديث لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي تقدم في الباب الثالث من الحجج (٤) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية تقدم فيه (٥) حديث عائشة كان إذا سافر حمل معه خمسة أشياء المرأة والمسكحة والمشط وفي رواية ستة أشياء للطبراني في الأوسط والبيهقي في سننه والحرائطي في مكارم الأخلاق والألف له وطرقه كلها ضعيفة (٦) حديث أم سعد الأنصارية كان لا يفارقه في السفر المرأة والمسكحة رواه الحرائطي وإسناده ضعيف

«عليكم بالأئمة عند مضجعتكم فإنه مما يزيد في البصر وينبت الشعر» (١) وروى أنه كان يكتحل ثلاثاً ثلاثاً وفي رواية أنه اكتحل للمعنى ثلاثاً ولليسرى ثنتين (٢) وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل على نقصان دينه وإنما رده هذا لما رآه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب للفسول ولزج الماء من الآبار وكان الأولون يكتفون بالتيمم ويغنون أنفسهم عن غسل الماء ولا يبالون بالوضوء من الصدر ومن المياه كلها ما لم يتقنوا نجاستها حتى توضع على رأسهم رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب القسوة عليها فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة وإنما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا أحكام الباقية في الطهارات في كتاب الطهارة وأن التجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل محتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه . وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يخافه أربعة أشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والقراض وكان يقول هذه ليست من الدنيا . الحادي عشر : في آداب الرجوع من السفر «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قتل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (٣) وإذا أشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم يرسل إلى أهله من يشترم بقدمه كيلا يقدم عليهم بفتة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي أن يطرقتهم ليلاً (٤) فقد ورد النبي عنه ، وكان عليه السلام إذا قدم دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت (٥) وإذا دخل قال «توباً توباً لربنا أوباً لا ينادر علينا حوباً» (٦) وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطبوع أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة قد درى أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في غلالته حجراً (٧) وكان هذا مبالغة في الاستحاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار الفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستحب في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة . وأما الآداب الباطنة ففي الفصل الأول بيان جملة منها وجملة أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متخليراً إلى قصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي أن يجاوزهم منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيخها ويعتقد أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً أو كلمة لينفع بها لاتبكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ ولا يقيم ليلة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء العاديين وإن كان قصد زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو وحده الضيافة

(١) حديث صهيب عليه السلام بالأمم عند مضجعتكم فإنه يزيد في البصر وينبت الشعر الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف وهو عند الترمذي وصححه ابن خزيمة وابن جبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي صحيح الإسناد (٢) حديث كان يكتحل للمعنى ثلاثاً ولليسرى ثنتين الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين (٣) حديث كان إذا قتل من حج أو غزو أو غيره يكبر بالحديث تخدم في الحج (٤) حديث النبي عن طروق الأهل ليلا تخدم (٥) حديث كان إذا قدم من سفر دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين تخدم (٦) حديث كان إذا دخل قال توباً توباً لربنا أوباً لا ينادر حوباً ابن السني في اليوم واليلة والحاكم من حديث ابن عباس وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث اطراق أهله عند القدوم ولو بحجر الدارنطني من حديث عائشة باسناد ضعيف .

فيه بقية البطالة .
وقيل إن الجنيد ترك
السباع قليل له كنت
تسمع فقال مع من
قليل له تسمع لنفسك
فقال بمن لأنهم كانوا
لا يسمعون إلا من
أهل مع أهل فلما قد
الاخوان ترك لما
اختاروا السباع حيث
اختاروه إلا بشروط
وقيود وآداب يذكرون
به الآخرة ويرغبون
في الجنة ويحذرون
من النار ويزداد
به طلبهم وتحسن به
أحوالهم ويتفق لهم
ذلك اتفاقاً في بعض
الأحايين لأن يحملوه
دأباً وديدنا حتى
يتروا الأجله الأوراد .
وقد نقل عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال
في كتاب القضاء القضاء
لهو مسكروه يشبه
الباطل وقال من
استكثر منه فهو
سفيه ترد شهادته .
وافق أصحاب الشافعي
أن المرأة غير المحرم

إلا إذا شق على أخيه مفارقتة وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالخدمة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما دخل بلدا لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلم عليه ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله فان سأله أجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسألة مالم يستأذن أولا وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسعيائها ولا ذكر أصدقائه فيها وليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدوها في كل قرية وبلدة ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها ويلزم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره وإذا كلف إنسان فليترك الذكر وليجبه مادام يعمده ثم يرجع إلى ما كان عليه فان تبرمت نفسه بالسفر أو بالأقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرما بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهر أثره . قال رجل لأبي عثمان اللخمي خرج فلان مسافرا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لا يتأثر إلا بذلة الغربة فليكن سفر اللريد من وطن هوام ومراحه وطبعه حتى يمز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلا وإما آجلا .

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات)

اعلم أن للمسافر محتاج في أول سفره إلى أن يتزود لديناه وآخرفته أما زاد الدنيا فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فان خرج متوكلا من غير زاد فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة أو بين قري متصلتين وإن ركب البادية وحده أومع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على الجوع أسبوعا أو عشرين مثلاً أو يقدر على أن يكتفي بالحشيش فله ذلك وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فغروجه من غير زاد ممصية فانه ألقى نفسه بيده إلى الهلكة ولهذا سرسباني في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التبعاد عن الأسباب بالكيفية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر ولو جب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكا أو شخصا أخر حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى الشرب فعمل عين الطعوم وللشرب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فانه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين وأما زاد الآخرة فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته فلا بد وأن يتزود منه إذا سفر تارة يخفف عنه أمورا فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد عليه أمورا كان مستنبا عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب للمساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يعرف بنفسه فإذا ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين :

(القسم الأول العلم برخص السفر)

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخفين والتيمم وفي صلاة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين أداؤه على الرحلة وأداؤه ماشيا وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر فهذه سبع

(الباب الثاني فيما لا بد للمسافر من تعلمه)

لا يجوز الاستماع إليها سواء كانت حرة أو مملوكة أو مكشوفة الوجه أو من وراء حجاب . وتقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يحسره الطقطة بالفضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال لأبأس بالقراءة بالأحان وتحسين الصوت بها بأي وجه كان . وعند مالك رضي الله عنه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بهذا العيب وهو مذهب سائر أهل المدينة وهكذا مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وسماح القضاء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعسلاته في المساجد والبقاع الشريفة . وقيل في تفسير قوله تعالى - ومن الناس

رخص . الرخصة الأولى : المسح على الخفين قال صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن (١) فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافرا أو يوما وليلة إن كان مقبا ولكن بخمسة شروط : الأول أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه . الثاني : أن يكون الخف قويا يمكن للشئ فيه ويجوز للمسح على الخف وإن لم يكن متعلا إذ العادة جارية بالتردد فيه في النازل لأن فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز للمسح عليه وكذا الجرموق الضيف . الثالث : أن لا يكون في موضع فرض الفسل خرق فإن تحرق بحيث انكشف محل القرص لم يجز للمسح عليه وللشافعي قول تقديم إنه يجوز مادام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك رضي الله عنه ولا بأس به لميس الحاجة إليه وتعذر الحرز في السفر في كل وقت وللداس للنسوج يجوز للمسح عليهما كان ساترا لا تبدو بشرة القدم من خلاله وكذا للشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تنس إلى جميع ذلك فلا يستبرأ لأن يكون ساترا إلى ما فوق الكمين كيفما كان فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز للمسح عليه . الرابع : أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء فإن اقتصر على غسل القدمين جاز .

الخامس : أن يمسح على الموضع المأذى لمحل فرض الفسل لاهي الساق وأقله ما يسمى مسحا على ظهر القدم من الخف وإذا مسح بثلاث أصابع أجزاء والأولى أن يخرج من شبة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار (٢) كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه أن يمل يده اليمنى ويضع رءوس أصابع اليمنى من يده على رءوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجز أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رءوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمررها إلى رأس القدم . ومهما مسح مقبا ثم سافر أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الإقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلا مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصل إلا بعد غسل الرجلين فينسل رجله ويبدل لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة التيميم ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن يسكن الخف وينفض ما فيه حذر من حية أو عقرب أو شوكه فقد روى عن أبي أمامة أنه قال دعا رسول الله ﷺ خفيه فلبس أحدهما غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما (٣) .

(١) حديث صفوان بن عسال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كنا مسافرين أو سفرا أن لا نزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن الترمذي وصححه وابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن خزيمة وابن حبان (٢) حديث مسحه صلى الله عليه وسلم على الخف وأسفله أبو داود والترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث المقره وهكذا ضعفه البخاري وأبو زرعة (٣) حديث أبي أمامة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما رواه الطبراني وفيه من لا يعرف .

من يشتري لهو الحديث - قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه هو القضاء والاستماع إليه . وقيل في قوله تعالى وأتمم سامدون - أي مقنون رواه عكرمة عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وهو القضاء بلغة حمير يقول أهل اليمن محمد فلان إذا غنى وقوله تعالى واستغفر من استطعت منهم بصوتك - قال مجاهد القضاء والزامير . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى » وروى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إنا نبيت عن صوتين فاجربن صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وقد روى عن عثمان رضي الله عنه أنه

الرخصة الثانية : التيمم بالتراب بدلا عن الماء عند العذر وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لومشى إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه وكذا إن نزل على الماء عدوا أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريبا وكذا إن احتاج إليه لمطشه في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم وكذا إن احتاج إليه لمطش أحد رفاقه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله إما شمن أو بغير شمن ولو كان يحتاج إليه لطبخ مرققة أو لحم أو لبن قويت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتري بالفتيت اليابس ويترك تناول الرقعة ومهما وهب له الماء وجب قبوله وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من الة وإن بيع شمن للثل لزمه الشراء وإن بيع بغير ثمن لم يلزمه فإذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جاوز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والمطاهر فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئرا بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب وإن علم أنه سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلى بالتيمم في أول الوقت فإن العذر لا يوثق به وأول الوقت رضوان الله . تيمم ابن عمر رضى عنهما قليل له أتتيمم وجدرا للدينة تنظر إليك ؟ فقال أو أبقى إلى أن أدخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء وإذا وجدته قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صيدا طيا عليه تراب يشور منه غبار وليضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم ويخرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرققيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيد ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يقتفل ماشاء بذلك التيمم وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلى فريضتين إلا بتيممين ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمما تاما . الرخصة الثالثة في الصلاة المفروضة القصر وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والمساء على ركعتين ولكن بشرط ثلاثة : الأول : أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فلا يظهر لزوم الإتمام . الثاني : أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام . الثالث : أن لا يقتدى بتيمم ولا بمسافر متم فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققا عند النية وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح وحده السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعا معينا ولا يصير مسافرا مالم يفارق عمران البلد ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحيطة دون التي ليست بمحطة ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شئ نسيه لم يترخص أن كان ذلك وطنه مالم يجاوز عمران وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافرا بالانزعاج والخروج منه . وأما نهاية السفر فأحد أمور ثلاثة : الأول : الوصول إلى عمران من البلد الذي عزم على الإقامة به . الثاني : العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعدا إما في بلد أو في صحراء . الثالث : صورة الإقامة وإن

قال ما غنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال القضاء ينبت النفاق في القلب وروى أن ابن عمر رضى الله عنه مر عليه قوم وهم يحرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم وروى أن إنسانا سأل القاسم بن محمد عن القضاء فقال أنهالك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو ؟ قال انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق والباطل في أيهما يجعل القضاء . وقال الفضيل بن عياض القضاء رقية الزنا . وعن الضحاك القضاء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم : إياكم والقضاء فإنه يزيد الشهوة ويهدم الروية وإنه لينوب عن الحجر

لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازاه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله أن يترخص وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه مترجع بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع ازعاج القلب ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالا أو غيره ولا بين أن تطول المدة أو تقصر ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاءه ثلاثة أيام أو لغيره إذ ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم قصير في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد (١) وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوما والظاهر أن قصره كان لكونه مسافرا لا لكونه غازيا مقاتلا هذا معنى القصر ، وأما معنى التطويل فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام ومعنى المباح أن لا يكون عاقا لو لديه هاربا منها ولا هاربا من مالكة ولا تكون للمرأة هاربة من زوجها ولا أن يكون من عليه الدين هاربا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجها في قطع طريق أو قتل إنسان أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعى بالقسادين المسلمين . وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراما ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يمين عليه بالرخصة ولو كان له باعثن أحدهما مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلا بتحريكه وكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص والتصوفة الطواقون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص . الرخصة الرابعة : الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما : فذلك أيضا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ، ثم إن قدم العصر إلى الظهر فليتنو الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليتم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم أولا إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحريم صلاة العصر جاز عند الزنى وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها وأما الظهر فجبار على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة التي بعد الظهر يصلحها بعد الفراغ من العصر إما راكبا أو مقبلا لأنه لو صلى رابعة الظهر قبل العصر لا تقطعت الواوالة وهي واجبة على وجهه ولو أراد أن يقيم الأربع للسنة قبل الظهر والأربع للسنة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلى سنة الظهر أولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ثم ستة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الغرض ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كي لا يتعوق عن الرقعة بسببها وإن أخر الظهر إلى العصر فيجوز على هذا الترتيب ولا يبالى بوقوع رابعة الظهر

(١) حديث قصره صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات ثمانية عشر يوما على موضع واحد أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح فأقام بمكة ثمان عشرة ليلة لا يصل إلا ركعتين وللبخاري من حديث ابن عباس أقام بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السنين وفي روايته خمسة عشر .

ويفعل ما يفعل السكر وهذا الذي ذكره هذا القائل صحيح لأن الطبع الوزون يفوق بالقضاء والأوزان ويستحسن صاحب الطبع عند الباع ما لم يكن يستحسن من القرعة بالأصابع والتصفيق والرقص وتصدر منه أفعال تدل على سخافة العقل . وروى عن الحسن أنه قال : ليس الهدف من سنة المسلمين . والذي نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشمر لا يدل على إباحة القضاء فإن الشعر كلام منظوم وغيره كلام مشور فحسنه حسن وقبيحه قبيح وإعنا يصير غناء بالألحان وإن أنصف النصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغنى بدقه والمثيب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل

بعد العصر في الوقت المكروه لأن ما سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الغرض يشتغل بجميع الرواتب ويحتم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لأنه إنما يغلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشفط فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلاتين ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب ولذلك ينقدح أن لا تشترط للوالة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر أما إذا قدم العصر على الظهر لم يحز لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتا للعصر إذ يمد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره وعذر للطرح يجوز لاجتماع كذا السفر وترك الجمعة أيضا من رخص السفر وهي متعلقة أيضا بفرائض الصلوات ولو نوى الإقامة ببدان صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر فعليه أداء العصر وما مضى إنما كان مجزئا بشرط أن يبقى الصدر إلى خروج وقت العصر . الرخصة الخامسة : التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته (١) وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على التنفل الركوع والسجود إلا الإيماء وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه . وأما استقبال القبلة فلا يجب لاقى ابتداء الصلاة ولا في دواهما ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلاته إما مستقبلا للقبلة أو متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة ثبت فيها فلو حرف ذابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته إلا إذا حرفها إلى القبلة ولو حرفها ناميا وقصر الزمان لم تبطل صلاته وإن طال ففیه خلاف وإن جمعت به الدابة فأنحرفت لم تبطل صلاته لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذا لم يجز غير منسوب إليه بخلاف ما لو حرف ناميا فانه يسجد للسهو بالإيماء . الرخصة السادسة : التنفل للماشي جائز في السفر ويومى بالركوع والسجود ولا يقدح للشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الركوع لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلا للقبلة لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الركوع فإن في تحريف الدابة وإن كان العنان يده نوع عسر وربما تكررت الصلاة فيطول عليه ذلك ولا ينبغي أن يمشى في نجاسة رطبة عمدا فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو وطئت دابة الركبة نجاسة وليس عليه أن يشوش الثشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تغلو الطريق عنها غالبا وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه في التنفل . الرخصة السابعة : الفطر وهو في الصوم فله مسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقبلا ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم وإن أصبح مسافرا صاعدا . ثم أقام فعليه الإتمام وإن أقام مفطرا فليس عليه الإمساك بقية النهار وإن أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بله أن يفطر إذا أراد والصوم أفضل من الفطر والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفذر فانه في عهدة القضاء وربما يعذر عليه ذلك بمائق فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضر به فالأفطار أفضل . فهذه سبع رخص تتعلق بثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والسهو ثلاثه أيام وتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيرا

(١) حديث كان يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته وأوتر على الراحلة متفق عليه من حديث ابن عمر .

هذا الجلوس والهيئة بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل استحضروا قولا وقصدوا مجتمعين لاستماعه لاشك بأنه يشكر ذلك من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهلوها فمن يشير بأنه فضيلة تطلب ويجمع لها لم يحظ بذوق معرفة أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين واستروح إلى استحسان بعض للتأخيرين ذلك وكثيرا ما يعلط الناس في هذا وكلما احتج عليهم بالسلف للماضين يحتجون بالتأخيرين وكان السلف أقرب إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الفقهاء يتسمع عند قراء القرآن

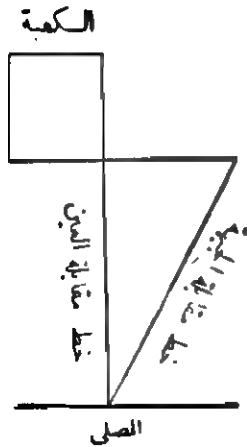
وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم وأما صلاة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازها في القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل وأما صلاة القرض راكبا ومشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر وكذا أكل اللبنة وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها . فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على السافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك . فاعلم أنه إن كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل راكبا ومشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لأن الترخص ليس بواجب عليه ، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على طاعى نهر يوثق بقاء مائه أو يكون معه في الطريق عالم بقدر على استغثائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه علم فيلزمه التعلم لاحالة . فان قلت : التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بمدوقها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم يجب وربما لا يجب . فأقول : من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا في سنة فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم للناسك لاحالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لأن الأصل الحياة واستمرارها وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لاحالة كعلم للناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحمل إذن للسافر أن ينسى السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم وإن كان عازما على سائر الرخص فعليه أن يتعلم أيضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه . فان قلت إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكبا ومشيا ماذا يضره وغابته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون عليها واجبا . فأقول من الواجب أن لا يصلى التنفل على نص الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذرا عن الوقوع في المحذور فهذا بيان علم ما خفف عن السافر في سفره .

(القسم الثاني ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر)

وهو علم القبلة والأوقات وذلك أيضا واجب في الحضر ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يخفيه عن طلب القبلة ومؤذن راعى الوقت فيخفيه عن طلب علم الوقت والسافر قد تشبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بد له من العلم بأدلة القبلة واللوائت أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام : أرضية كالاستدلال بالحيال والقرى والأنهار وهوائية كالأستدلال بالرياح فمالها وجنوبها وصباها ودبورها ومحاوية وهي النجوم فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على عین المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه فليعلم ذلك وليتجهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليعلم ذلك ولنا تقدير على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر وأما السماوية فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية أما النهارية فالشمس فلا بد أن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أي بين الحاجبين أو على العين اليمنى أو اليسرى أو تميل إلى اليمين ميلا أكثر من ذلك فإن الشمس لا تمدو في البلاد الشمالية هذه للتواقع فإذا حفظ ذلك فهما عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به وكذلك يراعى مواقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة وهذا أيضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه وأما القبلة وقت للغرب فانها تدرك بموضع الغروب وذلك بأن يحفظ أن الشمس تقرب عن عین المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه وبالشفق أيضا تعرف القبلة للعشاء الأخيرة وبمشرق الشمس تعرف القبلة .

بأشياء من غير غلبة
قال عبد الله بن عروة
ابن الزبير قلت لجدي
أسماء بنت أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما
كيف كان أصحاب
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعلون إذا
قرئ عليهم القرآن
قالت كانوا كما وصفهم
الله تعالى تسمع أعينهم
وتشعر جلودهم قال
قلت إن ناسا اليوم إذا
قرئ عليهم القرآن خروا
أحدهم منشيا عليه
قالت أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم .
وروي أن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما
مرّ برجل من أهل
العراق يتساقط قال
ما هذا ؟ قالوا إنه إذا
قرئ عليه القرآن
وسمع ذكر الله تعالى
سقط فقال ابن عمر
رضي الله عنهما إنا
لنخشى الله وما نسقط
إن الشيطان يدخل
في جوف أحدهم
ما هكذا كان يصنع

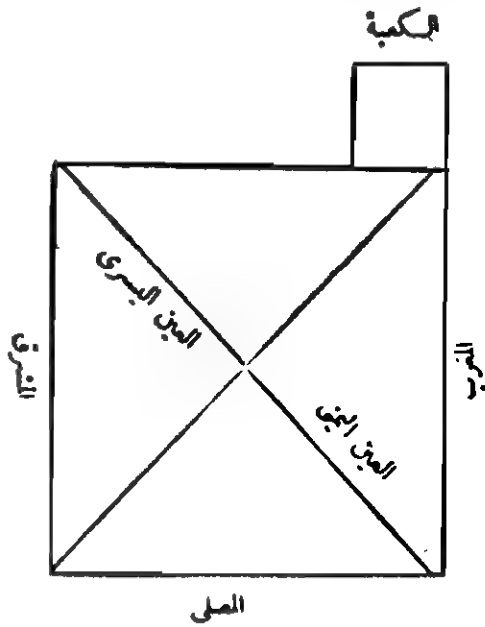
لصلاة الصبح فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف فان الشارق والغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين فلا بد من تعلم ذلك أيضا ولكن قد صلى الغرب والعشاء بعد غيوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به فعليه أن يراعى موضع القطب وهو السكوكب الذي يقال له الجدى فانه كوكب كالناتبات لا تظهر حركته عن موضعه وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيمن من ظهره أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل فيتعلم ذلك وما عرفه في بلده فليعمل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر فان المسافة إذا بدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع الشارق والغارب إلا أن يتنى في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل عراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك ثمها تعلم هذه الأدلة فله أن يعمل عليها فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضى وإن انحرف عن حقيقة محاذة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء وقد أورد الفقهاء خلافا في أن المطلوب جهة الكعبة أو عيناها وأشكال معنى ذلك على قوم إذ قالوا إن قلنا إن المطلوب العين فحق يتصور هذا مع بعد الديار وإن قلنا إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج يبدنه عن موازاة الكعبة لاخلاف في أنه لا تصح صلاته وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولا بد أولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة فمعنى مقابلة العين أن يقف موقفا لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف للصلى بقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين :



وأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارجى من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة فلو مد هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من عينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذى كتبنا عليه مقابلة الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لالعينها وحد تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمهما الواقف مستقبلا لجهة خارجين من العينين فبالتق طرقاتها في داخل الرأس

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقدم واحد منهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رى نفسه فهو صادق وليس هذا القول منهم إنكارا على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين ولكن لتصنع التوهم في حق الأكثرين فقد يكون ذلك من البعض تصنعا ورياء ويكون من البعض لتصوير علم ومخامرة جهل مخزوع بهوى يلم بأحدم يسير من الوجد فينبهه بزادات يجهل أن ذلك يضر دينه وقد لا يجهل أن ذلك من النفس ولكن النفس تسترق السمع استراقا خفيا تخرج الوجد عن الحد الذى

بين العينين على زاوية قائمة لما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين تزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته :



ينبغي أن يقف عليه
وهذا يبين الصديق .
قل أن موسى عليه
السلام وعظ قومه
فشق رجل منهم قميصه
فقال لموسى عليه
السلام قل لصاحب
القميص لا يشق قميصه
ويشرح قلبه . وأما
إذا انضاف إلى السباع
أن يسمع من أمره
فقد توجهت الفتنة
وتعين على أهل الديانات
انكار ذلك . قال بقية
ابن الوليد كانوا
يكرهون النظر إلى
الغلام الأمرد الجليل .
وقال عطاء كل نظرة
يهواها القلب فلا خير
فيها وقال بعض التابعين
مأناً أخوف على الشاب
التائب من السبع
الضاري خوفي عليه
من الغلام الأمرد يقعد
إليه . وقال بعض
التابعين أيضاً اللوطية
على ثلاثة أصناف صنف
ينظرون وصنف
يصالحون وصنف
يملون ذلك العمل

فاذا فهم معنى العين والجهة فأقول الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب الدين إن كانت الكعبة
كما يمكن رؤيتها وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيمكن استقبال الجهة . فأما طلب
العين عند الشاهدة فجميع عليه وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فبدل عليه الكتاب والسنة
وفضل الصحابة رضي الله عنهم والقياس . أما الكتاب فقوله تعالى - وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره -
أي نحوه ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولي وجهه شطرها . وأما السنة لما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل المدينة « ما بين المغرب والشرق قبله ^(١) » والمغرب يقع على عين أهل
المدينة والشرق على يسارهم فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبله ومساحة الكعبة لاتفق بما بين
الشرق والمغرب وإنما بقي بذلك جهتها ، وروى هذا اللفظ أيضاً عن عمر وابنه رضي الله عنهما .
وأما فضل الصحابة رضي الله عنهم لما روى : أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبين
لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما ، قيل لهم الآن قد حوّلت القبلة إلى الكعبة
فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ^(٢) ولم ينكر عليهم وسمى مسجدهم ذا القبليتين ومقابلة
العين من المدينة إلى مكة لا تعرف إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها فكيف أدركوا ذلك على البديهة
في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، وبدل أيضاً من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالى مكة وفي سائر بلاد
الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر
المهندسى . وأما القياس فهو أن الحاجة تسمى إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الأرض
ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها

(١) حديث ما بين للشرق والمغرب قبله الزمى وصححه والنسائي وقال منكر وابن ماجه من حديث
أبي هريرة (٢) حديث إن أهل قبا كانوا في صلاة الصبح مستقبين لبیت المقدس فقيل لهم ألا إن
القبلة قد حوّلت إلى الكعبة فاستداروا الحديث مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن
عمر مع اختلاف .

فكيف ينبنى أمر الشرع عليها فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة . وأما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه السلام في آداب قضاء الحاجة « لا تستقبلوها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا » (١) وقال هذا بالمدينة والشرق على يسار المستقبل بها والغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص في جهتين ومجموع ذلك أربع جهات ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر وكيفما كان لما حكم الباقي بل الجهات ثبتت في الاعتقادات بناء على خلقه الانسان وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الانسان في ظاهر النظر أربعة والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة فأما مقابلة العين فانها تعرف بعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في الشرق ثم يعرف ذلك أيضا في موقف الصلي ثم يقابل أحدهما بالآخر ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة والشرع غير مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة موقع للشرق والغرب في الزوال وموقع الشمس وقت العصر فهذا يسقط الوجوب . فان قلت فلو خرج للسافر من غير تعلم ذلك هل يصح . فأقول إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعد التتبع وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يصح وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيترك لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغير مظلم أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فليعلم أن يصلي في الوقت على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ والأعمى ليس له إلا التقليد فيقلد من يوثق يدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهدا في القبلة وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر أو سفر وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلى الاستدلال كالأعمى أن يقيم ببلدة ليس فيها قومه عالم بتفصيل الشرع بل يلتزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلم دينه وكذا إن لم يكن في البلد إلا قومه فاسق فليعلم الهجرة أيضا إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وإن كان معروفا بالفقه مستورا الحال في العدالة والنسب فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن السافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين فان رآه لا بسا للحرير أو ما يغاب عليه الابريس أو راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدرارا أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة . وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال فان كل شخص لا بد أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة الشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب فليقيم المسافر في موضع أو لينصب عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر . وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلدة وقت أذان المؤذن المتمد ظل قامته فان كان مثلا ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى فان زاد عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف وإن كان أول الشتاء فينقص كل يوم وأحسن ما يعرف به ظل الزوال والليزان فليستصعبه السافر وليتعلم اختلاف

(١) حديث لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا متفق عليه من حديث أبي أيوب.

قد نصبت على طائفة الصوفية اجتناب مثل هذه الجماعات واتقاء مواضع التهم فان التصوف صدق كله وجده كله . يقول بعضهم التصوف كله جد فلا تخاطبوه بشيء من الهزل فهذه الآثار دلت على احتساب السماع وأخذ الحذر منه والباب الأول بما فيه دل على جوازه بشروطه وتنزيهه عن الكراه التي ذكرناها وقد فصلنا القول وفرقا بين القوائد والغناء وغير ذلك . وكان جماعة من الصالحين لا يسمعون ومع ذلك لا ينكرون على من يسمع بنية حسنة ويراعى الأدب فيه .

[الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترعاه واستغناء]

اعلم أن الواحد يشعر بسابقة فدفن لم يفقد لم يجد وإنما كان القصد لمزاحمة وجود البعد بوجود صفاته وبقيائه فلو تمحض عبدا

الطل به في كل وقت وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينه مثلا إن كانت كذلك في البلد . وأما وقت للغرب فيدخل بالغروب ولكن قد تعجب الجبال للغرب عنه فينبغي أن ينظر إلى جانب الشرق فهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح قد دخل وقت الغرب . وأما العشاء فيعرف بغيوبة الشفق وهو الحمرة فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصفار وكثرها فإن ذلك يكون بعد غيوبة الحمرة . وأما الصبح فينبغي في الأول مستطيلا كذب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يمر إدراكه بالعين لظهوره فهذا أول الوقت قال **الترمذي** « ليس الصبح هكذا وجمع بين كفيه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتي على الأخرى وفتحهما (١) » وأشار به إلى أنه معترض وقد يستدل عليه بالنازل وذلك تقرب لتحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لأن قوما ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ لأن ذلك هو القجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمزتين وهذا تقرب ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض النازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبضها منتصبه فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح النازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمزتين أصلا وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب وإذا بقي قريب من مزتين يتحقق طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب وهو مبداً يظهر والياض وانتشاره قبل الساعة عرضه فن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصل صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى ولو أراد مريداً أن يقدر على التحقيق وقتا معيناً يشرب فيه متسحرا ويقوم عفيه ويصل الصبح متصلا به لم يقدر على ذلك فليس معرفة ذلك في قوة البشر أصلا بل لا بد من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشرا في العرض حتى تبدو مبادئ الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت وبدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر (٢) » وهذا صريح في رعاية الحمرة قال أبو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذرّة وصمرة بن جندب وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلوا واشربوا مادام الفؤاد ساطعا قال صاحب التريين أي مستطيلا فإذا لا ينبغي أن يحول إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادئ الحمرة وإنما يحتاج السافر إلى معرفة الأوقات لأنه قديما در الصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول أو قبل النوم حتى يستريح فإن وطن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمع نفسه بغوات

(١) حديث ليس الصبح هكذا وجمع كفه وإنما الصبح هكذا ووضع إحدى سبابتي على الأخرى وفتحهما وأشار به إلى أنه معترض ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين ولأحمد من حديث طلق بن علي : ليس القجر للمستطيل في الأفق لكنه يعترض الأحمر وإسناده حسن (٢) حديث طلق بن علي كلوا واشربوا ولا يهينكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر قال المصنف رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه وقال حسن غريب وهو كاد كر ورواه أبو داود أيضا .

لتحضر حرا ومن
تخص حرا أفلت من
شرك الوجد فترك
الوجد يسطاد البقايا
ووجود البقايا لتخلف
شيء من المطايا . قال
الحصري رحمه الله
ما أدون حال من يحتاج
إلى مزعج يزججه
فالوجد بالساع في حق
الحق كالوجد بالساع
في حق البطل من حيث
النظر إلى انزعاجه
وتأثير الباطن به وظهور
أثره على الظاهر وتغييره
للبعد من حال إلى
حال وإنما يختلف الحال
بين الحق والبطل أن
البطل يجد لوجود
هو النفس والحق
يجد لوجود إرادة
القلب ولهذا قيل
الساع لا يحدث في
القلب شيئا وإنما
يحرك ما في القلب فن
متعلق بباطنه بغير الله
يحركه الساع فيجد
بالهوى ومن متعلق
باطنه بمحبة الله يجد
بالإرادة إرادة القلب

فضيلة أول الوقت ويتجنب كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فان الشكل أوائل الأوقات لا أوساطها .

(كتاب آداب السماع والوجد)

(وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته . واسترقى همهم وأرواحهم بالشوق إلى لقاءه ومشاهدته . ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته . حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى . فلم يروا في الكونين شيئاً سواه . ولم يذكروا في الدارين إلا إياه . إن حننت لأبصارهم صورة عبرت إلى الصور بصائرهم . وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم . وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو يحزن أو مبهج أو مشوق أو مبهج لم يكن أزعاجهم إلا إليه . ولا طربهم إلا به . ولا قلقهم إلا عليه . ولا حزنهم إلا فيه . ولا شوقهم إلا إلى مالهيه . ولا انبعاثهم إلا له . ولا تردد لهم إلا حواله . فنه سماعهم وإليه استماعهم . قد أقبل عن غيره أبصارهم وأسماعهم . أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين أصفياه وخاصته . والصلاة على محمد المبعوث برسائه وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته . وسلم كثيراً .

[أما بعد] فإن القلوب والسرائر . خزائن الأسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كاطوت النار في الحديد والحجر . وأخفيت كما أخفى للاء تحت التراب والدر . ولا سبيل إلى استتارة خفاياها إلا بقوادح السماع . ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع . فالتنعمات للوزونة للسلطنة تخرج مافياها . وتظهر محاسنها أو مساوئها . فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه . كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه . فالسماع للقلب عك صادق . وميعار ناطق . فلا يصل نفس السماع إليه . إلا وقد تحرك فيما هو الغالب عليه . وإذا كانت القلوب بالطباع مطبوعة للأسماع حتى أبدت بوارداتها مكانها . وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبين ما فيها من الفوائد والآفات . وما يستحب فيها من الآداب والمهيات . وما يتطرق إليها من خلاف العلماء في أنهما من المخطورات أو البليحات . ونحن نوضح ذلك في بابين . الباب الأول : في إباحة السماع . الباب الثاني : في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزقق وتخزيق الثياب .

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه)

(بيان أقاويل العلماء والتصوفة في تحليله وعهره)

اعلم أن السماع هو أول الأمر ويشعر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويشعر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة يقسمى الاضطراب وإما موزونة تقسمى التصديق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول وننقل فيه الأقاويل العربية عن المذهب فيه ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه بالجواب عما نمسك به القائلون بتحريمه ، فأما قول المذهب قدحكي القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألقاظاً يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله

(كتاب السماع والوجد)

(الباب الأول في ذكر اختلاف العلماء في إباحته)

فالمبطل محبوب

بجباب النفس والمحق

محبوب بجباب القلب

وحجاب النفس حجاب

أرضي ظماني وحجاب

القلب حجاب سماوى

نوراني ومن لم يفقد

بدوام التحقق بالشهود

ولا يتعثر بأذيال الوجود

فلا يسمع ولا يجد

ومن هذه لطالمة قال

بضم الوجد تاردم

كلى لا ينفذ في قول

ومر تمشاد الديتورى

رحمه الله بقوم فهم

قوال ظنا رأوه

أسكوا فقال أرجعوا

إلى ما كنتم فيه فوالله

لوجعت ملاهى الدنيا

في أدنى ما شغلنى ولا

شئ من ما بين فالوجد

صراخ الروح المبلى

بالنفس تارة في حق

البطل وبالقلب تارة

في حق الحق فتأثر

الوجد الروح الروحاني

في حق الحق والمبطل

ويكون الوجد تارة

من فهم المعاني يظهر

وتارة من مجرد النيات

في كتاب آداب القضاء إن القضاء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعي رضي الله عنه صاحب الجارية إذا جمع الناس لساعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطمطقة بالقضيب ويقول وضعت الزنادقة ليشتملوا به عن القرآن وقال الشافعي رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللب بالرد أكثرهما يكره اللب بشئ من اللامهي ولا أحب اللب بالشرط نزع وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللب ليس من صنعة أهل الدين ولا للرؤية . وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن القضاء وقال إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم ابن سعد وحده . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع القضاء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة : سفيان الثوري وحامد وإبراهيم والشعبي وغيرهم . فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري ونقل أبو طالب الليثي إباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فضل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعون الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لطاء جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يستمعون قال وكيف أنكر السماع وقد أجازوه وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال قد دنا ثلاثة أشياء فأبغضها وأبغضها وأبغضها حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا حكيا بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكي غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع ماجدي أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الحبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أهلك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فان أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه القصير أعظم عليه قال أنا لم أقول لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العمدة لأبي الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره . وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الحضر عليه السلام قلقت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء . وحكي عن محمد بن بشار أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم قلقت يارسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتحون قلبه بالقرآن ويغتمون بعده بالقرآن . وحكي عن طاهر بن بلال

والألحان فما كان من
 قيل للعاني تشارك
 النفس الروح في السماع
 في حق البطل ويشارك
 القلب في حق الحق وما
 كان من قيل مجرد
 النغات تتجرد الروح
 للسماع ولكن في حق
 البطل تسترق النفس
 السمع وفي حق الحق
 يسترق القلب السمع
 ووجه استلذاذ الروح
 النغات أن العالم
 الروحاني يجمع الحسن
 والجمال ووجود
 التناسب في الأكواف
 مستحسن قولاً وفلاً
 ووجود التناسب في
 الهياكل والصور
 ميراث الروحانية فحق
 سمع الروح النغات
 اللذيذة والألحان
 التناسبة فآثره لوجود
 الجنسية ثم يتقيد ذلك
 بالشرع بمصالح علم
 الحكمة ورعاية الحدود
 للعباد عين المصلحة
 عاجلاً وآجلاً . ووجه
 آخر إنما يستلذذ الروح
 النغات لأن النغات بها

المحمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأُنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيذ تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع قبل له أن يؤتي يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه بالغو وقال الله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم - هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فهما استقصى تمارضت عنده هذه الأقاويل فينبغي متعبرا أو ماثلا إلى بعض الأقاويل بالتشبيه وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث عن مدراك الخطر والإباحة كما سنذكره.

(بيان الدليل على إباحة السماع)

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على النصوص وأعني بالنص ما أظهره صلى الله عليه وسلم بقوله أو فعله وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كإثبات المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم ومهماتهم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الفرض لكن لستفتح ونقول قد دل النص والقياس جميعا على إباحته . أما القياس فهو أن الفناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم انتهى محرك للقلب فالوصف الأعم أنه صوت طيب ثم الطيب ينقسم إلى اللوزون وغيره واللوزون ينقسم إلى المفهوم كالأشعار وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بأدراك ما هو مخصوص به وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلزم تلذذ النظر في البصرات الجميلة كالخضرة واللاء الجاري والوجه الحسن وبالجملة سائر الألوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة وللشم الروائح الطيبة وهي في مقابلة الأثمان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدهن والحلاوة والخموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة وللمس لذة اللين والنعومة والالسة وهي في مقابلة الخشونة والضراصة والعقل لذة العلم والعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة فكذلك الأصوات للمدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والزماير ومستكرهة كتهنيت الخمر وغيرها فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها . وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال - يزيد في الخلق ما يشاء - فليل هو الصوت الحسن وفي الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت »^(١) وقال صلى الله عليه وسلم « لله أشد أذنا للرجل

نطق النفس مع الروح بالإيمان الحق إشارة ورمز بين المتعاشقين وبين النفوس والأرواح تمشق أصل ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكرورة الروح وللليل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى - وجعل منها زوجها ليكن إليها - وفي قوله سبحانه منها إشعار بتلازم وتلاصق موجب للاختلاف والتعاشق والنفات يستلزمها الروح لأنها مناعة بين المتعاشقين وكما أن في عالم الحكمة كونه حواء من آدم ففي عالم القدرة كونه النفس من الروح الروحاني فهذا التألف من هذا الأصل وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بحرف

(١) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشرائع عن قتادة وزاد قوله وكان نبيكم

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته (١) « وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام « أنه كان حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الناس والجن والوحوش والطير لسماع صوته وكان يحمل في محمله أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى زممارا من زمائر آل داود (٣) » وقول الله تعالى - إن أنكر الأصوات لصوت الخير - يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز أن يقال إنما أيسح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمر أن يحرم سماع صوت الضليل لأنه ليس من القرآن وإذا جاز سماع صوت غفل لافضل له فلم لا يجوز سماع صوت فهم منه الحكمة والعاني الصحيحة وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن : العرجة الثانية النظر في الصوت الطيب للوزون فإن الوزن وراء الحسن فكيف من صوت حسن خارج عن الوزن وكمن صوت موزون غير مستطاب والأصوات للوزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فإما أن تخرج من جناد كصوت الزمائر والأوتار وضرب القضيب والبطل وغيره وإما أن تخرج من حنجره حيوان وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقاري وذات السبع من الطيور فهي مع طيبها موزونة متناسبة للطالع والقاطع فذلك يستلزم سماعها والأصل في الأصوات خناجر الحيوانات وإما وضعت الزمائر على أصوات الخناجر وهو تشبيه للصنعة بالحنجرة وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الحنطرة التي استأثر الله تعالى باختراعها فنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك بطول فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذهاب إلى تحريم صوت الضليل وسائر الطيور ولا فرق بين حنجره وحنجرة ولا بين جناد وحيوان فينبغي أن يقاس على صوت الضليل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الأدي كالتدبير يخرج من حلقه أو من القضيب والبطل والدف وغيره ولا يستثنى من هذه إلا للاله والأوتار والزمائر التي ورد الشرع بالمنع منها (٤) لا لأنها إذ لو كان للقة لقيس عليها كل ما يلائم به الإنسان ولكن حرمت الخمر واقتضت خمره الناس بها الباطنة في الطعام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والزمائر فقط وكان تحريمها من

حسن الوجه حسن الصوت وروياته متصلا في التيلانيات من رواية قتادة عن أنس والصواب الأول قاله الدارقطني ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة (١) حديث فله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته تقدم في كتاب تلاوة القرآن (٢) حديث كان داود حسن الصوت في النباح على نفسه وفي تلاوة الزبور الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث لقد أوتي زممارا من زمائر آل داود قاله في مدح أبي موسى تقدم في تلاوة القرآن (٤) حديث المنع من الملهي والأوتار والزمائر البخاري من حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ليسكون في أمي أقوام يستحلون الخمر والحريم والمغازف صورته عند البخاري صورة التعليق ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود والسمعاني . والمغازف الملهي قاله الجوهري ولأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أعق الزمائر والكباريات يعني البرابط والمغازف وله من حديث قيس بن سعد بن عباد إن ربي حرم على الخمر والكوبة والقنين وله في حديث لأبي أمامة باستحلهم الخمر وضربهم بالدفوف وكلها ضعيفة ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسل الاستماع إلى للملهي معصية الحديث ولأبي داود من حديث ابن عمر سمع زممارا فوضع أصبعه على أذنيه قال أبو داود وهو منكبر .

القرب من الروح
الروحاني فصارت نفسا
فإذا تكوّن النفس من
الروح الروحاني في عالم
القدرة كتكوّن
حواء من آدم في عالم
الحكمة فهذا التألف
والتعاقب ونسبة
الأثنية والدكور من
هنا ظهر وبهذا
الطريق استطابت
الروح الثبات لأنها
مراسلات بين
للتعاقبين ومكاملة
بينهما وقد قال القائل :
تكم لنا في الوجود
عيونا
فنحن مكوث والهوى
يشكم
فذا استلذت الروح النعمة
وجدت النفس للملوعة
بالهوى وتحركت بما
فيها لحدوث العارض
ووجد القلب للملوع
بالارادة وتحرك بما فيه
لوجود العارض في
الروح :
شربنا وأهرقنا على
الأرض جرة
وللأرض من كأس
السكرام نصيب

قبل الاتباع كاحرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسواطين
وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر وما من حرام إلا وله حريم يطيف به وحكم
الحزمة ينسحب على حريمه ليكون حمي للحرام ووقاية له وحظا ما فاعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم
« إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه (١) » فهي محرمة تبعاً لتحريم الخمر ثلاث علل :
إحداها أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل
الخمر . الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الأنس بالشرب فهي سبب التذكر
والتذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوى فهو سبب الإقدام ولهذا العلة « نهى عن
الانتباز في الزفت والحنتم والنقير (٢) » وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها لفن هذا أن مشاهدة
صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في التذكر إذ لذة في رؤية القينة
وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فإن كان السماع يذكر الشرب تذكر الشوق إلى الخمر
عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهى عن السماع لحصول هذه العلة فيه . الثالثة الاجتماع
عليها لما أن صار من عادة أهل القسق فيمنع من التشبه بهم لأن من تشبه بهم فهو منهم وبهذه
العلة قول بترك السنة مهما صارت شامرا لأهل البدعة خوفاً من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم
ضرب الكوبة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة الخشنيين ولولا ما فيه
من التشبه لكان مثل طبل الحجيح والغزو وبهذه العلة قول لواجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا
آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكجيين ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من
الساق ويشربون ويعمي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وإن كان للشروب
مباحاً في نفسه لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر على
الرأس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيها وراء التبر لا اعتياد
أهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه العلة حرم الزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب
والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيح وشاهين الطباخين وكالطبل
والقضب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك
لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقى على
أصل الاباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن
متناسب مستطاب حرام أيضاً وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس
تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد قال الله تعالى - قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده
والطيبات من الرزق - فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعرض
آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة . الدرجة الثالثة : الموزون والمفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج
إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً والكلام المفهوم غير حرام
والصوت الطيب للموزون غير حرام فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه
فإن كان فيه أمر محظور حرم ثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان بألحان أو لم يكن والحق فيه
ما قاله الشافعي رحمه الله إذ قال الشعر كلام حسنة حسن وقبيحة قبيح ومهما جاز إنشاد الشعر بغير
صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان فإن أفراد الباحات إذا احتدمت كان ذلك المجموع مباحاً

ففسد للبطل أرض
لسماء قلبه وقلب الحق
أرض لسما روحه
فالبائع مبلغ الرجال
والتجوهر التجرد من
أعراض الأحوال خلع
فصل النفس والقلب
بالوادي للقدس
وفي مقعد صدق عند
ملك مقدر استقر
وعرس وأحرق بنور
البيان أجرام الألحان
ولم تصنع روحه إلى
منافاة عاشقه لشغفه
بمطالعة آثار محبوبه
فألهام الشناق لا يسه
كشف ظلامه الشناق
ومن هذا حاله لا يحرره
السماع رأساً وإذا
كانت الألحان لا تلحق
هذا الروح مع لطافة
مناجاتها وحق لطيف
منافاتها كيف يلحقه
السماع بطريق فهم
الغاني وهو أكتف
ومن يصف عن حمل
لطيف الاشارات كيف
يتحمل ثقل أعباء
العبارات وأقرب من
هذا عبارة تقرب إلى :

(١) حديث إن لكل ملك حمي وإن حمي الله محارمه تقدم في كتاب الحلال والحرام .

(٢) حديث النهي عن الانتباز في الحنتم والزفت والنقير متفق عليه من حديث ابن عباس .

ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا تضمنه الآحاد ولا محظور ههنا وكيف
يشكر إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) وقال عليه السلام « إن
من الشعر لحكمة » وأنشدت عائشة رضي الله عنها :

ذهب الدين يماشى في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

وروى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما وكان بها وباء قتلت يا أبت كيف تجددك وبالبال كيف
تجددك ؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركائك نعله

وكان بلال إذا أقلت عنه الحمى يرفع فقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى وذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم حبب إلينا
المدينة كحبنا مكة أو أشد » ^(٢) وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد
وهو يقول : هذا الجمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة ^(٣)

(١) حديث إنشاد الشعر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه من حديث أبي هريرة
أن عمر مرتبة حسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك
الحديث ، وسلم من حديث عائشة إنشاد حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء القصيدة

وإنشاد حسان أيضا :

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت عزموم ووالدك العبد

والبخاري إنشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يسألو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع الأيات

(٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب وتقدم في العلم

(٣) حديث عائشة في الصحيحين لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال

الحديث وفيه إنشاد أبي بكر :

كل امرئ مصبغ في أهله والموت أدنى من شركائك نعله

وإنشاد بلال : ألا ليت شعري هل آيتن ليلة بواد وحولى وذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لي شامة وطفيل

قلت : هو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند

مسلم (٤) حديث كان صلى الله عليه وسلم ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقول :

هذا الجمال لأحمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى :

لاهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

الأنفهام : الوجد والورد

يرد من الحق سبحانه

وتعالى ومن يريد الله

لا يفتن بما من عند الله

ومن صار في محل القرب

متحققا لا يلبيه ولا

يحركه ما ورد من عند

الله فالوارد من عند

الله مشعر يعد

والقريب واجد لما

يصنع بالوارد والوجد

نار والقلب للواجد

ربه نور والنور أطف

من النار والكثيف

غير مسطر على

اللطيف فإدام الرجل

البالغ مستمرا على

جادة استقامته غير

منحرف عن وجه

معهوده بنوازع

وجوده لا يدركه الوجد

بالسمع فان دخل عليه

قور أوعاقه قصور

بدخول الابتلاء عليه

من البلى المحسن يتألف

الحسن من تقاريق صور

الابتلاء أى يدخل

عليه وجود يدركه

الواجد لمود العبد

عند الابتلاء إلى حجب

وهذه في الصحيحين وكان النبي صلى الله عليه وسلم « يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد حسان روح القدس ما نافع أو فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) » ولما أنشده النابغة شعره قاله صلى الله عليه وسلم « لا يفضض الله فاك ^(٢) » وقالت عائشة رضي الله عنها « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم ^(٣) » وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال « أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه ثم قال إن كاد في شعره ليسلم ^(٤) » وعن أنس رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنجشة رويدك سوكك بالقوارير ^(٥) » ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستبذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستلذ يؤدي

قال للصف والبيتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسل وفي البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال الأجر بدل العيش تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يلقنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار وللهاجرة

وليس البيت الثاني موزوناً وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق بلفظ : فبارك في الأنصار والمهاجرة . وفي رواية فاغفروني رواية لمسلم فأكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفرو للمهاجرين والأنصار ^(١) حديث كان يضع لسان منبراً في السجدة يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح الحديث البخاري تعليقا وأبو داود والترمذي والحاكم متصل من حديث عائشة قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الإسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) حديث أنه قال للناطقة أنشد شعراً لا يفضض الله فاك البغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب بأسناد ضعيف من حديث النابغة واسمه قيس بن عبد الله قال أنشدت النبي ﷺ :
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لترجو فوق ذلك مظهراً
الآيات
وزواه الزار بلفظ : علونا العباد عفة وتكرماً . الآيات وفيه فقال أحسنت يا أبا بلي لا يفضض الله فاك وللحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال قل لا يفضض الله فاك فقال العباس :

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخفف الوري الآيات

^(٣) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسم الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة ^(٤) حديث الشريد أنشدت النبي صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم ^(٥) حديث أنس كان يحدي له في السفر وإن أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال الحديث أبو داود والطبراني واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك

القلب فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب ومن هو مع القلب إذا زل وقع على النفس سمعت بعض مشايخنا يعك عن بعضهم أنه وجد من السماع قهيل له ابن حاله من هذا فقال دخل على داخل أوردني هذا الورد .

قال بعض أصحاب سهل صحبت سهلاً سنين ما رأيت تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر عمره قرئ عنده - فالיום لا يؤخذ منكم فدية - فارتعد وكاد يسقط فنتأله عن ذلك قال نعم لحقني ضعف ومع مرتبة الملك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان صاحبه قال قد ضعف قهيل له إن كان هذا من الضعف فما القوة قال القوة أن الكامل لا يرد عليه وارد إلا

بأصوات طيبة وألحان موزونة . الدرجة الزايفة : النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ومهييج لما هو الغالب عليه فأقول قد تعالى سر في مناسبة النغمات للوزونة للأرواح حتى إنها تؤثر فيها تأثيرا عجيبا فمن الأصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما يضحك ويضطرب ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرجل والرأس ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر بل هذا جار في الأوتار حتى قبل من لم يحركه الويسع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهبه فانه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتصرف نفسه عما يكره إلى الانصاف إلى الموالج مع بلاده طبعه يتأثر بالحداء تأثرا يستخف معه الأحوال الثقيلة ويستتفرق لقوة نشاطه في معاه للسافات الطويلة ويثبت فيه من النشاط ما يسكره ويولفه قترها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت الماهل والأحمال إذا سمعت منادى الحداء تمد أعناقها وتضفي إلى الحادئ ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تترعزع عليها أحمالها وحاملها وربما تلفت نفسها من شدة السير وتقل الجمل وهي لا تشعر به لنشاطها فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقى رضى الله عنه قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خبائه فرأيت في الخباء عبدا أسود مقيدا ب قيد ورأيت جمالا قد مات بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو نازل ذابل كأنه ينزع روحه فقال لي اللام أنت ضيف ولك حق فتشفع في إلى مولاي فانه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر فصاء يحل القيد عنى قال فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد فقال إن هذا العبد قد أقررت وأهلك جميع ما لي فقلت ماذا فعل فقال إن له سوتا طيبا وإن كنت أعينى من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالا ثقالا وكان يحدها بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبت لك قال فأحييت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره أن يغوص على جبل يستقي للماء من بئر هناك فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي لما أظن أني سمعت قطصوتا أطيب منه فاذن تأثير السماع في القلب محسوس ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم فإن جميعها تتأثر بالنغمات للوزونة ولذلك كانت الطيور تنف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه فالترنم بالكلمات المسجعة للوزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع . الأول : غناء الحجيج فانهم أولا يدورون في البلاد بالطلب والشاهين والغناء وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة وللقيام والحطيم وزمزم وسائر للشاعر ووصف البادية وغيرها وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتغال بزيارته إن كان ثم شوق حاصل أو استتارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصل وإذا كان الحج قرينة والشوق إليه محمودا كان التشويق إليه بكل ما يشوق محمودا وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويرثيه بالسجع ويشوق الناس إلى الحج بوصف البيت والشاهير ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب فاذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعها فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير وكل ذلك جائز ما لم

يقتله بقوة حاله فلا يفسره الوارد . ومن هذا القبيل قول أبي بكر رضى الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب لما رأى الباكي يسكي عند قراءة القرآن وقوله قست أي تصلبت وأدمنت معاج القرآن وألفت أنواره لها استغرفته حتى تغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالي قبل الصلاة كحالي في الصلاة إشارة منه إلى استمرار حال الشهود فهكذا في السماع كقبل السماع . وقد قال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أهم من فضل الوجد . وبلغنا عن الشيخ حماد رحمه الله أنه كان يقول البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود . واعلم أن

يدخل فيه الزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار ، نعم إن قصده تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يحز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق . الثاني : ما يتبادر الفزاة لتحريض الناس على الفزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ولكن ينبغي أن يخالف أعمارهم وطرق أحوالهم أعمار الحاج وطرق أحوالهم لأن استئثار داعية الفزو بالتشجيع وتحريك الفيط والنضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار للشجعة مثل قول المتنبي :

فإن لا نمت تحت السيوف مكرماً نمت وتقاس القتل غير مكرم

وقوله أيضاً :

يرى الجبناء أن الجبين حزم وتلك خديعة الطبع اللثيم

وأمثال ذلك وطرق الأوزان للشجعة تخالف الطرق للشوكة وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الفزو ومندوب إليه في وقت يستحب فيه الفزو ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الفزو . الثالث : الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء والفرض منها التشجيع للنفس وللاقتدار وتحريك النشاط فيهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس وذلك مباح في كل قتال مباح ومندوب في كل قتال مندوب ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة وكل قتال محظور لأن تحريك الدواعي إلى المحظور محظور وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرها ولذلك قول ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهدين في معسكر الفزاة فإن صوته مرقق يحزن بحل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال وكذا سائر الأصوات والألحان الرقيقة للقلب فالألحان الرقيقة المحزنة تبين الألحان المحركة للشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو ذلك مطيع . الرابع : أصوات النياحة ونفاتها وتأثيرها في تهيج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن فسمان : محمود ومذموم فأما للمذموم فكالحزن على ما فات قال الله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم - والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط قضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدرك له فهذا الحزن لما كان مذموماً تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة (١) وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على قصيره في أمر دينه ، وبكائه على خطايا ، والبكاء والتباكى والحزن والتعازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محموداً إذ كان ذلك مع فؤام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته وكان يفعل ذلك بالفاظه وألحانه وذلك محمود لأن اللغز إلى محمود محمود وعلى هذا لا يحرم على الواءظ الطيب الصوت أن ينشد على النثر بألحانه الأشعار المحزنة الرقيقة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبصيرة غيره وإثارة حزنه . الخامس : السماع في أوقات السرور تأكيذاً للسرور وتهيجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالقضاء في أيام العيد

(١) حديث النهي عن النياحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة أن لا نتوح .

لما يكن عند السماع
مواجيد مختلفة فمنهم
من يبكي خوفاً ومنهم
من يبكي شوقاً ومنهم
من يبكي فرحاً كما قال
القائل :

طبع السرور على حقاني
من عظم ما قد سرتني أبكاني

قال الشيخ أبو بكر
الكتاني رحمه الله
سماع العوام على
متابعة الطمع وسماع
للريدين رغبة ورهبة
وسماع الأولياء رؤية
الآلاء والنعماء وسماع
العارفين على المشاهدة
وسماع أهل الحقيقة على
الكشف . والبيان
ولكل واحد من
هؤلاء مصدر ومقام .

وقال أيضاً للوارد ترد
فصادف شكلاً أو
مواقفاً يوارى صادف
شكلاً مازجه وأى
وارد صادف موقفاً
ساكنه وهذه كلها
مواجيد أهل السماع
وما ذكرناه حال من

وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فهذا إظهار السرور لقدمه صلى الله عليه وسلم وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنفثات والرقص والحركات أيضا محمود فقد قل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم جعلوا في سرور أصابهم (٢) كما سيأتي في أحكام الرقص وهو جائز في قدوم كل قادم يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ويدل على هذا ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد حتى أكون أنا الذي أسأله (٣) » فأقدر وأقدر الجارية الحديثة السن الحريصة على الأهل بإشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضا في صحيحهما حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها « أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريثان في أيام من تدفنان وتضربان والنبي صلى الله عليه وسلم متفنى بثوبه فأتتهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه وقال : دعهما يا أبا بكر فاتهما أيام عيد » وقالت عائشة رضي الله عنها « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمتا يابني أرفدة (٤) » يعني من الأمن ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه تقيان وتضربان (٥) وفي حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسترن بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا الذي أنصرف (٦) »

(١) حديث إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

السبق في دلائل النبوة من حديث عائشة مضافا وليس فيه ذكر للدف والألحان (٢) حديث جعل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم أبو داود من حديث علي وسيأتي في الباب الثاني (٣) حديث عائشة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترن بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في السجد الحديث هو كما ذكره للصف أيضا في الصحيحين لكن قوله إنه فيها من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر بل هو عند البخاري كما ذكر وعندهما من رواية عمرو بن الحارث عنه (٤) حديث عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترن بثوبه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في السجد فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أمتا يابني أرفدة تقدم قبله بحديث دون زجر عمر لم إلى آخره فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله أمتا يابني أرفدة بل قال دعهم يا عمر زاد النسائي لما رواه بنو أرفدة ولها من حديث عائشة دونكم يابني أرفدة وقد ذكره للصف بعد هذا (٥) حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه وفيه يفتيان ويضربان رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب (٦) حديث أبي طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا .

ليرفع عن السجدة وهذا الاختلاف منزل على اختلاف أقسام البكاء التي ذكرناها من الحوف والشوق والفرح وأعلاها بكاء الفرح بمثابة قادم يقدم على أهله بعد طول غيبته فبصد رؤية الأهل يمكن من قوة الفرح وكثرته وفي البكاء رتبة أخرى أعز من هذه يزد ذكرها ويكثر ثمرها لقصور الاقلام عن إدراكها فربما يقابل ذكرها بالانكسار وغنى بالاستكبار ولكن يعرفها من وجدها قدما ووصولا وفهمها نظرا كثيرا ومثولا وهو بكاء الوجدان غير بكاء الفرح وحدث ذلك في بعض مواطن حق اليقين ومن حق اليقين في الدنيا إلامات يسيرة فيوجد البكاء في بعض مواطنه

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألب بالنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان يأتيني سواحب لي فكان يتقنن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستر لحيتهن إلى قيلعن معنى (١) وفي رواية أن النبي ﷺ قال لها يوما « ما هذا قالت بتاني قال لها هذا الذي أرى في وسطهن قالت فرس قال ما هذا الذي أعليه قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت أو ما سمعت أنه كان سليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة قالت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه » والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصور قمن الحزف والرقاع من غير تكيل صورته بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقع وقالت عائشة رضي الله عنها « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بمات فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاتهرني وقال مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجا (٢) » وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال تشبهين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه وخدني على خده ويقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهي . وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبيه فجعلت أنظر إلى لحيته حتى كنت أنا الذي انصرفت فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الفناء واللعب ليس بمحرم وفيها دلالة على أنواع الرخص . الأول : اللعب ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب . والثاني فعل ذلك في المسجد . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « دونكم يا بني أرفدة » وهذا أمر باللعب والتماسه فكيف بقدر كونه حراما . والرابع منه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الانكار والتخير وتعليقه بأنه يوم عيداى هو وقت سرور وهذا من أسباب السرور . والخامس : وقوفه طويلا في مشاهدة ذلك وسماعه لمواقفة عائشة رضي الله عنها وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطيب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقص في الامتناع والمنع منه . والسادس : قوله صلى الله عليه وسلم ابتداء لعائشة « تشبهين أن تنظري » ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفا من غضب أو وحشة فان الالتباس إذا سبق ربما كان الرذ سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور على محذور فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه . والسابع : الرخصة في الفناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن الزمار المحرم غير ذلك . والثامن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرع صمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار صمعه فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت للزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهذه القاييس والنصوص تدل على إباحة الفناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنج في أوقات السرور كلها قياسا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة والعيقة والختان ويوم القدوم من السفر

(١) حديث عائشة كنت ألب بالنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف لكن يختصر إلى قولها فيلعبن معي . وأما الرواية الطويلة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليست من الصحيحين إنما رواها أبو داود بإسناد صحيح (٢) حديث عائشة دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بمات الحديث هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية التي عزاهما لمسلم انفرد بها مسلم كما ذكر .

لوجود تقاير وتباين بين المحدث والقديم فيكون البكاء رجعا هو من وصف الجذنان لو هج خطوة عظمة الرحمن ويقرب من ذلك مثلا في الشاهد قطر الغمام بتلاقي مختلف الأجرام وهذا وإن عز مشعر يقية تفدح في صرف الفناء ، نعم قد يتحقق العبد في الفناء متجردا عن الآثار منعسا في الأنوار ثم يرتقى منه إلى مقام البقاء ويرد إليه الوجود مطهرا فتعود إليه أقسام البكاء خوفا وشوقا وفرحا ووجدانا بمشكلة صورها ومباينة حقائقها بفرق لطيف يدركه أربابه وعند ذلك يعود عليه من السماع أيضا قسم وذلك القسم مقدوره مقهور معه يأخذه إذا أراد ويره إذا أراد ويحكمون هذا السماع من

وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعا ويجوز الفرح بزيارة الاخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضا مظنة السماع . السادس : سماع العشاق تحريكاً للشوق وتمهيجاً للعشق وتسلية للنفس فان كان في مشاهدة المشوق فالغرض تأكيد اللذة وإن كان مع المفارقة فالغرض تمهيج الشوق والشوق وإن كان ألماً ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فان الرجاء لذيذ واليأس مؤلم وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للنفس للرجو ففي هذا السماع تمهيج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء القدر في الوصال مع الاطياب في وصف حسن المحبوب وهذا حال إن كان للشقاق إليه من يباح وصاله كمن يشق زوجته أو سرته فيصنئ إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر وبالسمع الأذن ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما الحياة إلا لهو ولعب وهذا منهو كذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب فله أن يحرك بالسمع شوقه وأن يستمر به لذة رجاء الوصال فان باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء وأما من يتمثل في نفسه بصورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما يمثل في نفسه فهذا حرام لأنه يحرك الفكر في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا الأمر يرجع إلى نفس السماع ولذلك مثل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد إلى دماغ الانسان يزيله الجماع ويهيج السماع . السابع : سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ولا يقرع سمعه قارع إلا سمع منه أوفيه فالسماع في حق مهيج لشوقه ومؤكده لشقه وجه ومور زناد قلبه ومستخرج منه أحوالاً من الكشافات واللاطفات لا يحيط الوصف بها يحرقها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداماً خوذ من الوجود والصادقة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن صادفها قبل السماع ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كاتبت النار الجواهر المروضة عليها من الحب ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرات القربات كلها فالغرض إليها من جملة الكربات لا من جملة المعاصي واللباحات وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النعمات الوزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبساطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثير الأرواح بالأصوات من دقائق علوم الكشافات والبلد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج وتعجب العنبر من لذة المباشرة وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والادراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصور منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من قد التذوق وكيف يدرك لذة الألحان من قد السمع ولذة العقولات من قد العقل وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنة في القلب فمن قدحها عدم لاهالة لذته ولملك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محرراً له . فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد معرفته والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ولذلك قالت العرب إن محمداً قد عشق ربه لما رأوه يتخلى

للتمكن بنفس الطمأنينة واستنارت وباينت طيبتها واحسنت طمأنينتها وأكسبها الروح معنى منه فيكون سماعه نوع تمتع للنفس كتتمتعها بمباحات اللذات والشهوات لأن يأخذ السماع منه أو يزيد به أو يظهر عليه منه أثر تكون النفس في ذلك بمثابة الطفل في حجر الوالد يفرحه في بعض الأوقات ببعض ما ربه ومن هذا القبيل ما قل أن أبا محمد الرازي كان يشغل أصحابه بالسماع وينزل عنهم ناحية يصلي قد تطرق هذه النعمات مثل هذا المصلي فتدلى إليها النفس متمعة بذلك فترداد مورد الروح من الأنس صفاء عند ذلك لبعد النفس عن الروح في تتمتعها فاتها مع طمأنينتها بوصف من الأجنبية بوضعها وجيلتها وفي بعدها تفر

للعادة في جبل حراء . واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الجمال إن كان يتناسب الحلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب ولفظ الجمال قد يستعار أيضا لها فيقال إن فلانا حسن وجميل ولا تراد صورته وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تنأى كد هذه المحبة فتسمى عشقا وكم من الغلاة في حب أرباب للذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم حتى يذبلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والبالغة ومن المحب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجمل هو أم قبيح وهو الآن ميت ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته للرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه بل على التحقيق من لاخير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالقول والأبصار والسمع وسانئ الحواس من مبتدا العالم إلى منقرضه ومن ذروة التريا إلى منتهى الترى فهو ذرة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه وكيف لا يتأ كد عند العارفين بأوصافه جميع حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم المشق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الأنباء عن فرط محبته فسيحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره ولولا احتجابه بسبعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار اللاحظين لجمال حضرته ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء ولوركت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادئ أنوار تجليه دكا دكا فأنى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش وسياى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل للتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى إذ ليس في الوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ومن عرف الأفعال من حيث إنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه لا من حيث إنه يياض وجلد وجبر وورق وكلام منظوم ولمعة عربية فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كبرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبة مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه ومن حد هذا المشق أنه لا يقبل الشراكة وكل ما سوى هذا المشق فهو قابل للشراكة إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير إما في الوجود وإما في الامكان فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان لا في الامكان ولا في الوجود فكان اسم المشق على حب غيره مجازا محضا لا حقيقة ، نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لحظة المشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الواقع فثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لحظة المشق والشوق والوصال والأنس بل يحب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصم بالقت والحشيش وأوراق القصبان فان الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه والأوهام تختلف باختلاف الأنفهام فليتنبه لهذه الدققة في أمثال هذه الألفاظ بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أقسام الروح من الفئوح ويكون طروق الألفان سمعه في الصلاة غير محيل بينه وبين حقيقة النجاة وفهم تنزيل الكلمات وتصل الأقسام إلى عالمها غير مزاحمة ولا مزاحمة وذلك كله لسعة شرح الصدر بالإيمان والله المحسن للثان ولهذا قيل السامع لقوم كالدواء ولقوم كالغذاء ولقوم كالمروحة ومن عود أقسام البكاء ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر «اقرأ فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال أحب أن أسمعه من غيري فافتتح سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة شهيد وجثا بك على هؤلاء شهيدا - فاذا عيناه تهللن» . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل الحجر واستلمه ثم وضع

«أنه ذكر غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء قالت الله عز وجل فل من خلق الأرض قالت الله عز وجل قال فل من خلق الجبال قالت الله عز وجل قال فل من خلق القيم قالت الله عز وجل قال فل من خلق القطع» وهكذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتعالى قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد وما أتزلت الكتب إلا يطربوا بذكر الله تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والتدب إليه في بعض المواضع . فان قلت فهل له حالة يحرم فيها . فأقول إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في السمع وعارض في آلة الإسماع وعارض في نظم الصوت وعارض في نفس السميع أو في مواظبته وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي السمع والسمع وآلة الإسماع العارض الأول أن يكون للسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخفى الفتنة من سماعها وفي سماعها السبي الأصم الذي تخفى فتنه وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الفناء بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها وعادتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا وكذلك السبي الذي تخاف فتنته . فان قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسب الباب أو لا يحرم إلى حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف الفتنة . فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلا أن أحدهما أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة قضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور . والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسيم بل يتبع فيه الحال وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فان قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة للماسة كتحرريك السماع بل هو أشد وصوت المرأة في غير الفناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والشاورة وغير ذلك ولكن لفناء مزيد أثر في تحريك الشهوة فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقصر التحريم عليه هذا هو الأنيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين اللعنتين في بيت عائشة رضى الله عنها إذ يعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع أصواتهما ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز فاذن يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شابا وشيخا ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فانا نقول للشيخ أن يقبل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب أو الخنثيين وهي الزامير والأوتار وطبل الكوبة فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة وماعدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلال والجليل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات . العارض الثالث في نظم الصوت وهو الشعر فان كان فيه شيء من الحنا والفحش والمجس أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم أو على الصحابة رضى الله عنهم كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم فسماع ذلك حرام بالآلحان

(١) حديث أبي هريرة إن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله الحديث وفيه ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان .

خفته عليه طويلا
يكي وقال يا عمرهنا
تسكب الصبرات
وللتمكن تعود إليه
أقسام البكاء وفي ذلك
فضيلة سألها النبي صلى
الله عليه وسلم فقال
« اللهم ارزقني عينين
عطاليتين » ويكون
البكاء في الله فيكون لله
ويكون بالله هو الآتم
لعمده إليه بوجود
مستأنف موهوب له
من الكريم اللان في
مقام البقاء .

[الباب الخامس
والعشرون في القول في
السماع تأديبا واعتناء]
ويتضمن هذا الباب
آداب السماع وحكم
التخريق وإشارات
الشايع في ذلك وما في
ذلك من للتأثير
والهذور . مبني
التصوف على الصدق
في سائر الأحوال وهو
جد كله لا ينبغي
لصادق أن يتمدد
الحضور في جمع يكون
فيه سماع إلا بعد أن

وغير الخان وللمسمع شريك للقاتل وكذلك ما فيه وصف امرأة بينها فانه لا يجوز وصف المرأة بين
 بني الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه
 ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهاجم الكفار وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك (١) فأما النسيب
 وهو التشبيه بوصف الحدود والأسداغ وحسن القامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ،
 والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن وعلى السمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن
 نزله فليزله على من يحل له من زوجته وجاريته فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالنزول وإجالة
 الفكر فيه ومن هذا وصفه فينبغي أن يجنب المعاصي رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه
 عليه سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إلا ما من لفظ لا يمكن نزله على معان بطريق الاستعارة
 فالذي يطلب على قلبه حب الله تعالى يذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلة الكفر وبضارة الحد نور الإيمان
 ويذكر الوصال لقاء الله تعالى ويذكر القراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة للرودين ويذكر الرقيب
 للشوش روح الوصال عوائق الدنيا وآفات الشوكة لدولم الأنس بالله تعالى ولا يحتاج في تنزيل ذلك
 عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق للعاني التالية على القلب إلى فهمه مع اللفظ كما روى عن
 بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الحيار عشرة حجة فغلب عليه الوجد فمثل عن ذلك
 فقال إذا كان الحيار عشرة حجة فما قيمة الأشرار واحتار بضمهم في السوق فسمع قالاً يقول باسم تري
 فغلب عليه الوجد فقيل له على ماذا كان وجدك قال سمعته كأنه يقول اسم تري حتى إن العجمي قد غلب
 عليه الوجد على الآيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف السجية فيفهم منها
 معان أخر أنشد بعضهم : وما زارني في الليل إلا خيال • فتواجد عليه رجل أعجمي فمثل عن سبب
 وجده فقال إنه يقول ما زاريم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدل في السجية على للشرف على الملاك
 خوم أنه يقول كلنا مشرفون على الملاك فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة والمحرق في حب
 الله تعالى وجده بحسب فهمه وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيره أن يوافق مراد الشاعر ولتته
 فهذا الوجد حق وصدق ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدد بآن يشوش عليه عقله وتضطرب عليه
 أعضاؤه فاذن ليس في تفسير أعيان الألفاظ كبير فائدة بل الذي غلب عليه عشق مخلوق فينبغي أن يحترز
 من السماع بأي لفظ كان والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني
 اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة . العارض الرابع في السمع : وهو أن تكون الشهوة قالبة
 عليه وكان في غرة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسمع حرام عليه سواء غلب
 على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب فانه كيفاً كان فلا يسمع وصف الصدغ والحد والقراق والوصال
 إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتمل فيه نار الشهوة
 وتحتد بواعث الشر وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذييل للعقل للناع منه الذي هو حزب الله
 تعالى والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل
 إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان
 وغاب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها فكيف يجوز تكثير أسلحتها
 وتشجيع سيوفها وأسلحتها والمعاصي المشعة لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص فليخرج
 مثل هذا عن مجمع السماع فانه يستغربه . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم

(١) حديث أمره صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت بهجاء للشركين متفق عليه من حديث البراء
 أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان اهجم أوهاجم وجيريل معك .

يخلص النية له تعالى
 ويتوهم به مزيداً في
 إرادته وطلبه ويحذر
 من ميل النفس لشيء
 من هواها ثم يقدم
 الاستخارة للحضور
 ويسأل الله تعالى إذا
 عزم البركة فيه وإذا
 حضر يلزم الصدق
 والوقار بسكون
 الأطراف قال أبو بكر
 الكنانى رحمه الله
 للسمع يجب أن يكون
 في سماعه غير مستروح
 إليه يهيج منه السماع
 وجداً أو شوقاً أو غلبة
 أو وارداً والوارد عليه
 يغني عن كل حركة
 وسكون ويتق الصديق
 استدعاء الوجد
 ويجنب الحركة فيه
 منها أمكن سبباً محضرة
 الشيوخ . حكى أن
 شاباً كان يصحب الجنيد
 رحمه الله وكلا مع
 شيئاً زعق وتغير فقال له
 يوماً إن ظهر منك شيء
 بعد هذا فلا تصحبني
 فكان بعد ذلك يصبط
 نفسه وربما كان من

ينقلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوبا ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظورا ولكنه أصبح في حقه كسائر أنواع اللذات للباحة إلا أنه إذا اتخذ ديدنه وهجيرا وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته فإن الواظبة على الله جناية وكان الصغيرة بالأصرار واللدومة تصير كبيرة فكذلك بعض اللباعات بالمداومة يصير صغيرة وهو كالواظبة على متابعة الزوج والحبشة والنظر إلى لبهم على الصوم فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعا إذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل اللعب بالشرطنج فإنه مباح ولكن الواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة ومهما كان الفرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب إذ راحة القلب معالجته في بعض الأوقات لتنبت دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجد كاستحسان الحال على الحد ولو استوعبت الحيلان الوجه لشوخته لما أقبح ذلك فيعود الحسن قبيحا بسبب الكثرة لما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الحيز مباح والاستكثار منه حرام فهذا للباح كسائر اللباعات . فان قلت قد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلم أطلقت القول أولا بالإباحة إذ إطلاق القول في الفصل بلا أو بنم خلف وخطأ . فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين مافية النظر فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العمل أهو حلال أم لا قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذي يستقر به وإذا سئلنا عن المحرق قلنا إنها حرام مع أنها محل لمن غص بلامة أن يشربها لم يحد غيرها ولكن هي من حيث إنها محرمة حرام وإنما أبحث لعارض الحاجة والعدل من حيث إنه عمل حلال وإنما حرم لعارض الضرر وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال وبمحرمة بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض والسماع من جملة اللباعات من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا ينال بمن يخالف بعد ظهور الدليل وأما الشافعي رضي الله عنه فليس بتحريم القضاء من مذهبه أصلا وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا تجوز شهادته وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ومن اتخذ صناعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط الروعة وإن لم يكن محرماً بين التحريم فإن كان لا ينسب نفسه إلى القضاء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرأ في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مردوداً على ما يطل شهادته واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها وقال يونس ابن عبد الأعلى سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسمع فقال الشافعي لأعلم أحداً من علماء الحجاز كرم السماع إلا ما كان منه في لأوصاف فأما الحمداء وذكر الأطلال والرابع وتحسين الصوت بالحن الأشعار فمباح وحيث قال إنه لم هو مكروه يشبه الباطل فقوله لم هو صحيح ولكن اللهو من حيث إنه لم هو ليس بحرام قلب الحبشة ورتقهم لم هو وقد كان يتلوه ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم قال الله تعالى - لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم - فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤخذ به فكيف يؤخذ بالشعر والرقص . وأما قوله يشبه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه بل لوقال هو باطل صريحاً لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه فقول الرجل لامرأته مثلاً بت نفسي منك وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد اللعب واللطاية وليس

كل شجرة منه تخطر
قطرة صبر فما كان
يوماً من الأيام زعق
زعقة غفر روحه
فليس من الصدق
إظهار الوجد من غير
وجد نازل أو ادعاء
الحال من غير حال
حاصل وذلك عين
التناق . قيل كان
النصر ابداً رحمه الله
حسب الولع بالسمع
فغوب في ذلك قال
نعم هو خير من أن تصد
وتنقاب فقال له أبو عمرو
ابن بجيد وغيره من
إخوانه هيات يا أبا
القاسم زلة في السماع شر
من كذا كذا سنة
تقتاب الناس وذلك أن
زلة السماع إشارة إلى الله
تعالى وترويح للحال
بصريح الحال وفي ذلك
ذنوب متعددة منها أنه
يكذب على الله تعالى أنه
وهب له شيئاً وما وهب
له والكذب على الله
من أقبح الزلات ومنها
أن يغرب بعض الحاضرين
فيحسب به الظن

بحرام إلا إذا قصد به التملك المحقق الذي منع الشرع منه . وأما قوله مكروه فيزول على بعض اللواضع التي ذكرتها لك أو يزول على التنزيه فانه نص على إباحة لعب الشرع وذكر آتى أكره كل لعب وتعليه يدل عليه فانه قال ليس ذلك من عادة ذوى الدين وللروءة فهذا يدل على التنزيه ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضا بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يحرم للروءة بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوى الروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخبيسة فتعليه يدل على أنه أراد بالكره التنزيه وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة وإن أرادوا التحريم لما ذكرناه حجة عليهم .

(بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها)

احتجوا بقوله تعالى - ومن الناس من يشتري لهو الحديث - قال ابن مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم إن لهو الحديث هو الماء وروث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الله تعالى حرم القينة ويعنها وتعلمها »^(١) فتقول أما القينة فالمراد بها الجارية التي تقف للرجال في مجلس الشرب وقد ذكرنا أن غناء الأجنبية للفاسق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام وهم لا يصدون بالفتنة إلا ما هو محظور فأما غناء الجارية للمكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير المكها مما عايناه عند عدم الفتنة بدليل ما روى في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله عنها وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلا عن الدين مشترى به ومضلا عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراما . حكى عن بعض الناققين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من العتاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمر بقتله ورأى فعله حراما لما فيه من الاضلال فالاضلال بالشعر والقناء أولى بالتحريم . واحتجوا بقوله تعالى - أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون - قال ابن عباس رضي الله عنهما هو القناء بلغة حمير يعني السعد فتقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضا لأن الآية تشمل عليه فان قيل إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لسلامتهم فهذا أيضا مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين كما قال تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون - وأراد به شعراء الكفار ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه . واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تقى »^(٢) فقد جمع بين الناحة والقناء . قلنا لا جرم كما استثنى منه نباحة داود عليه السلام ونباحة اللذين على خطاياهم فكذلك يستثنى القناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغاؤه عند قدومه عليه السلام بقوله من :
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما رفع أحد صوته بقناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمك (٣) » قلنا هو منزل على بعض أنواع القناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق

(١) حديث عائشة إن الله حرم القينة ويعنها وتعلمها الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بحفوظ (٢) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تقى لم أجده أصلا من حديث جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولله في مسنده (٣) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته بقاء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمك ابن أبي الدنيا في ذم اللامى والطبراني في الكبير وهو ضعيف .

والاغرار خيانة قال عليه السلام « من غشنا فليس منا » ومنها أنه إذا كان مبطلا ويرى بين الصلاح فسوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتد فيه . فيفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله فيكون سببا إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن مع فساد عقيدته فينقطع عنه مدد الصالحين ويتشعب من هذا آفات كثيرة يعثر عليها من يبحث عنها ومن أنه يحوج الحاضرين إلى مواقفته في قيامه وقعوده فيكون متكلفا مكلفا للناس ياطله ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه اللوافة للجمع مداريا ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتنق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا

المخلوقين فأما ما يحرك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين والحبيشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجوز في موضع واحد نص في الإباحة وللع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتزويل أما الفعل فلا تأويل له إذ ما حرم فعله إنما يحل بمرض الإكراه فقط وما أيسح فعله يحرم بعارض كثيرة حتى الثبات والقصود . واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته (١) » قلنا قوله باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد سلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبيشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بمحرام بل يلحق بالمحسوس غير المحسوس قياسا كقوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث فانه يلحق به رابع وخامس (٢) » فكذلك ملاعبة امرأته لافائدة إلا التلذذ وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع اللذائبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل . واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه : ما تنبت ولا تنبت ولا مست ذكري يميني مذبايت به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا فليكن التمني ومس الذكر بالتمني حراما إن كان هذا دليل تحريم الفناء فمن أين ثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام . واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الفناء ينبت في القلب النفاق وزاد بعضهم كما ينبت للاء البقل (٣) ورفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير صحيح قالوا ومر على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم وعن نافع أنه قال كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع أسمع ذلك حتى قلت لا فأخرج أصبعيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع (٤) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله الفناء رقية الزنا وقال بعضهم الفناء رائد من رواد الفجور وقال يزيد بن الوليد إياكم والفناء فانه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم الرودة وإنه لينوب عن الحر ويمل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلمين فجنبوه النساء فان الفناء داعية الزنا فنقول قول ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق أراد به في حق المنافق فانه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يمرض نفسه على غيره ويروج صوته عليه ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غناؤه وذلك أيضا لا يوجب تحريما فان لبس الثياب الجميلة وركوب الحيل للمهلجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق والرياء ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيرا ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس مهملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخلاء لحسن مطيته فهذا النفاق من المباحات وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل على التحريم من (١) حديث عقبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته زوجته أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب (٢) حديث لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٣) حديث ابن مسعود الفناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت للاء البقل قال المصنف والرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم رواه أبوداود وهو في رواية ابن العبد ليس في رواية الأوّلوي ورواه البيهقي مرفوعا وموقوفا (٤) حديث نافع كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه الحديث ورفعه أبوداود وقال هذا حديث منكر.

صارت حركته حركة الرتمش الذي لا يجد سبيلا إلى الإمساك وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة وتكون حركته بمثابة النفس الذي يدعو إليه داعية الطبع قهرا . قال السري : شرط الواحد في زعفته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع وقد يقع هذا لبعض الواجدين نادرا وقد لا يبلغ الواحد هذه الرتبة من الغيبة ولكن زعفته تخرج كالتنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار فهذا الضبط من رغبة الحركات ورد الزعقات وهو في تمزيق الثياب أكد فان ذلك يكون إتلاف السال وإتلاف الحال وهكذا رمى الحرق إلى الحادي لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمرأة

حيث إنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث وظهر له من مخالفتهم أن سماعهم لم يكن لوجود
وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو فأنكر ذلك عليهم لكونه منكرا بالإضافة إلى حالهم
وحال الإحرام وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال وأما وضعه أصعبه في أذنيه فيعارضه أنه
لم يأمر ناهيا بذلك ولا أنكر عليه سماعه وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه في الجمال وقلبه
عن صوت ربما يحرك اللهو ويمتنع عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه وكذلك فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يمنع ابن عمر لا يدل أيضا على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه
ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن
ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم
إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه (١) أقرى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب فلمه
صلى الله عليه وسلم كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كاشغله العلم عن الصلاة
بل الحاجة إلى استتارة الأحوال الشريفة من القلب بهيئة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم
الشهود للحق وإن كان كالا بالإضافة إلى غيره ولذلك قال الحصري ماذا أحمل بسماع يتقطع إدامات
من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لغة
السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة . وأما قول الفضيل هورقة الزنا وكذلك ماعده
من الأثواب القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمفتلين من الشبان ولو كان ذلك علما لما
سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما القياس فغاية ما يذكر فيه أن
يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق أو قال هو لم يلب وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لم يلب .
قال عمر رضي الله عنه لزوجه إنما أنت لعبة في زاوية البيت وجميع اللعابة مع النساء لم يلب إلا الحرمة
التي هي سبب وجود الولد وكذلك الزح الذي لا فحش فيه حلال تقل ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن الصحابة كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله (٢) وأي لم يلب يزيد
على الحبشة والزنج في لمبهم وقد ثبت بالنص إباحته على أني أقول اللهم مروح لقلب وعطف
عنه أعجله الفكر والقلوب إذا أكرهت عحيث وترويحها إعانة لها على الجدة فالمواظب على التفقة
مثلا ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تمتع على النشاط في سائر الأيام وللمواظب على نوافل
الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات
فالمطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدة ولا يصبر على الجدة المحض والحق للراي لا نقوس الأنبياء
عليهم السلام فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والللال فينبغي أن يكون مباحا ولكن لا ينبغي أن يستكثر
منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية يصير قرينة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه
صفة محدودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل
به إلى المقصود الذي ذكرناه فم هذا يدل على نقصان عن ذروة السكمال فإن الكامل هو الذي
لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الأبرار سيئات القربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب
ووجوه التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعا أن ترويحها بأشكال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه .

(الباب الثاني في آثار السماع وآدابه)

(١) حديث خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كان عليه
أعلام شغلت قلبه تقدم في الصلاة (٢) حديث مزاحه صلى الله عليه وسلم يأتي في آفات اللسان كما قال المصنف .
(الباب الثاني في آداب السماع وآثاره)

وإذا حفت النية
فلا بأس بالقاء الحرقه
إلى الحادى قد روى
عن كعب بن زهير أنه
دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم
للسجد وأنشده آياتا
النأولها :

بانت سعاد قلبي اليوم
متبول

حق انتهى إلى قوله
فيها :

إن الرسول لسيف
يستضاء به

مهند من سيوف الله
مسلول

فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من

أنت فقال أشهد أن
لا إله إلا الله وأشهد أن

محمد رسول الله أنا
كعب بن زهير فرمى

رسول الله صلى الله
عليه وسلم إليه بدة

كانت عليه فلما كان
زمن معاوية بعث إلى

كعب بن زهير بعا
ردة رسول الله صلى

الله عليه وسلم بعشرة
آلاف فوجه إليه

اعلم أن أول درجة السماع فهم السمع وتزيله على معنى يقع المستمع ثم يسمع الفهم الوجد ويشمر الوجد الحركة بالجوارح فليست في هذه المقامات الثلاثة . المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع ، وللمستمع أربعة أحوال : أحدها أن يكون سماع بمجرد الطبع أى لاحظته في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات وهذا مباح وهو أحسن رتب السماع إذ الإيل شريكة له فيه وكذا سائر البهائم بل لا يستدعى هذا الدوق إلا الحياة فلكل حيوان نوع تلهذ بالأصوات الطيبة . الحالة الثانية أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معينا وإما غير معين وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للسمع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم وهذه الحالة أحسن من أن تسلك فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها . الحالة الثالثة أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التحكن مرة والتعذر أخرى وهذا سماع الريدن لاسيا للبتدين فان الريد لا محالة مراداً هو مقصده ومقصده معرفة الله سبحانه وتعالى والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسرى وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مشاير عليها وحالات تستقبله في معاملاته فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بدأ وتلف على فائت أو تمطش إلى متظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو بأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو خض للعهود أو خوف فراق أو فرح بوصول أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو همول العبرات أو ترادف الحشرات أو طول القراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الأعمار فلا بد أن يوافق بعضها حال الريد في طلبه فيجرب ذلك مجرى القدح الذى يورى زناد قلبه فنشتمل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته ويكرن له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذى فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأيات فيها ذكر القم والحد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الآيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكى أن بعضهم سمع قائلاً يقول :

قال الرسول غدا تزور رقتل تعقل ما تقول

فاستغزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول: قال الرسول غدا زور . حتى غشى عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما أفاق سئل عن وجدهم كان ؟ قال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة (١) » . وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال : كنت أنا وابن القوطى مارين على دجلة بين البصرة والأبلة فإذا بقصر حسن له منظره وعليه رجل بين يديه جارية تقى وتقول :

كل يوم تسلون غير هذا بك أحسن

فإذا شاب حسن تحت المنطرة ويديه ركوة وعليه مرقمة يستمع فقال بإجارية بالله وبجاية مولاد إلا أعدت على هذا البيت فأعادت فسكأت الشاب يقول هذا والله تلوأتى مع الحق في حالى فشبق شهقة ومات . قال : قلنا قد استقبلنا فرض فوقنا فقال صاحب القصر للجارية أنت حرة لوجه الله تعالى

(١) حديث إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل جمعة الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبى العشرين مختلف فيه وقال الترمذى لا نعرفه إلا من هذا الوجه قال وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعى شيئا من هذا .

ما كنت لأؤثر ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بن معوية إلى أولاده بعشرين ألفا وأخذ البردة وهي البردة الباقية عند الامام الناصر لدين الله اليوم عادت بركتها على أيامه الزاهرة . وللتصوفة آداب يتعاهدونها ورعايتها حسن الأئمة في الصحبة والمعاينة وكثير من السلف لم يكونوا يتمدون ذلك ولكن كل شئ استحسنوه وتواطوا عليه ولا ينكره الشرع لوجه الانكار فيه فمن ذلك أن أحدهم إذا تحرك في السماع فوقعت منه خرقة أو نازله وجد ورى عمامته إلى الحادى فالتحسن وعدم موافقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك من متقدم وشيخ وإن كان ذلك من الشبان في حضرة

قال ثم إن أهل البصرة خرجوا فصولاً عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله وكل جوارى أحرار وهذا القصر للسبيل قال ثم روى بثبائه وانزله ليزلزل وارتدى بآخر ومرت على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يسعون فلم يسمع له بعد خبر والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة محضه عن الثبوت على حسن الأدب في العاملة وتأسفه على تغلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع صممه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له :

كل يوم تسألون خير هذا بك أحسن

ومن كان سمعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به فحق سماع للربيد للتبدي خطر إلا إذا لم يزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى . ومثال الخطأ فيه هذا البيت بينه فلو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقط إليه نوع من التحقيق وهو أن يرى تغلب أحوال قلبه بل تغلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق فانه تارة يسطر قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يقبضه وتارة يطلنه وتارة يشته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله تعالى ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة قد يقال له في العادة إنه ذو بدواً وإنه متلون ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوه إلى التلون في قبوله ورده وتغيره وإساده وهذا هو المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للربيد باعتقاد تقليدي إيماني وحصل للعارف البصير يتبين كاشفي حقيق وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو للغير من غير تغيير ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواء فلا يغيره مالم يتغير ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر للدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر أفعاله للقلوب وقسمته للأحوال الشرفية على تفاوت فانه المستصفي لقلوب الصديقين والبعيد لقلوب الجاحدين وللثروين فلا مانع لما أعطى ولا منع لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمي الأمد والأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة ساقية ولكنه قال - ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين - وقال عز وجل - ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - فان خطر يبالك أنه لم تختلف السابقة في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لأن تجاوز حد الأدب - فانه لا يستل مما يفعل وهم يستلون - ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدّر عليه ألا كثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبصار بهذا الاختلاف الظاهر في التريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الحضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا بمن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجو من هذا السماع رأياً برأس في هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فان غلب ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر .

الشيوخ فليس على
الشيوخ مواقة
الشبان في ذلك
وينسحب حكم الشيوخ
على بقية الحاضرين في
ترك المواقة للشبان
فإذا حكوا عن السماع
رد الواجد إلى خرقته
وبواقفه الحاضرون
برفع العالم ثم ردها على
الروس في الحال
للمواقة والحرقة إذا
رديت إلى الحادي هي
للعادي إذا قصد
إعطائه إياها وإن لم
يقصد إعطائها للعادي
فيلهي للعادي لأن
المحرك هو مونه صدر
للموجب لمرى الحرقة .
وقال بعضهم هي للجمع
والعادي واحد منهم
لأن المحرك قول
العادي مع ركة الجمع
في إحداث الوجد
وإحداث الوجد
لا يتقاصر عن قول
القائد فيكون الحادي
واحداً منهما في ذلك .
روى أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع فيطلب الوجد على مستمعين ليبت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر غلط. أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما لا يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام أنه سمع رجلا يقول :

سبعان جبار السما إن الحب لفي عنا

فقال صدقت وسمعه رجل آخر فقال كذبت فقال بعض ذوى البصائر أصابا جميعا وهو الحق فالصدق كلام محبة غير ممكن من المراد بل مصدود متعصب بالصد والمهجر ، والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به أو كلام محبة غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشر بخطر الصد في السأل وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه باختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم . وحكى عن أبي القاسم بن مروان ، وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر دعوة وفيها إنسان يقول :

واقف في اللاء عطشا ن ولكن ليس يسقى

فقام القوم ويواجهون فلما سكنوا سألمهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها فلم يمتعه ذلك فقالوا له لماذا عندك فيه فقال أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسع في مبادئها والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكره إلا في تفاوت رتبة للتعطش إليه فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولا يتعطش إليها فإن تمكن منها تعطش إلى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت :

ودادكم هجر وجكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى فإن الدنيا مكاراة خداعة قتالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود « لما امتلأت منها دار حيرة إلا امتلأت عبرة ^(١) » كالأورد في الخبر وكما قال الثعلبي في وصف الدنيا :

تنح عن الدنيا فلا تخطبها ولا تخطب ثقاله من تناكح
فليس يفرجها مرجسوها بمخوفها ومكروها إما تأملت راجع
لقد قال فيها الواسفون فأكثرها وعندي لها وصف لعمري صالح
سلاف قصارها زعاف ومركب شهر إذا استدلته فهو جامع
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح

والمعنى الثاني : أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فإنه إذا تفكر ففرقه جهل إذا ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء إذ لا يتق الله حق تقاته وجهه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن أراد الله به خيرا بصره بعبود نفسه فبرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان على الرتبة بالإضافة إلى الغافلين وبذلك قال صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ^(٢) » وقال عليه الصلاة والسلام « إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ^(٣) » وإنما كان استغفاره عن أحوال

(١) حديث ما امتلأت دار منها حيرة إلا امتلأت عبرة ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أي كثير مرسلات (٢) حديث لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه مسلم وقد تقدم (٣) حديث إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة تقدم في الباب الثاني من الأذكار .

يوم بدر من وصف
بمكان كذا فيه كذا
ومن قتل فيه كذا ومن
أسرفه كذا فتسارع
الشبان وأقام الشيوخ
والوجوه عند الرايات
فما فتح الله على المسلمين
طلب الشبان أن يحمل
ذلك لهم فقال الشيوخ
كنا ظهرا لكم وردنا
فلا تذهبوا بالنفاسم
دوننا فأنزل الله تعالى
- يسلونك عن
الأنفال قل الأنفال لله
والرسول - قسم
النبي صلى الله عليه وسلم
بينهم بالسوية . وقيل
إذا كان القوال من
القوم يحمل كواحد
منهم وإذا لم يكن من
القوم لما كان له قيمة
يؤثر به وما كان من
خرق الفقراء يقسم
بينهم . وقيل إذا كان
القوال أجيرا فليس له
منها شيء وإن كان
مبتوعا يؤثر بذلك وكل
هذا إذا لم يكن هناك
شيخ يحكم فأما إذا
كان هناك شيخ يهاب

هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها وإن كانت قريبا بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويقي ورامه قرب لانهاية له إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال وللغنى الثالث أن ينظر في مبادئ أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لا اطلاعه على خفايا القرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى شكايه من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت إلا ويمكن تزييله على معان وذلك بقدر غزارة علم السمع بصفاء قلبه .
الحالة الرابعة : سماع من جاوز الأحوال والمقامات فمرب عن فهم ماسوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذى يضاهى حاله حال النسوة اللاتي قطنن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد نفى عن نفسه ومهما نفى عن نفسه فهو عن غيره أبقى فكأنه نفى عن كل شيء إلا عن الواحد للشهود ونفى أيضا عن الشهود فان القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد قد غفل عن الشهود فالسهر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بهار رؤيته ولا إلى قلبه الذى به لذته فالسكران لا خبر له من سكره وللتلذذ لا خبر له من التذاذع وإنما خبره من التلذذ به فقط ومثاله العلم بالشئ فانه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشئ فالعالم بالشئ مهم اورده عليه العلم بالعلم بالشئ كان معرضا عن الشئ ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق الخلق وتطرا أيضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذى لا يثبت ولا يدوم وإن دام لم تطفئه القوة البشرية فربما اضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك به نفسه كما روى عن أبي الحسن النورى أنه حضر مجلسا فسمع هذا البيت :

مازلت أنزل من ودللك مرلا تحير الألباب عند نزوله

فقام وتواجد وهام على وجهه فوق في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل السيوف فصار يسد وفيها وبعبه البيت إلى الفداء والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماء وساقاه وعاش بعد ذلك أياما ومات رحمه الله فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد فهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهي بمنزلة صفات البشرية وهو نوع قصور وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال وأخذ بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء أصلا بل خمدت بالكلية بشريته ونفى التفاته إلى صفات البشرية رأسا ولست أعنى بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست أعنى بالقلب اللحم والدم بل سر لطيفه إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذى هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجوده وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر ومثاله المرأة المجلوة إذ ليس لها نور في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها وكذلك الزجاجة فانها تحكى لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هويته الاستعداد لقبول الألوان ويعرب عن هذه الحقيقة أعنى سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه قول الشاعر :

رق الزجاج ورقن الحجر فتشابه فتشاكل الأمر

فكأنما حمر ولا قدح وكأنما قدح ولا حمر

وهذا مقام من مقامات علوم الكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والانحاد ، وقال أنا الحق

ويعتدل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى قد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاد فيفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه وإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين فرضى القوال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد منهم إلى خرقته فلا بأس بذلك وإذا أصروا واحد على الإتيار بما خرج منه لثية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادى وأما تمزيق الحرقه المبروكة التي مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فمن يتعمد إمساكه فتيهم في تفرقتها وتمزيقها التبرك بالحرقه لأن الوجد أثر من آثار فضل الحق وتمزيق الحرقه أثر من آثار الوجد فصارت الحرقه متأثرة بأثر رباني من حضها أن تغدى بالنفوس

وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد الالهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلف فيهم عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرأة بصورة الحرة إذ ظهر فيها لون الحرة من مقابلها وإذا كان هذا غير لائق بعلم للعامة فلنرجع إلى الغرض قد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم السموعات . القام الثاني : بعد الفهم والتزيل الوجد . ولتأس كلام طويل في حقيقة الوجد أعنى الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح فلنقتل من أتواهم ألقائهم لتكشف عن الحقيقة فيه أما الصوفية فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع إنه وارد حق جاء بزعم القلوب إلى الحق فمن أضنى إليه بحق تحقق ومن أضنى إليه بنفس تزدق فكأنه عبر عن الوجد بازعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع إذ يسمى السماع وارد حق . وقال أبو الحسين العراج مخبرا عما وجدته في السماع الوجد عبارة عما يوجد عند السماع وقال جال في السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء . وقال الثبلي رحمه الله : السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع المبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يندى عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله وقال عمرو بن عثمان السكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين المؤمنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال أبو سعيد بن الأعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة القلب ومحادثة السر وإيناس للفقود وهو فناؤك من حيث أنت وقال أيضا الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالقلب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال أيضا الذي يحب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالملاقاة والأسباب لأن النفس محبوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصح القلب ورق وصفا ونجعت للموعظة فيه وحل من اللذات في محل قريب وخوطب ومع الخطاب بأذن وإعانة وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوما عنده وقال أيضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطفية أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو دواعي إلى واجب أو مناجاة بسره ومقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والقلب بالقلب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق للسمي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر إذ كان هو البتدي بالنعم والتولي وإليه يرجع الأمر كله فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة . وأما الحكماء فقال بعضهم في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على اخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الطواهو وقال بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب المازب من الأفكار وحدة الكمال من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عذب وينض ما هجز ويصفر ما كدر ويمرح في كل رأى ونية فيصيب ولا يخطئ ويأتى ولا يسطئ وقال آخر كما أن الفكر يطرُق العلم إلى العلوم فالسمع يطرُق القلب إلى العالم الروحاني . وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والايقاعات فقال ذلك عشق عقلى والعاشق العقلى لا يحتاج إلى أن يناغى معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم والحفظ والحركة اللطيفة بالحجاب والجنين والإشارة وهذه نواطق أجمع إلا أنهار روحانية وأما العاشق الالهي فإنه يستعمل النطق الجرمي ليعبر به

وتحرك على الروس
إسكراما واعزازا :
تضوع أرواح نجد
من ثيابهم
يوم القدوم لقرب
المهد بالدار
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستقبل
القيث ويتبرك به
ويقول حديث عهد
بربه فالخرقة للخرقة
حديث العهد لحكم
المبروحة أن تحرق على
الحاضرين وحكم
ما يتبعها من الحرق
الصالح أن يحكم فيها
الشيخ إن خصص
بشيء منها بعض الفقهاء
فله ذلك وإن خرقها
خرقا فله ذلك ولا يقال
هذا تضريط وسرف
فإن الخرقة الصغيرة
يبتنع بها في موضعها
عند الحاجات
كالكبيرة . وروى
عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضي الله
عنه أنه قال : أهدى
لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حلة حرير

عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف . وقال آخر من حزن فليسمع الأملحان فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها وإذا فرحت اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفاته وتقائه من الغش والدنس . والأقاويل للقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها فلنشغل بتفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والتبسط وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقومها فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجدا وإن ظهر على الظاهر ممي وجدا إما ضعيفا وإما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الوجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد ونصوره عن التحريك وحل عقد التماسك وإلى معنى الأول أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد أن يكون السماع سببا لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله فإن الكشف يحصل بأسباب منها التنبيه والسماع منه ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورد ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء يسبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار اللكوت كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سببا للكشف بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة والرؤيا إذا كان في المنام وذلك جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم للعامة وذلك كما روى عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال خرجت ليلة في أيام جهالتى وأنا نشوان وكنت أغنى هذا البيت :

بطور سيناء كرم مامرت به إلا تمجبت ممن يشرب للماء

فسمعت قائلا يقول :

وفي جهنم ماء ما تجمعه خاق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة ، فانظر كيف أثر الفناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر . وروى عن مسلم العباداني أنه قال قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الأسوارى فزلوا على الساحل قال فهيات لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعا صوته هذا البيت :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيبا غير نافع

قال فصاح عتبة الغلام صيحة وخر منشفاعليه وبقي القوم فرضت الطعام وماذاقوا وأهمنه لقمة ، وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضا بالبصر صيرة الخضر عليه السلام فإنه يمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة تمثل اللاشك لا لنباء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها

فأرسل بها إلى غرجت فيها فقال لي ما كنت لأكره لنفسي شيئا أَرْضاء لك فتشقهها بين النساء خمرها وفي رواية أتيت قتل ما أصنع بها ألبسها قال ولكن اجعلها خمر بين الفواطم أراد فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة مكفوفة بحري وهذا وجه في السنة لتزريق الثوب وجه خرقا . حكى أن الفقهاء والصوفية ينسبوا اجتماعا في دعوة فوقعت الحرقه وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبو محمد الجويني وشيخ الصوفية الشيخ أبا القاسم القشيري قصمت الحرقه على عاداتهم قالت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سرا هذا سر فإذاعة للمال فسمع أبو القاسم

وإما على مثال بماكي صورتها بعض الهاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق (١) وهو المراد بقوله تعالى - علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى - إلى آخر هذه الآيات وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب وقد يبرع عن ذلك الاطلاع بالنفوس ولذلك قال عليه السلام « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (٢) وقد حكى أن رجلا من الجوس كان يدور على المسلمين ويقول مامنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض الشايخ من الصوفية فسأله فقال له معناه أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال صدقت هذا معناه وأسلم وقال الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق . وكما حكى عن إبراهيم الخواص قال كنت بغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي يقع لي أنه يهودى فكلهم كرهوا ذلك فخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال أي شيء قال الشيخ في فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له قال إنك يهودى قال فجاءني وأكب على يدي وقبل رأسي وأسلم وقال نجد في كتبنا أن الصديق لا تغطي فراسته فقلت أمتحن المسلمين فنأملتهم فقلت إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرءون كلامه فلبست عليكم فلما اطلع على الشيخ وتفرس في علمت أنه صديق قال وصار الشاب من كبار الصوفية وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » (٣) وإنما يحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات الذمومة فانها امرعى الشيطان وجنده ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه وإليه الإشارة بقوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - وبقوله تعالى - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء وعلى هذا يدل ما روى أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئا فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبي فكيف به إذا احتسكا وأنت جمعت في قلبي
هوى قد كان مشتركا أما ترى لمصكتب إذا ضحك الحلى بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي رآه حين تقوم مجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد ففرغه أن الذي رآه حين يقوم هو الحسم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقا لما جلس ، فإذا قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات . واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلا ولعلك تسبغ حاله أو علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه وإلى ما لا تمكن العبارة فانك تجد في أحوالك القرية لذلك شواهد . أما العلم فكمن قفيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه ببلوقه أن بينهما فرقا في الحسم وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالدوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله تعالى حقيقة ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة وهذا مما قد تفتطن به

(١) حديث رأى جبريل عليه السلام مرتين في صورته فأخبر أنه سد الأفق متفق عليه من حديث عائشة
(٢) حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى الترمذى من حديث أبي سعيد وقال حديث
غريب (٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القشيري ولم يقل شيئا
حق فرغت القصة ثم
استدعى الخادم وقال
انظر في الجمع من معه
سجادة خرق اتنى بها
لجاءه - بسجادة ثم
أحضر رجلا من أهل
الحبرة فقال هذه
السجادة بك تشتري
في المزاد؟ قال بدينار قال
ولو كانت قطعة واحدة
كم تساوى قال نصف
دينار ثم التفت إلى
الشيخ أبي محمد وقال
هذا لا يسمى اضاءة
للأل والحرق للمزقة
تقسم على جميع
الحاضرين من كان
من الجنس أو من غير
الجنس إذا كان حسن
الظن بالقوم مستندا
للتبرك بالحرق .
روى طارق بن
شهاب أن أهل البصرة
غزوا نهاوند وأمدم
أهل الكوفة وعلى
أهل الكوفة عمار بن
ياسر فظهروا وأراد
أهل البصرة أن
لا يقسموا لأهل

الكوفة من النعمة
شيئا فقال رجل من
بنى نعيم لعمار أبيها
الأجدع تريد أن
تشاركنا في غنائنا
فكتب إلى عمر بذلك
فكتب عمر رضى
الله عنه أن النعمة
لمن شهد الواقعة وذهب
بعضهم إلى أن المجرور
من الحرق يقسم على
الجمع وما كان من
ذلك صحيحا يعطى
للقوال . واستدل بما
روى عن أبي قتادة
قال لما وضعت الحرب
أوزارها يوم حنين
وفرغنا من قوم قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم « من قتل
قتيلا فله سلبه » وهذا
له وجه في الحرق
الصحيحة فأما المجرورة
فحكها اسهام
الحاضرين والقسم
لهم ولو دخل على الجمع
وقت القسم من
لم يكن حاضرا قسم
له . روى أبو موسى
الأشعري رضى الله

الواظبون على النظر في المشكلات . وأما الحال فكأن من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح
فيه قبضا أو بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر إنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثرا فينسى ذلك السبب
ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به وقد تكون الحالة التي يحسها سرورا نيت في نفسه بتفكره في
سبب موجب للسرور أو حزنا فينسى التفكر فيه ويحس بالأثر عقيب وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة
لا يرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة لمقصود بل ذوق الشعر
الوزون والفرق بينه وبين غير الوزون يختص ببعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب
الدوق بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الوزون والتزخف فلا يمكن التعبير عنها بما يتضح مقصوده به
لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور
إتمام حصل في الباع عن غناء مفهوم ، وأما الأوتار وسائر النضات التي ليست بمفهومة فاتها تؤثر في النفس
تأثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوقه لا يعرف صاحبه
الشتاق إليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهدين وما أشبه ليس يدرك إلى ماذا
يشاق ويجد في نفسه حالة كأنها تقاضى أمرا ليس يدرك ما هو حق يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على
قلبه لاجب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا ليس وهو أن كل شوق فله ركنان : أحدهما صفة للشتاق وهو
نوع مناسبة مع المشتاق إليه . والثاني معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فان وجدت
الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهرا وإن لم يوجد العلم بالمشتاق
ووجدت الصفة للشوق وحركت قلبك الصفة واشتعلت نازها أورش ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشأ
آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة
لكان يحس من نفسه ناز الشهوة ولكن لا يدرك أنه يشاق إلى الوقاع لأنه ليس يدرك صورة
الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى والذات التي وعد
بها في مدرة النسي والفرايس الملا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي
سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرأة
ليعرف بالمقايسة فالسباع يحرك منه الشوق والجهل للفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه
ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه أمرا ليس يدرك ما هو
فيدهش ويتعجب ويضطرب ويصعب ويصعب كالمتنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وأمثاله من
الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن التصف بها أن يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد إلى
ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره . واعلم أيضا أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى
التواجد وهذا التواجد للتكلف فنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع
الافلاس منها ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها
بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الأحوال الشريفة ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن (١) فان هذه الأحوال قد تتكلف
مبادئها ثم تتحقق أو آخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في أن يصير للتكلف في الآخرة طبعها
وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفا أو قرؤه تكلفا مع تمام التأمل وإحضار الذهن ثم يصير ذلك
دينا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها وهو غافل فيقرأ تمام السورة وتوابعها إليه
بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجدد يدب
بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بمجدد يدب

تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر فجميع ما تحتله النفس والجوارح من الصفات لاسيلاً إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً وهو المراد بقول بعضهم : العادة طبيعة خامسة . فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند قدحها بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من انتهى أن يشق شخصاً ولم يكن يشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى غشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره فأنتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة إذا قدحها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتعيين صفاتهم في النفس وبالجوارح معهم في السماع والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها . ومن أسبابها السماع ومجالة الصالحين والخائفين والمحسنين والشافئين والحاشدين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري وبدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه « اللهم ارزقني حبك . حب من أحبك وحب من يقرئني إلى حبك » (١) قد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان أقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال واقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن واقسامه إلى التكلف وإلى الطبوع . فان قلت : فما بال هؤلاء لا يظهر وخدم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر عند الغناء وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء فنقول : الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق وبدل على ذلك قوله تعالى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - وقوله تعالى - مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله - وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة والانتشراح والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى - إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقال تعالى - لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائفاً متصدعاً من خشية الله - فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » (٢) وقال النبي موسى الأشعري « لقد أوتى زمماراً من زمائر آل داود عليه السلام » (٣) . وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله عليه وسلم « شيتني هود وأخواتها » (٤) خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد . وروى أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النساء فلما انتهى إلى قوله تعالى - فكيف إذا جثا من كل أمة بشهيد

(١) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم تقدم في تلاوة القرآن (٣) حديث لقد أوتى زمماراً من زمائر آل داود قاله لآني موسى تقدم فيه (٤) حديث شيتني هود وأخواتها الترمذي من حديث أبي جحيفة وله للحاكم من حديث ابن عباس نحوه قال الترمذي حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري

تعالى عنه قال لما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خير ثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا ويكره للقوم حضور غير المجلس عندهم في السماع كتره لا ذوق له من ذلك فينكر ما لا ينكر أو صاحب دنيا يحوج إلى للدارة والتكلف أو متكلف للوجد يشوش الوقت على الحاضرين بتواجده أخبرنا أبو زرعة طاهر عن والده أبي الفضل الحافظ المقدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الله المظفري برخص قال أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي بإجازة قل حدثنا الهيثم بن كليب قال أخبرنا أبو بكر عمار بن اسحق قال ثامر بن عامر عن شعبة عن

وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسين وكانت عيناه تذرفان بالدموع (١) وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أوترى عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق (٢) وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قرأ - إن تعذبهم فأنهم عبادك - فبكى (٣) وكان عليه السلام إذا أمر بآية رحمة دعا واستبشر (٤) والاستبشار وجد وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى - وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق - وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل (٥) وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صق ومنهم من بكى ومنهم من غشى عليه ومنهم من مات في غشيته وروى أن زرارة بن أوفى وكان من التابعين كان يؤم الناس بالرفة قرأ - فإذا قرأ في الناقور - فصق ومات في محرابه رحمه الله وضع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا وأبو جرير من التابعين قرأ عليه صالح للرئ فشق ومات وصنع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ - هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون - فغشى عليه وصنع على ابن الفضل قارئا يقرأ - يوم يقوم الناس لرب العالمين - فسقط مغشيا عليه فقال الفضل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية قد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمامه قرأ الإمام - ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك - فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمر وجهه وارتعدت فرائصه وكان يقوم بمثل هذا يخاطب الأحباب يردد ذلك مرارا . وقال الجنيد دخلت على سري السقطي فرأيت بين يديه رجلا قد غشى عليه فقال لي هذا رجل قدم مع آية من القرآن فغشى عليه فقلت أقموا عليه تلك الآية بينها فمرث فأذق فقال من أين قلت هذا فقلت رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل مخلوق فمخلوق أبصر ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر :

وكأن شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية كنت أقرأ ليلة هذه الآية - كل نفس ذائقة الموت - فجعلت أرددها فإذا هاتف ينهني كي كم تردد هذه الآية فقد قلت أربعة من الجن ما رفحوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا . وقال أبو علي النجاشي : ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرحم إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبري من الحول والقوة في التوجه إليه . وصنع رجل من أهل التصوف قارئا يقرأ - يا أيها النفس

(١) حديث إن ابن مسعود قرأ عليه هذا انتهى إلى قوله - فكيف إذا جئنا من كل أممة بشييد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا - قال حسين الحديث متفق عليه من حديثه (٢) حديث أنه قرئ عنده - إن لدينا أنكالا وجعيا وطعاما ذا غصة وعذابا أليما - فصق ، ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب من طريقه من حديث أبي حرب بن أبي الأسود مرسلا (٣) حديث أنه قرأ - إن تعذبهم فأنهم عبادك - فبكى ، مسلم من حديث عبد الله بن عمرو (٤) حديث كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر تقدم في تلاوة القرآن دون قوله واستبشر (٥) حديث أنه كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز للرمل أبو داود والنسائي والترمذي في التمثيل من حديث عبد الله ابن الشخير وقد تقدم .

عبد العزيز بن مهيب
عن أنس قال كنا عند
رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ نزل عليه
جبريل عليه السلام
فقال يا رسول الله إن
قراء أمك يدخلون
الجنة قبل الأغنياء
ينصف يوم وهو
خمسائة عام ففرح
رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال هل
فيكم من ينشدنا فقال
بدوي نعم يا رسول الله
قال هات فأنشأ
الأعرابي :

قد لست حية الهوى
كبدى

فلا طيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي
خفت به

فندم قتي وترى

فتواجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم
وتواجد الأصحاب معه

حتى سقط رداؤه عن
منكبه فلما فرغوا أوى
كل واحد منهم إلى
مكانه قال معاوية بن
أبي سفيان ما أحسن

الطمثنة ارجى إلى ربك راضية مرضية - فاستعاضها من القارىء - وقال كم أقول لها ارجى وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة غرجت روحه وسمع بكربن معاذ قارئا يقرأ - وأنذرهم يوم الآزفة - الآية واضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الانذار بطاعتك ثم غشي عليه وكان إبراهيم ابن آدم رحمه الله إذا سمع أحدا يقرأ - إذا السماء انشقت - اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يقتل في القرات فرث به رجل على الشاطئ يقرأ - واستأزوا اليوم أيها المجرمون - فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات . وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وقدمه فسأل عنه فقيل له إنه مريض فأتاه بعوده فإذا هو في اللوت فقال يا عبد الله : رأيت تلك القشعرية التي كانت بي فانها أنتنى في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب . وبالجملة لا يغلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلا - مثله كمثل الذي ينق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عسى فهم لا يفتقون - بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسميها قال جعفر الخلدی دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد متى يستوى عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ إذا دخل البهارستان وقيد فيدين فقال الجنيد ليس هذا من شأنك ثم أقبل على الرجل وقال إذا تحقق أنه مخلوق فشق الرجل شقة ومات . فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئین فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في خلق القراء لاحق للذين وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوال فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة . فاعلم أن الغناء أشد تمهيجا للوجد من القرآن من سبعة أوجه . الوجه الأول : أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال السمع ولا تصلح لفهمه وتزيله على ما هو ملابس له فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - وقوله تعالى - والذين يرمون المحصنات - وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام للبراث والطلاق والحدود وغيرها وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه والآيات إنما يضمنها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف نعم من يستولى عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسما لغيرها ومعه يتقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم - حالة اللوت المخرج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بد أن يخاف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فينقلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله - يوصيكم الله في أولادكم - فيدهش بمجرد الاسم عما قبله وبعده أو يخطر له رحمة الله على عباده وشقيقته بأن تولى قسم . ووارثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول إذا نظر لأولادنا بدموتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيبيع منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا أو يخطر له من قوله تعالى - للذكر مثل حظ الأنثيين - تفضيل الله كبريكونه رجلا على الأنثى وأن الفضل في الآخرة لرجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأن من ألهم غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقا فيختار أن يحب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان : أحدهما حالة غالبة مستفرقة قاهرة والآخر تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتقوية بالأمور القربية على المعاني البعيدة وذلك مما يميز فلاجل ذلك يفرع إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها . وروى أن أبا الحسن بن النوري كان مع جماعة

لعلكم يارسل الله فقال
مه يا معاوية ليس بكريم
من لم يهتز عند سماع
ذكر الحبيب ثم قسم
رداءه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من
حاضرم بأربعة قطعة
فهذا الحديث أورده
مسندا كما سمعناه
ووجدناه وقد تكلم
في محته أصحاب الحديث
وما وجدنا شيئا نقل
عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشاكل
وجد أهل الزمان
وسماعهم واجتماعهم
وهيئتهم إلا هذا وما
أحسنه من حجة
للمصوفة وأهل الزمان
في سماعهم وتمزيقهم
الحرق وقسمتها أن
لوصح والله أعلم ويحتاج
سرى أنه غير صحيح
ولم أجد فيه ذوق
اجتماع النبي صلى الله
عليه وسلم مع أصحابه
وما كانوا يعتمدونه
على ما بلغنا في هذا
الحديث وبأي القلب
قبوله والله أعلم
بذلك .

في دعوى جفري بينهم مسألة في العلم وأهـ والحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجوة صدحت في قفن
ذكرت إلها ودعها صالحا وبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني
ولقد أشكو لها أفهما ولقد تشكو لها فهمني
غير أن بالجوى أعرفها وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال لما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم جدا وحقا . الوجه الثاني : أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب وفي السكرة الثانية يضاف أثره وفي الثالثة يكاد يستقطب أثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك ولو أبدل بيت آخر لتحده له أثر في قلبه وإن كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالإضافة إلى الأول يحرك النفس وإن كان المعنى واحدا وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن القراءة عليه وكله محفوظ متكرر وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويكونون فقال كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا ولا تظن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقيس من قلوب الأجلاف من العرب وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرار على قلبه اقتضى للرون عليه وقلة التأثير به لما حصل له من الأنى بكثرة استماعه إذ حال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيكي ثم يدوم على بكائه عليها عشرين سنة ثم يرددها ويكي ولا يفارق الأول الآخر إلا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة ولذا هم عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أى يأنسوا به ومن قدم حاجا فرأى البيت أولا بكى وزعق وربما غشى عليه إذ وقع عليه بصره وقديم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر فاذا المعنى يقدر على الآيات القرآنية في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة . الوجه الثالث : أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات ولوزحف المعنى البيت الذي ينشده أولن فيه أموال على حديثك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وصحائه ونقرطبعه لعدم المناسبة وإذا نقر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن إذن مؤثر فلذلك طاب الشعر . الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والمستأنات وإنما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أزل قصصره ومدد والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه وإذا رتل القرآن كما أزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوما كما في الأوتار والزمار والشاهين وسائر الأصوات التي لا تفهم . الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات وأصوات آخر موزونة خارج الخلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير وواجب أن يسان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق

[الباب السادس]

والشعرون في خاصية
الأربعينية التي

يتأهدها الصوفية [

ليس مطلوب القوم

من الأربعين شيئا

مخصوصا لا يطلبونه في

غيرها ولكن لما

طرقهم مخالقات حكم

الأوقات أحبا تخيد

الوقت بالأربعين

رجاء أن ينسحب حكم

الأربعين على جميع

زمانهم فيكونوا في

جميع أوقاتهم كيهتهم

في الأربعين على أن

الأربعين خصت بالذكر

في قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم « من

أخلص لله أربعين

صباحا ظهرت ينابيع

الحكمة من قلبه على

لسانه » وقد خص الله

تعالى الأربعين بالذكر

في قصة موسى عليه

السلام وأمره بتخصيص

الأربعين بمزيد تبتل

قال الله تعالى « وواعدنا

موسى ثلاثين ليلة

وآمعناها بشر قم

صورة الله والحب والقرآن جد كله عند كافة الخلق فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو له عند العامة وصورة سورة الله عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث إنها المحو بل ينبغي أن يقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن ولا في حال الجنباء ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا الراقبون لأحوالهم فيمدل إلى النقاء الذي لا يستحق هذه الرقابة وللراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس فقال « أظهروا النكاح ولو بضرب الغراب » (١) أو بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القرآن ولذلك لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار يمين فسمع إحداهن تقول وفيما نريد علم ما في غد . على وجه النقاء فقال صلى الله عليه وسلم « دعى هذا وقولى ما كنت تقولين » (٢) وهذه شهادة بالنبوة فوجرها عنها ووردها إلى النقاء الذي هو المحل لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة الله فإذا اعتذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محرراً للقلب فواجب في الاحترام المدول إلى النقاء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية المدول عن شهادة النبوة إلى النقاء . الوجه السادس : أن التقي قد ينسى بيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعى غيره فليس كل كلام موافق لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارى فربما يقرأ آية لا توافق حاله إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الأحوال ، فأيات الرحمة شفاء الحائف وآيات العذاب شفاء للقرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذا لا يؤمن أن لا يوافق القروء الحال ونكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى . وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقيف كلام الله وصيافته عن ذلك ، وهذا ما يتقدح لى في علل انصراف الشيوخ إلى سماع النقاء عن سماع القرآن . وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسى في الاعتذار عن ذلك فقال : القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيته لتصدعت ودهشت وتحيرت والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لأن نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علت الألحان والأصوات بما في الآيات من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضاً كان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق فمادامت البشرية أقيمت ونعمت بصفاتها وحظوظها تنتم بالنفحات الشجية والأصوات الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدأ وإليه يعود هذا حاصل التصود من كلامه واعتذاره . وقد حكى عن أبى الحسن الدراج أنه قال : قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد للزيارة والسلام عليه فلما دخلت الرى كنت أسأل عنه فكل من سأله عنه قال أيش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف ثم قلت فى نفسى قد جبت هذا الطريق كله فلا أزل من أن أراه فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه فى مسجد وهو قاعد فى المهراب وبين يديه رجل ويده مصحف وهو يقرأ فاذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فسلمت عليه فأقبل على وقال

(١) حديث الأمر بضرب الدف فى العرس تقدم فى النكاح (٢) حديث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الريح بنت معوذ وعندها جوار يمين الحديث البخارى من حديثها وقد خدم فى النكاح .

مقات ربه أربعين ليلة - وذلك أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله تعالى إذا أهلك عدوهم واستنقذهم من أيديهم يأتيهم بكتاب من عند الله تعالى فيه تبيان الحلال والحرام والحدود والأحكام فلما فعل الله ذلك وأهلك فرعون ، سأل موسى ربه الكتاب فأمره الله تعالى أن يصوم ثلاثين يوماً وهو ذو القعدة فلما تمت الثلاثون ليلة أنكر خلفه فقتلوه بسوء كبره خربون قتلت له الملائكة كنانهم من فيك رائحة السك ففسده بالسوء فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة وقال له أما علمت أن خلفك فم الصائم أطيب عندي من ريح السك ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام

من أين أقبلت قلت من بغداد فقال وما الذي جاء بك قلت قصدتك للسلام عليك فقال لو أن في
بعض هذه البلدان قال لك إنسان أتم عندنا حتى نشترى لك داراً أو جارية أكان يقصدك ذلك عن
الجبس قلت ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ثم قال لي أحسن
أن تقول شيئاً قلت نعم فقال هات فأنشأت أقول :

رأيتك تبنى دائماً في قطيقتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بيني
كأنى بكم والبيت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ البيت لا بيني

قال فأطبق الصحف ولم يزل يكي حتى ابتلت لحيتي وابتل ثوبه حتى رحته من كثرة بكائه ثم قال يا بني
تلوم أهل الرأي يقولون يوسف زنديق هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في الصحف لم تقطر من عيني
قطرة وقد قامت القيامة على هذين البيتين فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت
الغريب يهيج منها مالا يهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلة لطباعه ولكونه مشاكلاً
للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر ، وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو
لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلة لطبعه . وروى أن إسرائيل أستاذ ذى النون المصري
دخل عليه رجل فرآه وهو ينسكت في الأرض بأصبه ويترنم بيت فقال هل تحسن أن تترنم بى
فقال لا قال فأنت بلا قلب أشاره إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الآيات والنغمات
تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره وقد ذكرنا حكم القام
الأول في فهم السمع وتنزيله وحكم القام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب ، فلنذكر الآن أثر
الوجد أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من ضيقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فتقول :

(القام الثالث من السباع)

نذكر فيه آداب السباع ظاهراً وباطناً وما محمد من آثار الوجد وما يذم ، فأما الآداب فهي خمس جل
الأول : مراعاة الزمان والسكان والاخوان . قال الجنيدي : السباع يحتاج إلى ثلاثة أشياء والإفلا تسمع
الزمان والسكان والاخوان ومناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف
من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب له .
وأما للسكان فقد يكون شارعاً مطروفاً أو موضعاً كره الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب
ذلك . وأما الاخوان فسيببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السباع مزهد الظاهر مفلس من
لطائف القلوب كان مستقلاً في المجلس واشتغل القلب به وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا
يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته أو متكلف متواجد من أهل التصوف يرأى بالوجد والرقص وتمزيق
الثياب فكل ذلك مشوشات قرك السباع عند هذه الشروط أولى في هذه الشروط نظر المستمع .
الأدب الثاني : هو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله يريدون بصرهم السباع فلا ينبغي أن يسمع
في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر والريد الذي يستضر بالسباع أحد ثلاثة أقسام درجة هو
الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السباع فاشتغاله بالسباع اشتغال بما
لا ينيه فانه ليس من أهل اللهو فليهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السباع ، فليشتغل بذكر
أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه . الثاني : هو الذي له ذوق السباع ولكن فيه بغيث من الحظوظ
والالتفات إلى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تؤمن غوائله فربما يهيج
السباع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصدّه عن الاستكمال . الثالث : أن يكون
قد انكسرت شهوته وأمنت فائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكن لم يحكم

بالبهار وأكله بالليل
بل طوى الأربعين
من غير أكل قبل على
أن خلو للسدة من
الطعام أصل كبير في
الباب حتى احتاج موسى
إلى ذلك مستمداً للكلمة
الله تعالى والعلوم
الالهيّة في قلوب
المتقنين إلى الله تعالى
ضرب من الكلمة
ومن اقتطع إلى الله
أربعين يوماً غلصاً
متاهناً فيه غفّة
للجنة يفتح الله عليه
العلوم الالهيّة كما أخبر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم بذلك غير
أن تعيين الأربعين
من السنة في قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وفي أمر الله تعالى موسى
عليه السلام بذلك
والتحديد والتقييد
بالأربعين لحكمة فيه
ولا يطلع أحد على حقيقة
ذلك إلا الأنبياء إذا
عرفهم الحق ذلك أو من
خصه الله تعالى
بصرف ذلك من غير

ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح باب السماع نزل السموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع . قال سهل رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولأن قلبه بدمالوث يحب الدنيا وحب المصنعة والتناء ولأنه يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسمع مزلة قدم يجب حفظ الضمضاء عنه قال الجنيد : رأيت إيايس في النوم قلت له هل تظفر من أصابعنا شيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني أدخل عليهم به فقال بعض الشيوخ لورأيت أنا قلت له ما أحقك من ميم منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به فقال الجنيد صدقت . الأدب الثالث : أن يكون مصغيا إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب متحرزا عن النظر إلى وجوه السامعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش على أصحابه قلوبهم بل يكون ساكن للظاهر هادئ الأطراف متحفظا عن التنحنع والتثاؤب ويجلس مطرقا رأسه كجلوسه في فكر مستغرق قلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراعاة ساكنا عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه تغير اختيار فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه ولا ينبغي أن يستدعيه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولأن يتواجد خوفا من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والركة . حكى أن شابا كان يصحب الجنيد فكان إذا سمع شيئا من الذكر يزعم فقال له الجنيد يوما إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعم فحكى أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فسحق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه . وروى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فزق واحد منهم ثوبه أوقيصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق قلبي ولا تمزق ثوبك قال أبو القاسم النصر أبادي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يتأبوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تقتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك . فان قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه ، فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسمع مزيد تأثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو الارتباط للحق وللإلزام لمعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطبق ملازمة الوجد في كل الأحوال فتحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى نتأثر به فاذا قوة الوجد تحرك قوة العقل والتفاسك تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فليل له في ذلك فقال - وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء - إشارة إلى أن القلب مضطرب جاثل في الملكوت

الأنبياء ويوحى في سر ذلك معنى والله أعلم وذلك أن الله تعالى لما أراد تكوين آدم من تراب قدر التخمير بهذا القدر من العدد كما ورد خمرة آدم بيده أربعين صباحا فكان آدم لما كان مستملا لعمارة الدارين وأراد الله تعالى منه عمارة الدنيا كما أراد منه عمارة الجنة كونه من التراب تركيا يناسب عالم الحكمة والشهادة وهذه الدارين الدنيا وما كانت عمارة الدنيا تأتي منه وهو غير مخلوق من أجزاء أرضية سفلية بحسب قانون الحكمة فمن التراب كونه وأربعين صباحا خمرة طيبته ليعبد بالتخمير أربعين صباحا بأربعين صباحا من الحضرة الإلهية كل حجاب هو معنى مودع فيه يصلح به لعمارة الدنيا ويتعوق به عن الحضرة الإلهية

والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة . وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة : صحبت سهل ابن عبد الله ستين سنة فأرايته تغير عندى . كان يسمه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه - فالיום لا يؤخضنكم فدية - الآية فأرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك مع مرة قوله تعالى - للملك يومئذ الحق للرحمن - فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه فقال قد ضعف قليله فان كان هذا من الضعف فاقوة الحال فقال أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يثبته بقوة حاله فلا تقيره الواردات وإن كانت قوية وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملزمة الشهود كما حكى عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة وبداها واحدة لأنه كان مراعيًا للقلب خاضعًا للذكر مع الله تعالى في كل حال فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجهه دائمًا وعطشه متصلًا وشربه مستمرًا بحيث لا يؤثر السماع في زيادته كما روى أن محمداً الدينوري أشرف على جماعة فيهم قوال فسكنوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهى الدنيا في أذنى ما شغلنى ولا شئى بعض ما بى . وقال الجليل رحمه الله تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أنم من فضل الوجد فان قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على قلبه وربما حضر ليحرف القوم كمال قوته فيطون أنه ليس السكالب بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاحتذاء به في صيرورته طبعاً لهم وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم ويواظمون كما يجلسون من غير ممانع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضى الجلوس معهم وبعضهم تقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استثناءه عن السماع بما ذكرناه وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو تركه لئلا يكون مشغولاً بما لا ينيه وبعضهم تركه لفقد الإخوان . قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من . الأدب الرابع : أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو باكي فهو مباح إذا لم يقصد به للراءة لأن التباكي استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه ولو كان ذلك حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون^(١) هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فقتلوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي « أنت منى وأنا منك فحجج علي وقل لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحجج وراء فحجج علي » وقال يزيد أنت أخونا ومولانا فحجج زيد وراء فحجج جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لأن خالته أخته والحالة والده^(٢) « وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها « آتمين أن تنظري إلى زفن الحبشة » والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيج إن كان فرحه محموداً والرقص يزيد وبؤ كده فهو محمود وإن كان مباحاً فهو مباح وإن كان مذموماً فهو مذموم نعم لا يليق اعتياد ذلك بمنصب الأكابر وأهل القدوة لأنه

ومواطن القرب إذلولم يتوق بهذا الحجاب ما حمرت الدنيا فتأصل البعد عن مقام القرب فيه لمصارعة عالم الحكمة وخلافة الله تعالى في الأرض فالتبطل لطاعة الله تعالى والاقبال عليه والاتزاع عن التوجه إلى أمر الماشي بكل يوم يخرج عن حجاب هو معنى فيه مودع على قدر زوال كل حجاب يتجذب ويتخذ منزلاً في القرب من الحضرة الإلهية التي هي مجمع العلوم ومصدرها فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصباباً ثم العلوم والمعارف هي أعيان اقلبت أنواراً باتصال اكسير نور العظمة الإلهية بها فاقبلت أعيان حديث النفس علوماً إلهامية وتصدت أجرام حديث النفس لقبول أنوار العظمة فلولاً وجود

(١) حديث نظرت عائشة إلى رقص الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون تقدم في الباب قبله (٢) حديث اختصم علي وجعفر وزيد بن حارثة في ابنة حمزة فقال لعلي أنت منى وأنا منك فحجج وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلق فحجج وقال يزيد أنت أخونا ومولانا فحجج الحديث أبو داود من حديث علي بن إسحاق حسن وهو عند البخاري دون فحجج .

في ألا كثيراً يكون غن هو ولعب وماله صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه القندي به
لثلايصفر في أعين الناس فيترك الاقتداء به . وأما تمزيق الثياب فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن
الاعتبار ولا يبعد أن يظلم الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لقلبة سكر الوجد عليه أو يدري
ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه وتكون صورته صورة السكره إذ يكون له
في الحركة أو التمزيق متفلس فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنيب ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه
مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه فالتفلسف فعل يحصل بالإرادة
ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لا يضطر من باطنه إلى أن يختار التفلسف فكذلك الرخصة
وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السرى حديث الوجد الحاد
الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر
عليه ولم يرجع ومعه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص . فان قلت لما تقول
في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فأنهم يمزقونها قطعاً صفاراً
ويفرقونها على القوم ويسمونهم الحرقه . فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب
والتجديدات فان السكران يمزق حتى يغط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعاً لأنه تمزيق لغرض
وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصفار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليم ذلك الخير
مقصود مباح ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيا لمائة مسكين ولكن ينبغي أن تكون
القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاق وإنما منعا في السماع التمزيق للفساد للثوب الذي يهلك بفضه
بحيث لا يبقى متفعا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار . الأدب الخامس : موافقة القوم في القيام
إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف . أوقام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له
الجماعة فلا بد من للموافقة فذلك من آداب الصلحة وكذلك إن جرت عادة طائفة بتحية العامة على
موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقة في هذه
الأمر من حسن الصلحة والشرة إذا مخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالفة الناس بأخلاقهم (١)
كما ورد في الخبر لاسيما إذا كانت أخلاقاً فيها حسن الشرة والمخالفة وتطبيب القلب بالمساعدة وقول
القاتل إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم
وإنما المندور ارتكاب بدعة تراغم سنة مأثورة ولم ينقل الشيء عن شيء من هذا والقيام عند الدخول
للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض
الأحوال (٢) كما رواه أنس رضي الله عنه ولكن إذا لم يثبت فيه شيء عام فلا ترى به بأساً في البلاد التي جرت
العادة فيها بأكرام الداخل بالقيام فإن المقصود منه الاحترام والاكرام وتطبيب القلب به وكذلك سائر
أنواع المساعدات إذا قصد بها تطبيب القلب واصطلاح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها بل الأحسن
المساعدة لإفيا ورد فيه شيء لا يقبل التأويل ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستعمل
رقصه ولا يشوش عليهم أجوالهم إذا الرقص من غير إظهار التواجد مباح والتواجد هو الذي يلوح للجمع
منه أثر التكلف ومن يقوم عن صدق لا تستغله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب
محك للصدق والتكلف . مثل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال محته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا

(١) حديث مخالفة الناس بأخلاقهم الحاكم من حديث أبي ذر خاتوا الناس بأخلاقهم الحديث قال
صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث كانوا لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الأحوال كما رواه أنس تقدم في آداب الصلحة .

النفس وحديثها
ما ظهرت العلوم الإلهية
لأن حديث النفس
وطاء وجودي لقبول
الأنوار وما للقلب في
ذاته لقبول العلم شيء
وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم «ظهرت
يتابع الحكمة من
قلبه على لسانه» أشار
إلى القلب باعتبار أن
القلب وجهها إلى النفس
باعتبار توجهه إلى عالم
الشهادة وله وجه إلى
الروح باعتبار توجهه
إلى عالم الغيب فيستمد
القلب العلوم للكونة
في النفس ويخرجها
إلى اللسان الذي هو
ترجمانه فظهور العلوم
من القلب لأنها متأسلة
فيه فللقب والروح
مراتب من قرب اللهم
سبحانه وتعالى فوق
رتب الانعام فالعبد
بإتقاعه إلى الله تعالى
واعترال الناس يقطع
مسافات وجوده
ويستنبط من معدن
نفسه جواهر العلوم

أشكالا غير أضداد . فإن قلت فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذوحد في الدين إلا وينكره . فاعلم أن الجدل لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى الحبشة يزفون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لاثق به وهو العيد ومن شخص لاثق به وهم الحبشة نعم نكرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقرونا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم وهو مكروه للهوى المناسب لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لاثق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم فمن سأل فقيرا شيئا فأعطاه رغبنا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سأل ملكا فأعطاه رغبنا أو رغبين لكان ذلك منكرا عند الناس كافة ومكتوبا في تواريخ الأخبار من جملة مساويه ويعبر به أعتابه وأشياعه ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث إنه أعطى خبزا للفقير حسن ومن حيث إنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستحب فكذلك الرقص وما يجري مجراه من اللباعات ومباحات العوام سيئات الأبرار وحسنات الأبرار سيئات القرين ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناسب وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا يحرم فيه والله أعلم فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مكروها وقد يكون مستحبا أما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات الذمومة وأما المكروه فهو لمن ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذ عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو وأما المباح فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن وأما المستحب فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات الحمودة والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله .

﴿ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده . ولا تستمنع النعم إلا بواسطة كرمه ورفده . والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسول الله وعبد . وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده .
[أما بعد] فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين . وهو ما همم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين . ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتمطلت النبوة واضمحلت الهداية وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستمرى الفساد واتسع الحرق وخربت البلاد . وهلك العباد . ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم النداد . وقد كان الذي خفنا أن يكون . فإننا لله وإنا إليه راجعون . إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه . وانمحى بالكلية حقيقته ورمحه . فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحى عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم . وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكسلا بعمليا أو متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشعرا في إحيائها كان مستائرا من بين الخلق بأحياء مئة ألفي الزمان إلى إمامتها . ومستبدا بقرية تضائل درجات القرب دون ذروتها . وهانحن نشرح علمه في أربعة أبواب . الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقضيته . الباب الثاني : في أركانه وشروطه . الباب الثالث : في مجاريه وبيان

(كتاب الأمر بالمعروف)

وقد ورد في الخبر « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » ففي كل يوم « إخلاصه في العمل لله يكشف طبقة من الطباق الترابية الجبلية للعبدة عن الله تعالى إلى أن يكشف باستكمال الأربعين أربعين طبقة في كل يوم طبقة من أطباق حجاب وآية صفة هذا المبدوء علامة تأثره بالأربعين ووفاته بشروط الإخلاص أن يزهد بعد الأربعين في الدنيا ويتجافى عن دار القرور وينيب إلى دار الخلود لأن الزهد في الدنيا من ضرورة ظهور الحكمة ومن لم يزهد في الدنيا ماظفر بالحكمة ومن لم يظفر بالحكمة بعد الأربعين تبين أنه قد أخل بالشروط ولم يخلص لله تعالى ومن لم يخلص لله ما عبد

النكرات للوقوف على العادات . الباب الرابع : في أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر .
(الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته)

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه الآيات والأخبار والآثار . أما الآيات :
فقوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
الفلحون - ففي الآية بيان الإيجاب فان قوله تعالى ولتكن أمر وظاهر الأمر الإيجاب وفيها بيان أن
الفلاح منوط به إذ حصر وقال وأولئك هم الفلحون وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين وأنه إذا
قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين إذ لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم
أمة فإذا مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به للبشرين
وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون هم الحرج كافة القادرين عليه لهاته وقال تعالى - ليسوا سواء من أهل
الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين - فلم يحدد لهم الصلاح بمجرد
الايان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تعالى - وللمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة - وقد نفت
للمؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
خارج عن هؤلاء للمؤمنين للمؤمنين في هذه الآية ، وقال تعالى - لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون - وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم لعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال من
وجل - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس وقال تعالى - فلما نسوا
ما ذكروا بما عينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يعملون - فبين
أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضا . وقال تعالى - الذين إن مكناهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - قرن ذلك بالصلاة
والزكاة في نعمت الصالحين والمؤمنين وقال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان - وهو أمر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب
الامكان وقال تعالى - لولا إنهم الرابيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا
يصنعون - فبين أنهم أعموا بترك النهي وقال تعالى - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون
عن الفساد في الأرض - الآية فبين أنه أهلك جميعهم لإفلالهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تعالى
- يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين - وذلك هو
الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين وقال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف
أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما - وقال تعالى
- وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحو بينهما - الآية والإصلاح نهى عن البغي وإعادة إلى الطاعة
فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال - فقاتلوا التي تبغى حق نبي - إلى أمر الله بذلك هو النهي عن
المنكر . وأما الأخبار : فمنها ما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها :

(الباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف)

الله لأن الله تعالى
أمرنا بالإخلاص كما
أمرنا بالعمل فقال
تعالى - وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له
الدين - أخبرنا الشيخ
طاهر بن أبي الفضل
إجازة قال أنا أبو بكر
أحمد بن خلف إجازة
قال أنا أبو عبد الرحمن
السلي قال أنا
أبو منصور الضبي قال
ثنا محمد بن أنس
قال ثنا حفص بن
عبد الله قال ثنا إبراهيم
ابن طهمان عن عاصم
عن زر عن صفوان
ابن عسال رضي الله
عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إذا
كان يوم القيامة يجيء
الإخلاص والشرك
يجثوان بين يدي الرب
من وجل ، فيقول
الرب للإخلاص انطلق
أنت وأهلك إلى الجنة
ويقول للشرك انطلق
أنت وأهلك إلى النار .
وهكذا الاستناد قال
السلي صحت على بن

أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (١) لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعصم الله بعذاب من عنده » وروى عن أبي ثعلبة الخشني « أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم (٢) - فقال يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وأنه عن المنكر فإذا رأيت شعرا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم قتنا كقطع الليل الظلم للتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا تجدون عليه أعوانا » وسئل ابن مسعود رضى الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال إن هذا ليس زمانها إنما اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فينشد عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (٣) » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم . وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى ، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجى (٥) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « إن الله تعالى ليسأل العبد مامنتك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس (٦) » وقال ﷺ « يا أيكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بذلك إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غصن البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) » وقال صلى الله عليه وسلم « كلام ابن آدم كله عليه لاله إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله تعالى (٨) »

(١) حديث أبي بكر أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها - يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - الحديث أصحاب السنن وتقدم في العزلة (٢) حديث أبي ثعلبة أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى - لا يضركم من ضل إذا اهتديتم - الحديث أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه (٣) حديث لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم الحديث عمر بن الخطاب والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف والترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم قال هذا حديث حسن (٤) حديث يا أيها الناس إن الله سبحانه يقول لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ مروا وأنهموا وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى وفي إسناده لين (٥) حديث ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجى - ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس مقتصرًا على الشطر الأول من حديث جابر بسند ضعيف وأما الشطر الأخير فرواه على ابن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحيى بن عطاء مرسلا أو معضلا ولا أدري من يحيى ابن عطاء (٦) حديث إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره الحديث ابن ماجه وقد تقدم (٧) حديث يا أيكم والجلوس على الطرقات الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد (٨) حديث كل كلام ابن آدم عليه لاله إلا أمرا بمعروف الحديث تقدم في العلم .

سعيد وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت إبراهيم الشافعي وسأله عن الاخلاص ماهو قال سمعت محمد ابن جعفر الحفاف وحأله عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد ابن بشار عن الاخلاص ماهو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن غسان عن الاخلاص ماهو قال سألت أحمد بن على المجيمى عن الاخلاص ماهو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ماهو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ماهو قال سألت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص

ما هو ؟ قال هو سر من
سرى أودعته قلب من
أجبت من عبادى
لئن الناس من يدخل
الحلوة على مراغمة
النفس إذ النفس
بطبعها كارهة للحلوة
مبالة إلى غالبة الخلق
فاذا أزعجها عن مقام
عادتها وحبسها على
طاعة الله تعالى يقب
كل مرارة تدخل
عليها حلوة في القلب .
قال ذوالنون رحمه
الله : لم أر شيئا أبغ
على الاخلاص من
الحلوة ، ومن أحب
الحلوة ، فقد استمسك
بعمود . الاخلاص
وظفر بركن من أركان
الصدق . وقال الشبلى
رحمه الله لرجل
استوصاه الزم الوحدة
وامح احبك عن القوم
واستقبل الجدار حق
تموت . وقال يحيى
ابن معاذ رحمه الله
الوحدة منية الصديقين
ومن الناس من ينبت
من باطنه دابة الحلوة

(۳۹- احیاء - ثانی)

ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها (١) » ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه فأما الحضور قصداً فمنوع بدليل الحديث الأول . وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حوارى فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يصل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيه فإذا انقضوا كان من بعدهم قوم يركبون ردوس النابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما يشكرون فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم يده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام (٢) » وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة هريثيون يعملون مقام أحدهم فقال إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينههم ويخبرهم ببيع ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يعرون عن أعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فقلبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسبوني وقاتلتهم فقلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر قههم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وشبهتهم فسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الثالث قههم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم إني لو نهيتهم لصوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم لقلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما « قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون ؟ قال : نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكونهم على معاصي الله تعالى (٣) » وقال جابر ابن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يحصك طرفة عين قال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمرق ساعة قط (٤) » وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يفتنون الله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر (٥) » وعن عروة عن أبيه قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يارب أي عبادك أحب إليك قال الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه والذي يكلف بعباد الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي والذي يغضب إذا أئبت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فان النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قل الناس أم كثروا وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال أبوذر الغفاري

(١) حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فذكرها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها رواه ابن عدى وفيه يحيى بن أبي سليمان قال البخاري منكر الحديث (٢) حديث ابن مسعود ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حوارى الحديث روى مسلم نحوه (٣) حديث ابن عباس قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكونهم عن معاصي الله الزار والطبراني بسند ضعيف (٤) حديث جابر أوحى الله إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها قال فقال يارب إن فيهم عبدك فلانا الحديث الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال المفظوط من قول مالك بن دينار (٥) حديث عائشة عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء لم أقف عليه مرفوعاً وروى ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر الصنعاني أوحى الله إلى يوشع بن نون إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم قال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يفتنوا ففتنوا فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم

وتنجذب النفس إلى ذلك وهذا أتم وأكمل وأدلى على كمال الاعتماد . وقد روى من حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك فيما حدثنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب أملاء قال أخبرنا الحافظ أبو القاسم اسمعيل ابن أحمد القرقي قال أنا جعفر بن الحكاه للكي قال أنا أبو عبد الله الصنعاني قال أنا أبو النجوى قال أنا اسمعيل الديري قال أنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت « أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حب إليه الخلاء فكان

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه « يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء أحياء مرزوقين يعيشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما زينت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم ؟ قال الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والباضون في الله ثم قال والقي تسمى يده إن العبد منهم ليكون في الرفقة فوق الرفقات فوق غرف الشهداء للرفقة منها ثلثمائة ألف باب من الباقوت والرمز الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوج بثلثمائة ألف حوراء فاصرات الطرف مني كما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له أئذك يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ^(١) » وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت « يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته فان لم يقتله فان القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ^(٢) » وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر ^(٣) » وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بشئ القوم قوم لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٤) » . أما الآثار : فقد قال أبو العزراء رضي الله عنه : لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أول سلطان الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجعل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تتصرون وتستنفرون فلا ينفر لكم . وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الأحياء قال الذي لا ينكر للمنكر يده ولا بلسانه ولا قلبه . وقال مالك بن دينار كان جبر من أخبار بني إسرائيل ينشئ الرجال والنساء منزله يظلمهم ويدكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض فيه يوماً وقد غمز بعض النساء قتال مهلاً يابى مهلاً وسقط من سريره فاقطع نخاعه وأسقطت امرأته وتقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلانا الخبر آي لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قتل مهلاً يابى مهلاً وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون قيم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم

(١) حديث أبي ذر قال أبو بكر يا رسول الله هل من جهاد غير قتال للشركين قال نعم يا أبا بكر إن الله تعالى مجاهد في الأرض أفضل من الشهداء فقد ذكر الحديث وفيه قال هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحديث بطوله لم أقضه على أصل وهو منكر (٢) حديث أبي عبيدة قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته الحديث البزار مقتصراً على هذا دون قوله فان لم يقتله إلى آخره وهذه الزيادة منكورة وفيه أبو الحسن غير مشهور لا يعرف (٣) حديث الحسن البصري مرسل أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتلته على ذلك فذلك الشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر لم أره من حديث الحسن ولحقاكم في الاستدراك وصحح إسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه قتلته (٤) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يأمرهم بالقسط وبشئ القوم قوم لا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف وأما حديث عمر فأغار إليه أبو منصور الديلمي بقوله وفي الباب ورواه على ابن مبد في كتاب الطاعة والنسبة من حديث الحسن مرسل .

يأتي حراء فينحت
فيه الهياكل ذوات العدد
ويتزود لذلك ثم يرجع
إلى خديجة فيزود
للتلها حتى جاء الحق
وهو في غار حراء فجاءه
الملك فيه فقال اقرأ
قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أنا
بقارى فأخذني فغطني
حتى بلغ من الجهد ثم
أرسلني فقال اقرأ قلت
ما أنا بقارى فأخذني
فغطني الثانية حتى بلغ
من الجهد ثم أرسلني
قال اقرأ قال ما أنا
بقارى فأخذني فغطني
الثالثة حتى بلغ من
الجهد ثم أرسلني فقال
اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان
من علق حتى بلغ ما لم
يسلم فرجع بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ترجف بواذره حتى
دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه
حتى ذهب عنه الروح
فقال لخديجة مالي
وأخبرها الخبر فقال

وبيناهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إن هلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يرضوا للضيء وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد : إن المصيبة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضررت بالعامّة ، وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الحولاني كيف منزلتك من قومك ؟ قال حسنة . قال كعب إن التوراة لتقول غير ذلك . قال وما تقول ؟ قال تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال صدقت التوراة وكذب أبو مسلم ، وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأتي المال ثم قدم عنهم فقبل له لو أتيتهم فلعلمهم يحدون في أنفسهم قال أرباب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكنت رهبت أن آثم وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك للوضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشاهدته ، وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بالسنة ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله . وقال سهل بن عبد الله رحمه الله أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوش الزمان فهو بمن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقّه ، وقيل للفضيل الأتامر ونهى ؟ فقال إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا وذلك أنهم لم يصبروا على ما أصيبوا ، وقيل للثوري الأتامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقال إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة لإقيام قائم به فلذلك الآن شروطه وشروط وجوبه .

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط .

(الركن الأول المحتسب)

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين ويدخل فيه الفاسق والريبق والمرأة ، فلذلك كروجه اشتراط ما اشتراطناه ووجه الطرح ما اطرحناه . أما الشرط الأول : وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى إن الصبي الزاهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الحجر ويكسر الملاحى وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث إنه ليس بمكلف فإن هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتناه للبعد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضره فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر . وأما الشرط الثاني : وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوه . وأما الشرط الثالث : وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق أن يحتسب ، وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى - تأمرون الناس بالبر وهمسون أنفسكم -

(الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه)

قد خشيت على عقلي
فقلت كلا أجبر فوالله
ما يغزيك الله أبداً
إنك لتصل الرحم
وتصدق الحديث
وتعمل الكل وتكسب
للمدوم وتقرى الضيف
وتعين على نوائب الحق
ثم انطلقت به خديجة
رضي الله عنها حتى أتت
به ورقة بن نوفل
وكان امراً تنصر في
الجاهلية وكان يكتب
الكتاب العبراني
فيكتب من الانجيل
بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخاً
كبيراً قد عمى فقالت
له خديجة يا عم اسمع
من ابن أخيك فقال
ورقة يا ابن أخي ماذا
ترى فأخبره الخبر
رضول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا هو الناموس
الذي أنزل على موسى
يألتني فيها جذعا ليتني
أكون حياً إذ يخرجك
قومك فقال رسول الله

وقوله تعالى - كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون - وبما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مررت ليلة أُسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار قعلت من أثم قالوا كئنا نأمر بالخير ولا نأته ونهى عن الشر » ونأته (١) « وبما روى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى صلى الله عليه وسلم عظم نفسك فإن اتفقت فمظ الناس وإلا فاستحي مني ، وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتمام وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والإصلاح زكاة عن نهب الصلاح فمن ليس صالح في نفسه فكيف يصلح غيره ومضى يستقيم الظل والعود أعوج وكل ما ذكره خیالات وإنما الحق أن الفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن قول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن العزيز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى العصية وكذا جماعة من الأنبياء ، ولهذا قال سعيد بن جبیر : إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فأوجب مالكا ذلك من سعيد ابن جبیر وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصفات حتى يجوز للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول : وهل لشارب الخمر أن يفز والكفار ويحتسب عليهم بالنوع من الكفر فإن قالوا لا ، خرقوا الاجماع إذ جنود المسلمين لم تنزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام ولم يمنعوا من الغزو لافي عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده فإن قالوا نعم فنقول : شارب الخمر هل له النفع من القتل أم لا فإن قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جازله النفع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير فلا فرق ، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلامه وخدمه من الشرب ويقول يجب على الانتهاء والنهي فمن أين يلزم من العصيان بأحدهما أن أعصى الله تعالى بالثاني وإذا كان النهي واجبا على فمن أين يسقط وجوبه بأقداى إذ يستحيل أن يقال يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فإذا شرب سقط عنه النهي . فان قيل فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب على الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأنسحر وإن لم أصم لأن المستحب على السحور والصوم جميعا ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يقول . والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحبا وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح الغير فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم ، وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤديا أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الصلاة والوضوء جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقابا ممن نهى ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة . وأما الحسبة فليست شرطا في الانتهاء والانتهاز فلا مشابهة بينهما . فان قيل فيلزم على هذا أن يقال إذا زنى الرجل بامرأة وهى مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما أنا غير محرم لك فاسترى وجهك فهذا احتساب شنيع يستكره قلب كل عاقل ويستشعنه كل طبع سليم . فالجواب أن الحق قد يكون شنيعا وأن الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والتبع

(١) حديث مررت ليلة أُسرى بي بقوم تفرض شفاهم بمقاريض من نار الحديث تقدم في العلم .

صلى الله عليه وسلم
أخرجني ثم قال ورقة
نم إنه لم يأت أحد قط
بما جئت به إلا عودى
وأودى وإن يدركنى
يومك أنفرك نصرا
مؤزرا وحدث جابر
ابن عبد الله رضى الله
عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهو يحدث عن قرعة
الوحى فقال فى حديثه
« فبينما أنا مشى سمعت
صوتا من السماء فرصت
رأسى فإذا الملك الذى
جاءنى بحراء جالس
على كرسي بين السماء
والأرض فجئت منه
ربعا فرجعت فقلت
زملونى زملونى
فدنونى فأنزل الله
تعالى - يا أيها المدثر
فأنذر - إلى - والجز
فاهجر - « وقد قل أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذهب مرارا
كى ردى نفسه من
شوايق الجبال فكلم
وافى ذروة جبل لكي
يلقى نفسه منه تبدي له

الدليل دون قرة الأوهام والحالات فانا قولها في تلك الحالة لا تكشف وجهك واجب أو مباح أو حرام فان ظنم إنه واجب فهو الفرض لأن الكشف مصيبة والنهي عن المصيبة حق وإن قلتم إنه مباح فاذن له أن يقول ما هو مباح فامعنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وإن قلتم إنه حرام فقول كان هذا واجبا فمن أين حرم باقدا منه على الزنا ومن الغريب أن يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر وأما قرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسيئين : أحدهما أنه ترك الأثم واعتزل بما هو مهم وكما أن الطباع تنفر عن ترك اللهم إلى ما لا ينفى تنفر عن ترك الأثم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتخرج عن تناول طعام منصوب وهو مواظب على الريا وكما تنفر عمن يتصاون عن التوبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أغش وأشد من التوبة التي هي إخبار عن كائن يصدق فيه الخبر وهذا الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك التوبة ليس بواجب وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك ضرره في الآخرة من مصيبته أكثر من ضرره من مصيبة غيره فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث إنه ترك الأكثر لأمن حيث إنه أتى بالأقل فمن غضب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك القرس قهرت عنه الطباع ويرى ميثا إذ قد صدرته طلب اللجام وهو غير منكرو ولكن للنكر تركه لطلب القرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الأثم بما دونه فكذلك حبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث إنها حسبة مستنكرة . الثاني أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا ينعظ أولا ونحن نقول من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لم الناس فسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ إذ لا فائدة في وعظه فالتسقي يؤثر في إسقاط فائدة كلامه ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام فأما إذا كانت الحسبة بالنهي فالمراد منها القهر ونهال القهر أن يكون بالقهر والحجة جميعا وإذا كان فاسقا فان قهره بالقهر قد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالقهر مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن السلم عن كونه حقا فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا ينعظ وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فقول ليس له ذلك أيضا فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الانصاف والكشف في السئلة وأما الآيات التي استدلو بها فهو انكار عليهم من حيث تركهم للمعروف لا من حيث أمرهم ولكن أمرهم دل على قوة عليهم وعقاب العالم أهمل لأنه لا عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى - لم تقولون مالا تفعلون - للراد به الوعد الكاذب وقوله من وجل - وتنفسون أنفسكم - إنكار من حيث إنهم نسوا أنفسهم لا من حيث إنهم أمروا غيرهم ولكن ذكر أمر الغير استدلالا به على علمهم وتأكيذا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عطف نفسك الحديث هو في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله فاستحي من لا يدل على تحريم وعظ الصغير بل معناه استحي من فلا ترك الأثم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي . فان قيل فليجز للكافر الذي أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزني لأن قوله لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراما عليه بل ينبغي أن يكون مباحا

جبرائيل عليه السلام
قال يا محمد إنك
لرسول الله حقا فيمكن
لذلك جأشوا إذا طالت
عليه قرة الوحي عاد
مثل ذلك فيبتدى له
جبريل فيقول له مثل
ذلك فهذه الأخبار
المتينة عن بدء أمر
رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي الأصل
في إشار الشايخ الحلوة
للرديدين والطالبيين
فانهم إذا أخلصوا الله
تعالى في خلواتهم يفتح
الله عليهم ما يؤنسهم في
خلوتهم تعويضا من الله
أيام عما تركوا لأجله
ثم خلوة القوم مستمرة
وإنما الأربعون
واستكمالها له أثر
ظاهر في ظهور مبادئ
بشار الحق سبحانه
وتعالى وسنوح مواهبه
السنية .

[الباب السابع
والشرون في ذكر
فتوح الأربعينية]
وقد غلط في طريق
الحلوة والأربعينية

أو واجبا . قلنا الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث إنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا . وأما مجرد قوله لا تزن عليه فليس بمحرم عليه من حيث إنه نهى عن الزنا ولكن من حيث إنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والقاصد يستحق الإذلال ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالدلالة منه فهذا وجه منقضا لإياه من الحسبة وإلا فلنسا قول إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث إنه نهى بل قول إنه إذا لم يخل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بغرور الدين وفيه نظر استوفينا في الفقهيات ولا يليق بفرضنا الآن . الشرط الرابع : كونه مأذونا من جهة الإمام والوالى قد شرط قوم هذا الشرط ولم يشترطوا للأحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لأصله والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام للمصوم وهو الإمام الحق عندهم وهؤلاء أخشى رتبة من أن يكلموا بل جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم إن نصرتمكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهى عن النكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بمد لم يخرج . فان قيل في الأمر بالمعروف إثبات ساطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم كونه حقا فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا تفويض من الولي وصاحب الأمر . فتقوله أما الكافر فمنع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يجوز إلى تفويض كمر التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على النكر بجهله لا يحتاج إلى إذن والى وفيه عز الإرشاد وعلى التعريف ذلك التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهى . وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي أولها التعريف . والثاني الوعظ بالكلام اللطيف . والثالث السب والتعنيف ولست أعنى بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى . والرابع اللع بالقرع بطريق البشارة ككسر اللهاى وإرافة الحجر واختطاف الثوب الحرير من لابسها واستلاب الثوب المنسوب منه ورده على صاحبه . والخامس التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضربه حتى يمنع عما هو عليه كاللواظب على القية والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يجوز إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام إلا للرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام . وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر (١) كما ورد في الحديث فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه وكذلك كسر اللهاى وإرافة الحجر فإنه تعالى ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يقتصر إلى الإمام وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاية

(١) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدرى .

قوم وحرفوا الحكم
عن مواضع ودخل
عليهم الشيطان
وقنع عليهم بابا
من الضرر ودخلوا
الحلوة على غير أصل
مستقيم من تأدية حق
الحلوة بالإخلاص
ومعوا أن الشايخ
والصوفية كانت لهم
خلوات وظهرت لهم
وقائع وكوشفوا بخراب
وعجائب فدخلوا الحلوة
لطلب ذلك وهذا عين
الاعتلال ومحض
الضلال وإنما القوم
اختاروا الحلوة
والوحدة لسلامة الدين
وتفقد أحوال النفس
وإخلاص العمل لله
تعالى . قل عن أبي
غمر الأناطى أنه قال
لن يصفوا لعاقل فهم
الأخير إلا بإحكامه
ما يجب عليه من
إصلاح الحال الأول
والواطن التي ينبغي أن
يسرف منها أمزاد هو
أم منتقص فليد أن
يطلب مواضع الحلوة

لكي لا يعارضه شاغل
 فيفند عليه ما يريد .
 أنبأنا طاهر بن أبي
 الفضل إجازة عن أبي
 بكر بن خلف إجازة قال
 أنبأنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت أبا عبد الله
 يقول من اختار الخلوة
 على الصحبة فينبغي أن
 يكون خاليا من جميع
 الأفكار إلا ذكر ربه
 عز وجل وخاليا من
 جميع الرادات إلا مراد
 ربه وخاليا من مطالبة
 النفس من جميع
 الأسباب فإن لم يكن
 بهذه الصفة فإن خلوته
 توفقه في فتنة أو بلية .
 أخبرنا أبو زرعة إجازة
 قال أنا أبو بكر إجازة
 قال أنا أبو عبد الرحمن
 قال سمعت منصورا
 يقول سمعت محمد بن
 حامد يقول جاء رجل
 إلى زيارة أبي بكر
 الوراق وقال له أوصني
 فقال وجدت خير الدنيا
 والآخرة في الخلوة والقلة
 ووجدت شرها في
 الكثرة والاختلاط

قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضيا به فذلك وإن كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة كما روى أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل إنما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان اترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فلينتكره يده فإن لم يستطع فليسهن فان لم يستطع فقلبه وذلك أضف الإيمان ^(١) » فلقد كانوا فهموا من هذه المصومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنه وروى أن الهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نهى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فليبه بردائه ثم هزه وقال له انظر ما صنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه وقد قال الله تعالى - سواء العاكف فيه والباد - من جعل لك هذا فظفر في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم فقال أعبد الله بن مرزوق ! قال نعم فأخذ فضجه به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرسا عضوا سبي الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال ثم صبروه إلى بيت وأعلق عليه وأخذ للهدي للفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأودن به للهدي فقال له من أخرجك فقال الذي حبسني فضج للهدي وصاح وقال ما تخاف أن أقتلك فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول لو كنت تملك حياة أو موتا فما زال محبوسا حتى مات للهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة قال وكان قد جعل على نفسه ندرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها . وروى عن حبان بن عبد الله قال نثره هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هرون قد كانت لك جارية تفتي فتحسن فجتا بها قال فجاءت فننت فلم يجد غناها فقال لها ما شأنك فقالت ليس هذا عودي فقال للخادم جتنا بمودها قال فجاء بالعود فوافق شيئا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربيع فقال احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين فقال له صاحب الربيع ليس يغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين فقال له اجمع ما أقول لك ثم دخل على هرون فقال إني مروت على شيخ يلقط النوى فقات له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابث إلى صاحب الربيع يضرب عنقه ويرم به في الدجلة فقال لا ولكن نبث إليه وتناظره أولا فجاء الرسول فقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون ترفع ما قدما من النكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له قوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح قداموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا من كك وأدخل على أمير المؤمنين فقال من هذا عشائ القيلة قال نحن نعيشك قال لا حاجة لي في عشائكم قال هرون للخادم أي شيء تريد منه قال في كه نوى قلت له اطرحه وأدخل على أمير المؤمنين

(١) حديث إن مروان خطب قبل الصلاة في العيد الحديث وفيه حديث أبي سعيد مرفوعا من رأى منكرا الحديث رواه مسلم .

فقال دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال وأي شيء صنعت وجعل هرون يستحي أن يقول كسرت عودي فلما أكثر عليه قال إني سمعت أباك وأجدادك يقرءون هذه الآية على النبر - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وأنا رأيت منكرا فغيرته فقال فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى الخليفة رجلا بكرة وقال اتبع الشيخ فان رأيت يقول قلت لأمر المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وإن رأيت لا يكلم أحدا فاعطه البكرة ، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يحاجلها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البكرة فقال قل لأمر المؤمنين يرد هاهنا حيث أخذها . ويرى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يحاجل قلعها من الأرض وهو يقول :

أرى الدنيا لمن هي في يديه هموما كلما كثرت لديه
تهين الكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

وعن سفیان الثوري رحمه الله قال حج المهدي سنة ست وستين ومائة فرأيت يرمى جمره العقبة والناس يخطبون عينا وشمالا بالسياط فوقفت فقلت يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة ابن عبد الله السكابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك إليك (١) وها أنت يخط الناس بين يديك عينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفیان الثوري فقال يا سفیان لو كان النصور ما احتملك على هذا فقال لو أخبرك النصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه قال فقبله إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين فقال اطلبوه فطلب سفیان فاختنى . وقد روى عن المأمون أنه بلغه أن رجلا عتسيا يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأمورا من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن تأمر وكان المأمون جالسا على كرسي ينظر في كتاب أوقصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم المأمون مراده فقال ماذا تقول حتى أعاده ثلاثا فلم يفهم فقال إما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم - الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر - فقال صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمسكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - وللمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمررون بالمعروف - الآية ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » (٢) وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان أتت لها شكرت لمن أعانك لحرمتهما وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما

(١) حديث قدامة بن عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمى الجمره يوم النحر على جبل لا ضرب ولا طرد ولا جله ولا إليك إليك الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وأما قوله في أوله إن الثوري قال حج المهدي سنة ست وستين فليس بصحيح فان الثوري توفي سنة إحدى وستين (٢) حديث المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا متفق عليه من حديث أبي موسى وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة .

فمن دخل الخلوه معتلا
في دخوله دخل عليه
الشیطان وسـوـل له
أنواع الطغیان وامتهلا
من الفرور والمحال فظن
أنه على حسن الحال فقد
دخلت الفتنة على قوم
دخلوا الخلوه بغير
شروطها وأقبلوا على
ذكر من الأذکار
واستجمعوا نفوسهم
بالعزلة عن الخلوه
ومنعوا الشواغل من
الحواس كغفل
الرهائین والبراهمة
والفلاسفة والوحدة في
جمع لهم لها تأثير في
صفاء الباطن مطلقا
كان من ذلك بحسن
سياسة الشرع وصدق
اللتابعة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أنتج
تنوير القلب والزهد في
الدنيا وحلاوة الله كـ
والعاملة لله بالاخلاص
من الصلاة والتلاوة
وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير
سياسة الشرع ومتابعة
رسول الله صلى الله

فإن الذي إليه أمرك ويده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا قل الآن ما شئت فأعجب المؤمن بكلامه وسر به وقال مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا فاستمر الرجل على ذلك في سياق هذه الحكايات يان الدليل على الاستثناء عن الإذن. فإن قيل أفتثبت ولاية الحسبة لقوله على الوالد والمهد على الولي والزوجة على الزوج والتبذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما ثبتت للوالد على الولد والمهد على المهد والزوجة على الزوج والأستاذ على التبذ والسلطان على الرعية أو بينهما فرق . فاعلم أن الذي نراه أنه ثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ونفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول قدرتنا للحسبة خمس مراتب وللوالد الحسبة بالترتيب الأولين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح بالتحفظ وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا مباشرة الضرب وهما الرتبة الأخرى وهما له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه هذا فيه نظره هو بأن يكسر مثلاً عوده ويريق حمرة ويحل الحيوط عن ثيابه للنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقة أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معينا ويطلب الصور النقوشة على حيطانه وللنقوشة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للبطل والحرام والأظهر في القياس أنه ثبت لقوله ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يعمد أن ينظر فيه إلى قبح النكر وإلى مقدار الأذى والسخط فإن كان للنكر فاحشا وسخطا عليه قريبا كإراقة حمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وإن كان للنكر قريبا والسخط شديدا كالأول كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرهما خسران مال كثير فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه الحسبة بجري الحجر وغيره فهذا كله مجال النظر . فإن قيل ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق إلى ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما من غير تخصيص وأما النهي عن التأنيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص بما لا يتعلق بارتكاب النكرات فنقول قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلال ليس له أن يقتل أباه في الزنا حدا ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابله . وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع^(١) فإذا لم يجز له إيذاؤه بقوة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بقوته هي منع عن جناية مستقبله متوقفة بل أولى وهذا الترتيب أيضا ينبغي أن يجري في المهد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك العبد كدمن ملك النكاح ولكن في الخبر أنه «لوجاز السجود لمخلوق لأمر المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢) وهذا يدل على تأكيدهم على أن الحسبة مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس له أن يسجد لزوجها إلا التعريف والنصح فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث إن المجهوم على أخذ الأموال من خزائنه وردها إلى الملاك وعلى تحليل الحيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمر في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيئته وإسقاط حشمته وذلك محظور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت على المنكر^(٣) فقد تعارض فيه أيضا محذوران والأمر فيه موكول

عليه وسلم ينتج صفاء في النفس يستعان به على اكتساب علوم الرياضة مما يعتنى به الفلاسفة والمهريون خذلهم الله تعالى وكلما أكثر من ذلك بعد عن الله ولا يزال للقبول على ذلك يستغويه الشيطان بما يكتسب من العلوم الرباطية . أو بما قد يقرأ له من صدق الحافظ وغير ذلك حتى يركن إليه الركون التام ويظن أنه فاز بالمقصود ولا يعلم أن هذا الفن من الفائدة غير ممنوع من التصاري والبراهمة وليس هو المقصود من الخلوة بقول بعضهم إن الحق يريد منك الاستقامة وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادقين شيء من خوارق العادات وصدق الفراسفة ويثبتين ما يحدث في المستقبل وقد لا يفتح عليهم ذلك ولا يقدح

(١) الأخبار الواردة في أن الجلال ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولأن يباشر إقامة الحد عليه ولا يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه قصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع . قلت: لم أجده في الإحدى لا يقاد الوالد بالولد رواء الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب (٢) حديث لوجاز السجود لمخلوق لأمر المرأة أن تسجد لزوجها تقدم في النكاح (٣) حديث النهي عن الإنكار

إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش النكرو ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه وأما التليذ والأستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المقيد لعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه . وروى أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم ينضب فان غضب سكت عنه . الشرط الخامس : كونه قادرا ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حصة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها . وقال ابن مسعود رضي الله عنه جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفروا في وجوههم فافعلوا . واعلم أنه لا يقف سوط الوجوب على العجز الحسى بل يلتحق بما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروها ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليكتف إلى معنيين : أحدهما عدم إفاضة الإنكار امتناعا والآخر خوف مكروه . ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال أحدها أن يجتمع اللعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع النكرو وينزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا الحاجة مهمة أو واجب ولا يلزمه مقارنة تلك البلدة والمهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يعمل على مساعدة السلاطين في الظلم والنكرات فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الإكراه . الحالة الثانية أن يتفق اللعنيان جميعا بأن يعلم أن النكرو يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة . الحالة الثالثة أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين . الحالة الرابعة عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه ولكن يبطل للنكرو بفعله كما يقدر على أن يرمى زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الحمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة محتطة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا النكرو ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب وبدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل كلمة حق عند إمام جائر ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف . وبدل عليه أيضا ما روى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فأردت أن أنكر عليه وعلمت أنني أقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس غشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل . فان قيل فامعنى قوله تعالى - ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة - قلنا لا خلاف في أن السلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالف لوجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من يفعل ذلك فقد أهلك نفسه . وقال البراء بن عازب التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب على ، وقال أبو عبيدة هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضا له ذلك في الحسبة ولكن لو علم أنه لا نكاية لمجومه على الكفار كالأهمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جراته واعتقاده في سائر المسلمين قلة الببالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز

على السلطان جهرة بحيث يؤدي إلى خرق هيئته الحاكم في الاستدراك من حديث عياض بن غنم الأشعري من كانت عنده نصيحة لدى سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذه بيده فليخل به فان قبلها قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له قال صحيح الإسناد وللمزمذ وحسنه من حديث أبي بكر من أهان سلطان الله في الأرض أهان الله في الأرض .

في حاله عدم ذلك وإنما يقدح في حاله الانحراف عن حد الاستقامة فما يفتح من ذلك على الصادقين يصير سببا لمزيد إيمانهم والداعى لهم إلى صدق الجاهدة والمعاملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا لمزيد بعده وغروره وحماته واستطالته على الناس وازدراؤه بالخلق ولا يزال به حتى يخلع ربة الاسلام عن عنقه وينكر الحدود والأحكام والحلال والحرام ويظن أن القصد من العبادات ذكر الله تعالى ويترك متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يتدرج من ذلك إلى تلحد وتزندق نموذ بالله من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات

للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين وأما إن رأى فاسقا متغلبا وعنده سيف ويده قدح وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبتة فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجها وهو عين الهلاك فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثرا ويفديه بنفسه فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراما وإنما يستحب له الانكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط أن يقتصر للكروه عليه فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رقبته فلا تجوز له الحسبة بل تعزم لأنه محذور عن دفع المنكر إلا بأن يفرض ذلك إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الأظهر لأن المقصود عدم منكر الشرع مطلقا لا من زيد أو عمرو وذلك بأن يكون مثلامع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلامع لاراقة ذلك ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكروه وأما شرب الخمر فهو اللوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس بعيدا فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يعد أن يفرق بين درجات المنكر النجس والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنسانا وأكله فلامع لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه فيه فلهذا فائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق يقول : العاصي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كشراب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يظن به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد فالعاصي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي إذ ربما يتندب لها من ليس أهلا لها لقصور معرفته أو قصور ديانتة فيؤدي ذلك إلى وجوه من الحلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله فإن قيل وحيث أطلقم العلم بأن يصيه مكروه أو أنه لا تنفذ حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه قلنا : الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجع العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخرى وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهه فقد اختلفوا في وجوبه والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثنى عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لمينته بل للمأمور فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب فإن قيل فالمكروه الذي يتوقع إصابته إن لم يكن متيقنا ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتتمل أن يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه قلنا إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فإن ذلك ممكن في كل حسيبة وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقفا وهذا هو الأظهر ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه

يظنونها بوقائع ويشهونها بوقائع الشايخ من غير علم بحقيقة ذلك فمن أراد تحقيق ذلك فليعلم أن العبد إذا أخلص لله وأحسن نيته وقصد في الخلوة أربعين يوما أو أكثر فهم من يباشر باطنه صفو اليقين ويرفع الحجاب عن قلبه ويصير كما قال قائلهم : رأى قلبي ربى ، وقد يصل إلى هذا المقام تارة بإحياء الأوقات بالصالحات وكف الجوارح وبوزيع الأوراد من الصلاة والتلاوة والذكر على الأوقات وتارة بإدائه الحق لموضع صدقه وقوة استعداده مباداة من غير عمل وجد منه وتارة بمجد ذلك بملازمة ذكر واحد من الأذكار لأنه لا يزال يردد ذلك الذكر ويقول وتكون عبادته الصلوات

والأول أصح نظرا إلى قضية الصومات الموجبة للأمر بالمعروف فان قيل فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراءة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه وللهو الشجاع يعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى إنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل . قلنا التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة وتفريط والتهور إفراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وإنما السكالم في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط أو إفراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراءة قد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرائته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون علما بحكم التجربة والممارسة بمدخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوته في الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف وبزول الجهل بالتجربة وبزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا إذ البتدى في المناظرة والوعظ مثلا قد ينجح عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فأرقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فتحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول على رأى لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الاسلام على من يغاب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة . فان قيل فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالنسبة وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسمى به إلى سلطان أو يدح فيه في مجلس يتضرر بقدره فيه فاحذر المكروه الذي يسقط الوجوب به . قلنا هذا أيضا فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة ولكننا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه فقول المكروه تقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور : أما في النفس فالعلم . وأما في البدن فالصحة والسلامة . وأما في المال فالثروة . وأما في قلوب الناس فقيام الجاه ، فاذا المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك قلوب الناس كأن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربيع الهاكت وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الانسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به ويكره في هذه الأربعة أمران أحدهما زوال ما هو حاصل موجود والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود أعنى اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر فان المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه فوات إمكانه كأنه فوات حصوله فرجع للمكروه إلى قسمين أحدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصا في ترك الأمر بالمعروف أصلا . ولذا ذكر مثاله في اللطاب الأربعة . أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص بأستاذة خوفا من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه . وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلا وهو لا يس حريرا خوفا من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة . وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدارته في المستقبل ويترك مواساته . وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله

الحسب يستنها الراتية
فحسب وسائر أوقاته
مشغولة بالذكر الواحد
لا يتخللها قنور ولا
يوجد منه قصور ولا
يزال يردد ذلك الذكر
ملتزما به حتى في طريق
الوضوء وساعة الأكل
لا يفر عنه . واختار
جماعة من المشايخ من
الذكر كلمة لا إله إلا الله
وهذه الكلمة لها
خاصية في تنوير الباطن
وجمع الهم إذا دام
عليها صادق مخلص
وهي من مواهب الحق
لهذه الأمة وفيها خاصية
لهذه الأمة فيما حدثنا
شيخنا ضياء الدين
إسماعيل قال أنا
أبو القاسم الدمشقي
الحافظ قال أنا
عبد الكريم بن
الحسين قال أنا
عبد الوهاب الدمشقي
قال أنا محمد بن حريم
قال ثنا هشام بن
عمار قال ثنا الوليد
ابن مسلم قال أنا
عبد الرحمن بن زيد

عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضررا مجاز وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على النكر كما إذا كان محتاجا إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم أن في تأخره شدة الضرر به وطول المرض وقد يفضى إلى الموت وأعنى بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يعد أن يرخص في ترك الحسبة وأما في العلم لئلا أن يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد إلا مطعا واحدا ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعا له أو مستمعا لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على النكر محذور ولا يعد أن يرجع أحدها ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهمات الدين وأما في المال فمكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوى النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وانقر في تحصيله إلى طلب ائدار حرام أو مات جوتا فهذا أيضا إذا اشتد الأمر فيه لم يعد أن يرخص له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤديه شرير ولا يجد سبيلا إلى دفع شره إلا بجاء يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة وسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يعد استثنائها ولكن الأمر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفيق فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجع بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فإن رجع بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجع بموجب الهوى سمى سكوته مدهانة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعته وصارفه أنه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ماعملت من سوء أو خير محضرا عند الله ولو في قلعة خاطر أو قلعة ناظر من غير ظلم وجور لما الله بظلام للعبيد . وأما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم فإن فواته غير مخوف إلا بتقصيره وإلا فلا يقدر أحد على جلب العلم من غيره وإن قدر على جلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد . وأما الصحة والسلامة ففواتهما بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضربا مؤلما يتأذى به في الحسبة لم تنزله الحسبة وإن كان يحتسب له ذلك كما سبق وإذا فهم هذا في الإيلاء بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر . وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلم ثيابه فهذا أيضا يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يهدى دينه بدنيته ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكثر به كالحسبة في المال واللطمة الخفيفة ألما في الضرب وحد في الكثرة يمتنع اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجع جانب الدين ما أمكن . وأما الجاه فقواته بأن يضرب ضربا غير مؤلم أو يسب على ملائمة الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قاذح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يجبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة أمور يحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألما يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دربهات قليلة فهذه درجة . الثانية ما يجبر عنه بالجاه المحض وعلى الرتبة فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذلك الركوب بالخيول

عن أبيه أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال : رب أنبئني عن هذه الأمة للرحومة قال أمة محمد عليه الصلاة والسلام علماء أخفاء أقياء حنفاء أصفاء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مسي بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله يا عيسى هم أكثر سكان الجنة لأنهم لم تذلل السن قوم قط بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتهم ولم تذلل رقاب قوم قط بالسجود كما ذلت رقابهم . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال إن هذه الآية مكتوبة في التوراة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين وكنتزاة للأمين أنت عبيد ورسولي صميكتك المتوكل ليس بغط ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق

فلو علم أنه لو احتسب لكلف الشيء في السوق في ثياب لا يتباد هو مثلها أو كلف الشيء رجلا وعادته الركوب فهذا من جملة الزايا وليست للواظبة على حفظها عمدة وحفظ الرودة محمود فلا ينبغي أن يستطو وجوب الحسبة بمثل هذا القدر وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحقيق والنسبة إلى الرياء والبهتان وإما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة ولو تركت الحسبة بلوم لأنهم أو باغتيال فاسق أو شتمه وتغيبه أو سقوط للنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان للنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المنكر ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضا معصية في حق المنكر ولكن يستحب له ذلك ليفدى عرض المذكور بمرض نفسه على سبيل الإيثار وقد دلت العمومات على تأكيد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابل إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشريعة خطرها فأما ما زيا الجاه والحشمة ودرجات التجميل وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطره . وأما امتناعه لحوف شيء من هذه المنكرات في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره ومن وجه الدين هو فوته لأن له أن يسمح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فإذا ينبغي أن يتمتع فانه إن كان ما يغوث من حقوقهم يغوث على طريق المعصية كالضرب والتبليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر وإن كان يغوث لا بطريق المعصية فهو إيذاء للسلم أيضا وليس له ذلك إلا برضام فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالأزهد الذي له أقارب أغنياء فانه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاما منه بواسطتهم فإذا كان يتعدى الأذى من حسبه إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فان إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت على المنكر محذور نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاقمها ودرجات الكلام المذموم في نكايته في القلب وقدحه في العرض . فان قيل فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يتمتع عنه إلا بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل يقاتل عليه فان قتلهم يقاتل فهو محال لأنه اهلاك نفس خوفا من اهلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف أيضا . قلنا يمنعه عنه ويقاومه إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية وقله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه بمعصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فانه جائز لا على معنى أنا نقضى درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين بمعصية وقله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وإنما المقصود دفع المأثم . فان قيل فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن يقتله في الحال حسب باب المعصية . قلنا ذلك لا يعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكننا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفناه فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه فإذا المعصية لها ثلاثة أحوال : إحداها أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها أحد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الأحاد . الثانية أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وأمسكه العود والحجر فأبطل هذه المعصية واجب بكل ما يمكن مالم تؤد إلى معصية أخفى منها أو مثلها وذلك يثبت للأحاد والرعية الثالثة أن يكون المنكر متوقفا كالذي يستند بكئس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه إذ ربما يهوى عنه عائق فلا يثبت للأحاد سلطنة على العازم على الشرب

ولا يجوز بالسبب السيئة ولكن بغو وصنع ولن أقضه حتى تمام به الله للموجة بأن يقولوا لا إله إلا الله ويغفروا أعيننا عينا وأذاننا مسموعا وقلوبنا غلغا فلا يزال العبد في خلوته يرد هذه الكلمة على لسانه مع مواطاة القلب حتى يصير الكلمة متأصلة في القلب مزينة لحديث النفس ينوب معناها في القلب عن حديث النفس فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يتشربها القلب فلو سكت اللسان لم يسكت القلب ثم تجوهر في القلب وتجوهرها يستكن نور اليقين في القلب حتى إذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال نورها متجوهر أو يتخذ الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه وتعالى ويصير الذكر حيث ذكر الذات

إلا بطريق الوعظ والنصح تأمرا بالتعنيف والضرب فلا يجوز للأحد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علت منه بالمادة المستمرة وقد أقدم على السبب المؤدى إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فانهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجاوز الحسبة عليهم باقامتهم من الوضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية وإن كان مقصد العاصي وراه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونفى بالمظنة ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكشاف عنها فإذا هو على التحقيق حسة على معصية راهنة لاهل معصية منتظرة .

(الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة)

وهو كل منكرو موجود في الحال ظاهر للتحسب بنهر نجس معلوم كونه منكرا بغير اجتihad فلهذه أربعة شروط فلنبحث عنها . الأول : كونه منكرا ونفى به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبيّا أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمتنع وكذا إن رأى مجنوناً زنى بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمتنع منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لوصاف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تخص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنساء الأجنبية كل ذلك من الصغار ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظريّات في كتاب التوبة . الشرط الثاني : أن يكون موجودا في الحال وهو احتراز أيضا عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فان ذلك ليس إلى الاتحاد وقد اقترض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ وإن أنكر عزمه عليه لم يجوز وعظه أيضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق ولتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهرا للتحسب بنهر نجس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة وكذلك ما روى أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر عليه فقال يا أمير المؤمنين ان كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فانت قد عصيته من ثلاثة أوجه فقال وما هي ؟ فقال قد قال الله تعالى - ولا تجسسوا - وقد تجسسست . وقال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقد أسورت من السطح . وقال - لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وما سلمت قدركه عمر وشرط عليه التوبة ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألمهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكرا فهل له إقامة الحد فيه ؟ فأشار على رضي الله عنه بأن ذلك منوط بمديلين فلا يكفي فيه واحد وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت لما حدث الظهور والاستتار . فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بنهر إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزمار والأوتار إذا ارتفع بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملامى وكذا

وهذا الذكر هو
للمشاهدة والمكاشفة
والعابنة أعني ذكر
الذات بتجوهر نور
الذكر وهذا هو
للقصد الأقصى من
الخلوة وقد يحصل
هذا من الخلوة لا بذكر
الكلمة بل بتلاوة
القرآن إذا أكثر من
التلاوة واجتهد في
مواظاة القلب مع
اللسان حتى تجري
التلاوة على اللسان
ويقوم معنى الكلام
مقام حديث النفس
فيدخل على السبيل
سهولة في التلاوة
والصلاة ويتصور
الباطن بتلك السهولة
في التلاوة والصلاة
وبتجوهر نور الكلام
في القلب ويكون منه
أيضا ذكر الذات
ويجتمع نور الكلام

إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات اللألفة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة فاذن إنما يدرك مع غلغل الحيطان صوت أوراثة فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمر المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتطعيم الشرب فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر فإرورة الخمر في الكرم وتحت الدليل وكذلك اللامى فإذا رأى فاسق ونعت ذيله شيء لم يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فإن فسقها لا يدل على أن الذى معه خمر إذ الفاسق محتاج أيضا إلى الحل وغيره فلا يجوز أن يستدل باخفائه وأنه لو كان حلالا لأخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر وإن كانت الرائحة قاتحة فهذا محل النظر والظاهر أن له الاحتمال لأن هذه علامة تخيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور وكذلك العود ربما يعرف بشكه إذا كان الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالاته فهو غير مستور بل هو مكشوف وقد أمرنا بأن نستمر استر الله وتكر على من أبدى لنا صفحته والإبداء له درجات فتارة يدنو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة البصر وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل للراد العلم وهذه الحواس أيضا تخيد العلم فاذن إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الأمارات للعرفة فالأماراة للعرفة إن حصلت وأورثت للعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الأماراة للعرفة فلا رخصة فيه أصلا . الشرط الرابع أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى أن ينكر على الشافعى أكله الضب والضيع ومتروك التسمية ولا للشافعى أن ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الأرحام وجلسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لورأى الشافعى شافعىا شرب النبيذ وينكح بلاولى ويطلق زوجته فهذا في محل النظر والأظهر أن له الحسبة والانكار إذ لم ينهب أحد من المصلين إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا أن الذى أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه وهو أنه يجوز للحنفى أن يترضى على الشافعى إذا نكح بغيرولى بأن يقول له الفعل فى نفسه حق ولكن لا فى حقك فأنت مبطل بالأقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعى ومخالفة ما هو صواب عندك معصية فى حقك وإن كانت صوابا عند الله وكذلك الشافعى يحسب على الحنفى إذا شاركه فى أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له إما أن تعتقد أن الشافعى أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أولا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجمع الأصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحسب أن هذه امرأته زوجته أبوه إياها فى صغره ولكنه ليس يدرى وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لسكونه غير عارف بلفظه فهو فى الأقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه فى الدار الآخرة فينبى أن يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث إنه حلال فى علم الله قريب من حيث إنه حرام عليه بحكم غلظه وجهله ولا شك فى أنه لو علق طلاق زوجته على صفة فى قلب المحسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة فى قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق فى الباطن فإذا رآه يجمعها فعليه النعاعنى باللسان لأن ذلك زنا إلا أن الزانى غير عالم به والمعتسب عالم بأنهما طاعتا منه ثلاثا وكونهما غير عاصين لجهلها بما يوجد الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاع ذلك عن زنا المحنون

فى القلب مع مطالعة
عظمة للتكلم سبحانه
وتعالى ودون هذه
الوهبة ما يفتح على
العبد من العلوم
الالهامية الدنية وإلى
حين بلوغ البعد هذا
للبلغ من حقيقة الذكر
والتلاوة إذا صفا باطنه
قد يثيب فى الله كرم
كأن أنه وحلاوة
ذكره حتى يلتحق فى
غيبته فى الذكر بالنام
وقد تتجلى له الحقائق
فى لبسة الخيال أولا
كما تتكشف الحقائق
للنام فى لبسة الخيال
كأن رأى فى المنام أنه
قتل حية فيقول له
المبر تظفر بالمدون تظفره
بالمدون هو كشف
كاشفه الحق تعالى به
وهذا الظفر روح
بجرد صاغ ملك الرؤيا
له جسدا لهذا الروح

وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مجاهو منكرو عند أقوم إن لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لئلا يندر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله إنما هو منكرو عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر والعلم عند الله ، فتحصل من هذا أن الحنفى لا يعترض على الشافعى في النكاح بلاولى وأن الشافعى يعترض على الشافعى فيه لكون التعرض عليه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه وهذه مسائل قديمة دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وإنما أثبتنا فيها بحسب ما ترجع عندنا في الحال ولنا قطع خطأ ترجيح المخالف فيها إن رأى أنه لا يجرى الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا لاحسبة إلا في مثل الخمر والحزير وما يقطع بكونه حراما ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويسترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره لأن الاستدبار هو الصواب ورأى من يرى أنه يجوز لكل مقلدان أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد ببوله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلا فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به . فان قلت إذا كان لا يعترض على الحنفى في النكاح بلاولى لأنه يرى أنه حق فينبى أن لا يعترض على المعتزلى في قوله إن الله لا يرى وقوله وإن الخير من الله والشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق ولا على الحشوى في قوله إن الله تعالى جسم وله صورة وإنه مستقر على العرش بل لا ينبى أن يعترض على الفلسفى في قوله الأجساد لا تبعث وإتباع تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضا أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق . فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضا ظاهر وكأنت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلى ينكرها بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفى كسئلة النكاح بلاولى ومسئلة شفعة الجوار ونظارها . فاعلم أن للسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقول فيه كل مجتهد مصيب وهى أحكام الأفعال في الحل والحرمه وذلك هو الذى لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لم يعلم خطوهم قطعا بل ظنا وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحد كسئلة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفى الصورة والجسميه والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا ولا يبقى لحطه الذى هو جهل بحض وجه فاذا نال البعد كلها ينبى أن تحسم أبوابها وتنصكر على البتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد . فان قلت فهما اعترضت على القدرى في قوله الشر ليس من الله اعترض عليك القدرى أيضا في قوله الشر من الله وكذلك في قولك : إن الله يرى وفي سائر المسائل إذ لا يتدع محق عند نفسه والحق مبتدع عند البتدع وكل يدعى أنه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم الاحتساب . فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول ننظر إلى البلدة التى فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة فريية والناس كلهم على السنة فلمهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان وإن اتهم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة وكان فى الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للأحد الحسبة فى المذهب إلا بنصب السلطان فإذا رأى السلطان رأى الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر البتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة الآحاد فيتقابل الأمر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة أهم من الحسبة فى كل المنكرات ولكن ينبى أن يراعى فيها هذا التفصيل الذى ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا يشجر إلى تحريك الفتنة بل لو أذن السلطان مطلقا فى منع كل من أصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مما سله أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان قط .

من خيال الحية فالروح
الذى هو كشف الظفر
أخبار الحق ولبسة
الحيل الذى هو بمثابة
الجسد مثال انبث
من نفس الراى
فى المنام من استصحاب
القوة الوهمية
والخيالية من اليقظة
فيتألف روح كشف
الظفر مع جسد مثال
الحية فافتقر إلى التعبير
إذ لو كشف بالحقيقة
التي هي روح الظفر
من غير هذا المثال
الذى هو بمثابة الجسد
ما احتاج إلى التعبير
فكان يرى الظفر
ويصبح الظفر وقد
يتجرد الخيال
بامتصاحب الخيال
والوهم من اليقظة فى
النوم من غير حقيقة
فيكون النام أضغاث
أحلام لا يبرق وقد يتجرد

(الركن الثالث : المحتسب عليه)

وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا أو أقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنسانا. ولا يشترط كونه مكلفا إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإركان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مجزئا إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتى بهيمة لوجب منعه منه نعم من الأفعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكننا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضا مما يختلف فيه المقيم والسافر والريض والصحيح وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها يتبين توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتبين التفاصيل. فإن قلت فاحتسب بكونه حيوانا ولا يشترط كونه إنسانا فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعنا لانسان لكننا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة. فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لأوجهها إذا حسبة عبارة عن النع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر والانسان إذا ألتف زرع غيره منع منه لحقين : أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداها عن الأخرى فلو قطع طرف غيره بأذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجنى عليه بأذنه فثبتت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا ألتفت فقد عذمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين ولكن فيه دققة وهو أننا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بغير لم تمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره قد دفع الجرة لحفظ القارورة لالتمع الجرة من السقوط فانا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر وكذا الصبي لاصيانة للبهيمة المائية أو الخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتزويجها له من حيث إنه إنسان محترم فهذه لطائف دققة لا يفتطن لها إلا المحققون فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك وسبق تعرض لما نسير إليه في الباب الثالث. فإن قلت فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان فهل يجب عليه إخراجها وكل من رأى مال المسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه. فإن قلتم إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره وإن قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من نصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير. فنقول : هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك فذلك التقدير واجب في حقوق المسلم بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام بل لا خلاف في أن مال الانسان إذا كان بضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتان الشهادة في معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لاضرر على الدافع فيه فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدى غيره بنفسه نعم الإيثار مستحب وتجنس المصاعب لأجل المسلمين قرينة فأما إيجابها فلا فاذن إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع يلزمه السمي في ذلك واسكن إذا كان لا يتعب بتنبه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك فاهمال تعريفه وتنبيهه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لارخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال

لصاحب الحلوة الخيال
النبيث من ذاته من
غير أن يكون وعاء
لحقيقة فلا ينبغي على
ذلك ولا يلتفت إليه
فليس ذلك واقعة وإنما
هو خيال فأما إذا غاب
الصادق فيه ذكر الله
تعالى حتى يغيب عن
المحسوس بحيث لو
دخل عليه داخل من
الناس لا يعلم به لنيته
في التذكر فتندلك قد
ينبث في الابتداء من
نفسه مثال وخيال
ينفخ فيه روح
الكشف فإذا عاين
غيبته فلما يأتيه تخسيره
من باطنه موهبة من
الله تعالى وإما بفسره
له شيخه كما يبر للمبر
الناس ويكون ذلك
واقعة لأنه كشف
حقيقة في لبسة مثال
وشرط صحة الواقعة

إن كان لا يصح من منفعته في مدة اشتغاله باخراج البهائم إلا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع ينفقته مال كثير فيترجع جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف ولا سبيل للمصير إلى ذلك فأما إذا كان قوات المال بطريق هو مصيبة كانهصب أو قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب النعم منه وإن كان فيه تعب ما لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المصيبة وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع العاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك العاصي والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غلبة التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرناه من درجات المخدورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء في مسئلتين تقربان من غرضنا : أحدهما أن الالتقاط هل هو واجب واللاقطه ضائعة والمثقف مانع من الضياع وساع في الحفظ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال إن كانت اللقطة في مواضع لو تركها فيه لم تنفع بل يلقطها من يعرفها أو تركها كالألو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناه فلا يلزمه الالتقاط وإن كانت في مضية نظر فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف وإصطبل فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنسانا محترما والمثقف أيضا إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله فإن كانت ذهبا أو ثوبا أو شيئا لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقايل يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلبا للثواب وقائل يقول : إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في المهاجرة وشدة الحر فهذا قديع في محل الاجتهاد والنظر فإن الضرر الذي يبال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبال به وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله ووسط يتجاوزه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات اللازمة التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها التقاربة ولكن المتقى ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريه إلى ما لا يريه ، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل .

(الركن الرابع : نفس الاحتساب)

وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والصح ثم السب والتضييف ثم التغير باليد ثم التهديد بالضرب ثم إيقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السراح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود . أما الدرجة الأولى وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهى عنه وهو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يترقى السمع على دار غيره لئلا يسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولأن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل الزمار ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلانا يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمرا أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة كل من تقبل روايته لاشهادته في جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال الأولى أن يمنع لأن له حقاً في أن لا يخطئ داره بغير إذنه ولا يسقط حق السلم عما ثبت عليه حقه إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مردداً فيه . وقد قيل إنه كان نفي خاتم إيمان السر لما عابت أحسن من إذاعة ما ظننت .

الإخلاص في الذكر أولاً
ثم الاستغراق في الذكر
ثانياً وعلامة ذلك
الزهد في الدنيا وملازمة
التقوى لأن الله جعله
بما يكشف به في واقعة
مورد الحكمة والحكمة
تحكم بالزهد والتقوى
وقد يتجرد للذاكر
الحقائق من غير لبسة
المثال فيكون ذلك
كشفاً وإخباراً من الله
تعالى بإياه ويكون ذلك
تارة بالرؤية وتارة
بالبصيرة وقد يسمع من
باطنه وقد يطرئ ذلك
من الهواء لا من باطنه
كالهوائف يعلم بذلك
أمر الله يريد الله إحداً
ه أو لغيره فيكون
إخبار الله بإياه بذلك
مزيداً ليقينه أو يرى
في المنام حقيقة الشيء .
قل عن بعضهم أنه
آتى شراب في قدح

الدرجة الثانية : التعريف فان النكر قد يقدم عليه التقدم بجهله وإذا عرف أنه منكرك تركه كالسوادى
يصل ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولورضى بأن لا يكون
مصليا ترك أصل الصلاة فيجب تعريفه بالاطف من غير عنف وذلك لأن ضمن التعريف نسبة
إلى الجهل والحق والتجهيل إيذاء وقدما يرضى الانسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لاسيما بالشرع
ولذلك ترى الذى يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل وكيف يجتهد في محادثة
الحق بعد معرفته خيفة من أن تتكشف عورة جهله والطباع أحرم على ستر عورة الجهل منها على
ستر العورة الحقيقية ، لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح
السواتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير
ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن
إزالته وتبديله بحسن العلم فذلك يعظم تألم الانسان بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بملئه ثم لدته
عند ظهور جمال علمه لغيره وإذا كان التعريف كشفا للمعورة مؤذيا للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه
بلطف الرفق فنقول له إن الانسان لا يولد عالما ولقد كنا أيضا جاهلين بأمور الصلاة فعلنا العلماء
ولعل قريبك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة
في الركوع والسجود وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فان إيذاء السلم حرام محذور
كما أن تقريره على النكر محذور وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور
السكوت على النكر واستبدل عنه محذور لإيذاء السلم من الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على
التحقيق ، وأما إذا وقعت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فانه يستفيد منك علما
وبصيرتك عدوا إلا إذا علمت أنه ينضم العلم وذلك عزيز جدا . الدرجة الثالثة : التوبيخ والوعظ والنصح
والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكرا أو فيمن أصر عليه بعد
أن عرف كونه منكرا كالذى يواطى على الشرب أو على الظلم أو على اغتيال المسلمين أو ما يعجز
مجراه فينبى أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة
السلف وعبادة التقيين وكل ذلك بشقة ولطف من غير عنف وغضب بل ينظر إليه نظر الترحم عليه
وبرى إقدامه على العصية مصيبة على نفسه إذ السالمون كنفس واحدة ، وههنا آفة عظيمة ينبغي
أن يتوفاها فانها مهلكة ، وهى أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم وذله غيره بالجهل فربما
يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التميز بشرف العلم والإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل فان كان
الباعث هذا فهذا للنكر أقبح في نفسه من النكر الذى يترضى عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال
من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل ، وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور
للاشيطان يتدلى بعمله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وقبح بصيرته بنور هدايته فان في
الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين : أحدهما من جهة دالة العلم والآخر من جهة دالة
الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفى
وله محك وميعار ينبغي أن يتحن المحتسب به نفسه وهو أن يكون امتناع ذلك الانسان عن النكر
بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه
وهو يود أن يكفى بغيره فليحتسب فان باعته هو الدين وإن كان اتماط ذلك العاصى بوعظه وأثر جاره
بزجره أحب إليه من اتماطه بوعظه غيره فهاهو إلا متبع هوى نفسه وهو توسل إلى إظهار جاه نفسه
بواسطة حسبه فليتق الله تعالى وليحتسب أولا على نفسه وعند هذا يقال ما قيل لعيسى عليه السلام

فوضعه من يده وقال
قد حدث في العالم
حدث ولا أشرب هذا
دون أن أعلم ما هو
فانكشف له أن قوما
دخلوا كهوة لواء فيها.
وحكى عن أبي سليمان
الحواص قال كنت
راكبا حمارا لي يوما
وكان يؤذيه الدباب
فيطأطأ رأسه فكنت
أضرب رأسه بخشبة
كانت في يدي فرفع
الحمار رأسه إلى وقال
أضرب فانك على
رأسك تضرب قيل له
يا أبا سليمان وقع لك
ذلك أو سمعته فقال
سمعته يقول كما سمعته.
وحكى عن أحمد بن
عطاء الروذبارى قال
كان لى مذهب في أمر
الطهارة فكنت لية
من اليا لى أستنجى
إلى أن مضى ثلث الليل

يا ابن مريم عظم نفسك فان اتمظت فمظ الناس وإلا فاستحي مني ، وقيل لداود الطائي رحمه الله : أرايت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر فقال أخاف عليه السوط قال إنه يتقوى عليه قال أخاف عليه السيف قال إنه يتقوى عليه قال أخاف عليه الله الله الدين وهو العجب .
الدرجة الرابعة : السب والتعنيف بالقول الغليظ الحشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام - أفلكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون - ولنا نفي بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا أحمق يا جاهل الاتخاف الله وكقوله يا سودي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصي الله تعالى بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكياسة حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » (١) ولهذا الرتبة أدبان : أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف . والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة فان علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزره فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازدراء بمحله لأجل معصيته وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولوا كفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يعطى وجهه ويظهر الإنكار له . الدرجة الخامسة : التغير باليد وذلك ككسر اللامى وإراقة الحجر وخلع الحرير من رأسه وعن مدته ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير وإخراجه من الدار المقصوبة بالجور برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك كل معصية تقتصر على نفس المعاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما أن لا يباشر بيده التغير مما لم يعجز عن تكليف المحاسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه الشيء في الخروج عن الأرض المقصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره وإذا قدر عن أن يكلفه إراقة الحجر وكسر اللامى وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله . الثاني أن يقتصر في طريق التغير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلبعته في الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فان زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق اللامى والصليب الذي أظهره النصارى بل يسلط صلاحيتها للفساد بالكسر وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئفاف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئفاف من الحشيش ابتداء وفي إراقة الخمر يتوق كسر الأواني إن وجد إليه سبيلا فان لم يقدر عليها إلا بأن يرمى ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الحجر إذ صار حائلا بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ولو ستر الخمر يدينه لكننا قصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر فاذا لا تريد حرمة ملكه في الظرف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير رقيقة الرءوس ولوا اشتغل باراقبتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرهما فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع في زمانه وتتعطل عليه أمثاله فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منه بدنه وغرضه من أمثاله

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس .

ولم يطب قلبي فتضجرت
فبكيت وقلت يارب
الغفور سمعت صوتا ولم
أر أحدا يقول
يا أبا عبد الله الغفور في
العلم وقد يكشف الله
تعالى عبده بآيات
وكرامات تربية للعبد
وتقوية ليقينه وإيمانه
قيل كان عند جعفر
الجلدي رحمه الله فص
له قبة وكان يوما من
الأيام راكبا في السارية
في دجلة فهم أن يعطى
السلاح قطعة وحل
الحرقة فوق القوس في
الدجلة وكان عنده
دعاء للضالة مجرب وكان
يدعوه فوجد القوس
في وسط أوراق كان
يتصفحها والدعاء هو
أن يقول يا جامع الناس
ليوم لا ريب فيه اجمع
على ضالتي . ومممت
شيخنا بهمدان حكاه

لأجل ظروف المحرو حيث كانت الازالة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان . فان قلت فهذا جاز
الكسر لأجل الزجر وهلا جاز الجرب بالرجل في الاخراج عن الأرض المنصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر .
فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون على الماضي والدفع على الحاضر الزجر وليس
إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام النسكر لما زاد على قدر الإعدام فهو إعاقة على جرعة سابقة
أو زجر عن لاحق وذلك إلى الولاية لا إلى الرعية . نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه . وأقول
له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمر زجراً وقد فعل ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
تأكيذا للزجر^(١) ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والقضاء شديدة فإذا رأى الوالي
باجتهاد مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وإذا كان هذا منوطاً بتوسع اجتهد دقيق لم يكن ذلك لأحاد
الرعية . فان قلت : فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها
يشربون ويصنون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي . فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم
يكن خارجاً عن سنن الصالح ولكن لا ينتفع الصالح بل تتبع فيه وكسر ظروف المحر قد ثبت عند
شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم يزول بزوال العلة ويوجد بعدها
وإنما جواز ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لحفاء وجه الاجتهاد فيه بل تقول لو أريقت
الخمر أولاً فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخمر فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن
تكون ضاربة بالمحر لا تصليح إلا لها فكان الفعل للنقول عن الصرا الأول كان مقروناً بمعيين : أحدهما
شدة الحاجة إلى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها وهما معنيان مؤثران لا سبيل
إلى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأى صاحب الأمر لعله بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً
مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه فهذه تصرفات دقيقة تفهية يحتاج المحتسب للاحالة إلى معرفتها . الدرجة السادسة
التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا أو لا كسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لأمرن بك
وما أشبه وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده
بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لأنهن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه بل
ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام وإن قاله من غير عزم فهو كذب نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب
والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن
إذا علم أن ذلك يحميه ويردعه وليس ذلك من الكذب المذموم بل بالبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى
مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتأليفه بين الضرتين وذلك بمماقده رخص فيه للحاجة وهذا في معناه
فإن قصد به إصلاح ذلك الشخص وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل
لأن الخلف في الوعيد كرم وإنما يقبح أن يمد بما لا يفعل وهذا غير مرضى عندنا فإن الكلام القديم
لا يتطرق إليه الخلف وعدا كان أو وعيداً وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد
ليس بحرام . الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك
جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فإذا اندفع النسكر فينبغي أن يكف
والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الأداء بالحبس فان أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته

(١) حديث تكسير الظروف التي فيها الخمر في زمنه صلى الله عليه وسلم الترمذي من حديث أبي
طلحة أنه قال : يا نبي الله إني اشتريت خمرًا لأيتام في حجري قال اهرق الخمر واكسر الدنان وفيه
يث بن أبي سليم والأصح رواية السدي عن يحيى بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عندي
قاله الترمذي .

شخص أنه كوشف في
بعض خلواته بوله له
في جيحون كاد يسقط
في الماء من السفينة قال
فزجرته فلم يسقط
وكان هذا الشخص
بنواحي همدان وولده
يجيحون فها قدم الولد
أخبر أنه كاد يسقط في
الماء فسمع صوت والده
فلم يسقط . وقال عمر
رضي الله عنه بأسارية
الجليل على النهر بالمدينة
وسارية بنهاوند فأخذ
سارية نحو الجبل وظفر
بالعدو فقبل لسارية
كيف علمت ذلك فقال
سمعت صوت عمرو وهو
يقول بأسارية الجبل .
مثل ابن سالم وكان قد
قال للإيمان أربعة
أركان ركن منه
الإيمان بالقدر وركن
منه الإيمان بالحكمة
وركن منه التبري من

على أداء الحق وكونه معاندا لله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدرج كما يحتاج إليه وكذلك المحتسب يرى التدرج فان احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع النكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تترقته كالوقص فاسق مثلا على امرأة أو كان يضرب بمنزله معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قومه ويقول له خل عنها أولأرمينك فان لم يخل عنها فله أن يرمى وينبغي أن لا يقصد القتل بل الساق والعضدوما أشبهه ويراعى فيه التدرج وكذلك يسلب سيفه ويقول أترك هذا النكر أولأضربك فكل ذلك دفع للنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالأميين. وقالت العزلة ما لا يتعلق بالأميين فلا حصة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للامام لالآحاد . الدرجة الثامنة : أن لا يضر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق أيضا بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد . وقال آخرون لا يحتاج إلى الاذن وهو الأقبح لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تخرج إلى توان والثواني إلى نوال وقد ينتهي لامحالة إلى التضارب والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالى بلوازم الأمر بالمعروف ومنها تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه ونحوه يجوز للآحاد من العزلة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار فاما لأهل الكفر فكذلك قم أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والاسلم إن قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق الناضل عن فقهه لا بأس بقتله والمحتسب الحق إن قتل ظلوما فهو شهيد . وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النواذر في الحسبة فلا يغيره قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه فالمسئلة إذن محتملة كما ذكرناه فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق .

(آداب المحتسب)

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملة ما مصدرها فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب : العلم والورع وحسن الخلق . أما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومحارمها وموانعها ليفتصر على حد الشرع فيه . والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم بعمل يعلمه بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد للأذن فيه شرعا ولكن يحمله عليه عرض من الأغراض وليكن كلامه ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جراءة عليه . وأما حسن الخلق فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمع ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بجنم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطاب الجاهم والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع النكرات وإن قدت لم يندفع النكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزه حد الشرع فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فم ينهى عنه قهيه فيما يأمر به قهيه فيما ينهى عنه (١) » وهذا يدل على أنه لا يشترط

(١) حديث لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث

الحول والقوة وركن منه الاسعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء قيل له ما معنى قولك الايمان بالقدره فقال هو أن تؤمن ولا تنكر أن يكون لله عبد بالشرق قائما على يمينه ويكون من كرامة الله له أن يعطيه من القوة ما ينقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب تؤمن بمجواز ذلك وكونه وحكي لى قبر أنه كان بمكة وأرجف على شخص بغداد أنه قد مات فكشفت الله بالرجل وهو راكب يمشى في سوق بغداد فأخبر إخوانه أن الشخص لم يموت وكان كذلك حتى ذكر لي هذا الشخص أنه في تلك الحالة التي كشف بالشخص راكبا قال

أن يكون فقها مطلقا بل فباي أمر به وينهى عنه وكذا الحلم . ول الحسن البصري رحمه الله تعالى :
إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فيمكن من أخذ الناس به وإلا هلك . وقد قيل :

لا تلم للره على نفسه وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئا وآتى مثله فانما يزرى على عقله

ولنا نرى بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعا بالقسوة ولكن يستطأثره عن القلوب بظهور نفسه
للناس . فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال « قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولانتهى عن النكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله
وانهوا عن النكر وإن لم تجتنبوه كله (١) » وأوصى بعض السلف بنيه فقال إن أراد أحدكم أن
يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فثن وثق بالثواب من الله لم يجد من
الأذى ، فاذن من آداب الحسبة توطئ النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف
فقال حاكيا عن لقمان - يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن النكر واصبر على ما أصابك - .
ومن الآداب تقليل العلاقات حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلاق حتى نزول عنه اللدانة .
فقد روى عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من
السنود لينوره فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار أولا وأخرج السنور ثم جاء واحتسب على
القصاب فقال له القصاب لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج
السنور وقطع الطمع منك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع
في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألستهم بالثناء عليه مطلقة لم تيسر له الحسبة . قال كعب
الأجبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال حسنة قال إن التوراة تقول : إن الرجل
إذا أمر بالمعروف ونهى عن النكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب
أبو مسلم . وبذل على وجوب الرفق ما استدل به للأمنون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى - فقولوا
له قولوا لنا لعله يتذكر أو يخشى - فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد
روى أبو أمامة « أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أناذن لي في الزنا فصاح
الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربه أدن قدنا حتى جلس بين يديه فقال النبي عليه الصلاة
والسلام آتبعه لأملك ؟ فقال لا ، جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم آتبعه لا بنتك ؟ قال لا ،
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لبناهم آتبعه لأختك (٢) » وزاد ابن عوف حتى ذكر
العمة والحالة وهو يقول في كل واحد ، لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه وقال جميعا في حديثهما أعنى ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال « اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحسن فرجه » فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني
من الزنا وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله : إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل

لم أجده هكذا وللبهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن
أمره بمعروف (١) حديث أنس قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولانتهى عن النكر
حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله وانهموا عن النكر وإن لم
تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه .

(٢) حديث أبي أمامة أن شابا قال يا رسول الله أناذن لي في الزنا فصاح الناس به الحديث رواه أحمد بإسناد جيد

رأته في السوق وأنا
أصيح بأذني صوت
للطرفة من الحداد في
سوق بغداد وكل هذه
مواهب الله تعالى وقد
يكاشف بها قوم وتمطى
وقد يكون فوق هؤلاء
من لا يكون له شيء
من هذا الآن هذه كلها
تقوية اليقين ومن
منع صرف اليقين
لا حاجة له إلى شيء من
هذا فكل هذه
الكرامات دون
ما ذكرناه من تجوهر
الذكر في القلب
ووجوده ذكر الذات
فان تلك الحكمة فيها
تقوية للريدن وترية
للسالكين ليزدادوا
بها حينا يجذبون به إلى
مراغمة النفوس
والسوء عن ملاذ الدنيا
ويستنهض منهم
بذلك ما كن عزمهم

ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان بأنا على إن لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين . وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال دعوني أنا أكفيكم فقال يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال وما حاجتك يا عم ؟ قال أحب أن ترفع من إزارك فقال نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم . وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فصره فقال للناس تتحوا عن ابن أخي ثم قال لي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فنهض إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتبه فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشر فك أمتري من ولدك ؟ فأتق الله واتزع عما أنت فيه فبكي الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أتى لأعود للرب النبذ ولا شيء مما كنت فيه وأنا تائب فقال ادن مني قبل راعه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك يركه رقه ثم قال : إن الناس يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فليكم بالرفق في جميع أموركم تتألون به ما تطلبون . وعن الفتح بن شخرف قال : تعلق رجل بامرأة تعرض لها ويده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره وكان الرجل شديد البدن فيينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ بر بشر بن الحرث فدنا منه وحك كنفه بكف الرجل فوق الرجل على الأرض ومشى بشر فدنا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت للمرأة لحالها فسالوه ما حالك ؟ فقال ما أدري ولكن حاكني شيخ وقال لي إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل فضغت لقوله قدمي وهتبه هبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل ؟ فقالوا له هو بشر بن الحرث فقال واسوأناه كيف ينظر إلى بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع ، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد قلنا فيها آثارا وأخبارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصلوة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه .

(الباب الثالث في المنكرات للآلوفة في العادات)

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها . فمن ذلك :

(منكرات المساجد)

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة فإذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بمحرام إلا إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقا فتردد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظورا . فما يشاهد كثيرا في الساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه إلا عند الحنفى الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة إذ لا ينفع النهي منه ومن رأى مديتا في صلاته فسكت عليه فهو شريكه هكذا ورد به الأثر وفي الخبر ما يدل عليه إذ ورد في الخبر أن السمع شريك القائل (١)

رجاله رجال الصحيح . (الباب الثالث في المنكرات للآلوفة)

(١) حديث القصاب والسمع شريكان في الإثم تقدم في الصوم .

لصارتهم الأوقات
بالقربات فيترجون
بذلك ويروقون لطرفة
من كوشف بصرف
اليقين من ذلك لكان
أن نفسه أسرع إجابة
وأسهل إتيادا وأتم
استعدادا والأولون
استلین بذلك منهم
ما استوعروا استكشف
منهم ما استر وقد لا يمنع
صور ذلك الرهايين
والبراهمة ممن هو غير
منتجع سبل الهدى
وراء كطريق الردى
ليكون ذلك في حقهم
مكرا واستدرجا
ليستحسنوا حالهم
يستقروا في مقار
الطرد والبعد إبقاء لهم
فما أراد الله منهم من
العمى والضلال والردى
والوبال حتى لا يستر
السالك بيسير شيء
يفتح له ويسلم أنه

وكذلك كل ما قدح في صحة الصلاة من نجاسة على توبه لا يراها أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو غمي فكل ذلك نجس الحسبة فيه . ومنها قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان التكلف في السجدة بضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويستغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا أفضل له من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض وهي قرينة تمدى فائدتها فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها وإن كان ذلك يمنعه عن الوراثة مثلا أو عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يحزله ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لمجزئه والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادرا على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وإن كان لا يطاوعه اللسان فان كان أكثر ما يقرؤه لحنًا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وإن كان الأكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفف به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنه سرا منه أيضا وجه ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فليست أرى به بأسا والله أعلم . ومنها ترأس المؤمنين في الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الجعلتين أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريضها فان صدرت عن معرفة فيستحب النع منها والحسبة فيها وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع من الأذان بعد الصبح فذلك مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يبول على أذانه في صلاة وترك سحور أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح . ومن المكروهات أيضا تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحد أو جماعة فانه لا فائدة فيه إذ لم يبق في المسجد تأم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف . ومنها أن يكون الخطيب لابسا ثوبا أسود يغلب عليه الإبريسم أو ممسكا سيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب وأما مجرد السواد فليس بمكروه لكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ومن قال إنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهودا في العصر الأول لكن إذا لم يرد فيه نهى فلا يفتنى أن يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للأحب . ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة بالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ للبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه إما بالكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز صماع البدعة قال الله تعالى لنبيه - فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - ومهما كان كلامه مائلا إلى الأرجاء وتجرئة الناس على المعاصي ، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله وبرحمته وثوقا يزيد بسببه رجائهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فاتهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحدا لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحدا لحفت أن أكون أنا ذلك الرجل ومهما كان الواعظ شامرا بمنزلة النساء في ثيابه وهيبته كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد حضرت مجلسه النساء فهذا منكر يجب النع منه فان الفساد فيه أكثر من الصلاح وينبئ ذلك منه بمرائن أحواله

لو مشى على الماء
والهواء لا ينفعه ذلك
حتى يؤدي حق التقوى
والزهد فأما من تعوق
بخيال أو وقع بمحال ولم
يحكم أساس خلوته
بالاخلاص يدخل
الحلوة بالزور ويدخل
بالقور فيرفض
العبادات ويستحقها
ويسلبه الله تعالى
لذة للعامة وتذهب
عن قلبه هبة
الشرية ويفتضح في
الدنيا والآخرة فليعلم
الصادق أن القصور
من الحلوة التقرب إلى
الله تعالى بسيرة
الأوقات وكف الجوارح
عن المكروهات
فيصلح لقوم من
أرباب الحلوة إداس
الأوراد وتوزيها على
الأوقات ويصلح لقوم
ملازمة ذكر واحد

بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زى الصالحين وإلا فلا يزداد الناس به إلا تماديا في الضلال ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضا مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور الساجد لصلوات ومحاسن الله كذا إذا خيفت الفتنة بين قد منتهين عائشة رضي الله عنها قيل لها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعه من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت بعده لمنعه (١) وأما اجتياز المرأة في المسجد مسترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لاتخذ المسجد مجازا أصلا وقراءة القرآن بين يدي الوعظ مع التقيد والألحان على وجه يثير نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف . ومنها الخلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طريقة الأطباء وكأهل الثعينة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوداء فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام . ومنها ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة فهذا في المسجد أيضا لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على الصلبيين ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس يحرم والأولى تركه ولكن بشرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة فإن اتخذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن الباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من القنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لوفتح بابة لحيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه وليكن هذا للتع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للأحد للتع مما هو مباح في نفسه خوفاً أن ذلك يكثر . ومنها دخول المجانين والصبيان والسكران في المسجد ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعبا وصار ذلك معتادا فيجب المنع منه فهذا مما يحل قلبه دون كثيره ، ودليل حل قلبه ما روى في الصحيحين « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد » ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكر حتى نظر إليه بل أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عائشة تطيبا لقلبها إذ قال « دونكم يا بني أرفدة » كما نقلناه في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له أو شتمهم أو نطقهم بما هو خفى أو تعاطيهم لما هو منكرف في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادي الساكن الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعنى القى أو الابتداء باللسان وجب إخراجه وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكرف مكروه شديد الكراهة وكيف لا ، ومن أكل التوم والبصل (٢) فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور الساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الجمر أشد . فإن قال قائل ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا . قلنا لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا

ويصلح قوم دوام
للمراقبة ويصلح قوم
الانتقال من الذكر
إلى الأوراد وقوم
الانتقال من الأوراد
إلى الذكر ومعرفة
مقادير ذلك يصلح
للمحور للشيخ للطام
على اختلاف الأوضاع
وتنوعها مع نصحه
للأمة وشفقته على
السكافة يريد للريد لله
لأنفسه غير مبتلى
بهموى نفسه محبا
للاستتباع ومن كان
محبا للاستتباع فما
يخدمه مثل هذا أكثر
مما يصلحه .

الباب الثامن

والشربون في كيفية
الدخول في الأربينية
روى أن داود عليه
السلام لما ابتلى بالخطيئة
خرقه ساجدا أربعين
يوما و ليلة حتى أتاه

(١) حديث عائشة لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدثت أي النساء من بعده لمنعه من الساجد
مشق عليه (٢) هذا الحديث لم يخرج في المرقا وقد أخرجه الشارح عن البخاري ومسلم وغيرها .

فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الأحاد بل هو إلى الولاة وذلك عند إقراره أو شهادته شاهدين
فأما لجرد الرائحة فلا ، نعم إذا كان يعنى بين الناس متايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد
وغير المسجد منعا له عن إظهار أثر السكر فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد
الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستترا مخفيا لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه والرائحة
قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الحروب ووصوله إلى النعم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعول عليه .

(منكرات الأسواق)

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في الرابحة وإخفاء العيب فمن قال اشترت هذه السلعة مثلا
بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكنت
مراعاة لقلب البائع كان شريكا له في الحيانة وعصى بسكوته وكذا إذا علم به عيا فيلزمه أن يئنه
المشتري عليه وإلا كان راضيا بضائع مال أخيه السلم وهو حرام وكذا التفاوت في الدراع والمكيال
واللوزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالى حتى يغيره . ومنها ترك الإعجاب والقبول
والاكتفاء بالمعطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه وكذا في الشروط
الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للمعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبية
وكذا سائر التصرفات الفاسدة . ومنها بيع للالهى وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد
لأجل الصبيان فتلك يجب كسرها والنزع من بيعها كاللهي وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب
والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير وقلائس الذهب والحرير أعنى التي لا تصلح إلا للرجال أو يعلم بعادة
اللد أنه لا يلبسه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المتبدلة للمصورة
التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم أنها جديدة فهذا الفعل حرام والنزع منه واجب
وكذلك تلبس الخراف الثياب بالرغو وما يؤدي إلى الالتباس وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية
إلى التلبس وذلك بطول إحصاؤه . فليفس بما ذكرناه ما لم نذكره .

(منكرات الشوارع)

فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات وبناء الدكاك المتصلة بالأبنية الملوكة وغرس الأشجار
وإخراج الرواشن والأجنحة ووضع الحطب وأعمال الحبوب والأطعمة على الطرق فكل ذلك منكر إن
كان يؤدي إلى تضيق الطرق واستقرار للارة وإن لم يؤد إلى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه
نعم يجوز وضع الحطب وأعمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت فإن ذلك يشترك
في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن النزع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق
وينجس المجازين منكر يجب النزع منه إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة
النفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة والرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة
دون سائر الحاجات . ومنها سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يعزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن
شدها وضمها بحيث لا تعزق أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع وإلا فلا . نزع إذا حجة أهل البلد منس إلى
ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تنطقه
منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت وبلوث
الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحا فإن في ذلك تضيقا بالطريق
وإضرار بالناس بسبب ترشيش النجاسة وبسبب استقدار الطباع للفاذورات وكذلك طرح القمامة

الفيران من ربه وقد
تقرر أن الوحيدة
والعزلة ملاك الأمر
ومتتمك أرباب
الصدق فمن استمرت
أوقاته على ذلك فجميع
عمره خلوة وهو الأسلم
لدينه فإن لم يتيسره
ذلك وكان مبتلى
بنفسه أولانم بالأهل
والأولاد ثانيا فليجعل
لنفسه من ذلك نصيبا .
قل عن مفيان
التورى فيأروى أحمد
ابن حرب عن خالد بن
زيد عنه أنه قال كان
يقال ما أخلص عبده
أربعين صباحا إلا أنبت
الله سبحانه الحكمة
في قلبه وزهده الله
في الدنيا ورغبه
في الآخرة وبصره داء
الدنيا ودواءها فيتعاهد
العبد نفسه في كل سنة

على جواد الطرق وتبديده شور البطيخ ، ورش الماء بحيث يخشى منه التزاق والتشر كل ذلك من المنكرات وكذلك إرسال الماء من اليازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فان ذلك ينحس الثياب أو يضيئ الطريق فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذا المدول عنه يمكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والتلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر ولكن ليس يختص به شخص معين إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حصة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للأحاديث إلا الوعظ فقط وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيئ الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيئ الطريق فكلمه أولى بالمنع .

(منكرات الحمامات)

منها الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر فان كان الموضع مرتفعاً لاتصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة وبكفيه أن يشوه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان . ومنها كشف العورات والنظر إليها ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنجية الوسخ بل من جملتها ادخال اليد تحت الإزار فان مس عورة الغير حرام كالنظر إليها . ومنها الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتفيمز الأفضاخ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل ولكن لا يكون محظوراً إذ لم يخش من حركة الشهوة وكذلك كشف العورة للحجج القدي من الفواحش فان المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنيتها للزنية في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورات للرجال . ومنها غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة وغسل الإزار والطاقس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه منجس للماء إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف وهو أن يقول له إننا نحتاج أن نغسل أيدى أولادنا ثمسها في الماء وأما أنت فمستن من إيدائي وتفويت الطهارة على وما يجري مجرى هذا فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر . ومنها أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة مساء مزقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعها وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فانه يفضي إلى السقطة وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انحلاعه وكذلك ترك السدر والصابون الزلق على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي إذحقه تنظيف الحمام والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذعاده تنظيف الحمام كل يوم معتادة والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور آخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فليتنظر هناك .

(منكرات الضيافة)

فمنها فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في محبرة فضة أو ذهب أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة . ومنها إسدال الستور وعليها الصور . ومنها سماع الأوتار أو سماع القينات . ومنها اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال

مرة وأما اللريد الطالب إذا أراد أن يدخل الحافلة فأكل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج كل ما يملكه ويقتل غسلاً كاملاً بعد الاحتياط للثوب وللصلى بالنظافة والطهارة وصلّى الركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه يكاء وتضرع واستكانة وتختج ويسوي بين السرية العلانية ولا ينطوى على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة فترك المحافظة على صلاة الجماعة غلط وخطأ فان وجد تفرقة في خروجه يكون له شخص صلى معه جماعة

شباب يخاف الفتنة منهم فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن يحجز عن تغييره لزمه الخروج ومن لم يحجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات وأما الصور التي على الخمار والزرابي الفروجة فليس منكرها وكذلك على الأطباق والتصاع لا الأواني المتخذة على شكل الصور فقد تكون رؤوس بعض الجوامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما أو كان للوضع منصوبا أو كانت الثياب الفروجة حراما فهو من أشد المنكرات فإن كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك وأنه هل يجب فضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزع عنه إن كان مجزا لعموم قوله عليه السلام «هذان حرام على ذكور أمي»^(١) وكما يجب منع الصبي من شراب الخمر لا لكونه مكلفا ولكن لأنه يأنس به فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذرا للفساد يئثر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يصير قلعها بعد البلوغ أما الصبي الذي لا يميز فيضغف معنى التحريم في حقه ولا يغلو عن احتمال العلم عند الله فيه والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز فمحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف ولا أرى رخصة في تنقيب أذن الصبية لأجل تطبيق حلق الذهب فيها فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا الحاجة مهمة كالقصد والحجامة والختان والتزين بالخلق غير مهم بل في التفريط بتعليقه على الأذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه فهذا وإن كان معتادا فهو حرام وللعن منه واجب والاستحجار عليه غير صحيح والأجرة للأخوة عليه حرام إلا أن ثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يلفنا إلى الآن فيه رخصة . ومنها أن يكون في الضيافة مبتدع يشك في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فإن كان لا يقدر عليه لم يحجز فإن كان للبتدع لا يتكلم يبدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع التواذر فإن كان يضحك بالهضح والكذب لم يحجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه وإن كان ذلك بمنزلة لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعني ما قبل منه فأما تخافه صنعة عادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصده التلبس فليس من جملة المنكرات كقول الإنسان مثلا طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت عليك الكلام ألف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصده التحقيق فذلك لا يهدح في العدالة ولا ترد الشهادة به وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربيع المهلكات . ومنها الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر بل في المال منكران : أحدهما الإضاعة والآخر الإسراف فالإضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي مناه صرف المال إلى الناحية والمطرب وفي أنواع الفساد لأنها فوائدهم شرعا فصارت كالمدومة وأما الإسراف فقد يطلق لارادة صرف المال إلى الناحية والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة إلى الأحوال فنقول لمن لم يملك إلا مائة دينار مثلاً ومعه عياله وأولاده

(١) حديث هذان حرامان على ذكور أمي أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل .

في خلوة ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا ألبتة فترك الجماعة يخفى عليه آفات وقد رأينا من يتشوش عقله في خلوته ولعل ذلك بشؤم إصراره على ترك صلاة الجماعة غير أنه ينبغي أن يخرج من خلوته لصلاة الجماعة وهو ذكرا لا يفر عن الذكر ولا يكثر إرسال الطرف إلى ما يرى ولا يضي إلى ما يسمع لأن القوة الحافظة والتخية كلوح ينتفش بكل حرق ومسموع فيكذبك الوسواس وحديث النفس والخيال ويجهل أن يحضر الجماعة بحيث يدرك مع الإمام تكبيرة الاحرام فأذا سلم الإمام وانصرف ينصرف إلى خلوته ويتق في خروجه

ولا مميصة لهم سواء فأنفق الجميع في ولاية فهو مسرف يجب منعه منه ذل تعالى - ولا تبسطها كل البسط فتعبد ملوما محسورا - نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا له ياله فطوب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى - ولا تبذر تبذيرا إن للبذرين كانوا إخوان الشياطين - وكذلك ذل عز وجل - والدين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا - فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضى أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر ومن له عيال أو كان عاجزا عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضا إسراف محرم وفصل ذلك بمن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة ولم نزل المساجد تزيين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجميل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافا باعتبار حال الرجل وزوته وأمثال هذه النكرات كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذه للنكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تغلو بقعة عن منكر مكروه أو محذور . واستقصاء جميع النكرات يستدعى استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلتنقصر على هذا القدر منها.

(النكرات العامة)

اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الأعراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد قهيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل قهيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل المواد ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مفسوب فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلا غم الحرج السكينة أجمعين أما العالم فلتقصيره في الخروج وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلا فهو شريك في الإثم ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالما بالشرع وإنما يجب التبليغ على أهل العلم فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق ، لأن المترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعاش فهم قد تقلدوا أمرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذا بكل من يتقن أن في السوق منكرات يجرى على الدوام أوفى وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالعود في البيت بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لأن حروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضرمه مشاهدة ما لا يقدر عليه وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير عرض صحيح لحق على كل مسلم أن يبدئ بنفسه في إصلاحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك أهل بيته ثم يمدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه ثم إلى أهل محلته ثم إلى أهل بلده ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد وإلا حرج به على كل قادر عليه قريبا

استجلاء نظر الخلق إليه وعلمهم بحلوسه في خلوته فقد قيل لا تطمع في المنزلة عند الله وأنت تريد للمنزلة عند الناس وهذا أصل يستد به كثير من الأعمال إذا أهمل وينصلح به كثير من الأحوال إذا اعتبر ويكون في خلوته جاهلا وقته شيئا واحدا موهوبا لله بادامة فعل الرضا إمانا لاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأي وقت فتر عن هذه الأقسام ينال فإن أراد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أخف ما على قلبه من هذه الأقسام فإذا فرغ من ذلك ينال وإن

كان أو بعيدا ولا يسقط الحرج مادام يبقى على وجه الأرض جاعل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه وهذا فعل شاغل لمن يسه أمر دينه يشغله عن تجرئة الأوقات في التفريجات النادرة والتسقي في دقائق الصلوات التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه .

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله التعريض وتأتيه الوعظ وتلكه التخصيص في القول ورأيه للنسج بالتهر في الحلق على الحق بالضرب والقوية والجائز من جهة ذلك مع السلاطين الرتباني الأوليان وما التعريف والوعظ وأما للنسج بالتهر فليس ذلك لأحد الرعية مع السلطان فإن ذلك يجره الفتنه ويهيج الشر ويكون ما يتوكل منه من المخدور أكثر ، وأما التخصيص في القول كقولنا : يا ظالم لم يكن لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك إن كان مجرلا فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز . ولأن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه فلهذا كان من عادة السلف التعريض للأخطار والتصریح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك اللهجة والتعرض لأنواع العذاب لهم بأن ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمامه فأمره مناهي فأتاه الله تعالى فقتله على ذلك ^(١) » وقال ^(٢) « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ^(٣) » ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق ^(٤) » ولما علم الصليبيون في اليمن أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كالوردية الأخبار قسموا على ذلك موعظين أنفسهم على الله لا دواعيهم على أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومعتسبين لما يذلونه من مهجهم عند الله وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما قل علماء السلف . وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام وتقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم . فلهذا ما روى من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكار قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روى عن عروة رضي الله عنه قال « قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عدوانه فقال حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل منه أحلامنا وشم آباءنا وعبادتنا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فينباهم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول

(الباب الرابع في أمر الأمراء والولاة بالمعروف ونهيهم عن المنكر)

(١) حديث خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى رجل فأمره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الإسناد وتقدم في الباب قبله (٢) حديث أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر تقدم (٣) حديث وصفه صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب بأنه قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم تركه الحق ماله من صديق الترمذي بسند ضعيف مقتصر على آخر الحديث من حديث على رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا تركه الحق وماله من صديق وأما أول الحديث فرواه الطبراني إن عمر قال لكعب الأبحار كيف نجد نبي ، قال أجد نبيك قرنا من حديد قال وما قرن من حديد قال أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم .

أراد أن يبقى في سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين سابعة أو ساعتين فلهذا يلزم في خلقه إدامة الوضوء ولا ينم إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هكذا غلبة ليله ونهاره وإذا كان ذا كرا لكلمة لا إله إلا الله وشمت النفس الله كرا بالسان يقولها بقلبه من غير حركة اللسان ، وقد قال سهل ابن عبد الله : إذا قلت لا إله إلا الله مند الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبتته وأبطل ما سواه ولعلم أن الأمر كالسلسلة يتداعى حلقة حلقة فيمكن ما تم التلزم بفعل الرضا . وأما قوت من في الأربعينية

قال فرغت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها
فرغت ذلك في وجهه عليه السلام ثم مضى لمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال أنسمعون
يا معشر قريش : أما والذي نفس محمد بيده لقد جئكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما
على رأسه طائر واقع حتى إن أشدتم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول
انصرف يا أبا القاسم راهدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من
الغد اجتمعوا في الحبر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكركم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا
بدأكم بما تكرهون تركتموه فيناهم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا إليه
وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا أنت الذي تقول كذا لما كان قد بلغهم
من عيب آلهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذي أقول ذلك قال فلقد
رأيت رجلا منهم أخذ بجماع رذاته قال وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يسكن
ويلكم أفتقتلون رجلا أن يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت
منه ^(١) وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال « بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فغفقه
خفا فهدبها جاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : أفتقتلون رجلا أن
يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ^(٢) » وروى أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه
أبو مسلم الحولاني فقال له يا معاوية إنه ليس من كدك ولا من كد أيك ولا من كد أمك قال فنضب
معاوية وزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ، وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال إن
أبا مسلم كلني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الغضب من الشيطان والشيطان
خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل ^(٣) » وإني دخلت فاغتسلت وصدق
أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا من كد أبي فلهوا إلى عطاءكم . وروى عن ضبة بن محسن المزني قال
كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وأنشأ يدعو لعمري رضي الله عنه قال فضاظني ذلك منه فقامت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله
عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول إن ضبة بن محسن المزني يتعرض لي في خطبي
فكتب إليه عمر أن أشخصه إلى قال فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إلى فقال
من أنت فقلت أنا ضبة فقال لي لا مرحبا ولا أهلا قلت أما الرحب فمن الله وأما الأهل فلا أهلا لي ولا
مال فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيت به فقال ما الذي شجر
بينك وبين عاملي قال قلت الآن أخبرك به إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم أنشأ يدعو لك فضاظني ذلك منه فقامت إليه فقلت له أين أنت من صاحبه فضله
عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب إليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول أنت
والله أوفق منه وأرشد فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين قال

(١) حديث عروة قلت لعبد الله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشا نالت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته الحديث بطوله البخاري مختصرا وابن حبان بنامه (٢) حديث
عبد الله بن عمرو بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه البخاري (٣) حديث معاوية الغضب من
الشيطان الحديث وفي أوله قصة أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه .

والخولة فالأولى أن
يقتنع بالحسب والمخ
ويقتاول كل ليقترب
واحد بالبغداد
يقتاوله بسد المشاء
الآخرة وإن قسمه
نصفين يأكل أول
الليل نصف رطل وآخر
الليل نصف رطل فيكون
ذلك أخف للمعدة
وأعون على قيام الليل
وإحيائه بالذكر
والصلاة وإن أراد
تأخير فطوره إلى
السحر فليعمل وإن
لم يصبر على ترك الآدم
يقتاول الآدم وإن
كان الآدم شيئا يقوم
مقام الحبز ينقص من
الحبز بقدر ذلك وإن
أراد التقليل من هذا
القدر أيضا ينقص كل
ليلة دون القصة بحيث
يتهي قلله في العشر
الأخير من الأربعين

ثم اندفع بأبى بكر وهو يقول والله ليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليته ويومه قلت نعم قال أما ليلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فقبضه أبو بكر فجعل يمشى مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا أبا بكر ما أعرف هذا من أمثالك فقال يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آتئني عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليته على أطراف أصابعه حتى خفيت فلما رأى أبو بكر أنها قد خفيت حملها على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى قم النار فأنزله ، ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فان كان فيه شيء نزلني قبلك قال فدخل فلم يرفه عينا فعمله فأدخله وكان في النار خرق فيه حيلت وأفاع فألقاه أبو بكر قدمه عذابة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تتحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول يا أبا بكر لا تعجزن إن الله مضى فأزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبى بكر فهذه ليلته ، وأما يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلى ولا نركب فأنبته لا آله نصحاً فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارتد بهم فقال لي أجبنا في الجاهلية حوار في الإسلام فبأذا أنما لهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يبطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال قاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه ثم كتب إلى أبى موسى يولمه (١) . وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبى رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حبه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتماعده بالمعارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثور فانهم حسن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المشول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له أجل أقبل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إننا سألنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . وقد روى أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا مر بك رجل فأدخله على ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبى رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين فانه أمر بذلك فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له وبلك أمرتك أن تدخلني إلى رجلا يحدثني ويسامرنى فأدخلني رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره لي الله فقال له حاجبه ما مر بي

(١) حديث ضبة بن محسن كان علينا أبو موسى الأشعري أميرا بالبصرة وفيه عن عمر أنه قال والله ليلة من أبى بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بيومه وليته فذكر ليلة الهجرة ويوم الردة بطوله رواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد ضعيف هكذا وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق واتفق عليها الشيخان من حديث أبى بكر بل غلط آخر ولهما من حديثه قال قلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبى هريرة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكثر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تتقاتل الناس الحديث .

إلى نصف رطل وإن قوى قسح النفس بنصف رطل من أول الأربعين وتقص يسيرا كل ليلة بالتدريج حتى يعود فطوره إلى ربيع رطل في العشر الأخير . وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء : قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس وقد جعل للجوع وقتان : أحدهما آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد المشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا والوقت الآخر على رأس اثنتين وسبعين ساعة فيكون الطل

أحد غيره ثم قال لطاء اجلس لم أقبل عليه يحدثه فيكان فيما حدث به عطاء أن قال له بلخنا أن في جهنم
وأديا يقال له هيب أعداء الله لكل إمام جائر في حكمه ضيق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة
باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوفه المجلس فمشيا عليه فقال عمر لطاء قتل أمير المؤمنين قبض
عطاء على قراع عمر بن عبد العزيز فغزوه غزوة شديدة وقال له يا عمر إن الأمر جد جد ثم قام عطاء
وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال مكثت سنة أجد أم غزوته في ذراعي . وكان
ابن أبي عميلة يوصف بالقل والأدب فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تسلم قال بـ
أسلمكم وقد علمت أن كل كلام تسلمكم عليه وبال . إلا ما كان لله فبكي عبد الملك ثم قال يرحمك
الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون قال الرجل يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا يجعون
من غصص مرارتها ومعاناة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه فبكي عبد الملك ثم قال لا جرم
لأجل هذه الكلمات مثالا نصيب غنى ما عشت ، وروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا فقهاء البصرة
وقهلاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل قال الحجاج مرحبا بـ
سيدى إلى . ثم دعا بكرسى فوضع إلى جنب سريره فعمد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر
على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال منه وثلاثه مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت
عاض على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالى أراك ساكتا قال ما عسيت أن أقول قال أخبرني برأيك في أبي تراب
قال سمعت الله جل ذكره يقول - وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الدين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف
رحيم - فعلى بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب
الناس إليه وصاحب سوايق مباركة سبقت له من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يعظروها
عليه ولا يحول بينه وبينها وأقول إن كانت لى هاة فله حسيبه والله ما أجد فيه تولا أعدل من
هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطجعا فدخل بيتا خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي فأخذت
يد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال إليك عنى يا عامر يقول الناس عامر
الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه وبمحك يا عامر
هلا اتقيت إن مثلت فصدت أو سكت فسلمت قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها قال الحسن
فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة قال وبعت الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت
الذى تقول فاطلم الله فقلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما أخذ الله
على العلماء من لأوائق - ليبيئته للناس ولا يكتمونه - قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن
يلقى عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك . وحكى أن حطيطا الزيات جرى به إلى الحجاج
فلما دخل عليه قال أنت حطيط قال نعم قال سل عما بدا لك فأتى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن
مثلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوفيت لأشكرن قال فإنا نقول في قال أقول إنك من أعداء
الله في الأرض فتشرك المحارم وتقتل بالظنة قال فإنا نقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قال أقول إنه
أعظم جرما منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فاستهى به
المذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوا على لجه وشده بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه حتى استحلوا
لجه فإسمعوه يقول شيئا قال فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال أخرجوه فارسوا به في السوق قال جعفر
فأنتيت أنا وصاحب له فقلنا له حطيط ألك حاجة قال شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثمان
عشرة سنة رحمة الله عليه . وروى أن عمر بن هبيرة دعا فقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل

ليتين والانطار في
الليلة الثالثة ويكون
لكل يوم ليلة ثلث
رطل وبين هذين
الوقتين وقت وهو أن
يفطر من كل ليتين
ليلة ويكون لكل يوم
ليلة نصف رطل
وهذا ينبغي أن يفعله إذا
لم ينج ذلك عليه سامة
وضجرا وقله انشراح
في الذكر والعامة فإذا
وجد شيئا من ذلك
فليفطر كل ليلة
وبأكل الرطل في
الوقتين أو الوقت
الواحد فالتقى إذا
أخذت بالإفطار من
كل ليتين ليلة ثم ردت
إلى الإفطار كل ليلة
تفنع وإن صوحت
بالإفطار كل ليلة لتفنع
بالرطل وتطلب الأدام
والشهوات وقس على
هذا فهي إن أطعمت

المدينة وأهل الشام قرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عابر السبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علما ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال هما هذان هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمي حقهم فأنا أحب حفظهم واتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلقى عن المصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطاياهم فأضربه في بيت المال ومن نفي أن أرداه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا أرداه فلا أستطيع رد أمره ولا إقضاء كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي أشيائه من الأمور والثبة فيها على ما ذكرت قال الشعبي : قلت أصلى الله الأمير إنما السلطان والله يخطي ويصيب قال فسر بقولي وأهبط به ورأيت البشر في وجهه وقال فقه الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمي حقهم والنصيحة لهم واتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تهو لهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن حمزة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » (١) ويقول إني ربما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن رجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا أرداه فلا أستطيع رد أمره ولا إقضاء كتابه وحق الله أثم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا لكتاب الله غلبه وإن وجدته مخالفا لكتاب الله فابذله يا ابن هيرة اتق الله فانه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هيرة إن الله ليعلمك من يزيد وإن يزيد لا يعمرك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر وإنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأسماء الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، قال ابن هيرة إربح على ظلمك أيها الشيخ وأعرض عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل وإنما الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الأمة لعله به وما يصلح من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب واثقه بالمرصاد يا ابن هيرة إنك أن تلقى من ينصح لك في دينك ويعملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلا يفرق ويعينك ققام ابن هيرة وقد سر وجهه وتغير لونه وقال الشعبي قلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتا معروفه وصلته فقال إليك غنى يا عامر قال غفرت إلى الحسن التحف والطرף وكانت له للزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لما أدى إليه وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا لما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف وما شهدنا مشهدا إلا يرض علينا وقال لله عز وجل وقتنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحياه . ودخل محمد ابن واسع على بلال بن أبي بردة فقال له ما تقول في القدر ؟ فقال جيرانك أهل القبور تفكرك فيهم

(١) حديث الحسن عن عبد الرحمن بن حمزة من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة رواه البغوي في معجم الصحابة باسناد لين وقد اتفق عليه الشيخان بنحوه من رواية الحسن عن معقل بن بسار .

طغت وإن أقتت
قتت . وقد كان بعضهم
ينقص كل ليلة حتى برد
النفس إلى أقل قوتها
ومن الصالحين من
كان يبر القوت بنوي
التمر وينقص كل ليلة
نواة ومنهم من كان
يسير بعود رطب
وينقص كل ليلة جذر
نشاف العود . ومنهم
من كان ينقص كل
ليلة ربع سبع الرغيف
حتى يغني الرغيف في
شهر ومنهم من كان
يؤخر الأكل ولا يعمل
في تغليل القوت ولكن
يعمل في تأخيرها
بالتدريج حتى تندرج
ليلة في ليلة وقد فعل
ذلك طائفة حتى انتهى
طبعهم إلى سبعة أيام
وعشرة أيام وخمسة
عشر يوما إلى الأربعين
وقد قيل لسهل بن

فان فيهم شغلا عن القدر . وعن الشافعي رضى الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال إني الحاضر
 مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر للنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال
 فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن بن أمير المؤمنين
 صل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد أنهم أهل تحطم
 في أعراض الناس كثير والأذى لهم ، فقال أبو جعفر : قد سمعتم فقال الغفاريون يا أمير المؤمنين صل عن
 الحسن بن زيد فقال يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد فقال أشهد عليه أنه يحكمه بغير
 الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فبك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح ، قال يا أمير
 المؤمنين أسأله عن نفسك قال ما تقول في قال تغني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني ذل
 تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه
 فجعلته في غير أهله وأشهد أن الظلم يابك فاقب قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا
 ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له أما والله لو لآتي جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك
 بهذا السكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقبوا
 بالسوية وأخذوا بأقواء فارس والروم وأصغروا آذانهم قال غلب أبو جعفر فقاه وخلى سبيله وقال والله لو لا
 أني أعلم أنك صادق لقتلتك ، فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك للمهدي
 قال فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس النصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث
 قد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال ينفر الله لك يا أبا عبد الله
 كلنا مهدي كلنا كان في المهدي . وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث إلى أبو جعفر المنصور
 أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأبنته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال
 لي ما الذي أبطأك عنا يا أوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد الأخذ عنكم
 والانتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك قال وكيف أجعله وأنا
 أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمت لك له قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي
 الريح وأهوى بيده إلى السيف فأنزله المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة (١) فطابت
 نفسي وانبسطت في الكلام ، فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « إنما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأنها نعمة من الله سيقت إليه فان
 قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إنما ويزداد الله بها سخطا عليه (٢) » يا أمير
 المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « إنما وال مات غاشا لرعيته
 حرم الله عليه الجنة (٣) » يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين
 قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم

(١) حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له وذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة والقصة بمحلتها رواها
 ابن أبي الدنيا في كتاب مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة يوسف بن كامل الحنفي ومشيخة ابن
 طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح قال ابن عدي يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق
 وقد رأيت سرد الأحاديث المذكورة في الموعظة لتذكر هل لبعضها طريق غير هذا الطريق وليرف
 صحابي كل حديث أو كونه مرسلًا فاولها (٢) حديث عطية بن بشر إنما عبد جاءته موعظة من الله
 في دينه فأنها نعمة من الله الحديث ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء (٣) حديث عطية بن ياسر إنما وال
 مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة ابن أبي الدنيا فيه وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد

عبد الله هذا الذي
 يأكل في كل أربعين
 وأكثر أسكلة أين
 يذهب لهب الجوع عنه
 قال بطمته النور . وقد
 سألت بعض الصالحين
 عن ذلك فذكر لي
 كلاما بمبارة دلت على
 أنه يجد فرحاً به ينطق
 معه لهب الجوع وهذا
 في الخلق واقع أن
 الشخص يطرقه فرح
 وقد كان جائعا فيذهب
 عنه الجوع وهكذا في
 طرق الخوف يقع ذلك
 ومن فعل ذلك ودرج
 نفسه في شيء من هذه
 الأقسام التي ذكرناها
 لا يؤثر ذلك في نقصان
 عقله واضطراب جسمه
 إذا كان في حماية
 الصدق والاخلاص
 وإنما غشى في ذلك
 وفي دوام الله كرم على
 من لا يخلص لله تعالى .

رءوفا رحبا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس تحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وأن تكون بالقسط له فيهم قائما ولموارهم سائرا لاتنلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب فتتهج بالنعمة عندهم وتبتس بما أصابهم من سوء يأمر المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك إذا أنبت منهم قمام وراء قمام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سأتها إليه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناققين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ماهذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا» (١) فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم وأجلامهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يأمر المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله لم ييمتك جبارا ولا متكبيرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الأعراي فقال اقتص مني فقال الأعراي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسي فدعاه غير (٢)» يأمر المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها» (٣) يأمر المؤمنين إن الملك لوقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كالم يبق للعيرك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ما لهذا الكتاب لا ينادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - قال الصغيرة التيسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن يأمر المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لومات سخله على شاطئ القرات ضيعة لحشيت أن أسأل عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يأمر المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك - يادادو إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله - قال الله تعالى في الزبور : يادادو إذا فقد الحصان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأعوك عن نبوت في ثم لا تكون خليفة ولا كرامة يادادو إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كراءه الأبل لهمم بالراعية ورقهم بالسياسة ليحجروا الكسير ويدلوا المهزبل على الكلاء واللأء . يأمر المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات

(١) حديث عروة بن رويم كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المناققين الحديث ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين (٢) حديث حبيب بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده الحديث ابن أبي الدنيا فيه ، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أقص من نفسه وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه طعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرة أسيد بن حضير ، فقال أوجعتي قال اقتص الحديث قال صحيح الاسناد (٣) حديث لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها ابن أبي الدنيا من رواية الأوزاعي مضملا لم يذكر اسناده ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقاب .

وقد قيل حدّ الجوع أن لا يميز بين الحبز وغيره مما يؤكل ومتى عيت النفس الحبز فليس بجائع وهذا المعنى قد يوجد في آخر الحديث بعد ثلاثة أيام وهذا جوع الصديقين وطلب القضاء عند ذلك يكون ضرورة لقوام الجسد والقيام بفرائض العبودية ويكون هذا حدّ الضرورة لمن لا يجتهد في التقليل بالتدريج فأما من درج نفسه في ذلك فقد صبر على أكثر من ذلك إلى الأربعين كذا كرنا وقد قال بعضهم حدّ الجوع أن يبرق فإذا لم يقع الباب على براقه يدلّ هذا على خلو المعدة من الدسومة وصفاء البزاق كالماء الذي لا يقصده الباب . روى أن سفيان

والأرض والجبال لا يبين أن يحمله وأعف عن منه يأمر المؤمنين حديثي يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن حمزة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقبلا فقال له : ما معك من الخروج إلى مملك ؟ أنا علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك ؟ قال إنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفكها إلا الله فوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر امتفاعة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يباد فيحاسب فإن كان حسنا نجا بإحسانه وإن كان سيئا انخرق به ذلك الجسر فيجوز به في النار سبعين خريفا » (١) وقال له عمر رضي الله عنه من سمعت هذا ؟ قال من أبي فخر وسلمان فأرسل إليهما فحرفاها قالان نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر ويا عمره من يتولاها بما فيها قال أبو فخر رضي الله عنه من سلمت الله أمه وألقى خدمه بالأرض ، قال فأخذ للتدليل فوضه على وجهه ثم بكى وابتحب حتى أبكى ثم قلت يا أمير المؤمنين قد سأله جندك العباس النبي صلى الله عليه وسلم إمارة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام : يا عباس يا عمر النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها (٢) نصيحة منه لعهده وخفة عليه وأخبره أنه لا يلقى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه وأندر عشرتك الأقرين - قال : يا عباس يا صفية عبي النبي وباطمة بنت محمد إني لست أغنى عنكم من الله شيئا إن لي عملي ولكم عملكم (٣) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا بخفيف العقل أريب القلب لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم . وقال الأمراء أربعة : فأمر قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله بأسطة عليه بالرحمة ، وأمر فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضفه فهو على شفاهلاك إلا أن يرحمه الله ، وأمر ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة فهو المسالك وحده » (٤) وأمر أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتيتك حين أمر الله بتأخير النار فوضعت على النار تسمر ليوم القيامة قال له جبرائيل صف لي النار فقال إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احترت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لها والله يبتك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لمساتوا جميعا ولو أن ثوبا من ثيابها صب في مياه الأرض جميعا لقتل من ذاقه

(١) حديث عبد الرحمن بن عمر أن عمر استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة الحديث وفيه مرفوعا ما من وال يلى شيئا من أمور الناس إلا آتى الله يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه الحديث ابن أبي الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبي الحكم عن أبي وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فدكر أخصر منه وأن بشرا سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه سلمان (٢) حديث يا عباس يا عمر النبي نفس تنجيا خيرا من إمارة لا تحسبها ابن أبي الدنيا هكذا مضى بغير إسناد ورواه البيهقي من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكر مرسلًا وقال هذا هو المخطوط مرسلًا (٣) حديث يا عباس يا صفية وباطمة لا أغنى عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم ابن أبي الدنيا هكذا مضى بغير إسناد ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلا دون قوله لي عملي ولكم عملكم (٤) حديث شر الرعاة الحطمة رواه مسلم من حديث عائذ ابن عمر الزني متصلا وهو عند ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي مضى كما ذكره الصنف.

التوري وإبراهيم بن آدم رضي الله عنهما كانا بطوليان ثلاثا وثلاثين وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوى هنا . وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يطوى سبعة أيام . واشتهر حال جدهنا محمد ابن عبد الله المعروف بسمويه رحمه الله وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان يطوى أربعين يوما وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي رجل أدركنا زمانه وما رأيت كان في أهر يقال له الزاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم نسمع أنه بلغ في هذه الأمة أحد بالطي والتدريج إلى هذا الحد وكان في أول أمره على ما حكى بنقص القوت

ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا أدخل النار ثم أخرج منها لمت أهل الأرض من فتن ريعه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام لبيكاته فقال أنبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ولم يكبت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وجهه ؟ قال أخاف أن أتلى بما أتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعتني من التكالى على منزلي عند ربى فأكون قد أننت مكره فلم يزالا يكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن نصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة (١) وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اللهم إن كنت تعلم أنى أبالي إذا قدم الحصان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تعلمنى طرفة عين يا أمير المؤمنين إن أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى وإنه من طلب العز بطاعة الله رفه الله وأعزه ومن طلبه بمصيبة الله أذله الله ووضعه ، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك . ثم نهضت فقال لي إلى أين ؟ قلت إلى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين إن شاء فقال قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الوفاق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخفى من مطالعتك إياي بمثل هذا فانك للقبول القول غير التهم في النصيحة . قلت أفعل إن شاء الله . قال محمد بن مصعب : فأمره بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بمرض من الدنيا وعرفنا المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك . وعن ابن المهاجر قال قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فصلى بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيه حتى ملا مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأثابه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البنى والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأموال من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له أنت آمن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح مظاهر من البنى والفساد في الأرض أنت فقال وريحك وكيف يدخلني الطمع والصغراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم الدلاح ثم سجدت نفسك فيها منهم وبشت عمالك في جمع الأموال وجبايتها وأخذت وزراء وأعوانا طلبة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يذكروك وقوتهم على ظلم الناس بالأموال والسكرام والصلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ثم سميتهم ولم تأمر بإصلاح الظلم ولا للهوف ولا الجائع ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلاولة في هذا المال حتى

(١) حديث بلغني أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنتيتك حين أمر الله بمنافخ النار وضعت على النار تسمر ليوم القيامة الحديث بطوله ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلا بغير إسناد .

بنشاف المود ثم طوى
حتى انتهى إلى اللوزة في
الأربعين ثم إنه قد
يسلك هذا الطريق
جمع من الصادقين وقد
يسلك غير الصادق هذا
لوجود هوى مستكن
في باطنه يهون عليه
ترك الأكل إذا كان
له استعلاء لنظر الحاقق
وهذا عين النفاق نموذ
بالله من ذلك والصادق
ربما يقدر على الطي
إذا لم يعلم بحاله أحد
وربما تضعف عزيمته
في ذلك إذا علم بأنه
يطوى فان صدقه في
الطي ونظيره إلى من
يطوى لأجله يهون
عليه الطي فاذا علم به
أحد تضعف عزيمته في
ذلك وهذا علامة
الصادق فلهما أحسن
في نفسه أنه يجب أن
يرى بعين التقل

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحببوا عنك
 نجبي الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نخونه وقد سخر لنا فاقتمروا على أن لا يصل
 إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه
 حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وغنم أعظمهم الناس وهاجهم وكان أول
 من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة
 من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بفساد وصار هؤلاء
 القوم شركاءك في سلطتك وأنت غافل فإن جاء مظلم جيل بينه وبين الدخول إليك وإن أراد
 رفع صوته أوقضته إليك عند ظهورك وجسدك قد نهبت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في
 مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب الظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمظلم
 به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو
 ويستتبع وهو يدفعه ويمتل عليه فإذا جهدوا خرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا
 مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير فما بقاء الإسلام وأهله على هذا ولقد
 كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينهي إليهم للظلم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ولقد كان الرجل
 يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي بأهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون
 مظلمته إلى سلطانهم فينصف ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك قدمتها
 مرة وقد ذهب مع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لابتك عينك فقال أما إن
 لست أبكي على الصية التي نزلتني ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال أما إن
 كان قد ذهب سمى فإن بصرى لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم فكان
 يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك باق قد غلبت
 رأته بالشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغيبك رأفتك
 بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فأنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة إن قلت أجمعها لولدي
 فقد أراك الله عبدا في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال وما من مال إلا ودونه
 يد شحيحة تحويه فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست ألقى تعطى
 بل الله يعطى من يشاء وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم
 ما جمعه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والسكرع وما ضرز وولد أليك ما كنتم
 فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية
 التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح يا أمير المؤمنين هل تعاقب من
 عصاك من رعيتك بأشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما أنت عليه
 من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو
 الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضرمت جوارحك فإذا تقول إذا انتزع الملك الحق الميقن ملك الدنيا
 من يدك ودعاك إلى الحساب هل ينفي عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شجعت عليه من ملك الدنيا
 فبكي المنصور بكاء شديدا حتى حب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتياي
 فيما حولي فيه ولم أزل من الناس إلا خائفا قال يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين قال ومن هم ؟
 قال العلماء قال وهو رومني قال هو بوانك مخافة أن يحملهم على ما ظهروا من طريقك من قبل عمالك
 ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب واتصرا للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حل وطاب

عليهم نفسه فإن فيه
 شائبة النفاق ومن
 يطوى لله يموت الله
 تعالى فرحا في باطنه
 ينسى الطعام وقد
 لا ينسى الطعام ولكن
 امتلاء قلبه بالأنوار
 يقوى جاذب الروح
 الروحاني فيجذبه إلى
 مركزه ومستقره من
 العالم الروحاني وينفرد
 بذلك عن أرض
 الشهوة الفسادية وأما
 أثر جاذب الروح إذا
 تخلف عنه جاذب
 النفس عند كمال
 طمأنينتها وانكاس
 أنوار الروح عليها
 بواسطة القلب المستنير
 فأجل من جذب
 للمغناطيس للحديد إذ
 للمغناطيس يجذب
 الحديد لروح في الحديد
 مشا كل للمغناطيس
 فيجذبه بنسبة الجنية

واقسمه بالحق والعدل وأناضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيك
 فقال النصور : اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل وجاء للؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج
 فصرى بهم ثم قال للحرس عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاط عليه غيظا شديدا فخرج
 الحرس يطلب الرجل فبينما هو يطوف فإذا هو بالرجل يصل في بعض الشعاب فقصده حتى صلى ثم قال يا ذا
 الرجل أمتق الله قال بلى قال أمتعرفه قال بلى قال فانطلق معي إلى الأمير قد آلى أن يقتلني إن لم آتته
 بك قال ليس لي إلى ذلك من سبيل قال يقتلني قال لا قال كيف قال تحسن تترا قال لا فأخرج من
 مزود كان معه رقا مكتوبا فيه شيء فقال خذ فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج
 قال لا يرزقه إلا الشهداء قلت رحمك الله قد أحسنت إلى فان رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله قال من
 دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره وبعث خطايا واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه
 وأعطى أمه وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت إلا شهيدا تقول اللهم كما لطفت في عظمتك
 دون العطاء وعلوت بسظمتك على العطاء وعلت ما تحت أرضك كملكك بما فوق عرشك وكانت
 وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك واقاد كل شيء لعظمتك وخضع
 كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسية فيه فرجا
 ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي ومجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطعني أن أسألك
 ما لا أستوجبه بما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك المحسن إلى وأنا للشيء إلى نفسي
 فيما بيني وبينك تتوعد إلى نعمتك وأتبعض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك
 فمد بفضلك وإحسانك على إنك أنت التواب الرحيم قال فأخذته فصرته في جيبه ثم لم يكن لي هم غير
 أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر قلت لا والله
 يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمرى مع الشيخ فقال هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال قد
 نجوت وأمر ينسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال أتمرفه قلت لا قال ذلك الخضر عليه السلام .
 وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوا بما صار إليه من أمر الخلافة
 ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر
 الفسك والتشفي وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن النضر الثوري قديما فهجروه سفيان ولم يرزوه فاشتاق
 هرون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يرزوه ولم يبا بموضعه ولا بمأسار إليه فاشتد ذلك على هرون
 فكتب إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى
 أخيه سفيان بن سعيد بن النضر أما بعد يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخى بين المؤمنين وجعل
 ذلك فيه وله واعلم أني قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على
 أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدها الله لأيتيتك ولوجوا لما أجداك في قلبي من المحبة
 واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهناني بما صرت إليه وقد فتحت
 بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وإني استبطأتك فلم
 تأتني وقد كتبت إليك كتابا شوقا مني إليك شديدا وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن
 وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالجمل العجل ، فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا
 كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال على رجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له
 عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني
 ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالتق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول

الخاصة فإذا تجنست
 النفس بعكس نور
 الروح الواصل إليها
 بواسطة القلب بصير
 في النفس روح
 استمدتها القلب من
 الروح وأدناها إلى
 النفس فتجذب الروح
 النفس بهنسية الروح
 الحادثة فيها فيزدرى
 الأطعمة الدنيوية
 والشهوات الحيوانية
 ويتحقق عنده قول
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم « أبيت
 عند ربي يطعني
 ويسقيني » ولا يقدر
 على ما وصفناه إلا بعد
 تصير أعماله وأقواله
 وسائر أحواله ضرورة
 فيتناول من الطعام
 أيضا ضرورة ولو
 تكلم مثلا بكلمة
 من غير ضرورة
 التهب فيه نار الجوع

فأحسن عليه دة في أمره وجلبه لتخبرني به فأخذ عبد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبية فأرشد إليها فسأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال عباد فأقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائما وقال أعود بالله المسيح العظيم من الشيطان الرجيم وأعود بك اللهم من طارق بطرق الإيجرة قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيته قلت يا رب السجدة لهما يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوم قد ورد عليهم الساطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت لما رفع أحد إلى رأسه وردوا السلام على بروس الأصابع فبقيت وأنا فلما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علاني من هيتهم الرعدة ونددت عني إليهم فقلت إن الصلي هو سفيان فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولفها بباءته وأخذ قلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال يأخذ بعضكم بقرؤه فاني أستغفر الله أن أسي شيئا منه ظالم يده قال عباد فأخذه بعضهم فله كأنه خائف من فم حية ثم شفه ثم قرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم للتعجب فلما فرغ من قراءته قال اتقبلوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وإن كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبق شيء منه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما كتب فقال اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم من العبد للذنب سفيان بن سعيد بن النضر الثوري إلى العبد للثور بالآمال هرون الرشيد الذي سب حلاوة الإيمان . أما بعد فاني قد كتبت إليك أعرفك آني قد صرمت جملك وقطعت ودك وقلت موضعك فإني قد جعلت هذا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأثقت في غير حق وأهدت في غير حكم ثم لم أرض بما فعلت وأنت تاء عني حق كتبت إلى تشهدني على نفسك أما إني قد شهدت عليك أنا وإخوان الدين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضام هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حلة القرآن وأهل العلم والأراذل والأيتام أم هل رضى بذلك خلق من رعيك ففسد يا هرون مؤزك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاء جلبا واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل قد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن وبجالة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما للظالمين إماما يا هرون قدمت على السرير وليست الحرير وأسبلت سترادون بابك وتسمت بالحجة رب العالمين ثم أقصدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويذنون ويحسدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا إذا نادى للتادي من قبل الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أين الظلمة وأعوان الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يسكنهما إلا عدك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار ، كآني بك يا هرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت الساق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة عن سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فأحتفظ بوصيق واتمظ بموعظتي التي وعظتك بها . واعلم آني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيحة غاية فاتق الله يا هرون في رعيك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل

التهاب الحلقاء بالنار
لأن النفس الراقدة
تستيقظ بكل ما يوقظها
وإذا استيقظت
نزعته إلى هواها فالعبد
للراد بهذا إذا فطن
لسياسة النفس وورق
العلم سهل عليه
الطبي وتداركته
للنوة من الله تعالى
لا سيما إن كوشف
بشيء من النسخ الالهية .
وقد حكى قفير أنه
اشدد به الجوع وكان
لا يطالب ولا يسبب
قال فلما انتهى جوعه
إلى الغاية بعد أيام
فتح الله على بتفاحة
قال فتناول التفاحة
وقصدت أكلها فلما
كسرتها كوشفت
بحوراء نظرت إليها
عقيب كسرها فحدث
عندي من الفرح
بذلك ما استغفرت

بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من زود زادا فقه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإن أحسبك ياهرون
بمن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام. قال عبد
فألقى إلى الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت للوعظة
من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني قتلتم لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا
إلى بالله نائير والدرام قتلتم لاجبة لي في السال ولكن جبة صوف خشنه وعباءة قطوانية قال فأتيت
بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أتود البرذون وعليه
السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هرون حافيا راجلا ففرأني من كان على باب الخليفة
ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقدم ثم قام وأجلس بطم رأسه ووجهه
وبدعو بالويل والجزن ويقول انتفع الرسول وخاب الرسل مالى وللدنيا مالى ولللك يزول عني سريعا
ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلى فأقبل هرون يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ
ويشقي فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلت بالحديد
وضيقت عليه السجن كنت لجملة عبرة لغيره فقال هرون : أتركوا يا عبيد الدنيا الأمور من غررتهم
والشقي من أهلكتموه وإن سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى
جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فليأقدهم
عليه غدا من عمله فانه عليه يحاسب وبه يجازى. والله ولي التوفيق . وعن عبد الله بن مهران قال
حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل ففرج الناس وخرج يهلول المجنون فيمن
خرج بالكسامة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هواجج هرون فيكف الصبيان عن الولوع
به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف يده عن وجهه فقال
ليبك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين : حدثنا أيعن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم منصورا من عرفة على ناقه له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك^(١) وتم اضعك
في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فيكي هرون حتى سقطت دموعه على
الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آناه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله
وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. قال
أررد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين
هؤلاء أهل القم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالله لا يجوز قال يا بهلول فنجري
عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله
فبحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هرون السجاف ومضى . وعن أبي العباس الهافى عن صالح
ابن اللأمون قال دخلت على الحرث الهافى رحمه الله فقلت له : يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال كان
هذا مرة قلت له فاليوم قال أكتهم حالى إنى لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضرب بها أن تسمعها نفسى
ولولا أن يظننى فيها فرح ما أعلنت بها ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابى فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب
الرائحة فسلم على ثم قد بين يدي قتلتم له من أنت فقال أنا واحد من السباحين أقصد التبعدين في
محاربتهم ولا أرى لك اجتهدا فأبى سى. حملك قال قلت له كنان للصاب واستجلاب الفوائد قال

(١) حديث قدامة بن عبد الله العامري رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصورا من عرفة على ناقه
له صبياء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك الترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه دون قوله منصورا
من عرفة وإنما قالوا برى الجرة وهو الصواب وقد تبهم في الباب الثانى .

عن الطعام أياما
وذكر لي أن الحوراء
خرجت من وسط
التفاحة والإيمان
بالقدرة ركن من
أركان الإيمان فلم
ولا تسكر . وقال
سهل بن عبد الله
رحمه الله من طوى
أربعين يوما ظهرت له
القدرة من اللسكوت
وكان يقال : لا يزد
البد حقيقة الزهد
التي لامشوبة فيه
إلا بمشاهدة قدرة
من اللسكوت . وقال
الشيخ أبو طالب
للشكر رحمه الله :
عرفنا من طوى
أربعين يوما برياضة
النفس في تأخير
القوت وكان يؤخر
فطره كل ليلة إلى
نصف سبع اليك
حتى يطوى ليلة

فصاح وقال ما علمت أن أحدا بين جنبي الشرق والغرب هذه صفته قال الحرث فأردت أن أزيد عليه
 قتلته أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم
 فمن أين تعرفهم قال فصاح صيحة غشي عليه منها فسكت عندي يومين لا يعقل ثم أفاق وقد أحدث في
 ثيابه فعلت إزالة عقله فأخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفي قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك
 فقال هات الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالتوب وخرج فقلت له أين تريد فقال لي قم معي فلم يزل يمشي حتى
 دخل على المؤمنين فلم عليه وقال يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم استغفر الله من تصير فيك أما تقي
 الله تعالى فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب فأقبل عليه
 المؤمنون وقال من أنت قال أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجدهم في
 حقا فتعلقت بموعظتك لعل الحقهم قال فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفا في ذلك
 الثوب ومناد ينادي من ولى هذا فليأخذه قال الحرث فاخبت عنه فاخذه أقوام غرباء فدفعوه
 وكنت معهم لا أعلمهم بحاله فالتفت في مسجد بالمقابر عزرونا على الفتي فغلبتني عيناى فاذا هو بين وصائف
 لم أر أحسن منهن وهو يقول يا حرث أنت والله من السكانيين الذين يخفون أحوالهم ويطيحون ربهم
 قلت وما فعلوا قال الساعة بلقونك فنظرت إلى جماعة ركبنا فقلت من أنتم قالوا السكائيون أحوالهم حرك
 هذا الفتي كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيئا فخرج للأمر والنهي وأن الله تعالى أنزله معنا
 وغضب لبعده . وعن أحمد بن إبراهيم المقرئ قال كان أبو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يزال
 عما لا يهنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم
 إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقرار
 لطف قراء وانكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح إيش
 في هذه الدنان قال وإيش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تطشأ إلى
 معرفته فقال أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان قال وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي هذا خير
 للمعتضد يريد أن يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خير قال نعم فقال أحب أن تعطيني ذلك الدرر فاعتناظ
 للملاح عليه وقال لعلامة أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت الدرر في يده صعد إلى الزورق ولم يزل
 يكسرهما دنا دنا حتى أتى على آخرها لإدنا واحد والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يوبه ثم
 ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأخضه إلى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك
 الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
 فلما رأى أني قال من أنت قلت عتسب قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة ولا في الحسبة يا أمير
 المؤمنين قال فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال ما الذي حملك على ما صنعت ؟ فقلت شفقة
 مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه قال فأطرق مفسكرا في كلامي ثم رفع
 رأسه إلى وقال كيف تخالص هذا الدين الواحد من جملة الدنان فقلت في غلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين
 إن أذن فقال هات خبرني فقلت يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك
 وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فأتيت هية الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى
 أن صرت إلى هذا الدين فاستشعرت نفسي كبرا على أني أقدمت على مثلك فذمت ولو أقدمت عليه بالحال
 الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت
 أن تغيره من المنكر . قال أبو الحسين فقلت يا أمير المؤمنين بغض إلى التغير لأنني كنت أغير عن الله
 تعالى وأنا الآن أغير عن شرطى فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر بأخراجي سالما

في نصف شهر
 فيطوى الأربعين
 في سنة وأربعة
 أشهر فتدرج الأيام
 والليالي حتى يكون
 الأربعين بمنزلة يوم
 واحد . وذكر لي أن
 الذي فعل ذلك ظهرت
 له آيات من اللسكوت
 وكوشف بمعاني قدرة
 من الجبروت تجلى الله
 بهاله كيف شاء . وأعلم
 أن هذا المعنى من الطي
 والتقليل لو أنه عين
 الفضيلة ما فات أحدا
 من الأنبياء ولكان
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يبلغ من ذلك إلى
 أقصى غاياته ولا شك
 أن لذلك فضيلة لا تنكر
 ولكن لا تنحصر
 مواهب الحق تعالى في
 ذلك فقد يكون من
 يأكل كل يوم أفضل
 من بطوى أربعين

فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المتضد ثم رجع إلى بغداد فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم انكسروا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثركلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال قساوتها وأما الآن قد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجعوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا فساد الرأيا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

(وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه ، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه ، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم أخذ منه صفيه وحبيبه ، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه ، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه . وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً . أما بعد : فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح للعارف وسرائر القلوب هي مفارص الأفعال ومناهبها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل المحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية ولقد كنت عزمت أن أختتم ربيع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبيها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رأيت كل كتاب من ربيع العادات قد أتى على جملة من الآداب فاستقلت تكريرها وإعادة فان طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة العادات فرأيت أن أقصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاقه الماثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلا فصلا مخدوفة الأسانيد ليجمع فيه مع جميع الآداب تجديد الإيمان وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد أحاديثها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلام رتبة وأجلهم قدراً فكيف مجموعها ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشم ومنزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين وعجيب دعوة المضطربين ولندكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه ثم بيان كلامه وضحه ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة ثم بيان إغضائه عما كان يكره ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وبأسه ثم بيان تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم .

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)

يوماً وقد يكون من لا يكشف شيء من معاني القدرة أفضل ممن يكشفها إذا كشفه الله بصرف للرفة فالقدرة أثر من القادر . ومن أهل قهر القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئاً من القدرة ويرى القدرة تتجلى له من سجن أجزاء علم الحكمة فإذا أخلص العبد لله تعالى أربعين يوماً واجتهد في ضبط أحواله بشيء من الأنواع التي ذكرنا من العمل والتذكر والقوت وغير ذلك تعود بركة تلك الأربعين على جميع أوقاته وساعاته وهو طريق حتم اعتمده طائفة من الصالحين وكان جماعة من الصالحين يخارون

(بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه عمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال عن الله تعالى أن يزيده بمجلسين الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه « اللهم حسن خلقى وخلقى »^(١) ويقول « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »^(٢) فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل - ادعوني استجب لكم - فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خلقه القرآن . قال سعد بن هشام دخلت على عائشة رضى الله عنها وعن أبيها فسألتهما عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت أماترا القرآن قلت بلى قالت كان خلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن^(٣) وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى - خذ العز و أمر بالحرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقوله - واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور - وقوله - ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور - وقوله - فاعف عنهم وامنح إن الله يحب المحسنين - وقوله - وليضربوا و ليعصوا الأتعبون أن يغفروا لكم - وقوله - ادفع بالحق هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم - وقوله - والكافين العيظ والمافين عن الناس والله يحب المحسنين - وقوله - اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا - ولما كسرت رباعيته وشجع يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول كيف يملح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم^(٤) فأنزل الله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - تأديبا له على ذلك وأمثال هذه التأديبات فى القرآن لا تحصر وهو عليه السلام للقصود الأول بالتأديب والتهديب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه أدب بالقرآن وأدب الخلق به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « بثت لأتكم مكارم الأخلاق »^(٥) ثم رغب الخلق فى محاسن الأخلاق بما أوردناه فى كتاب رياضة النفس وتهديب الأخلاق فلانبيده ثم لما أكل الله تعالى خلقه أنى عليه فقال تعالى - وإنك لمل خلق عظيم - فسبحان ما أعظم شأنه وأتم امتنانه ثم انظر إلى عظيم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم ألقى فهو الذى زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال - وإنك لمل خلق عظيم - ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق وينفض سفاسفها^(٦) قال على رضى الله عنه يا عجباً لرجل مسلم يحبته أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما أتى بسبايا طي وقفت جارية فى السبي فقالت يا محمد

للأربعين ذا القعدة وعشر ذى الحجة وهى أربعون موسى عليه السلام . أخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو النجيب إجازة قال أنا أبو منصور محمد ابن عبد الملك بن خيرة إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهري إجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال ثنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد قال ثنا الحسين بن الحسن للروزي قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا أبو معاوية الضرير قال ثنا الحجاج عن مكحول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخلص لله تعالى العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

(١) حديث كان يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى أحمد من حديث ابن مسعود ومن حديث عائشة ولفظهما اللهم أحسن خلقى فأحسن خلقى وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه حب (٢) حديث اللهم جنبني منكرات الأخلاق ت وحسنه وك وصححه واللفظ له من حديث قطبة ابن مالك وقال ت اللهم إني أعوذ بك (٣) حديث سعد بن هشام دخلت على عائشة فسألتهما عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن رواه مسلم وروى الحاكم فى قوله إنها لم يخرجاه (٤) حديث كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد الحديث فى نزوله ليس لك من الأمر شيء - من حديث أنس وذكره خ تليفاً (٥) حديث بثت لأتكم مكارم الأخلاق أحمد وك هق من حديث أبي هريرة قال الحاكم صحيح على شرطه وقد تقدم فى آداب الصحبة (٦) حديث إن الله يحب معالى الأخلاق وينفض سفاسفها هق من حديث سهل بن سعد متصلاً ومن رواية طلحة ابن عبيد الله بن كرز مرسلًا ورجلها هق .

إن رأيت أن تغلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب فانى بنت سيد قومى وإن أبى كان يحمى الدمار
 وفك العانى ويشبع الجائع ويظم الطعام ويفشى السلام ولم يرد طالب حاجة قط أنا ابنه حاتم
 الطائي قال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان أبوك مسلما لرحمنا عليه خلوا
 عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق قيام أبو بردة بن نيار فقال
 يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق فقال والذي نفسى بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق (١)
 وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال «إن الله حَفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» (٢)
 ومن ذلك حسن المعاشرة وكرم الضيفة ولين الجانب وبذل اللزوف وإطعام الطعام وإفشاء السلام
 وعيادة المريض المسلم برآ كان أوفاجرا وتشيع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان
 أو كافرا وتوقير ذى الشبهة السلم وإجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح بين الناس والجلود
 والكرم والسباحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واجتناب ما حرمة الاسلام من
 الهمو والباطل والفناء والمعاذف كلها وكل ذى وتر وكل ذى دخل والقيية والكذب والبخل والشح
 والجفاء والسكر والحديعة والنجاسة وسوء ذات البين وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر
 والاختيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبنى والعدوان والظلم .
 قال أنس رضى الله عنه فلم ينع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو قال عيا أو
 قال شينا إلا حذرناه ونهانا عنه (٣) ويكنى من ذلك كله هذه الآية - إن الله يأمر بالعدل والإحسان -
 وقال معاذ أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث
 والوفاء بالمهد وأداء الأمانة وترك الحيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
 وحسن العمل وقصر الأمل وزوم الإيمان والتفقه فى القرآن وحسب الآخرة والجورج من الحساب
 وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تهوى إماما عادلا أو
 تفسد أرضا وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة الربا لرسول
 والعلانية بالعلانية (٤) فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب .
 (بيان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار)
 فقال كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٥)

(١) حديث طى قوله وإعجابا لرجل مسلم يحميه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا الحديث
 وفيه مرفوعا لما آتى بسبايا طي* وقفت جارية فى السى فقالت يا محمد إن رأيت أن تغلى عنى الحديث
 ت الحكيم فى نوادر الأصول باسناد فيه ضعف (٢) حديث معاذ حَفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق
 ومحاسن الأعمال الحديث بطوله لم أقف له على أصل وينفى عنه حديث معاذ الآتى بهمه بحديث
 (٣) حديث أنس لم ينع صلى الله عليه وسلم نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها لم أقف له
 على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع (٤) حديث يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث أبو نعيم
 فى الحلية وهق فى الزهد وقد تقدم فى آداب الصلوة (٥) حديث كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس
 أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عبد الرحمن بن أبزى كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحلم الناس الحديث وهو مرسل . وروى أبو حاتم بن حبان من
 حديث عبد الله بن سلام فى قصة إسلام زيد بن شقعة من أخبار اليهود وقول زيد لعمر بن الخطاب
 يا عمر كل علامات النبوة قد عرفت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين
 لم أخبرهما به يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد اختبرتهما الحديث .

[الباب التاسع
 والعشرون فى أخلاق
 الصوفية وشرح الخلق
 الصوفية أو فى الناس
 حظا فى الاقتداء
 برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأختمهم
 بإحياء سنته والتخلق
 بأخلاق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من
 حسن الاقتداء وإحياء
 سنته طى ما أخبرنا
 الشيخ العالم ضياء
 الدين شيخ الاسلام
 أبو أحمد عبد الوهاب
 ابن طى قال أنا أبو القتح
 عبد الملك بن أبى
 القاسم المروى قال
 أنا أبو نصر عبد العزيز
 ابن حمد الترياقى قال
 أنا أبو محمد عبد الجبار
 ابن محمد الجراحى قال
 أنا أبو المباس محمد بن
 أحمد المصوبى قال أنا
 أبو عيسى محمد بن

وأشجع الناس (١) وأعدل الناس (٢) وأعطف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٣) وكان أسخى الناس (٤) لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأ الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه (٥) لا يأخذ مما آتاه الله إلى قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله (٦) لا يسل شيئا إلا أعطاه (٧) ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأت به شيء (٨) وكان يخفف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله (٩)

(١) حديث أنه كان أشجع الناس متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث كان أعدل الناس ت في التماثل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفيه قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبوا صاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم (٣) حديث كان أعف الناس لم تمس يده قط يدا امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم له الشيخان من حديث عائشة مامست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدا امرأة إلا امرأة يملكها (٤) حديث كان يمسح أسخى الناس الطبراني في الأوسط من حديث أنس فضلت على الناس بأربع بالسقاء والشجاعة الحديث ورجاله ثقات وقال صاحب اليزان إنه منكر وفي الصحيحين من حديثه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وافقنا عليه من حديث ابن عباس وتقدم في الزكاة (٥) حديث كان لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأ الليل لم يأو إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه د من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فذكرك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع ركائب عليهن كسوة وطعام ويبيع بلال لذلك ووفاء دينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد وحده وفيه قال فضل شيء قلت نعم دينار قال انظر أن تريحنى منهما فقلت بدخل على أحد من أهلي حتى تريحنى منهما فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان فانطلقت بهما فنكسوتهما وأطعمتهما حتى إذا صلى الجمعة دعاني فقال ما فعل الذي قبلك قلت قد أراحك الله منه فكبر وحمد الله شفقنا من أن يدركه الموت وعنده ذلك ثم اتبعته حتى جاء أزواجه الحديث والبخاري من حديث عقبة ابن الحارث ذكرت وأنا في الصلاة ففكرت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته ولأبي عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلان لا يقبل مالا عنده ولا يبيت (٦) حديث كان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه قط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم في الزكاة (٧) حديث كان لا يسل شيئا إلا أعطاه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد والبخاري من حديثه في الرجل الذي سأله الشملة فقيل له سألتها إياها وقد علمت أنه لا يردها إلا الحديث ولمسلم من حديث أنس ما سئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه وفي الصحيحين من حديث جابر ما سئل شيئا قط فقال لا (٨) حديث أنه كان يؤثر مما ادخر لبياله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام هذا معلوم ويدل عليه ما رواه ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بشرين صاغا من طعام أخذه لأهله وقال ه بثلاثين صاغا من شعير وإسناده جيد وخ من حديث عائشة توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين وفي رواية هق بثلاثين صاغا من شعير (٩) حديث وكان صلى الله عليه وسلم يخفف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله أحمد من حديث عائشة كان يخفف نعله ويغيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ بلفظ ويرقع الثوب والبخاري من حديث عائشة كان

عيسى بن سورة الترمذي قال ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري البصري قال ثنا محمد ابن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس ابن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا بني إن قدرت أن تصبح وتسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال : يا بني وذلك من سنق ومن أحيائى قد أحيانى ومن أحيائى كان معى في الجنة ه فالصوفية أحيوان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أقرانه وفي وسط حالمهم اقتنوا بأعماله فأعزهم ذلك أن تعقوا

ويقطع اللحم معهم^(١) وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد^(٢) ويجب دعوة العبد والحر^(٣) ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها^(٤) ويأكلها ولا يأكل الصدقة^(٥) ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمساكين^(٦) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه^(٧) وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركون على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى وقال : أنا لا أتصير بمشرك^(٨) ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وإن بأصحابه حاجة إلى بعير واحد يتقوون به^(٩) وكان يصيب الحجر على بطنه

يكون في مهنة أهله^(١٠) حديث أنه كان يقطع اللحم أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلا فامسكت وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقالت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وإيم الله مامن الثلاثين ومائة إلا حزله رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها^(١١) حديث كان من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها^(١٢) حديث كان يجب دعوة العبد والحر هك من حديث أنس كان يجب دعوة للملوك قال ك صحيح الاسناد . قلت بل ضعيف وللدر قطني في غرائب مالك وضعفه والخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث أبي هريرة كان يجب دعوة العبد إلى أي طعام دعى ويقول لودعيت إلى كراع لأجبت وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر وهذه القطعة الأخيرة عند من حديث أبي هريرة وقد تقدم وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوهم أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل^(١٣) حديث كان يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو غنخ أرنب ويكافئ عليها من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ، وأما ذكر جرعة اللبن وخنخ الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح لبن إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة فشر به ولأحمد من حديث عائشة أنه أتت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا الحديث وفي الصحيحين من حديث أنس أن أباطلحة بعث بورك أرنب أو غنخها إلى رسول الله ﷺ قبله^(١٤) حديث كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم^(١٥) حديث كان لا يستكبر أن يمشى مع المسكين نك من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصجبة ورواه أيضا من حديث أبي سعيد الخدري وقال صحيح على شرط الشيخين^(١٦) حديث كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه في الثبائل من حديث هند بن أبي هالة وفيه وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لعضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم .^(١٧) حديث وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركون على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيد في عدد من معه فأبى وقال أنا لا أتصير بمشرك من حديث عائشة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان بحجرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راوه فلما أدركه قال جئت لأبشرك وأصيب معك فقال له اتؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلما استمعين بمشرك الحديث^(١٨) حديث وجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم فوداه بمائة ناقة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن أبي حنيفة ورافع بن خديج والرجل الذي وجد مقتولا هو عبد الله بن سهل الأنصاري .

في نهاياتهم بأخلاقه
وتحسين الأخلاق
لا يأتي إلا بعد تزكية
النفس وطريق التزكية
بالإذعان لمسياسة
الشرع وقد قال الله
تعالى لبيته محمد صلى
الله عليه وسلم - وإنك
لعلى خلق عظيم -
لما كان أشرف الناس
وأزكاهم قسا كان
أحسنهم خلقا قال مجاهد
على خلق عظيم أي على
دين عظيم والدين
مجموع الأعمال الصالحة
والأخلاق الحسنة .
مثلت عائشة رضي الله
عنها عن خلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قالت كان خلقه القرآن
قال قتادة هو ما كان
يأمر به من أمر الله تعالى
وينهى عما نهى الله
عنه وفي قول عائشة
كان خلقه القرآن مر

مرة من الجوع^(١) ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثمرا دون خبز أكله^(٢) وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنادون خبزا كتنى به وإن وجد بطيخا أو رطبيا أكله ، لا يأكل متسكنا^(٣) ولا طلى خوان^(٤) منديله باطن قدميه^(٥) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية^(٦) حتى لقي الله تعالى إشارا على نفسه لا تقرا ولا يخلأ^(٧) يجيب الوليمة ويعود المرضى^(٨) ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس^(٩)

(١) حديث كان يصعب الحاجر على بطنه من الجوع متفق عليه من حديث جابر في قصة خفر الخندق وفيه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم شد على بطنه حجرا وأغرب حب فقال في صحبته إنما هو الحاجر بضم الحاء وآخره زاي جمع حجرة وليس بتابع على ذلك ورد على ذلك ما رواه ت من حديث أبي طلحة شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفنا عن بطوننا عن حجر حجر فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين ورجاله كلهم قهات^(٢) حديث كان يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وإن وجد ثمرا دون خبز أكله وإن وجد بطيخا أو شعير أكله وإن وجد حلوا أو عسلا أكله وإن وجد لبنادون خبزا كتنى به وإن وجد بطيخا أو رطبيا أكله انتهى . هذا كله معروف من أخلاقه ففي ت من حديث أم هانئ دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعندك شيء ؟ قلت لا إلا خبز يابس وخل قال هات الحديث ، وقال حسن غريب وفي كتاب الثمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقرئ من رواية الأوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبالي ما رددت به الجوع وهذا معضل ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به الحديث وله من حديث أنس رأيته متعيا يأكل تمرات وت وصحبه من حديث أم سلمة أنها قربت إليه جنبا مشويا فأكل منه الحديث وللشيخين من حديث عائشة ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا خبز بر حتى مضى لسيبه لفظهم وفي رواية له ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين وت وصحبه وه من حديث ابن عباس كان أكثر خبزم الشعير وللشيخين من حديث عائشة كان يحب الحلواء والعسل ولهما من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب لبنا فدعا بماء فمضض ون من حديث عائشة كان يأكل الرطب بالبطيخ واسناده صحيح (٣) حديث أنه كان لا يأكل متسكنا تقدم في آداب الأكل في الباب الأول (٤) حديث أنه كان لا يأكل على خوان تقدم في الباب المذكور (٥) حديث كان منديله باطن قدمه لا أعرفه من فعله وإنما المعروف فيه ما رواه ه من حديث جابر كنا زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلا ما نجد الطعام فإذا وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (٦) حديث لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تقدم في جملة الأحاديث التي قبله بثلاثة أحاديث (٧) حديث كان يجيب الوليمة هذا معروف وتقدم قوله لودعيت إلى كراع لأجبت وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أنه كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف الليل على خبز الشعير فيجيب واسناده ضعيف (٨) حديث كان يعود المرضى ويشهد الجنائز ت وضعفه وه ك وصححه من حديث أنس ورواه ك من حديث سهل بن حنيف ، وقال صحيح الاسناد وفي الصحيحين عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز (٩) حديث كان يمشي وحده بين أعدائه بلا حارس تلك من حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية - والله يصمك من الناس - فأخرج رأسه من القبة فقال انصرفوا فقد عصمتي الله قال ت غريب وقال ك صحيح الاسناد .

كبير وعلم غامض
مانطقت بذلك إلا بما
خصها الله تعالى به
من بركة الوحي الساموي
وحبة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتخصيصه
بإياها بكلمة خذوا شطر
دينكم من هذه
الحجرات . وذلك أن
النفوس مجبولة على
غرائز وطائع هي من
لوازمها وضروورها
خلقت من تراب ولها
بحسب ذلك طبع
وخلقت من ماء ولها
بحسب ذلك طبع
وهكذا من حمائمسون
ومن صلصال كالفخار
وبحسب تلك الأصول
التي هي مبادئ تكوينها
استفادت صفات من
البيمية والسبية
والشيطانية وإلى صفة
الشيطنة في الانسان
إشابة بقوله تعالى - من

أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر (١) وأبلغهم في غير تطويل (٢) وأحسنهم بشرا (٣) لا يهوله شيء من أمور الدنيا (٤) ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة بردجبة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس لبس (٥) وخاتمه فضة (٦) يلبسه في خنصره الأيمن (٧) والأيسر (٨) يردف خلفه عبده أو غيره (٩) يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة وشيئا ومرة حملا ومرة يمشى

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا وأسكنهم من غير كبر أبو الحسن بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته صلى الله عليه وسلم حين للؤنة لئن الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه إلى أن قل متواضع في غير ذلة وفيه دائب الاطراق واسناده ضعيف وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه منها عند ن من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يجثى مع الأرملة وللسكين الحديث وقد تقدم وعند أبي داود من حديث البراء فجلس وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير الحديث ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير (٢) حديث كان أبلغ الناس من غير تطويل خ م من حديث عائشة كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسر دم علقه خ ووصله م زادت ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه وله في الثمائل من حديث ابن أبي هالة يتكلم بمجامع الكلام فصل لافضل ولا تقصير (٣) حديث كان أحسنهم بشرا ت في الثمائل من حديث على بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق الحديث وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا كان أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غريب قلت وفيه ابن لميعة (٤) حديث كان لا يهوله شيء من أمور الدنيا أحمد من حديث عائشة ما أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا وما أعجبه أحد قط إلا ذوقني وفي لفظ له ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذوقتي وفيه ابن لميعة (٥) حديث كان يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة جبة صوف ما وجد من اللباس لبس خ م من حديث سهل بن سعد جاءت امرأة يبرقة . قال سهل هل تدرون ما البردة هي الشملة منسوج في حاشيتها وفيه فخرج إلينا وانها لإزاره الحديث ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في شملة قد عقد عليها فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه وللشيخين من حديث أنس كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الخبرة ولهما من حديث المغيرة بن شعبة وعليه جبة من صوف (٦) حديث خاتمه فضة متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتما من فضة (٧) حديث لبسه الخاتم في خنصره الأيمن م من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه وللبخاري من حديثه فأنى لأرى بريقه في خنصره (٨) حديث نختمه في الأيسر م من حديث أنس كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى (٩) حديث إردافه خلفه عبده أو غيره أردف أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ومن حديث أسامة وأردفه مرة أخرى على حمار وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه وأردف الفضل بن عباس من الزلفة وهو في الصحيحين أيضا من حديث أسامة ومن حديث ابن عباس والفضل بن عباس وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة .

صلصال كالصخر
لدخول النار في القفار
وقد قال الله تعالى -
وخلق الجنان من مارج
من نار والله تعالى بخفي
لطفه وعظيم عنايته
نزع نصيب الشيطان
من رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما ورد
في حديث حليلة ابنة
الحارث أنها قالت
في حديث طويل فينا
نحن خلف بيوتا
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم مع أخ له
من الرضاعة في بهم
لنا جاءنا أخوه يشتد
فقال ذاك أخي القرشي
قد جاءه رجلان عليهما
ثياب يابس فأضجماه
فشقا بطنه فخرجت
أنا وأبوه نشد نحوه
فنجده قائما منتقما لونه
فاعتقه أبوه ، وقال
أي بني ما شأنك ؟ قال

راجلا حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة بمود الرضى في أقصى المدينة^(١) يحب الطيب ويكره الرائحة الردية^(٢) ويجالس الفقراء^(٣) ويؤاكل الساكنين^(٤) ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم^(٥) يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم^(٦) لا يجفو على أحد^(٧)

(١) حديث كان يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بقله شيهاء ومرة حمارا ومرة راجلا ومرة حافيا بلارداء ولا عمامة ولا قلنسوة بمود الرضى في أقصى المدينة في الصحيحين من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة وسلم من حديث جابر بن سمرة ركوبه الفرس عرياحين انصرف من جنازة ابن الدحداح وسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبي ﷺ فرس يقال له: اللحييف ولهما من حديث ابن عباس طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير ولهما من حديث البراء رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء يوم حنين ولهما من حديث أسامة أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار على إكاف الحديث ولهما من حديث ابن عمر كان يأتي قبا راكبا وماشيا وسلم من حديثه في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد بن قتاد وقمنا معه ونحن بضعة عشر معلنا لنعالي ولا تخاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في السباغ الحديث (٢) حديث كان يحب الطيب والرائحة الطيبة ويكره الروائح الردية من حديث أنس حبيب إلى النساء والطيب وذلك من حديث عائشة أنها صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف فخلعها وكان يعجبه الريح الطيبة لفظك وقال صحح على شرط الشيخين وابن عدى من حديث عائشة كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة (٣) حديث كان يجالس الفقراء من حديث أبي سعيد جالس في عصابة من ضعفاء المهاجرين وإن بعضهم ليستربضا من العري الحديث وفيه فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه فبنا الحديث وهو من حديث خباب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا الحديث في نزول قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم - إسنادهما حسن (٤) حديث مؤاكلته للمساكين خ من حديث أبي هريرة قال وأهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها (٥) حديث كان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ت في التماثل من حديث على الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم وكان من سيرته إظهار أهل الفضل بأذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين وفيه ويؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم الحديث وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فألقى إلى كساءه ثم أقبل على أصحابه ثم قال إذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وإسناده جيد ورواه ك من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه نحوه وقال صحيح الاسناد (٦) حديث كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ك من حديث ابن عباس كان يحل العباس إجلال الوالد والوالدة وله من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس نخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن عليا فقال ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه قال في الأول صحيح الاسناد وسكت عن الثاني وفيه مسلم اللأى ضيف فأثر عليا لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بغيره والله أعلم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد لا يقيمن في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر (٧) حديث كان لا يجفو على أحد دت في التماثل ون في اليوم والليلة من حديث أنس كان قلما يواجه رجلا بشي يكرهه وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فقال بشي أخو العنبرة فلما دخل ألان له القول الحديث .

جاء في رجلان عليهما ثياب بيضاء فأضجاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رماه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمه لقد خشيت أن يكون ابنى هذا قد أصيب انطلقى بنا فلترده إلى أهله قيل أن يظهر به ما نتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلا وقد قدمنا به عليها قالت ما ردك قد كنتما عليه حريصين قلنا لا والله لا خير إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا قضينا الذي كان علينا وقلنا نخشى الأنلاف والأحداث نرده إلى أهله فقالت ما ذاك بكما فاصدقاني شأنا كذا فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت خشيتم عليا الشيطان

يقبل معذرة العذر إليه (١) يمزح ولا يقول إلا حقا (٢) يضحك من غير قهقهة (٣) يرى اللعب الباح فلا يكره (٤) يسابق أهله (٥) وترفع الأصوات عليه فيصبر (٦) وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها (٧) وكان له عيسد وإماء لا يرفع عليهم في مأكل ولا ملبس (٨) ولا يعصى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه (٩) يخرج إلى بساتين أصحابه (١٠)

(١) حديث يقبل معذرة العذر إليه متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه طفق المخلصون يعتذرون إليه قبل منهم علانيتهم الحديث (٢) حديث يمزح ولا يقول إلا حقا أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند تليفظ قالوا إنك تداعبنا قال إني ولا أقول إلا حقا وقال حسن (٣) حديث ضحكه من غير قهقهة الشيخان من حديث عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى لمواته إنما كان يتبسم وت من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسما قال صحيح غريب وله في الثمائل في حديث هند بن أبي هالة جل ضحكه التبسم (٤) حديث يرى اللعب الباح ولا يكرهه الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم دونكم يا بني أرفدة وقد تقدم في كتاب السماع (٥) حديث مسابقتها صلى الله عليه وسلم أهله دهن في الكبرى وه من حديث عائشة في مسابقتها لها وتقدم في الباب الثالث من النكاح (٦) حديث ترفع الأصوات عنده فيصبرخ من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك قتاريا حتى ارتفعت أصواتهما قتلت - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - (٧) حديث وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها محمد بن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة كان عيشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اللين أوقالت أكثر عيشنا كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح بالثعابة الحديث وفي رواية له كانت لنا أغز سبيع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الحمى ومرة أحدا وروح بهن علينا وكانت لقاح بذي الجبل فيؤب إلينا ألبانها بالليل الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد الحديث ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة لنا غنم مائة لا يزيد أن يزيد فاذا ولد الراعي بهمة ذبحنا مكاتها شاة الحديث (٨) حديث كان له عيسد وإماء فلا يرفع عليهم في مأكل ولا ملبس محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن وإسناده ضعيف وروى أيضا أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بركة أم أيمن وزيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة وشقران وسفينة وثوبان ورباحا ويسارا وأبارافع وأبامويهبة ورافعا أعتقهم كلهم وفضالة ومدعما وكركرة وروى أبو بكر بن الضحاك في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف كان صلى الله عليه وسلم يأكل مع خادمه وم من حديث أبي اليسر أطمعهم مما تأكلون وألبسهم مما تلبسون الحديث (٩) حديث لا يعصى له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد منه من صلاح نفسه ت في الثمائل من حديث علي بن أبي طالب كان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء لأهله وجزء لنفسه ثم جزأ بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة الحديث (١٠) حديث يخرج إلى بساتين أصحابه تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خر وجهه صلى الله عليه وسلم إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

كلا والله ما للشيطان عليه سيل وإنه لكن لا يني هذا شأن إلا أخبركما بخبره قلنا بلى قالت حملت به لما حملت حمل قط أخف منه قالت فرأيت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور قد أضاءت به قصور الشام ثم وقع حين ولده وتوقوا لم يقعه للولود معتمدا على يديه رافعا رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فبعد أن طهر الله رسوله من نصب الشيطان بقيت النفس الزكية النبوية على حد نفوس البشر لها ظهور بصفات وأخلاق مبقاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق لوجود أمهات تلك الصفات في نفوس الأمة بمزيد من الظلة

لا يحتقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستويا (١) قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى في قرى وفي رعاية النعم يتبنا لأب له ولا أم فله الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والقبلة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول (٢) . وقتنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في منه آمين يارب العالمين .

(بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه)

مما رواه أبو البحتري قالوا ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من المؤمنين بشتمه إلا جعل لها كفارة ورحمة (٣) وما لمن امرأة قط ولا خادما بلعة (٤) وقيل له وهو في القتال لو لنتهم يارسول الله

(١) حديث لا يحتقر مسكينا لفقره وزماته ولا يهاب ملكا للملك يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحدا خ من حديث سهل بن سعد مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح الحديث وفيه فرّ رجل من قراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا ؟ قالوا حري إن خطب أن لا ينكح الحديث وفيه هذا خير من ملء الأرض مثل هذا وم من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقبصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل (٢) حديث قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الثابتة وهو أسمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد الجبل والصحارى وفي قرى وفي رعاية النعم لأب له ولا أم فله الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والقبلة والخلص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول هذا كله معروف معلوم فروى ت في التماثل من حديث علي ابن أبي طالب في حديثه الطويل في صفته وكان من سيرته في جزء الأمة إشار أهل الفضل بأذنه وقسمه الحديث وفيه فسأله عن سيرته في جلسائه فقال كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب الحديث وفيه كان يخزن لسانه إلا فيها يمينه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من اللراء والإكثار وما لا يمينه الحديث وقد تقدم بضه وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله - وما كنت تلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك - قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم في العلم والبخارى من حديث ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام - قد خسر الدين قتلوا أولادهم سفها بغير علم - وحسب من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جفرا قال فلنجاشي أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث ولأحمد من حديث أبي بن كعب إني لفي صحراء ابن عشرين وأشهر فإذا كلام فوق رأسي الحديث وخ من حديث أبي هريرة كنت أرهاها أي التميم على قراريط لأهل مكة ولأبي بلي وحسب من حديث حليلة إنما تزجوا كرامة الرضاعة من والد اللود وكان يتبنا الحديث وتقدم حديث بنت بكارم الأخلاق (٣) حديث ما شتم أحدا من المؤمنين إلا جعلها الله كفارة ورحمة متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأى المؤمنين لنته شتمته جلدة فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة . وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة (٤) حديث ما لمن امرأة ولا خادما قط للعروف ما ضرب مكان لمن كما هو متفق عليه من حديث عائشة ولبخارى من حديث أنس لم يكن خلفا ولا لمانا وسباني الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى .

نماوت حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الأمة فاستمدت تلك الصفات للبقاء بظهورها في رسول الله صلى الله عليه وسلم بتزليل الآيات المحكمات بآرائها لتمامها تأديا من الله لنبيه رحمة خاصة له وطمة للأمة موزعة بزول الآيات على الآناء والأوقات عند ظهور الصفات قال الله تعالى - وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا - وتثبيت الفؤاد بعد اضطراب بحركة النفس بظهور الصفات لارتباط بين القلب والنفس وعند كل اضطراب آية متضمنة لخلق صالح سقى إما

قال : إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا (١) وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له (٢) وما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى وما اتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وما خبرين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك (٣) وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته (٤) وقال أنس رضي الله عنه والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضله ولا لمي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر (٥) قالوا وما عاب رسول الله ﷺ مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض (٦) وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأول قال محمد رسول الله عبدى المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يعزى باليسيرة السيئة ولكن ينفو ويصفح ، مؤلفه بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأنز على وسطه هو ومن معه دعا للقرآن والطم يتوضأ على أطرافه وكذلك نعمته فى الانجيل وكان خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام (٧) ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف (٨) وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر (٩)

(١) حديث إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعنا م من حديث أبي هريرة (٢) حديث كان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع عليهم فقيل هلكت دوس فقال اللهم اهد دوسا وات بهم (٣) حديث ما ضرب يده أحدا قط إلا أن يضرب في سبيل الله وما اتقم في شيء صنع إليه إلا أن تنتهك حرمة الله الحديث متفق عليه من حديث عائشة مع اختلاف وقد تقدم فى الباب الثالث من آداب الصحبة (٤) حديث ما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته مخ طليقا من حديث أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتطلق به حيث شاءت وتوصله ه وقال فابزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها وقد تقدم أيضا من حديث ابن أبي أوفى ولا يأنف ولا يستكبر أن يمضى مع الأرملة والسكين حتى يقضى لهما حاجتهما (٥) حديث أنس والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لمضله ولا لمي نساؤه إلا قال دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر الشيخان من حديث أنس ما قال كفى صنعته لم صنعته ولا شيء تركته لم تركته وروى أبو الشيخ فى كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له فيه ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فأتبني عليه فان عاتبنى أحد من أهله قال دعوه فلو قدر شيء كان وفى رواية له كذا قضى (٦) حديث ما عاب مضجعا إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض ، لم أجده بهذا اللفظ والمعروف ما عاب طعاما ويؤخذ من عموم حديث على بن أبي طالب ليس بغف إلى أن قال ولا عياب رواه فى الثمائل والطبرانى وأبو نعيم فى دلائل النبوة ، وروى ابن أبي عاصم فى كتاب السنن من حديث أنس ما عابه عاب شيئا قط وفى الصحيحين من حديث عمر اضطجعا على حصير وتوضعا من حديث ابن مسعود نام على حصير فقام وقد أثر فى جنبه الحديث (٧) حديث كان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام فى الثمائل من حديث هند بن أبى هالة (٨) حديث ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو للنصرف الطبرانى ومن طريقه أبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على بن أبي طالب وهو من حديث أنس كان إذا لقي الرجل بكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو للنصرف ورواه تميمه وقال غريب (٩) حديث وما أخذ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ه من حديث أنس الذى قبله كان إذا استقبل الرجل فصاله لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع لفظه وقال غريب .

نصربها أو تعرضا كما
تحركت النفس الشريفة
النسوية لما كسرت
رباعيته وصار الفم
يسيل على الوجه
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم بمسحه
ويقول: كيف فلع قوم
خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعوم إلى ربهم فأزل
الله تعالى - ليس لك
من الأمر شيء -
فاكتسى القلب النبوى
لباس الاصطبار وقاء
بعد الاضطراب إلى
القرار فلما توزعت
الآيات على ظهور
الصفات فى مختلف
الأوقات صفت الأخلاق
النبوية بالقرآن
ليكون خلقه القرآن
ويكون فى إبقاء تلك
الصفات فى نفس رسول
الله صلى الله عليه وسلم

وكان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يديه فتشابكه ثم شد قبضته عليها^(١) وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله^(٢) وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته^(٣) وكان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة^(٤) ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه^(٥) لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس^(٦) وما رؤي قط ماداً رجله بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون للكان واسعا لا يضيق فيه وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة^(٧) وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه^(٨) وكان يؤثر الداخل عليه بالسادة التي تحته فان أبي أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل^(٩) وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه^(١٠) حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة

(١) حديث كان إذا لقي أحدا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يديه فتشابكه ثم شد قبضته ومن حديث أبي ذرٍّ وسأله رجل من غزوة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحكم إذا لقيتموه قال ما لقيته قط إلا صالحني الحديث ، وفيه الرجل الذي من غزوة ولم يسم وسماء البيهقي في الأدب عبد الله وروينا في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة قال شبك يدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وهو عندهم بلفظ أخذ رسول الله ﷺ يدي (٢) حديث كان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل ت في الثمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي ذكر بالتثنية (٣) حديث كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال ألك حاجة فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته لم أجده أصلا (٤) حديث كان أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعا ويمسك يديه عليهما شبه الحبوة د ت في الثمائل من حديث أبي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتج يديه وإسناده ضعيف والبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتجيا يديه (٥) حديث إنه لم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه دن من حديث أبي هريرة وأبي ذرٍّ قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجىء التريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل الحديث (٦) حديث إنه حينما انتهى به المجلس جلس ت في الثمائل في حديث علي الطويل (٧) حديث ما رؤي قط ماداً رجله بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد إلا أن يكون للكان واسعا لا يضيق فيه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال باطل وتوهلير مقدما ركبتيه بين يدي جلس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف (٨) حديث كان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه ك وصحح إسناده من حديث أنس . دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فأخذ برده فأتاها عليه فقال اجلس عليها يا جرير الحديث وفيه فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة ولطبراني في الكبير من حديث جرير فأتني إلى كساء ولأني نعيم في الحلية فبسط إلى رداءه (٩) حديث كان يؤثر الداخل بالسادة التي تكون تحته الحديث تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (١٠) حديث ما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى يعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة ت في الثمائل من حديث علي الطويل وفيه يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسه أن أحدا أكرم عليه منه وفيه مجالسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة.

معنى قوله عليه السلام « إنما أنسى لأسن »
فظهر صفات نفسه الشريفة وقت استئصال الآيات لتأديب نفوس الأمة وتهذيبها رحمة في حقهم حتى تزكي نفوسهم وتعرف أخلاقهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأخلاق عزيمة عند الله تعالى فإذا أراد الله تعالى بسبب خيرا منحه منها خلقا » وقال صلى الله عليه وسلم « إنما بثت لأتسم مكارم الأخلاق » .
وروى عنه صلى الله عليه عليه وسلم « إن الله تعالى مائتو بضعة عشر

دل الله تعالى - فبا رحمة من الله كنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نقضوا من حولك - وله كان يدعو أمهاته بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم (١) ويكنى من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه به (٢) ويكنى أيضا النساء اللاتي لم يلدن يبتدىء من السكى (٣) ويكنى الصبيان فيستلن به (٤) قلوبهم وكان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا (٥) وكان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس (٦) ولم تكن ترفع في مجامع الأصوات (٧) وكان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ثم يقول عني بن جبريل عليه السلام (٨) .

(بيان كلامه وضحكه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس منطلقا وأحلام كلاما ويقول (٩) :

(١) حديث كان يدعو أمهاته بكنائهم إكراما لهم واستئالة لقلوبهم في الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وللحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر إنه لأول يوم كنانى فيه بأبى حفص وقال صحيح على شرطه وفي الصحيحين أنه قال لعلى قم يا أبا تراب وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد منصا في بطنه فتخلفت عليه يريد عليا ولأبى يلى الموصلى من حديث سعد ابن أبي وقاص فقال من هذا أبو إسحاق فقلت نعم وللحاكم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له (٢) حديث كان يكنى من لم يكن له كنية وكان يدعى بما كناه به ت من حديث أنس قال كنانى النبي صلى الله عليه وسلم بيقلة كنت أختليها بيني أبا حمزة قال حديث غريب وه أن عمر قال لصيب بن مالك تكتنى وليس لك ولد قال كنانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى يحيى للطبرانى من حديث أبى بكر تديت بكرة من الطائف فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم فأنت أبو بكر (٣) حديث كان يكنى النساء اللاتي لم يلدن يبتدىء من السكى ك من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يأمن قومي إلى تلك الفخارة الحديث وه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيته غيرى قال فأنت أم عبد الله وخ من حديث أم خالد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يأمن خالد هذا سناء وكانت صغيرة وفيه مولى للزير لم يسم ولأبى داود باسناد صحيح أنها قالت يا رسول الله كل صواحبى لمن كنى قال فاكتنى بابتك عبد الله بن الزبير (٤) حديث كان يكنى الصبيان في الصحيحين من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير يا أبا عمير ما فعل الصغير (٥) حديث كان أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا هذا من المعلوم ويدل عليه إخباره صلى الله عليه وسلم أن بنى آدم خيرهم بطى غضبا وسريع النى رواه ت من حديث أبى سعيد الخدرى وقال حديث حسن وهو صلى الله عليه وسلم خير بنى آدم وسيدهم وكان ﷺ لا ي غضب لنفسه ولا يتصر لها رواه ت في الثمائل من حديث هذبن أبى هالة (٦) حديث كان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس هذا من المعلوم وروينا في الجزء الأول من فوائد أبى الدحداح من حديث طى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالناس الحديث بطوله (٧) حديث لم تكن ترفع في مجلسه الأصوات ت في الثمائل من حديث طى الطويل (٨) حديث كان إذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك الحديث أخرجه الفسائى في اليوم واليلة وك في الاستدرك من حديث رافع بن خديج وتقدم في الأذكار والدعوات (٩) حديث كان أفصح الناس منطلقا وأحلام كلاما أبو الحسن بن الضحاك في كتاب الثمائل وابن الجوزى

خلقا من آتاه واحدا منها دخل الجنة ۝ فتقديرها وتحديدها لا يكون إلا بوحى سماوى لم رسل ونبي ۝ والله تعالى أبرز إلى الخلق أسماء منبئة عن صفاته سبحانه وتعالى وما أظهرها لهم إلا ليدعوم إليها ولولا أن الله تعالى أودع في القوى البشرية التخلق بهذه الأخلاق ما أبرزها لهم دعوة لهم إليها يختص رحمته من يشاء ولا يمد والله أعلم أن قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز فامض وإعلاء

أنا أفصح العرب ^(١) وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ^(٢) وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه كخرزات نظمن ^(٣) قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسر دم هذا كان كلامه نرا وأتم تنثرون الكلام نرا ^(٤) قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد ^(٥) وكان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كأنه يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويبيه ^(٦) وكان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ^(٧) وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ^(٨)

في الوفاء باسناد ضعيف من حديث بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفصح العرب وكان يتكلم بالكلام لا يدرون ماهو حتى يخبرهم ^(١) حديث أنا أفصح العرب الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري أنا أعرب العرب وإسناده ضعيف وك من حديث عمر قال قالت يا رسول الله ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا الحديث . وفي كتاب الرعد والطرلاب أني الدنيا في حديث مرسل أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت أفصح منك ^(٢) حديث إن أهل الجنة يتكلمون بلغة محمد صلى الله عليه وسلم ك من حديث ابن عباس ومحمده كلام أهل الجنة عربي ^(٣) حديث كان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بهذار وكان كلامه خرزات النظم الطبراني من حديث أم معبد وكان منطق خرزات نظم ينحدرون حلو للنطق لا نزر ولا هنر وقد تقدم وسيأتي من حديث عائشة بسنده كان إذا تكلم تكلم نرا وفي الصحيحين من حديث عائشة كان يحدثنا حديثا لو عدته العاد لأحصاه ^(٤) حديث عائشة كان لا يسرد كسر دم هذا كان كلامه نرا وأتم تنثرونه نرا اتفق الشيخان على أول الحديث وأما الجملتان الأخيرتان فرواه الحلبي في فوائده باسناد منقطع ^(٥) حديث كان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع والدارقطني من حديث ابن عباس باسناد جيد أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا وشطره الأول متفق عليه كما سيأتي قال غ بنفي في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك وللهما كمن حديث عمر المتقدم كانت لغة اسماعيل قد درست فجاء بها جبريل لحفظتها ^(٦) حديث كان يتكلم بجوامع الكلم لافضول ولا تقصير كلام يتبع بضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويبيه ت في الشئائل من حديث هند بن أبي هالة وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بعثت بجوامع الكلم ولأبي داود من حديث جابر كان في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أو ترسيل وفيه شيع لم يسم وله ولترمذي من حديث عائشة كان كلام النبي صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه وقالت يحفظه من جلس إليه وقالت في اليوم واليلة يحفظه من سمعه وإسناده حسن ^(٧) حديث كان جهير الصوت أحسن الناس نعمة ت ن في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر بيننا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوته له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو من صوته هاؤم الحديث . وقال أحمد في مسنده وأجابه نحو مما تكلم به الحديث وقد يؤخذ من هذا أنه صلى الله عليه وسلم كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائما وقد يقال لم يكن جهوري الصوت وإنما رفع صوته رفقا بالأعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر وللشيخين من حديث البراء ما سمعت أحدا أحسن صوتا منه ^(٨) حديث كان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ت في الشئائل من حديث هند بن أبي هالة .

خفي إلى الأخلاق
الربانية فاحتشمت
من الحضرة الإلهية
أن تقول متخلقا
بأخلاق الله تعالى
فصبرت عن المعنى بقولها
كان خلقه القرآن
استحياء من سبحات
الجلال وسرا للعال
بلطف المقال وهذا
من وفور علمها وكال
أدبها وبين قوله تعالى
- ولقد آتيناك سبعا
من الثاني والقرآن
العظيم - وبين قوله
- وإنك لعل خلق عظيم -
مناسبة مشعرة بقول
عائشة رضي الله عنها
كان خلقه القرآن .
قال الجنيد رحمه الله

ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق (١) ويعرض عن تكلم بغير جميل (٢) ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره (٣) وكان إذا سكت تكلم جساؤه ولا يتنازع عنده (٤) في الحديث ويعط بالجد والنصيحة (٥) ويقول لا تضربوا القرآن بعنه يعمن فانه أنزل على وجوه (٦) وكان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم (٧) ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه (٨) وكان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له (٩) قالوا ولقد جاءه أعرابي يوما وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تفضا ونزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به للمؤمنين (١٠) قالوا وكان

(١) حديث لا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق د من حديث عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فتهنى قريش وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق رواه ك وصححه (٢) حديث يعرض عن تكلم بغير جميل ت في الشرائع من حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث (٣) حديث يكنى عما اضطره الكلام مما يكره فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة حتى تذوق عسيلته ويذوق عسلتك رواه خ من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سأله عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (٤) حديث كان إذا سكت تكلم جساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ت في الشرائع من حديث علي الطويل (٥) حديث يعط بالجد والنصيحة م من حديث جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وتلاصوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم الحديث (٦) حديث لا تضربوا القرآن بعنه يعمن وأنه أنزل على وجوه الطيراني من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد حسن إن القرآن يصدق بعنه بعضا فلا تكذبوا بعنه يعمن وفي رواية للهروى في ذم الكلام إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعنه يعمن وفي رواية له أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعنه يعمن وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف (٧) حديث كان أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخطا لنفسه بهم ت من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رأي إلا تبسم وت في الشرائع من حديث علي بضحك مما تضحكون منه ويتعجب مما تعجبون منه وم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم (٨) حديث ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار وفي قصة الخبر الذي قال إن الله يضع السموات على أصبع ومن حديث أبي هريرة في قصة الجامع في رمضان وغير ذلك (٩) حديث كان ضحك أصحابه عنده التبس اقتداء به وتوقيرا له ت في الشرائع من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل جل ضحكه التبس (١٠) حديث جاءه أعرابي يوما وهو متغير ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فانا نكر لونه فقال دعوني والذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يتبسم فقال

كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له همة سوى الله تعالى وقال الواسطي رحمه الله لأنه جاد بالكونين عوضا عن الحق وقيل لأنه عليه السلام عاشر الخلق بخلقهم وبإيهم بقلبه وهذا ما قاله بعضهم في معنى التصوف: التصوف الخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بمشاهدة مكنونها وقيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته إلى

من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة (١) وكان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا فان وعظ وعظ بمجد وإن غضب وليس يغضب إلا الله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها (٢) وكان إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله وتبرأ من الحلول والقوة واستنزل الهدى فيقول : اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (٣) .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد (٤) وكان أحب الطعام إليه ما كان طلي صنف (٥) والصف

يارسول الله بلغنا أن السبع الدجال يأتي الناس بالتريد وقد هلكوا جوعاً الحديث وهو حديث منكر لم أقفله على أصل وورده قوله صلى الله عليه وسلم في حديث المغيرة بن شعبه اتفق عليه حين سأله أنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك وفي رواية لمسلم أنهم يقولون إن معه جبلاً من خبز ولحم الحديث نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود اتفق عليهما إن معه ماء ونارا الحديث (١) حديث كان من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه القرآن أو يذكر الساعة أو يحط بحطبة عظة تقدم حديث عبد الله بن الحارث ما رأيت أحداً أكثر تبسماً منه وللطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكا الحديث ولأحمد من حديث طي أو الزبير كان يحطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم تبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ورواه أبو يعلى من حديث الزبير من غير شك وللحاكم من حديث جابر كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه وهو عند مسلم بألفظ كان إذا خطب (٢) حديث كان إذا سرور رضى فهو أحسن الناس رضا وإن وعظ وعظ بمجد وإن غضب ولا يغضب إلا الله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها أبو الشيخ بن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه بوجهه كان إذا رضى فكأنما تلاحك الجدر وجهه وإسناده ضعيف والراد به المرأة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار وللشيخين من حديث كعب بن مالك قال وهو يرق وجهه من السرور وفيه وكان إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه الحديث وم كان إذا خطب احمرت عيناه وعلامته واشتد غضبه الحديث وقد تقدم وت في الشرائع في حديث هناد بن أبي هالة لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وقد تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني للنكر منكراً وارزقني اجتنابه وأعذني من أن يشبهه على فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم لم أقف لأوله على أصل ، وروى المستفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطينا منها ما برضيك عنا وم من حديث عائشة فيما كان يفتح به صلاته من الليل اهدني لما اختلف فيه إلى آخر الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في الطعام)

(٤) حديث كان يأكل ما وجد تقدم (٥) حديث كان أحب الطعام إليه ما كان طلي صنف

حسن الخلق في حديث أخبرنا به الشيخ العالم ضياء الدين عبد الوهاب ابن طي قال أنا الفتح المروى قال أنا أبو نصر الترياق قال أنا أبو محمد الجبراحي قال أنا أبو العباس المصوبى قال أنا أبو عيسى الحافظ الترمذى قال حدثنا أحمد بن الحسين ابن خراش قال حدثنا حبان بن هلال قال حدثنا مبارك بن فضالة قال حدثني عبد الله ابن سعيد عن محمد بن النكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن

ما كثرت عليه الأيدي ، وكان إذا وضعت المائدة قال : باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة (١) وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وبين قدميه كما يجلس للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد (٢) وكان لا يأكل الحار ويقول : إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا نارافا بردوه (٣) وكان يأكل مما يليه (٤) ويأكل بأصابعه الثلاث (٥) وربما استعان بالراية (٦) ولم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان (٧) وجاءه عثمان بن عفان رضى الله عنه بغالوج فأكل منه وقال ما هذا يا أبا عبد الله قال بأني أنت وأمي نجعل السمن والصل في البرمة ونضعها على النار ثم نعليه ثم

أى كثرت عليه الأيدي أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدى في الكامل من حديث جابر بسند حسن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي ولأبي يعلى من حديث أنس لم يجتمع له غذا وعشاء خبر ولم إلا على صنف وإسناده ضعيف (١) حديث كان إذا وضعت المائدة قال باسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة . أما التسمية فرواهان من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاما يقول باسم الله الحديث وإسناده صحيح وأما بقية الحديث فلم أجده (٢) حديث كان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبته وقدميه كما يفعل للصلى إلا أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد . عبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب مضملا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتضر وقال آكل كايأكل العبد الحديث وروى ابن الضحاك في السائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قدم على الطعام استوفى على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفضل كما يفعل العبد روى أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم بسند حسن من حديث أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكلم أو رده في صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبر من حديث ابن عمر إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ولأبي يعلى من حديث عائشة آكل كايأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وسندها ضعيف (٣) حديث كان لا يأكل الحار ويقول إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا نارافا البيهقي من حديث أبي هريرة بأسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم يوما بطعام سخن فقال ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم ولأحمد بأسناد جيد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث حوالة بنت قيس وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فقبضها لفظ الطبراني والبيهقي وقال أحمد فأحرقت أصابعه فقال حسن والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة وله فيه وفي الصغير من حديثه آتى بصحفة خمر فرغ يده منها وقال إن الله لم يطعمنا نارا وكلاهما ضعيف (٤) حديث كان يأكل مما يليه أبو الشيخ بن حبان من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماء في رواية له وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسب سفيان الثوري وقال البيهقي تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه (٥) حديث أكله بأصابعه الثلاث م من حديث كعب بن مالك (٦) حديث استعانه بالراية رويناه في الفيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسل كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالحس (٧) حديث لم يأكل بأصبعين ويقول إن ذلك أكلة الشيطان الدار قطنى في الأفراد من حديث ابن عباس بأسناد ضعيف لا تأكل بأصبع فانه أكل اللؤلؤ ولا تأكل بأصبعين فانه أكل الشياطين الحديث .

من أحبكم إلى وأقربكم
منى مجلسا يوم القيامة
أحسنكم أخلاقا وإن
أبغضكم إلى وأبعدكم
منى مجلسا يوم القيامة
الثرثارون للتشدقون
للتضيقون قالوا يا رسول
الله علنا الثرثارون
وللتشدقون في
التضيقون ؟ قال
التكبرون والثرثار هو
للكثار من الحديث
وللتشدق للتناول
على الناس في الكلام
قال الواسطي رحمه الله
الخلق العظيم أن
لا يخافهم ولا يخافهم
وقال أيضا وإنك لم
خلق عظيم لوجدانك
حلاوة للطاعة على

ناخذ مع الحنطة إذا طحنت فتقليه على السمن والعدل في البرمة ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كاري
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا الطعام طيب ^(١) وكان يأكل خبز الشعير غير منخول ^(٢)
 وكان يأكل القثاء بالرطب ^(٣) وبالملح ^(٤) وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب ^(٥)
 وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر ^(٦) وربما أكله بالرطب ^(٧) ويستعين باليدن جميعاً وأكل
 يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل
 من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة ^(٨) وكان ربما أكل العنب

(١) حديث جاءه عثمان بن عفان بالفولج الحديث قلت المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص روله
 البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال إن أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت
 عليه غير تحمل النقي والعدل الحديث. وقال هذا متقطع وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث
 عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة عليها غرارتان وفيه فاذا دقيق ومن وعسل وفيه ثم قال
 لأصحابه كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص وأما خبر الفولج فرواهه بإسناد ضعيف من حديث
 ابن عباس قال أول ما سمعنا بالفولج أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمتك تفتح
 عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى إنهم لياكلون الفولج قال النبي صلى الله عليه وسلم وما
 الفولج قال يغلطون السمن والعدل جميعاً قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له
 (٢) حديث كان يأكل خبز الشعير غير منخول البخاري من حديث سهل بن سعد (٣) حديث كان
 يأكل القثاء بالرطب متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر (٤) حديث كان يأكل القثاء بالملح
 أبو الشيخ من حديث عائشة فيه يحيى بن هاشم كذبه ابن معين وغيره ورواه ابن عدي وفيه عباد
 ابن كثير متروك (٥) حديث كان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب أبو نعيم في الطب النبوي
 من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب من الفواكه العنب والبطيخ
 وروى أبو الشيخ وأبو عدي في الكامل والطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث أنس
 كان يأخذ الرطب يمينه والبطيخ يساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفواكه إليه، فيه يوسف
 ابن عطية الصفار يجمع على ضعفه وروى ابن عدي من حديث عائشة كان أحب الفواكه لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وله من حديث آخر لها فإن خير الفواكه العنب وكلاهما ضعيف
 (٦) حديث كان يأكل البطيخ بالخبز والسكر أما أكل البطيخ بالخبز فلم أره وإنما وجدت أكل
 العنب بالخبز فيما رواه ابن عدي من حديث عائشة مرفوعاً عليكم بالرازمة قيل يا رسول الله وما للرازمة
 قال أكل الخبز مع العنب فإن خير الفواكه العنب وخير الطعام الخبز وإسناده ضعيف وأما أكل البطيخ
 بالسكر فإن أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور فهو الحديث الآتي بدمه وإن أريد به السكر
 الذي هو الطبرزد فلم أره أصلاً إلا في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من
 رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل بطيخاً بسكر وفيه موسى بن إبراهيم
 للروزي كذبه يحيى بن معين (٧) حديث أكل البطيخ بالرطب من حديث عائشة وحسنه وه
 من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارم بلطف البطيخ بالرطب (٨) حديث
 استعانت باليدن جميعاً فأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها
 بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل يمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة أما استعانت يديه
 جميعاً فرواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر قال آخر ما رأيت من رسول الله ﷺ في إحدى يديه
 رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه وبعض من هذه وتقدم حديث أنس في أكله يديه قبل

سرك وقال أيضاً أنك
 قبلت فون ما أسديت
 إليك من نعمي أحسن
 مما قبله غيرك من
 الأنبياء والرسل. وقال
 الحسين لأنه لم يؤثر
 فيك جفاء الخلق مع
 مطالعة الحق وقيل
 الخلق العظيم لباس
 التقوى والتخلق
 بأخلاق الله تعالى إذ لم
 يبق للأعواض عنده
 خطر. وقال بعضهم
 قوله تعالى ولو تقول
 علينا بعض الأقاويل
 لأخذنا منه باليمين -
 آثم لأنه حيث قال وانك
 أحضره وإذا أحضره
 أغفله وحجبه وقوله
 لأخذنا آثم لأن فيه
 فناء في قول هذا القائل

خرطاً يرى زؤانه على لحته تكرر الأولو (١) وكان أكثر طعامه للماء والتمر (٢) وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطينين (٣) وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لعل (٤) وكان يأكل التريد باللحم والقرع (٥) وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس عليه السلام (٦) قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول وباعائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين (٧) وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد (٨) وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله (٩) وكان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم يتنفض انتفاشاً (١٠) وكان يأكل الخبز والسمن (١١)

هذا ثلاثة أحاديث وأما قصته مع الشاة فرويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف (١) حديث ربما أكل الغنم خرطاً الحديث ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعتيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف (٢) حديث كان أكثر طعامه للماء والتمر خ من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء (٣) حديث كان يجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطينين أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال دخلت على رجل وهو يجمع لبناً بتمر وقال ادن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم صامها الأطينين ورجاله تقات وإبهامه لا يضر (٤) حديث كان أحب الطعام إليه اللحم ويقول هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لعل أبو الشيخ من رواية ابن سمان قال سمعت من علمائنا يقولون كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم الحديث وت في الشامل من حديث جابر أئانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا قد بعنا له شاة فقال كأنهم علموا أننا نحب اللحم وإسناده صحيح وهو من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم (٥) حديث كان يأكل التريد باللحم والقرع م من حديث أنس (٦) حديث كان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخرى يونس ن ه من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع وقال ن الدباء وهو عندهم بلفظ تسجبه وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء (٧) حديث باعائشة إذا طبختم قدراً فأكثرُوا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين وروينا في فوائد أبي بكر الشافعي (٨) حديث كان يأكل لحم الطير الذي يصاد م من حديث أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم ائني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير فجاء على فأكل معه قال حديث غريب قلت وله طرق كلها ضعيفة ، وروى دت واستغربه من حديث سفينة قال أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم جباري (٩) حديث كان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله قلت هذا هو الظاهر من أحواله فقد قال من تبع الصيد غفل رواء د ن من حديث ابن عباس وقال حسن غريب وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبل الله رسل كلهم يصطاد ويطلب الصيد فهو ضعيف جداً (١٠) حديث كان إذا أكل اللحم لم يطأطى رأسه إليه ورفضه إلى فيه رفضاً ثم تنفض د من حديث صفوان بن أمية قال كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ اللحم من العظم فقال أدن اللحم من فيك فإنه أهني وأمرأ وت من حديثه أنهش اللحم نهشاً فإنه أهني وأمرأ وهو منقطع والذي قبله منقطع أيضاً وللشيخين من حديث أبي هريرة فتناول القذراع فنهش منها نهشة الحديث (١١) حديث كان يأكل الخبز والسمن متفق عيه من حديث أنس في قصة طويبة فيها فأنت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقت وعصرت أم سليم عكة فأدمته الحديث وفيه ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ه فصنعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح و د ه من

نظر فيها قال إن كان في ذلك فناء فقي قوله وإنك بقاء وهو بقاء بعد فناء والبقاء أتم من الفناء وهذا أليق بنصيب الرساله لأن الفناء إنما عز لمزاحة وجوده منموم فإذا نزع المنموم من الوجود وتبدلت النعوت فأى عزة تبقى في الفناء فيكون حضوره بالله لا بنفسه فأى حجة تبقى هناك . وقيل من أولى الخلق العظيم قدأوى أعظم اللقائات لأن لللقائات ارتباطاً عاماً والخلق ارتباط بالنعوت والصفات . وقال الجنيد اجتمع

وكان يحب من الشاة الدراع والكنف ، ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة (١) ودعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم واليسع (٢) وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة (٣) وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول (٤) وكان لا يأكل من الشاة سبعا : الذكر والأثنين والثلاثة والرارة والفدد والحيا والسم ، ويكره ذلك (٥) وكان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات (٦) وماذم طعاما قط لكن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره (٧) وكان يعاف الضب والطحال ولا يجرهما (٨)

حديث ابن عمر وددت أن عندى خبزة يضاء من بر سمراء ملبقة بسمن الحديث قال دمنسقر .
(١) حديث كان يحب من الشاة الدراع والكنف ومن القدر الدباء ومن الصباغ الحل ومن التمر العجوة وروى الشيخان من حديث أبي هريرة قال وضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قصعة من تمر يدولحم فتناول الدراع وكانت أحب الشاة إليه الحديث . وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنف وإسناده ضعيف ومن حديث أبي هريرة ولم يكن يصحبه من الشاة إلا الكنف وتقدم حديث أنس كان يحب الدباء قبل هذا بستة أحاديث ولأبي الشيخ من حديث أنس كان أحب الطعام إليه الدباء وله من حديث ابن عباس باسناد ضعيف كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحل وله بالاسناد المذكور كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة (٢) حديث دعا في العجوة بالبركة وقال هي من الجنة وشفاء من السم والسحر البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدبنا له تمرا وفيه حتى ذكرنا تمر أهلنا هذا الجذامى قال بارك الله في الجذامى وفي حديقته خرج هذا منها الحديث قال أبو موسى للدينى قيل هو تمر أحمر وت ن ه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبغ سبع تمرات من هجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر (٣) حديث كان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحفقاء التي يقال لها الرحلة أبو نعيم في الطب النبوى من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فإنه ما يوم إلا ويقطر عليه قطرة من قطر الجنة وله من حديث الحسن بن على وأنس بن مالك نحوه وكلها ضيفة وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثا وأما الرحلة فروى أبو نعيم من رواية ثور قال مرة النبي صلى الله عليه وسلم بالرحلة وفي رحله قرحة فداواها بها فبرئت فقال رسول الله ﷺ بارك الله فيك أنبى حيث شئت فأتت شفاء من سبعين داء أدناه الصداق وهذا مرسل ضعيف (٤) حديث كان يكره الكليتين لمكانهما من البول وروناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس باسناد ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن على العدوى أحد الكذابين (٥) حديث كان لا يأكل من الشاة : الذكر والأثنين والثلاثة والرارة والفدة والحيا والسم ، ابن عدى ومن طريقه البيهقى من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ورواه البيهقى من رواية مجاهد مرسل (٦) حديث كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا السكرات مالك في الموطأ عن الزهرى عن سليمان بن يسار مرسل ووصله الدارقطنى في غرائب مالك عن الزهرى عن أنس وفي الصحيحين من حديث جابر أتى بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحا الحديث وفيه قال فأتى أناجى من لاتناجى ولمسلم من حديث أنى أيوب في قصة بعث إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه وقال إني أكرهه من أجل ريحه (٧) حديث مادم طعاما قط لكن إن أحبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يفضه إلى غيره تقدم أول الحديث وفي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال كلوا فإنه ليس بمحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومى (٨) حديث كان يعاف الضب والطحال ولا يجرهما

فيه أربعة أعيام :
السقاء والألفة
والنصيحة والشفقة .
وقال ابن عطاء : الخلق
العزيز أن لا يكون له
اختيار ويكون تحت
الحكم مع فناء النفس
وفناء للألوقات . وقال
أبو سعيد القرشى :
العزيز هو الله ومن
أخلاقه الجود والكرم
والصفح والصفو
والإحسان ألا ترى إلى
قوله عليه السلام « إن
له مائة بضعة عشر
خلقا من أتى بواحد
منها دخل الجنة » فلما
نخلق بأخلاق الله
تعالى وجد الثناء عليه
بقوله - وإنك لعلى

وكان يلقى بأصابه الصخرة ويقول آخر الطعام أكثر بركة (١) وكان يلقى أصابه من الطعام حتى
 "نحمر" (٢) وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي
 الطعام البركة (٣) وإذا فرغ قال الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت فأرويت لك الحمد
 غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه (٤) وكان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم
 يمسح بفضل الماء على وجهه (٥) وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث
 تحميدات (٦) وكان يمسح اللسان بماء ولا يمسح بها (٧) وكان يدفع فضل مؤثره إلى من على يمينه (٨) فإن
 كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه السنة أن تعطى فإن أجبت آثرتهم (٩) وربما كان
 يشرب بنفس واحد حتى يفرغ (١٠) وكان لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه (١١) وآتى بإناء فيه

أما الضب في الصحيحين عن ابن عباس لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه ولهما من حديث ابن عمر
 أحلت لنا ميتتان ودمان وفيه أما الدمان فالكبد والطحال واليسقي موقوفًا على زيد بن ثابت إني
 لا أكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلى أنه لا بأس به (١) حديث كان يلقى الصخرة ويقول
 آخر الطعام أكثر بركة اليسقي في شعب الإيمان من حديث جابر في حديث قال فيه ولا ترفع القصة حتى
 تلتقمها أو تلتقمها فإن آخر الطعام فيه البركة وم من حديث أنس أمرنا أن نسلت الصخرة وقال إن أحدكم
 لا يدري أي طعامه يبارك له فيه (٢) حديث كان يلقى أصابه من الطعام حتى "نحمر" م من حديث
 كعب بن مالك دون قوله حتى "نحمر" فلم أقف له على أصل (٣) حديث كان لا يمسح يده بالمنديل حتى
 يلقى أصابه واحدة واحدة ويقول إنه لا يدري في أي أصابه البركة م من حديث كعب بن مالك
 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يمسح يده حتى يلقى وله من حديث جابر إذا فرغ فيلقى أصابه
 فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة واليسقي في الشعب من حديثه لا يمسح أحدكم يده بالمنديل
 حتى يلقى يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه (٤) حديث وإذا فرغ قال اللهم لك
 الحمد أطعمت وأشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه الطبراني من
 حديث الحرث بن الحارث بسند ضعيف والبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال
 الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفى ولا مكفور وقال مرة الحمد لله ربنا غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى
 عنه ربنا (٥) حديث كان إذا أكل الحبز واللحم خاصة غسل يديه غسلًا جيدًا ثم يمسح بفضل الماء
 على وجهه أبو يعلى من حديث ابن عمر بأسناد ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيئًا فليغسل يده من
 ربح وضرة لا يؤذى من حذاه (٦) حديث كان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي
 آخرها ثلاث تحميدات الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات وم من حديث أنس
 كان إذا شرب بنفس ثلاثا (٧) حديث كان يمسح اللسان بماء ولا يمسح بها البخاري والطبراني وابن
 عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضًا وشرب مما
 وللطبراني من حديث أم سلمة كان لا يمسح ولا يمسح من حديث ميمونة لا يمسح ولا يمسح وكلها
 ضعيفة (٨) حديث كان يدفع فضل مؤثره إلى من عن يمينه متفق عليه من حديث أنس (٩) حديث
 استئذنه من على يمينه إذا كان على يساره أجل رتبة متفق عليه من حديث سهل بن سعد
 (١٠) حديث شربه بنفس واحد أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بأسناد ضعيف وللحاكم من
 حديث أبي قتادة ومعه إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد ولعل تاويل هذين الحديثين على
 ترك التنفس في الإناء والله أعلم (١١) حديث كان لا يتنفس في الإناء حتى ينحرف عنه ك من حديث
 أبي هريرة ولا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم ليتنفس

خلق عظيم - وقيل
 عظم خلقك لأنك لم
 ترض بالأخلاق
 وسرت ولم تكن إلى
 النعمت حتى وصلت إلى
 الذات . وقيل لما ثبت
 محمد عليه الصلاة
 والسلام إلى الحجاز
 حجزه بها عن الذات
 والشهوات وألقاه في
 الرقب والجفوة ففاضوا
 بذلك عن دنس
 الأخلاق قال له
 - وإنك لم تخلق
 عظيم - . وأخبرنا
 الشيخ الصالح أبو زرعة
 ابن المافظ أبي الفضل
 محمد بن طاهر القدسي
 عن أبيه قال أنا أبو عمر
 للبخي قال أنا أبو محمد

عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد (١) ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا أحرمنه ولكني أكره الفخر والحساب بغضول الدنيا غدا وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله » وكان في بيته أهدأ حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يشتهيهم إن أطعموهما كل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب (٢) وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يهرب (٣) .

(بيان آدابه وأخلاقه في اللباس)

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك (٤) وكان يعجبه الثياب الخضر (٥) وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وقال حديث صحيح الاسناد (١) حديث أتى بإناء فيه عسل وماء فأبى أن يشربه وقال شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد الحديث البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلى آخره وسنده ضعيف (٢) حديث كان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يشتهيهم إن أطعموهما كل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب الشيخان من حديث أبي سعيد كان أشد حياء من العذراء في خدرها الحديث وقد تقدم وأما كونه كان لا يسألهم طعاما فإنه أراد أي طعام بيته من حديث عائشة أنه قال ذات يوم يا عائشة هل عندكم شيء ؟ قالت قلت ما عندنا شيء الحديث وفيه قلنا رجع قلت أهديت لنا هدية قال ما هو قلت حميس قال هاتيه وفي رواية قريه وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعميني ولأبي داود هل عندكم طعام وت أعندك غداء وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأبى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر برمة على النار فيها لحم الحديث وفي رواية لسم لو صنعت لانا من هذا اللحم الحديث فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والرضا والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم . وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدر لبن وهو واقف على بعيره فشربه ولأبي داود من حديث أم هانئ فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فتناوله فشربه منه وإسناده حسن (٣) حديث وكان ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه من حديث أم المنذر بنت قيس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب ومعه على وعلى ناقه - ولنا دوال معلقة بتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث وإسناده حسن ولترمذي ومصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قرية معلقة قائما الحديث .

(بيان أخلاقه وآدابه في اللباس)

(٤) حديث كان يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزارا مما يصنع باليمن وكساء من هذه البلدة فقالت في هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إزارا غليظا ولها من حديث أنس كنت أمتشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجرائي غليظ الحاشية الحديث لفظ مسلم وقال خ برد نجرائي وه بسند ضعيف من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا قصيرا يدين والطول ودت وحسنه ون من حديث أم سلمة كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص ولأبي داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل هذا الحديث الجبة والشملة والخبرة (٥) حديث كان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم هك من حديث ابن عباس خبرني بكم البياض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم قال هك صحيح الاسناد وله ولأصحاب السنن من حديث حمزة بن عبد المطلب قال ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم

عبد الله بن يوسف قال أنا أبو سعيد بن الأعرابي قال ثنا جعفر بن الحجاج الرقي قال أنا أيوب بن محمد الوزان قال حدثني الوليد قال حدثني ثابت عن يزيد عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول « مكارم الأخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في أبيه ولا تكون في عبده ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن

وكان يلبس القباء المحشو للحرب وغير الحرب (١) وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على يياض لونه (٢) وكانت ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق (٣) وكان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها (٤) وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها (٥) وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره (٦) وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد (٧)

أحياءكم وكفتموا فيها موتاكم لفظ الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وقال ت حسن صحيح (١) حديث كان يلبس القباء المحشو للحرب وغير المحشو الشيخان من حديث السور بن محزمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقيية من ديباج مزرر بالذهب الحديث وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها قال غفرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث وم من حديث جابر لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوما قباء من ديباج أهدى له ثم نزع الحديث (٢) حديث كان له قباء سندس فيلبسه الحديث أحمد من حديث أنس أن أ كيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أوديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند ت ومحمد ن أنه لبسها ولكنه قال بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب (٣) حديث كان ثيابه كلها مشعرة فوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقيصه فوق ذلك ورداؤه فوق ذلك وإسناده ضعيف وك ومحمد من حديث ابن عباس كان يلبس قميصا فوق الكعبين الحديث وهو عنده بلفظ قميصا قصير اليدين والطول وعندها وت في الثمائل من رواية الأشعث قال سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فاذا إزاره إلى نصف ساقه ورواه ن وصحى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمه الأشعث وهم بيت الأسود ولا يعرف (٤) حديث كان قميصه مشدود الأزرار وربما حل الأزرار في الصلاة وغيرها ذه في الثمائل من رواية معاوية بن قرة بن ياس عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة وبإسناده وإن قميصه لمطلق الأزرار وللبهيقي من رواية زيد بن أسلم قال رأيت ابن عمر يصلي محولة أزاره فسألته عن ذلك فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وفي العلل للترمذي أنه سأل خ عن هذا الحديث فقال أنا ألقى هذا الشيخ كأن حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راويه عن زيد بن أسلم قلت تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه للطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبيا محلل الأزرار (٥) حديث كان له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها دت من حديث قيلة بنت محزمة قلت رأيت النبي ﷺ وعليه أعمال ملاءتين كانتا بزعفران قالت لا نعرفه إلا من عبد الله بن حسان قلت ورواته وموتون ود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتعل بها الحديث ورجاله ثقات (٦) حديث ربما لبس الكساء وحده ليس عليه غيره ه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلف به الحديث وفي رواية البزار في كساء (٧) حديث كان له كساء ملبد يلبسه ويقول إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد الشيخان من رواية أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا قالت في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وللبخاري من حديث عمر إنما أنا عبد ولعبد الرزاق في الصنف من رواية أيوب السخيتاني مرفوعا معضلا إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلا .

أراد به السعادة : صدق
الحديث وصدق اليأس
وأن لا يشيع وجاره
وصاحبه جائعان
وإعطاء السائل
والكفاة بالصنائع
وحفظ الأمانة وصلة
الرحم والتذم للصاحب
واقتراء الضيف
ورأسهن الحياء .
وسئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن
أكثر ما يدخل الناس
الجنة قال « تقوى الله
وحسن الخلق » وسئل
عن أكثر ما يدخل
الناس النار قال : النّم
والفرح يكون هذا
النّم غم فوات الحظوظ
الماجلة لأن ذلك

وكان له ثوبان لجمته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة (١) وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره وبمقد طرفيه بين كتفيه (٢) وربما أمّ به الناس على الجنائز (٣) وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ (٤) وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه فيصلّي كذلك (٥) ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته مارأيت شيئا قط كان أحسن من يياضك على سواده (٦) وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه (٧) وكان يتختم (٨) وربما خرج وفي خاتمه خيط للربوط يتذكر به الشيء (٩)

(١) حديث كان له ثوبان لجمته خاصة الحديث الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فاذا انصرف طويناها إلى مثله ورواه حديث عائشة عند ابن ماجه مارأيته يسب أحدا ولا يطوى له ثوب (٢) حديث ربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره فقد طرفيه بين كتفيه الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله فاذا عليه إزاره وليس عليه غيره وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في إزار قد عنده من قبل قلعه وثيابه موضوعة على الشجب وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتصقا به ورداؤه موضوع وفيه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي هكذا (٣) حديث ربما أمّ به الناس على الجنائز لم أقف عليه (٤) حديث ربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتصقا به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال دخلت على أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فראيت النبي صلى الله عليه من ثوب واحد فقلت يأثم حبيبة أبصلي النبي صلى الله عليه وسلم في الثوب الواحد قالت نعم وهو الذي كان فيه ما كان تعني الجماع ورواه الطبراني في الأوسط (٥) حديث ربما كان يصلي بالليل ويرتدى ببعض الثوب مما يلي هديه ويلقى البقية على بعض نسائه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ثوب بعضه على وسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط بعضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم والطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي صلى الله عليه وسلم ونصفه على عائشة وسنده ضعيف (٦) حديث كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الحديث لم أقف عليه من حديث أم سلمة وسلم من حديث عائشة خرج النبي صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرحل أسود ولأبي داود ون صنع للنبي صلى الله عليه وسلم ردة سوداء من صوف فلبسها الحديث وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت يياض النبي صلى الله عليه وسلم وسوادها ورواه ك بافظجة وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقدا بين طرفيه الإزار وأبو يعلى بافظ على ثوب واحد وقد خالف بين طرفيه وللبرازر خرج في مرضه الذي مات فيه مرتديا بثوب قطن فسلّى بالناس وإسناده صحيح و من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا وأشار سفيان إلى قفاء وفي جزء القطرير فمقدّها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف (٨) حديث كان يتختم الشيخان من حديث ابن عمر وأنس (٩) حديث ربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء عد من حديث وائلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطا وزاد الحارث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليدكره به وسنده ضعيف .

يتضمن التسخط والتضجر وفيه الاعتراض على الله تعالى وعدم الرضا بالقضاء ويكون الفرح للشار إليه الفرح بالخطوط العاجلة الممنوع منه بقوله تعالى - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - وهو الفرح الذي قال الله تعالى - إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - لما رأى مفاعمه تنوء بالعصبة أولى القوة فأما الفرح بالآقسام الأخروية فمحمود ينافس فيه قال الله تعالى - قل

وكان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة (١) وكان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها (٢) وربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته (٣) وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب (٤) وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل يمينه (٥) ويقول الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس (٦) وإذا نزع ثوبه أخرجه من ميسره (٧) وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميتا (٨)

(١) حديث كان يغمم به على الكتب ويقول الحاتم على الكتاب خير من التهمة الشيخان من حديث أنس لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا إثم لا يقرءون إلا كتابا محتوما فاتخذ خاتما من فضة الحديث ون ت في التماثل من حديث ابن عمر اتخذ خاتما من فضة كان يغمم به ولا يلبسه وسنده صحيح وأما قوله الحاتم على الكتاب خير من التهمة فلم أقف له على أصل (٢) حديث كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير عمامة وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قلنسوة بيضاء ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث قلانس: قلنسوة بيضاء مضرية وقلنسوة بردجيرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر وربما وضعا بين يديه إذا صلى وإسنادهما ضعيف ولأبي داود وت من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين لشركين العمام على القلانس قالت غريب وليس إسناده بالقائم (٣) حديث ربما لم تكن العمامة فيشد العصاية على رأسه وعلى جبهته من حديث ابن عباس سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للنبر وقد عصب رأسه بعصابة دسما الحديث (٤) حديث كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من على فرعما طلع على فيها فيقول صلى الله عليه وسلم أنا كم على في السحاب ابن عدي وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جدا ولابن نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث (٥) حديث كان إذا لبس ثوبا يلبسه من قبل يمينه ت من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه (٦) حديث الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأجمل به في الناس ت وقال غريب وهو ك وصحه من حديث عمر بن الخطاب (٧) حديث كان إذا نزع ثوبه خرج من ميسره أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئا من الثياب بدأ باليمين وإذا نزع بدأ باليسر وله من حديث أنس كان إذا ارتدى أو ترجل أو اتسل بدأ يمينه وإذا خلع بدأ يساره وسندهما ضعيف وهو في الاعتال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله [١] حديث كان له ثوب لجمته خاصة الحديث تقدم قريبا بلفظ نوبين (٨) حديث كان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما الحديث ك في الاستدراك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ثيابه قلبها فلما بلغ تراقبه قال الحمد لله الذي كساني ما أجمل به في حياتي وأوارى به عورتي ثم قال ما من مسلم يلبس ثوبا جديدا الحديث دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه وهو عند ه د ون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه وهو أصح وقد تقدم قال البيهقي وهو غير قوي .

[١] قول العراقي: حديث كان له ثوب الخ ليس هذا الحديث بنسختنا فله بنسخة العراقي .

بفضل الله وبرحمته
فذلك فليفرحوا -
وقر عبد الله بن
البارك حسن الخلق
قال هو بسط الوجه
وبذل للعروف وكف
الأذى فالمصوف يقرأوا
تفوسهم بالمكابدات
والجاهدات حتى أجابت
إلى تحسين الأخلاق
وكم من نفس نجيب
إلى الأعمال ولا نجيب
إلى الأخلاق تفوس
العباد أجابت إلى
الأعمال وجمعت
عن الأخلاق وتفوس
الزهاد أجابت إلى
بعض الأخلاق دون
المعنى وتفوس
المصوفة أجابت إلى

وكان له فراش من آدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه (١) وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل ثني طاقين تحته (٢) وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره (٣) وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة (٤) وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة (٥) وكان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور (٦) وكان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضاء واسم بقلته الدلدل

(١) حديث كان له فراش من آدم حشوه ليف الحديث متفق عليه من حديث عائشة مقتصر على هذا دون ذكر عرضه وطوله ولأبي الشيخ من حديث أم سلمة كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع الإنسان في قبره وفيه من لم يسم (٢) حديث كانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تفرش طاقين تحته ابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من حديث عائشة دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية الحديث ولأبي سعيد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بأتين الحديث وكلاهما لا يصح وت في السائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح ثنية ثنتين فينام عليه الحديث وهو منقطع (٣) حديث كان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه (٤) حديث كان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له الخنم وآخر يقال له الرسوب وآخر يقال له القضيب وكان قبضة سيفه محلاة بالفضة الطبراني من حديث ابن عباس كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشعة بنحاس تسمى ذات الفضول وكانت له حرب تسمى التبعة وكانت له مجن تسمى الدفن وكان له ترس أبيض يسمى موجزا وكان له فرس أدم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج المؤخر وكان له بقله شبيه يقال لها الدلدل وكانت له ناقه تسمى القصواء وكان له حمار يسمى ينفور وكان له بساط يسمى الكر وكانت له عنزة تسمى النمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكانت له مرآة تسمى المرأة وكان له مقراض يسمى الجامع وكان له قصب شوحط يسمى للمشوق وفيه على بن غررة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء تسمى العقاب ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسل وله من حديث على بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ت ه من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم تنقل سيفه ذا الفقار يوم بدر وكان من حديث على في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف ولابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن اللطى مرسل قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلبي وسيف يدعى بتارا وسيف يدعى الخنم وكان عنده بعد ذلك الخنم ورسوب أصحابها من القلبي وفي سنده الواقدي وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال إنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما العضب شهده بدر ولأبي داود وت وقال حسن ون وقال منكرو من حديث أنس كانت قبضة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة (٥) حديث كان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبو الشيخ من رواية محمد بن على بن الحسين مرسل كان في درع النبي صلى الله عليه وسلم حلقتان من فضة (٦) حديث كان اسم قوسه الكتوم وجبته الكافور لم أجد

الأخلاق الكريمة كلها
أخبرنا الشيخ أبو زرعة
إجازة عن أبي بكر
ابن خلف إجازة عن
السلمي قال سمعت
حسين بن أحمد بن
جعفر يقول سمعت
أبا بكر الكنانى يقول
التصوف خلق لمن
زاد عليك بالخلق زاد
عليك بالتصوف فالعباد
أجابت قوسهم إلى
الأعمال لأنهم يسلكون
بنور الاسلام والزهاد
أجابت قوسهم إلى بعض
الأخلاق لكونهم
ملكوا بنور الإيمان
والصوفية أهل القرب
ملكوا بنور الاحسان
قلبا باشر بواطن أهل

وكان اسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة (١) وكان له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها (٢) فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يذفون عنه فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم ويتنقون بذلك البركة .

(بيان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة)

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس (٣) وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتى بقلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه قام رجل من أهل البادية فقال « يا محمد والله لأن أمر الله أن تعدل فأمر الله أن تعدل فقال ويحك فمن يعدل عليك بعدى فلما ولى قال ردوه على رويدها (٤) » روى جابر « أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم خير من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت إذن وخسرت إن كنت لا أعدل قام عمر فقال ألا أضرب عنقه فإنه منافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي (٥) » وكان رسول الله ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال لا غير أني لأقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك على سيده فجهاد أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس (٦) وروى أنس « أن يهودية أتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك فقالت أردت قتلك فقال

له أصلاً وقد تقدم في حديث ابن عباس أنه كانت له قوس تسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قوس : قوس اسمها الروحاء وقوس شوخط تدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء من سبع (١) حديث كان اسم ناقته القصواء وهي التي يقال لها العضباء واسم بئله الدليل واسم حمارة ينفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة تقدم بعضه من حديث ابن عباس عند الطبراني والبخاري من حديث أنس كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقه يقال لها العضباء ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصواء وك من حديث علي : ناقته القصواء وبئله الدليل وحمارة غير الحديث ورويناه في فوائد ابن الدحداح فقال حمارة ينفور وفيه شاته بركة وخ من حديث معاذ كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له غير ولا بن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم بن عبد الله من ولد عتبة بن غزوان كانت منافع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعاً : عجورة وزمزم وسقيا وبركة ورشة واهلال وأطراف وفي سننه الواقدي وله من رواية مكحول مرسلات كانت شاة تسمى قر (٢) حديث كانت له مطهرة من غفار يتوضأ فيها ويشرب منها الحديث لم أقف له على أصل .

(بيان عفوه مع القدرة)

(٣) حديث كان أحلم الناس تقدم (٤) حديث أتى بقلائد من ذهب وفضة قسمها بين أصحابه الحديث أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد (٥) حديث جابر أنه كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل الحديث رواه (٦) حديث كان في حرب قرؤى في المسلمين غرة فجهاد رجل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف الحديث متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف وصحى الرجل غورث بن الحارث .

القرب والصوفية نور
اليقين وتواصل في
بواطنهم ذلك انصلح
القلب بكل أرجائه
وجوانبه لأن القلب
يبيض بضه بنور
الاسلام وبضه بنور
الايمان وكله بنور
الاحسان والايقان فاذا
ايض القلب وتور
انكس نوره على
النفس والقلب وجه
إلى النفس ووجه إلى
الروح والنفس وجه
إلى القلب ووجه إلى
الطبع والغريزة والقلب
إذ لم يبيض كله لم
يتوجه إلى الروح بكله
ويكون ذا وجهين
وجه إلى الروح ووجه

ما كان الله ليمسكك على ذلك قالوا أفلا تقاتلها فقال لا (١) وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط (٢) وقال على رضى الله عنه « بعثى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ قلنا أخرجى الكتاب قالت مامى من كتاب قلنا تخرجن الكتاب أولتنزعن الثياب فأخرجته من غصنها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حطاب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حطاب ما هذا قال يا رسول الله لا تمجل على إتي كنت أمرا ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأجيب إذا فاتني ذلك من النسب منهم أن آخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفضل ذلك كفر ولا راحة بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه صدقكم فقال عمر رضى الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم (٣) . وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة قال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال: « رحم الله أخى موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر (٤) » وكان صلى الله عليه وسلم يقول « لا يلفني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر (٥) » .

(بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه (٦) وكان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية (٧) وكان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه (٨) يعني الصفرة ، وبأل أعرابي في المسجد بعضته فهم به الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم

(١) حديث أنس أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة نسمومة الحديث رواه وهو عندنا من حديث أبي هريرة (٢) حديث سحره رجل من اليهود فأخبره جبريل بذلك حتى استخرجه الحديث ن باسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر (٣) حديث على بعثى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير وللقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ الحديث متفق عليه (٤) حديث قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث لا يلفني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر د من حديث ابن مسعود وقال غريب من هذا الوجه .

(بيان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما يكرهه)

(٦) حديث كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه الحديث وقد تقدم . (٧) حديث كان إذا اشتد وجهه أكثر من مس لحية السكرية الحديث وقد تقدم أبو الشيخ من حديث عائشة باسناد حسن (٨) حديث كان لا يشافه أحدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا أن يدع هذه يعني الصفرة د ت في الشامل ون في اليوم والليلة من حديث أنس وإسناده ضعيف .

إلى النفس فإذا ابيض
كله توجه إلى الروح
بكله فيتداركه مدد
الروح ويزداد إشراقا
وتورا وكلما انجذب
القلب إلى الروح
انجذبت النفس إلى
القلب وكلما انجذبت
توجهت إلى القلب
بوجهها الذي يليه
وتور النفس لتوجهها
إلى القلب بوجهها
الذي يلي القلب وعلامة
تورها طمأنينتها قال
الله تعالى - يأتيتها

«لا ترموه» أى لا تقطعوا عليه البول ثم قال له «إن هذه للساجد لا تصلح لى» من القدر والبول والحلاء (١) وفي رواية قربوا ولا تنفروا وجاءه أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه صلى الله عليه وسلم ثم قال له أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت قال فنضب للسيلون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت قل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد أو المشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضى كذلك فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم : إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها إلا قهقريا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين نائقي فاني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قدام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإنى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار (٢)

(بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأسخم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا (٣) وكان على رضى الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله (٤) وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه (٥) وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنا سدت مابين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يغشى الفاقة ومما مثل شيئا قط فقال لا (٦) وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعهما على حصير ثم قام إليها فقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها (٧) وجاءه رجل فسأله

(١) حديث بالأعرابي في السجدة بحضرته فقال صلى الله عليه وسلم لا ترموه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث جاء أعرابي يوما يطلب منه شيئا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أحسنت إليك فقال الأعرابي لا ولا أجملت الحديث بطوله البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف . (بيان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أجود الناس وأسخم في شهر رمضان كالريح المرسلة الشيخان من حديث أنس . كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وأجود الناس ولهما من حديث ابن عباس كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان وفيه فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (٤) حديث كان على إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأجراً الناس صدرا الحديث رواه ت وقال ليس إسناده متصل (٥) حديث ما سئل شيئا قط على الإسلام إلا أعطاه الحديث متفق عليه من حديث أنس (٦) حديث ما سئل شيئا قط فقال لا متفق عليه من حديث جابر (٧) حديث حمل إليه تسعون ألف درهم فوضعهما على حصير ثم قال إليها يقسمها لما رد سائلا حتى فرغ منها أبو الحسن ابن الضحاك في التماثل من حديث الحسن مرسل أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفا لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله يومئذ أحد إلا أعطاه ولم يمنع سائلا ولم يعط ساكنا فقال له العباس الحديث والبخاري تعليقا من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه

النفس للطمعة ارجى
إلى ربك راضية
مرضية وتور وجهها
الذى إلى القلب بمثابة
نورانية أحد وجهي
الصدق لا ككتاب
التورانية من اللؤلؤ
وبقاء شيء من الظلمة
على النفس لنسبة
وجهها الذى إلى
الفرقة والطبع كبقائه
ظاهر الصدق على
ضرب من السكر
والنقصان عفاها
لنورانية باطنه وإذا

فقال ما عندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل أنتقى ولا تخش من ذى العرش إقلالا فبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه (١) ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة خظفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه المضاء لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا (٢)

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أنجد الناس وأشجعهم (٣) قال طي رضى الله عنه لقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا (٤) وقال أيضا كنا إذا احمر البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه (٥) قيل وكان صلى الله عليه وسلم قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر الناس بالقتال تسمع وكان من أشد الناس بأسا (٦) وكان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب لقربه من العدو (٧) وقال عمران بن حصين مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب (٨) وقالوا كان قوى البطش (٩) ولما غشيه للشركون نزل عن بغلته فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فما روى يومئذ أحد كان أشد منه (١٠)

إذ جاءه العباس الحديث ووصله عمر بن محمد البحرى في صحيحه (١) حديث جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضينا فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله الحديث في الشائل من حديث عمر وفيه موسى بن علقمة القروى لم يروه غير ابنه هرون (٢) حديث لما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة خظفت رداءه الحديث خ من حديث جبير بن مطعم .

(بيان شجاعة صلى الله عليه وسلم)

(٣) حديث كان أنجد الناس وأشجعهم الدارمى من حديث ابن عمر بسند صحيح ما رأيت أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أرمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وللشيخين من حديث أنس كان أشجع الناس وأحسن الناس الحديث (٤) حديث طي رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم الحديث أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم باسناد جيد (٥) حديث طي أيضا كنا إذا حمى البأس ولقى القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء (٦) حديث كان قليل الكلام قليل الحديث فاذا أمر بالقتال تسمع الحديث أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالى مرسل (٧) حديث كان الشجاع هو الذى يقرب منه في الحرب الحديث م من حديث البراء والله إذا حمى الوطيس تنق به وإن الشجاع منا الذى يحاذى به (٨) حديث عمران بن حصين مالتى كتيبة إلا كان أول من يضرب أبو الشيخ أيضا وفيه من لم أعرفه (٩) حديث كان قوى البطش أبو الشيخ أيضا من رواية أبي جعفر معضلا ولطبرانى في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضيف (١٠) حديث لما غشيه الشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب . الحديث متفق عليه من حديث البراء دون قوله لما روى أحد يومئذ أشد منه وهذه الزيادة لأبي الشيخ وله من حديث طي في قصة بدر وكان من أشد الناس يومئذ بأسا

تور أحد وجهى
النفس لجأت إلى تحسين
الأخلاق وتبديل
النموت ولذلك سمى
الأبدال أبدالاً والسر
الأكبر في ذلك أن قلب
الصوفي بدوام الإقبال
على الله ودوام التذكر
بالقلب واللسان يرتقى
إلى ذكر الله ويتوحد
حيثما يجتاز العرش
فالعرش قلب الكائنات
في عالم الخلق والحكمة
والقلب عرش في عالم
الأمر والقدرة . قال

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه (١) قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (٢) وكان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف (٣) وكان يمود للريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة للملوك (٤) ويخصف النمل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم (٥) وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك (٦) وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٧) وآتى صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيئته فقال له هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد (٨) وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلسا يعرفه الغريب فنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه (٩) وقالت له عائشة رضي الله عنها كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك قال فأصنى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال بل آكل كما يأكل البسد وأجلس كما يجلس البسد (١٠) وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى (١١) وكان لا يدعو أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال ليك (١٢) وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم وقواضيا لهم (١٣) وكانوا يناشدون الشرعيين يديه

(بيان تواضعه صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث كان أشد الناس تواضعا في علو منصبه أبو الحسن بن الضعائف في الثمالي من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال فيه متواضع في غير مذلة وإسناده ضعيف (٢) حديث قال ابن عامر رأيته يرمى الجمرة على ناقة شبيهة لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ت ن ه من حديث قدامة ابن عبد الله بن عمار قال ت حسن صحيح وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كذا كره للمنصف (٣) حديث كان يركب الحمار موكفا عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف متفق عليه من حديث أسامة بن زيد (٤) حديث كان يمود للريض ويتبع الجنائز ويحجب دعوة للملوك ت وضعفه وك وصح إسناده من حديث أنس وتقدم متقطعا (٥) حديث كان يخصف النمل ويرقع الثوب ويصنع في بيته مع أهله في حاجته هو في السند من حديث عائشة وقد تقدم في أوائل آداب للعيشة (٦) حديث كان أصحابه لا يقومون له لما يطلون من كراهته لذلك هو عند ت من حديث أنس وصححه وتقدم في آداب الصحبة (٧) حديث كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم متفق عليه من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة (٨) حديث آتى برجل فأرعد من هيئته فقال هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ك من حديث جرير وقال صحيح على شرط الشيخين (٩) حديث كان يجلس مع أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو الحديث د ن من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم (١٠) حديث قالت عائشة كل جعلني الله فداك متكئا فانه أهون عليك الحديث أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف (١١) حديث كان صلى الله عليه وسلم لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق الله خ من حديث أنس وتقدم في آداب الأكل (١٢) حديث وكان لا يدعو أحد من أصحابه ولا من غيرهم إلا قال ليك أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وفيه حسين بن علوان منهم بالكذب والظفراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن حاطب في أثناء حديث أن أمة قالت يا رسول الله قال ليك وسعدك الحديث (١٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى

سهل بن عبد الله
القتري القلب بالمرش
والصدر كالكرسي
وقد ورد عن الله تعالى
« لا يسعني أرضي ولا
سمائي ويسعني قلب
عبدى للؤمن » فلذا
اكتحل القلب بنور
ذكر اللغات وصار
بحرا مواجا من نبات
القرب جرى في جداول
أخلاق النفس صفاء
النموت والصفات
وتحقق التخلق بأخلاق
الله تعالى . حكى عن

أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو إذا ضحكوا ولا يجرم إلا عن حرام (١) .

(بيان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم)

كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد بل كان ينسب إلى الربة إذا مشى وحده ، ومع ذلك فلم يكن يمشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا قاراه نسباً إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربة ويقول صلى الله عليه وسلم « جعل الخير كله في الربة (٢) » وأمالونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان ، ونفته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل (٣)

ونفته بعضهم بأنه مشرب بحمرة قالوا إنما كان للشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والأزهر الصافي عن الحمرة ماتعت الثياب منه وكان عرقه يطلع في وجهه كالقؤل أو أظيب من السك الأذفر وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنة ليس بالسط ولا الجمد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب منكبيه وأكثرت الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه وربما جعله غدائر أربعة تخرج كل أذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه قبدوساً موالفه تتلأف وكان شبيه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة مازاد على ذلك وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس

أمر الآخرة أخذ معهم وإن تعذبوا في طعام أو شراب تحدث معهم الحديث في التماثل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب وفيه سليمان بن خازجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد وذكره ابن حبان في الثقات (١) حديث كانوا يقتاضون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية الحديث م من حديث جابر بن سمرة دون قوله ولا يجرم إلا عن حرام .

(بيان صورته صلى الله عليه وسلم)

(٢) حديث كان من صفته رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد الحديث بطوله أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة بزيادة نقصان دون شعر أبي طالب الآتي ودون قوله وربما جعل شعره على أذنيه قبدوساً موالفه تتلأف ودون قوله وربما كان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الحديث وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب في الصحيحين من حديث البراء له شعر يبلغ شحمة أذنيه ودت وحسنه وه من حديث أم هانئ قدم إلى مكة وله أربع غدائر وت من حديث علي في صفته صلى الله عليه وسلم أدعج العينين أهدب الأشفاق الحديث وقال ليس إسناده متصل وله في التماثل من حديث ابن أبي هالة أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الفضب ألقى العينين له نور يعلوه يحبه من لم يتأمله أشم كثر اللحية سهل الحديث ضليع القم مفلج الأسنان الحديث (٣) حديث نفته عمه أبو طالب فقال :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي السند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يرضى فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه على بن زيد بن جده عن مختلف فيه وخ تليقا من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستقي فما ينزل حتى يحيش كل ميزاب فأنشده وقد وصله بأسناد صحيح

الشيخ أبي علي
الفارمزي أنه حكى
عن شيخه أبي القاسم
الكركاني أنه قال إن
الأسماء التسمية
والقسمين تصيرا وصفا
للعبد السالك وهو بعد
في السلوك غير واصل
ويكون الشيخ عني
بهذا أن العبد يأخذ
من كل اسم وصف يلائم
ضعف حال البشر
وقصوره مثل أن يأخذ
من اسم الله تعالى
الرحيم معنى من الرحمة

وجها وأنور لم يصفه واصف إلا شبهه بالقمر ليلة البدر وكان يرى رضاه وغبه في وجهه لصفاء بشرته
وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول :

أمين مصطفي الخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين ما بينهما وكان أبلغ ما بين الحاجبين كان ما بينهما
القضة المخلصة وكانت عيناه مجلاوين أدعجهما فكان في عينيه تخرج من حمرة وكان أهدب الأشعار
حتى تفكاد تلتبس من كثرتها وكان أنقى العينين : أي مستوى الأنف وكان مفلج الأسنان : أي
متفرقا وكان إذا أقر صاحبا أقر عن مثلي منا البرق إذا تلاقا وكان من أحسن عباد الله شفتين
والظفهم ختمهم ، وكان سهل الحدين سهلها ليس بالطويل الوجه ولا للكثم كك الحبة وكان يفي
لحيته وبأخذ من عاربه وكان أحسن عباد الله عتقا لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عتقه
الشمس والرياح فكان أنه إريق قضة مشرب ذهبيا يتلأل في رياض القضة وفي حمرة القصب ، وكان صلى
الله عليه وسلم عريض الصدر لا يبدو لحم بعض بدنه بضاً كمرأة في استوائها وكالقمر في ياضه
موصول ما بين لبتة وسرته بشعر متقاد كالقضب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره وكانت له عكن
ثلاث يغطي الأزار منها واحدة ويظهر اثنتان ، وكان عظيم للسكرين أشمرهما ضم الكراديس : أي
رموس العظام من للسكرين وللرقيقين والوركيين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم التوبة وهو
مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من حرف
فرس وكان على المضدين والقرعنين طويل الزندين رجب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه
قضبان القضة كفه ألين من الخز كان كفه كف عطار طيبا مسها بطيب أولم يمساها يصاغه للصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان ريحها على رأسه وكان
على ما تحت الأزار من الفضدين والساق وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان له
مناسكا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السمن . وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان يمشي
كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صلب يخطو تكفيا ويمشي الموهبي غير يتعثر والموهبي تقارب
الخطا وكان عليه الصلاة والسلام يقول : أنا أشبه الناس بأم صلى الله عليه وسلم وكان أبي إبراهيم
صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بي خلقا وخلقاً وكان يقول وإن لي عند ربى عشرة أسماء أنا محمد
وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحوا الله في الكفر وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وأنا الحاشي عشر
الله العباد على قدمي وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم واللقى قبيل الناس جميعا وأنا
تم (١) قال أبو البحتري : والقسم الكامل الجامع ، والله أعلم .

على قدر قصور البشر
وكل إشارات الشايع
في الأسماء والصفات
التي هي أعز علومهم
على هذا الفن والقصير
وكل من توم بذلك شيئا
من الحلول تزدق
والحد وقد أوصى
رسول الله صلى الله
عليه وسلم معانا
بوصية جامعة لحسن
الأخلاق فقال له وإمامنا
أوسيك بتقوى الله
وصديق الحديث والوفاء
بالعهد وأداء الأمانة

(١) حديث إن لي عند ربى عشرة أسماء الحديث ابن عدى من حديث على وجابر وأسامة بن
زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل لي عند ربى
عشرة أسماء قال أبو الطفيل حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة وتقص وذكر سيف بن وهب أن
أبا جعفر قال إن الأسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جابر بن مطعم لي
أسماء أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشي وأنا الماحي وأنا العاقب ولمسلم من حديث أبي موسى واللقى وبني
التوبة وبني الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة وبني الملاحم وسنده صحيح .

(بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه)

اعلم أن من شاهد أحواله صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعادته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق وهدايته إلى ضبطهم وتألفه أصناف الخلق وقوده بإمام إلى طاعته مع ما يحكى من هجاب أجوبته في مضائق الأسئلة وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذى يجزئ الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوى وقوة الهيبة وأن ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى إن العربى القح كان يراه فيقول : والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق ولتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلو منصبه ومكانته العظيمة عنده إذ أتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمى لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب عالم ولم يزل بين أظهر الجبال من الأعراب يتبعها ضعيفا مستضعفا فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحى ومن أين لقوة البشر الاستقلال بذلك فلم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل ، فلندكر من حملها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة ، إذ شق له القمر بمسكة لما سأله قرئش آية (١) وأطعم النفر الكثير في منزل جابر (٢) وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق (٣) ومرة أطعم ثمانين من أرمية أمداد شمير وعناق (٤) وهو من أولاد للز فز فوق المتود ومرة أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شمير حملها أنس في يده (٥) ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم (٦) ونبع الماء من بين أصابعه عليه السلام فشرب أهل المسكر كلهم وهم عطاش وتوضئوا من قدح صغير ضاق عن أن ييسط عليه السلام يده فيه (٧)

(بيان معجزاته)

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس (٢) حديث إطعام النفر الكثير في منزل جابر متفق عليه من حديثه (٣) حديث إطعامه النفر الكثير في منزل أبي طلحة متفق عليه من حديث أنس (٤) حديث إطعامه ثمانين من أرمية أمداد شمير وعناق للإسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة من حديث جابر وفيه أنهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة وهو عند ذك العدد وفي رواية أبي نعيم في دلائل النبوة وهم ألف (٥) حديث إطعامه أكثر من ثمانين رجلا من أقرص شمير حملها أنس في يده م من حديث أنس وفيه حتى قبل ذلك ثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤرا وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلا وهو متفق عليه بلفظ والقوم سبعون أو ثمانون رجلا (٦) حديث إطعامه أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر في يدها الحديث البيهقي في دلائل النبوة من طريق ابن إسحاق : حدثنا سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد (٧) حديث نبع الماء من بين أصابعه فشرب أهل المسكر وهم عطاش وتوضئوا الحديث متفق عليه

ونترك الحيانة وحفظ
الجوار ورحمة اليتيم
ولين الكلام وبذل
السلام وحسن العمل
وقصر الأمل ولزوم
الإيمان والتفقه في
القرآن وحب الآخرة
والجزع من الحساب
وخفض الجناح وإيالة
أن تسب حلما أو
تكذب صادقا أو تطمع
آثما أو تعصى إماما
عادلا أو تفسد أرضا
أو يسبك باتقاء الله عند
كل حجر وشجر ومدر

وأهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء (١) وأمر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربة البعير وهو موضع بروكة فزودهم كلهم منه وبقي منه فحبسه (٢) ورعى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - (٣) وأبطل الله تعالى الكهانة ببعثه ﷺ فهدمت وكانت ظاهرة موجودة (٤) وحنّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له الثبر حتى جمع منه جميع أصحابه مثل صوت الابل فضمه إليه فسكن (٥) ودعا اليهود إلى غنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتعنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه (٦) وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الاسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها وأخبر عليه السلام بالقبور وأئذ عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة (٧) وبأن عمارا تقتله الفئة الباغية (٨) وأن الحسن يصالح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين (٩)

من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط ولأنني نعيم من حديثه خرج إلى قبا فأتى من بعض بيوتهم بقدر صغير وفيه ثم قل هلم إلى الشرب قال أنس بصري عني نبع الماء من بين أصابعه ولم يرد القدر حتى رووا منه وإسناده جيد وللبراز واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال اتوني بماء فأتوه بأناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه الحديث (١) حديث إهراقه وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشت بالماء الحديث م من حديث معاذ بقصة عين تبوك ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية وفيه فاما دعا وإما بسق فيها فجاشت الحديث وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وصبه فيها وفي الحديثين مما أنهم كانوا أربعة عشر مائة وكذا عند مخ من حديث البراء وكذلك عندهما من حديث جابر ، وقال البيهقي إنه الأصح ولهما من حديثه أيضا ألف وخمسمائة ولمسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة (٢) حديث أمر عمر أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان كربة البعير الحديث أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث دكين بن سعيد بن أسيد بن صحيحين وأصل حديث دكين عند أبي داود مختصرا من غير بيان لعدد (٣) حديث رميه الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم الحديث م من حديث سلمة بن الأكوع دون ذكر نزول الآية فرواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس (٤) حديث إبطل الكهانة ببعثه ﷺ الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الدوسي قال حضرت النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت عنده الكهانة وما كان من تغييرها عند مخرجه الحديث ولأنني نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه على أوليائهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم دحروا بالأنجوم وأصله عند مخ بغير هذا السياق (٥) حديث حين الجذع مخ من حديث جابر وسهل بن سعد (٦) حديث دعا اليهود إلى غنى الموت وأخبرهم بأنهم لا يتعنونه الحديث مخ من حديث ابن عباس لو أن اليهود دعوا الموت لما اتوا الحديث والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس لا يقولها رجل منكم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يملوا الحديث وإسناده ضعيف (٧) حديث إخباره بأن عثمان تصيبه بلوى بعدها الجنة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٨) حديث إخباره بأن عمارا تقتله الفئة الباغية م من حديث أبي قتادة وأم سلمة ومخ من حديث أبي سعيد (٩) حديث إخباره أن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين مخ من حديث أبي بكر .

وأن تحدث لكل ذنب
توبة السر السر
والعلانية بالعلانية
بذلك أدب الله عباده
ودعاهم إلى مكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب ، وروى معاذ
أيضا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
حفت الاسلام بمكارم
الأخلاق ومحاسن
الآداب. أخبرنا الشيخ
العالم ضياء الدين
عبد الوهاب بن طي
بإسناده المتقدم إلى

وأخبر عليه السلام عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار (١) فظهر ذلك بأن ذلك الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء إلهية لا تعرف ألبتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر اسكن بأعلام الله تعالى له ووحية إليه ، وأتبعه سراقه بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى (٢) فكان كذلك وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله (٣) وخرج على مائة من قریش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه (٤) وشكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له (٥) وقال لنفر من أصحابه مجتمعين أحدهم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتم منهم واحد فقتل مرتدا (٦) وقال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات (٧) ودعا شجرتين فأنتاه واجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا وكان عليه السلام نحو الربعة فاذا مشى مع الطوال طالم (٨) ودعا عليه السلام النصارى إلى الباهلة فامتنعوا ففرهم صلى الله عليه وسلم أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعملوا صحة قوله فامتنعوا (٩) وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما وبين ذلك ودعا عليهما فهلك عامر بئدة وهلك ر بدصاعة أحرقت (١٠) وأخبر عليه السلام

الترمذي رحمه الله قال
أنا أبو حبيب قال
حدثنا قيس بن الليث
عن مطرف عن عطاء
عن أم الدرداء عن أبي
الدرداء قال سمعت النبي
عليه السلام يقول
« ما من شيء يوضع في
الليزان أهل من حسن
الحلق وإن صاحب
حسن الحلق ليلغ به
درجة صاحب الصوم
والصلاة » وقد كان من

(١) حديث إخباره عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد (٢) حديث اتباع سراقه بن مالك له في قصة الهجرة فساخت قدما فرسه في الأرض الحديث متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق (٣) حديث إخباره بمقتل الأسود العنسي ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن ومن قتله وهو مذكور في السير والذي قتله فيروز الديلمي وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن اتخهما فنفتخهما فطارا فتأولتهما كذا بين غرجان بعدى فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث (٤) حديث خرج على مائة من قریش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة وكذلك رواه ابن اسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسل (٥) حديث شكا إليه البعير وتذلل له من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه فانه شكا إلى إنك تجيحه وتدببه وأول الحديث عندم دون ذكر قصة البعير (٦) حديث قال لنفر من أصحابه أحدهم ضرسه في النار مثل أحد الحديث ذكره الدارقطني في المؤلف والمختاف من حديث أبي هريرة بغير اسناد في ترجمة الرجال ابن عثيرة وهو الذي رتد وهو بالجيم وذكره عبد الله بن المبارك وسبقه إلى ذلك الواقدي والدائمي والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ أحد هؤلاء نفر في النار وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك (٧) حديث قال لآخرين منهم آخركم موتا في النار فسقط آخرهم موتا في النار فاحترق فيها فمات الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عذرة وفي رواية البيهقي أن آخرهم موتا صخرة بن جندب لم يذكر أنه احترق ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة نحوه ورواه ثقات وقال ابن عبد البر إنه سقط في قدر مخلوة ماء حارا فمات وروى ذلك بأسناد متصل إلا أن فيه داود بن المغيرة وقد ضعفه الجمهور (٨) حديث دعا شجرتين فأنتاه واجتمعتا ثم أمرهما فاقتربتا أحمد من حديث علي بن مرة بسند صحيح (٩) حديث دعا النصارى إلى الباهلة وأخبر إن فعلوا ذلك هلكوا فامتنعوا من حديث ابن عباس في أثناء حديث ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا (١٠) حديث أتاه عامر بن الطفيل بن مالك وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله

أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته فيه ^(١) وأطم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده أربع سنين وكله الذراع السموم ^(٢) وأخبر عليه السلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم وجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع ^(٣) وأنذر عليه السلام بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك ^(٤) وزويت له الأرض فأرى مشارقها ومقاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلبغ مازوى له منها فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أول للشرق من بلاد الترك إلى آخر للغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يسعوا في الجنوب ولا في الشمال كما أخبر صلى الله عليه وسلم سواء بدواء ^(٥) وأخبر فاطمة ابنته رضى الله عنها بأنها أول أهله لحاقا به ^(٦) فكان كذلك وأخبر نساءه بأن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن بدا بالصدقة وأولهن لحوقا به رضى الله عنها ^(٧) ومسح ضرع شاة لآل بن لها فدرت ^(٨) وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضى الله عنه وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية وندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما ^(٩) وتقل في عين على رضى الله عنه وهو أرمم يوم خير فصيح من وقته وبثه بالراية ^(١٠) وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم ^(١١) وأصيبت رجل بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها ^(١٢) وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فلما بجميع ما بقى فاجتمع شئ يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء

فحل بينهما وبين ذلك الحديث طب في الأوسط والأكبر من حديث ابن عباس بطوله بسندلين ^(١) حديث إخباره أنه يقتل أبي بن خلف الجحى غدشه يوم أحد خدشا لطيفا فكانت منيته البهيق في دلائل النبوة من رواية سعيد بن المسيب ومن رواية عروة بن الزبير مرسل ^(٢) حديث إنه أطم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو بعده أربع سنين وكله الذراع السموم د من حديث جابر في رواية له رسالة أن الذي مات بشر بن البراء وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أمت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه لما زلت أعرقها في لحوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) حديث إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع صناديد قريش الحديث م من حديث عمر بن الخطاب ^(٤) حديث إخباره بأن طوائف من أمته يفرون في البحر فكان كذلك متفق عليه من حديث أم حرام ^(٥) حديث زويت له الأرض مشارقها ومقاربها وأخبر بأن ملك أمته سيلبغ مازوى له منها الحديث م من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٦) حديث إخباره فاطمة أنها أول أهله لحاقا به متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضا ^(٧) حديث أخبر نساءه أن أطولهن بدا أسرعهن لحاقا به فكانت زينب الحديث م من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقا به قال ابن الجوزي وهذا غلط من بعض الرواة بلا شك ^(٨) حديث مسح ضرع شاة لآل بن لها فدرت فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود أحمد من حديث ابن مسعود بإسناد جيد ^(٩) حديث ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردها فكانت أصح عينيه وأحسنهما أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه في رواية للبيهقي أنه كان يدر وفي رواية أبي نعيم أنه كان بأحد وفي إسناده اضطراب وكذا رواه البيهقي فيه من حديث أبي سعيد الخدري ^(١٠) حديث تغل في عين على وهو أرمم يوم خير فصيح من وقته وبثه بالراية متفق عليه من حديث على ومن حديث سهل بن سعد أيضا ^(١١) حديث كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه م من حديث ابن مسعود ^(١٢) حديث أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرأت من حينها م في قصة قتل أبي رافع .

أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل ولم يجد من يعطيه ، وبأبيه الليل لا يأوى إلى منزله حتى يرا منه ولا يناله من الدنيا وأكثر قوت عامه من أسر ما يجد من الثمر والشعر ويضع ماعدا ذلك في سبيل الله لا يستل شيئا إلا يعطى

في العسكر إلا ملياً من ذلك^(١) وحكى الحكم بن العاص بن وائل [١] مشيئة عليه السلام مستهزأ فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكان فلم يزل يرتقى حتى مات^(٢) وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال عليه السلام فلتسكن كذلك^(٣) فبرصت وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم وإنما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في انحراف العادة على يده ويؤمن أن أحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل التواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة على رضى الله عنه وسخاوة حاتم الطائي ومعلوم أن أحاد وقائعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقائع يورث علماً ضرورياً لا يتماهى في تواتر القرآن وهي العجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبى معجزة باقية سواه ﷺ إذ تهدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ معلومة بألاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهجتهم وكان ينادى بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم - قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً - وقال ذلك تمجيذاً لهم فجزوا عن ذلك بوصف فواعنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذرياتهم للبي وما استطاعوا أن يمارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقضى اليوم قريب من خمسين سنة فلم يقدر أحد على معارضته فأعظم بضاوة من ينظر في أحواله ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار العالم ثم في إذهاب ملوك الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه يتمارى بعد ذلك في صدقه وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته واتبه في كل ما ورد وصدر ففسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال عنه وسعة جوده . ثم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه ، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربيع الهللكات إن شاء الله تعالى .

ثم يسود إلى قوت عامه فيؤثر منه حتى وبما احتاج قبل انقضاء العام . وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويغتم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن . وكان أشد الناس حياءً وأكثرهم تواضعاً فضلات الرحمن عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(١) حديث قل زاد جيش كان معه فدعا بما بقي فاجتمع شيء يسير فدعا فيه بالبركة الحديث متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع (٢) حديث حكى الحكم بن العاص مشيئة مستهزأ به فقال فيكذلك كن الحديث البيهقي في الدلائل من حديث هند بن خديج صححه بإسناد جيد ولا حاكم في المستدرک من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال صحيح الإسناد . [٣] حديث يد طلحة لما أزال ما كان بها من شلل أصابها يوم أحد حين مسحها بيده من حديث جابر لما كان يوم أحد وفيه قتال طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس وليس فيه أنه مسحها وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (٣) حديث خطب امرأة فقال أبوها إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال فلتسكن كذلك فبرصت المرأة ذكرها ابن الجوزي في التقيق ومما هاجرة بنت الحرت ابن عوف اللزني وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك .

[١] قوله الحكم بن العاص بن وائل هكذا في النسخ وصوابه كما في الشارح الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس [٢] قول العراقي حديث يد طلحة الخ لم يكن يندسختنا ولا بنسخة الشارح وأثبتناه تبعاً للأصل فليُنظر .

[قد تم بحون الله وحسن توفيقه طبع : الجزء الثاني من كتاب إحياء علوم الدين]

وبليه : الجزء الثالث إن شاء الله تعالى . وأوله كتاب شرح عجائب القلب]

فهرس الجزء الثانى

من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالى

صفحة	صفحة
٦٢	٢
﴿ كتاب آداب الكسب والمعاش ﴾	﴿ كتاب آداب الأكل ﴾
وهو الكتاب الثالث من ربيع العادات	وهو الأول من ربيع العادات
٦٣ (الباب الأول فى فصل الكسب والحث عليه)	٣ (الباب الأول فى لابد للفرد منه وهو ثلاثة
٦٦ (الباب الثانى فى علم الكسب بطريق البيع الخ	أقسام: قسم قبل الأكل ، وقسم مع الأكل ،
ويان شروط الشرع فى صحة هذه التصرفات	وقسم بعد الفراغ منه
التي هى مدار الكسب فى الشرع)	القسم الأول فى الآداب التي تقدم على
(العقد الأول البيع	الأكل وهى سبعة
٧٠ (العقد الثانى عقد الربا	٥ القسم الثانى فى آداب حالة الأكل
٧١ (العقد الثالث السلم	٦ القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام
٧٢ (العقد الرابع الإجارة	٧ (الباب الثانى فيما يزيد بسبب الاجتماع
٧٣ (العقد الخامس القراض	والمشاركة فى الأكل وهى سبعة)
(العقد السادس الشركة	٨ (الباب الثالث فى آداب تقديم الطعام إلى
٧٤ (الباب الثالث فى بيان العدل واجتناب الظلم	الإخوان الزرين)
فى العامة)	١٢ (الباب الرابع فى آداب الضيافة)
القسم الأول فيما يمس ضرره وهو أنواع	١٩ فصل يجمع آداباً ومناهى طبية وشرعية متفرقة
٧٦ القسم الثانى ما يخص ضرره للعامل	٢١ ﴿ كتاب آداب النكاح ﴾
٨٠ (الباب الرابع فى الاحسان فى العامة)	وهو الكتاب الثانى من ربيع العادات
٨٤ (الباب الخامس فى شفقة التاجر على دينه	٢٢ (الباب الأول فى الترغيب فى النكاح
فما يخص دينه آخرته)	والترغيب عنه)
٨٩ ﴿ كتاب الحلال والحرام ﴾	الترغيب فى النكاح
وهو الكتاب الرابع من ربيع العادات	٢٤ ما جاء فى الترهيب عن النكاح
(الباب الأول فى فضيلة الحلال ومذمة	٢٥ آفات النكاح وفوائده
الحرام ويان أصناف الحلال ودرجاته	٣٧ (الباب الثانى فيما راعى حالة العقدم من أحوال
وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه)	للرأة وشروط العقد)
فضيلة الحلال ومذمة الحرام	٤٣ (الباب الثالث فى آداب المعاشرة وما يجرى
٩٣ أصناف الحلال ومداخله	فى دوام النكاح والنظر فيما على الزوج
القسم الأول الحرام لصفة فى عينه الخ	وفما على الزوجة)
٩٤ القسم الثانى ما يحرم لخلل فى جهة إثبات	٥٨ القسم الثانى من هذا الباب النظر فى
البد عليه	حقوق الزوج عليها

صفحة	صفحة
١٥٥ (الباب الأول في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها)	٩٥ درجات الحلال والحرام
١٥٩ بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا	٩٦ أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدا
١٦٤ بيان البغض في الله	٩٩ (الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام)
١٦٦ بيان مراتب الذين ينفضون في الله وكيفية معاملتهم	١٠٠ للثار الأول الشك في السبب المحال والمحرم
١٦٨ بيان الصفات الصروطة فيمن يختار محبتها	١٠٣ للثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط
١٧٠ (الباب الثاني في حقوق الأخوة والصحبة)	١١٠ للثار الثالث للشبهة أن يتصل بالسبب المحلل معصية
١٧١ الحق الأول في المال	١١٥ للثار الرابع الاختلاف في الأدلة
١٧٢ الحق الثاني في الإعانة بالنفس الخ	١١٨ (الباب الثالث في البحث والسؤال والمهجوم والإعمال ومظانها)
١٧٤ الحق الثالث في اللسان بالسكوت الخ	الثمار الأول أحوال المالك
١٧٨ الحق الرابع على اللسان بالنطق	١٢١ للثار الثاني ما يستند الشك فيه إلى سبب المال لا في حال المالك
١٨١ الحق الخامس العفو عن الزلات والمفوضات	١٢٧ (الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية وفيه نظران)
١٨٣ الحق السادس الدعاء للأخ في حياته الخ	النظر الأول في كيفية التمييز والإخراج
١٨٤ الحق السابع الوفاء والإخلاص	١٢٩ النظر الثاني في المصرف
١٨٦ الحق الثامن التخفيف وترك التكليف الخ	١٣٣ (الباب الخامس في إدرات السلاطين وصلاحهم وما يحل منها وما يحرم وفيه نظران)
١٨٩ (خاتمة) لهذا الباب نذكر فيها جملة الخ	١٣٤ النظر الأول في جهات الدخول لاساطان
١٩٠ (الباب الثالث في حق المسلم والرحم والجوار والمالك وكيفية المعاشرة مع من يدلى بهذه الأسباب)	١٣٨ النظر الثاني من هذا الباب في قدر المأخوذ وصفة الآخذ
١٩١ حقوق المسلم	١٤٠ (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيانهم بالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم)
٢١١ حقوق الجوار	١٥١ (الباب السابع في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى)
٢١٥ حقوق الأقارب والرحم	١٥٤ (كتاب آداب الألفة والأخوة)
٢١٦ حقوق الوالدين والولد	والصحب والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني وفيه ثلاثة أبواب
٢١٩ حقوق المملوك	
٢٢١ (كتاب آداب العزلة)	
وهو الكتاب السادس من ربيع العادات وفيه بابان	
٢٢٢ (الباب الأول في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك)	
٢٢٣ ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها	
٢٢٤ ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة	

صفحة	صفحة
٢٢٦ (الباب الثانى فى فوائد العزلة وغواياها وكشف الحق فى فضلها)	٢٦٦ (كتاب آداب السماع والوجد)
٢٢٨ الفائدة الأولى التفرغ للعبادة والفكر الخ	وهو الكتاب الثامن من ربيع العادات
٢٣٢ الفائدة الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يمرض الانسان لها الخ	وفيه بابان : الباب الأول فى ذكر اختلاف العلماء فى إباحة السماع وكشف الحق فيه .
٢٣٣ الفائدة الثالثة الخلاص من الفتن والحصومات وصيانة الدين والنفس الخ	بيان أقويل العلماء وللصوفة فى تحليه ونهيه
٢٣٤ الفائدة الرابعة الخلاص من شر الناس	٢٦٨ بيان الدليل على إباحة السماع
٢٣٥ الفائدة الخامسة أن يتقطع طمع الناس عنك ويتقطع طمعك عن الناس	٢٨٢ بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها
٢٣٦ الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحقى ومقاساة حقيقتهم وأخلاقهم الخ	٢٨٤ (الباب الثانى فى آثار السماع وآدابه وفيه مقامات ثلاث)
٢٣٧ آفات العزلة للبنىة على فوات فوائد المحالطة السبعة الآتية	٢٨٥ القيام الأول فى الفهم
٢٣٨ الفائدة الأولى التلميم والتعلم	٢٨٩ القيام الثانى بعد الفهم والتزليل للوجد
٢٣٩ الفائدة الثانية النفع والانتفاع	٢٩٨ للقيام الثالث من السماع نذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا الخ
٢٤٠ الفائدة الثالثة التأديب والتأديب	٣٠٢ (كتاب الأمر بالمعروف)
٢٤١ الفائدة الرابعة الاستئناس والإيناس	والتمه عن النكر وهو الكتاب التاسع من ربيع العادات الثانى وفيه أربعة أبواب
٢٤٢ الفائدة الخامسة فى فضل الثواب وإثائه	٣٠٣ (الباب الأول فى وجوب الأمر بالمعروف والتمه عن النكر وفضيلته والمذمة فى إجماله وإيضاحه)
٢٤٣ (كتاب آداب السفر)	٣٠٨ (الباب الثانى فى أركان الأمر بالمعروف وشروطه ، وأركانه أربعة)
وهو الكتاب السابع من ربيع العادات	الركن الأول المحتسب
وفيه بابان	٣٢٠ الركن الثانى للمحاسبة ما فيه المحاسبة
٢٤٤ (الباب الأول فى الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفى نية السفر وفائدته وفيه فصلان)	٣٢٣ الركن الثالث المحتسب عليه
٢٤٥ الفصل الأول فى فوائد السفر وفضله ونيته	٣٢٤ الركن الرابع نفس الاحتساب (باب آداب المحتسب)
٢٤٦ الفصل الثانى فى آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهى أحد عشر أدبا	٣٣٠ (الباب الثالث فى المنكرات للمألوفة فى العادات)
٢٤٧ (الباب الثانى فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات الخ)	منكرات للمساجد
٢٤٨ القسم الأول العلم برخص السفر	٣٣٣ منكرات الأسواق
٢٤٩ القسم الثانى ما يتجدد من الوظيفة الخ	منكرات الشوارع

صفحة	صفحة
٣٦٠ يان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه	٣٣٤ منكرات الحامات
٣٦٣ يان كلامه وضحه صلى الله عليه وسلم	منكرات الضيافة
٣٦٦ يان أخلاقه وآدابه فى الطعام	٣٣٦ للنكرات العامة
٣٧٢ يان أخلاقه وآدابه فى اللباس	٣٣٧ (الباب الرابع: فى أمر الأمراء والسلطين بالمعروف ونهيم عن للنكر)
٣٧٧ يان عفوه صلى الله عليه وسلم مع القدرة	٣٥١ (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة)
٣٧٨ يان إغضائه صلى الله عليه وسلم عما كان يكرهه	وهو الكتاب العاشر من ربيع العادات من كتب إحياء علوم الدين
٣٧٩ يان سخاوته وجوده صلى الله عليه وسلم	٣٥٢ يان تأديب الله تعالى حبيبه وصفه محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن
٣٨٠ يان شجاعته صلى الله عليه وسلم	٣٥٣ يان جملة من محاسن أخلاقه التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار
٣٨١ يان تواضعه صلى الله عليه وسلم	
٣٨٢ يان صورته وخلقه صلى الله عليه وسلم	
٣٨٤ يان معجزاته وآياته الدالة على صدقه	

فهرس بقية عوارف المعارف للسهروردى الذى بالهامش

صفحة	صفحة
١٧٢ (الباب العشرون فى ذكر من يأكل من الفتوح)	٢ (الباب التاسع فى ذكر من اتمى إلى الصوفية وليس منهم)
١٩٥ (الباب الحادى والعشرون فى شرح حال التجرد وللتأهل من الصوفية وصحة مقاصدهم)	١٣ (الباب العاشر فى شرح رتبة الشيخة)
٢٢٠ (الباب الثانى والعشرون فى القول فى السماع)	٣٤ (الباب الحادى عشر فى شرح حال الخادم ومن يشبه به)
٢٥٣ (الباب الثالث والعشرون فى القول فى السماع رداً وإنكاراً)	٤٢ (الباب الثانى عشر فى شرح خرقه الصوفية)
٢٦٤ (الباب الرابع والعشرون فى القول فى السماع ترفعا واستغناء)	٦٢ (الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الرباط)
٢٧٩ (الباب الخامس والعشرون فى القول فى السماع تأديبا واعتناء)	٧٠ (الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الرباط بأهل الصفة)
٢٩٦ (الباب السادس والعشرون فى خاصية الأربعينية التى يتعاهدها الصوفية)	٨٠ (الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الرباط والصوفية فيما يتعاهدونه ويختصون به)
٣١٠ (الباب السابع والعشرون فى ذكر فتوح الأربعينية)	٩٥ (الباب السادس عشر فى ذكر اختلاف أحوال مشايخهم فى السفر والمقام)
٣٣٢ (الباب الثامن والعشرون فى كيفية الدخول فى الأربعينية)	١٢٢ (الباب السابع عشر فى ما يحتاج إليه الصوفى فى سفره من الفرائض والفضائل)
٣٥٣ (الباب التاسع والعشرون فى أخلاق الصوفية)	١٤٠ (الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه)
	١٥٨ (الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب)